شرائح قصصية سليمانية

(الجزء السابع)

(من القصة الأولى بعد الستمائة حتى القصة المتممة السبعمائة)

نحو قصة عربية أصيلة وهادفة وبناءة وجادة ومحترمة

بقلم

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء!

(أهدي هذه الشريحة القصصية ، إلى هواة القصة والباحثين عن

العبرة فيها ، ليتأملوها وليتدبروها ، وليعملوا بمقتضاها!)

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

1 - انحدار

(كانت مؤمنة صالحة تحت زوج صالح تقي. ولما طلقتْ منه لحكمة يعلمها الله ، انحدرتْ فأهملتِ الصلاة والحجاب. وكأنها كانت له تصلي وترتدي الحجاب ، ولسواد عينيه تلتزم بالإسلام والحق. والأصل أن ذلك كله لله. (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له). فلا تصح أبداً معاقبة الزوج بترك شيء منه. عن سعد رضي الله عنه قال: كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بجاهلية ، فحلفتُ باللات والعزى ، فقال لي أصحاب رسول الله: بئس ما قلت ؛ كلهم قاموا عليَّ في المجلس وقالوا: إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأتيته فأخبرته فقال لي: (قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ، واتفل عن يسارك ثلاث مرات ، ولا تعد له). رواه النسائي.)

2 - انحدار عواقبه وخيمة

(اعتاد على قيام الليل وقراءة القرآن والصدقة وغير ذلك من أعمال البر والخير والإحسان. ثم لم يلبث حتى فتن وانحدر إلى حضيض الخمر والنساء. فناشدته العودة غير مرة فلم يقبل. فرحتُ أنذر من عواقب هذا الانحدار. وصدق السكندري حينما شخص الداء فقال: (إن أعداء الله يريدونك ضعيف الإيمان والبنيان ، مرتعش اليدين ، أجوف القلب ، تافه الأحلام. ألم يأتك نبأ قنوات الفيديو كليب المليء بالغناء الماجن والرقص الخليع ونحوه؟ ألم تعلم أنهم صمموا آلاف بل ملايين المواقع الإباحية وغيرها لهذه الأغراض. لو لم تكن مهماً لهذا الحَد ما اهتموا بتدميرك وإبعادك عن دينك ، إلا أنك غافل. ألم يأت الأوان الذي تعرف فيه أن دينك بحاجةٍ إليك؟ والأصل أن الذي هداه الله ينبغي أن يأخذ بأسباب تزكية النفس.)

3 - أنذرتهم ولكن!

(ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيُسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى). هكذا واجه كليم الله ونبيه موسى بن عمران - عليه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته - السحرة الذين جمعهم فرعون للمناظرة الكبرى بين الحق والباطل. والموعد يوم الزينة ، والدعوة عامة شاملة للرجال وللنساء وللأطفال ، فلم يذكر الداعون في دعوتهم (بيوت الأطفال جنتهم!) وأيضاً مسموح باصطحاب الكاميرات ، فلم يورد الداعون في دعوتهم عبارة (ممنوع اصطحاب الكاميرات!) وإذن فهي دعوة عامة بلا قيد أو شرط ، (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى). وإن كان أصحاب المناسبات يشترطون عدم حضور النساء أو عدم اصطحاب الأطفال أحياناً فهنا في يوم الزينة وفي باحة قصر فرعون بالتحديد في ساحة المناظرة ، الدعوة عامة للجميع (رجال – نساء – أولاد أو حتى خدم وجواري). والحقيقة أن إنذار موسى للسحرة لم يؤتِ ثمرته إلا هناك في نهاية المطاف! الأمر الذي لم يدُر بخلد موسى النبي الرسول ساعة دعاهم. لأنه كم دعا قبلهم من الكفرة والمشركين ، فما استجابوا. وإذن فالإنسان المخلص لدينه ولعقديته ينذر ويبين ، ويحدد معالم ما أودعه الله في قلبه ، فلا يعيش بقلبين لأن الرب – تعالى - لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ، فإذا كان له قلب واحد فينبغي على هذا القلب الواحد أن يتوجه بالعبادة لرب واحد ، فإذا ادعى أن له قلبين فهي غطرسة النفاق وكارثة الرياء إذن. والداعي من يبذر البذور ، والله هو الذي ينبتها ، ويكتب لها الحياة. وليعلم كل موحد جيداً ، أنه لا يهدي من أحب ، ولكن الله يهدي من يشاء. ألا وإن واجب الداعي الإنذار والبيان ، وإقامة

الحجة الرسالية التي يكفر تاركها بعد توافر الشروط وانتفاء الموانع! وفي شأن إقامة الحجة يقول الأستاذ أبو عبد الرحمن عيد فؤاد: (بعث الله نبيه بالحجة البينة الواضحة ، فأنار السبيل ، وكشف الظلمة ، وترك أمته على محجة بيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك! ولأجل ذلك بعث الله المرسلين ، وآتاهم الآيات والبينات ، {رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل وكان الله عزيزاً حكيماً} ، وأما أولئك الذين لم تقم عليهم حجة الله لعدم وصول الرسالة إليهم ، فأولئك يرفع الله عنهم - بعدله – عذابه ، فيقول: {وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً} ، وقد رفع الله الإصر والعذاب عن أولئك الذين لا يقدرون على فهم حجته ، لعدم أهليتهم لتقبلها وفهمها ، قال - صلى الله عليه وسلم -: (أربعة يحتجون على الله يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرِم ، ورجل مات في فترة.). يقول ابن تيمية: "فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي ، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه ، كالمجنون مثلاً وهذا مصداق قول الله: {وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يبيّن لهم مّا يتّقون إنّ الله بكلّ شيءٍ عليم} ، وقوله: {ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً}. فقد أخبرت الآيتان باستحقاق العبد العذاب بعد تبين الهُدى له ، والجاهل إنما ضل عن الهدى ، ولم يتبينه ، لذا نال رحمة الله!)هـ.

4 - عِبرة لمن يعتبر!

(عاشت سيدة فرنسية في الجزائر ، واعتنقت الإسلام وحدها ، بينما أهلها كلهم غير مسلمين في فرنسا ، ثم أصيبتْ بمرض بالسرطان ، وذهبت إلى الطبيب الذي تابع حالتها وقال لها بأن المرض انتشر في جسمك كله (يعني لا أمل في الشفاء) وما هي إلا مسألة وقت قصير وتموتين ، وعمل لها ملفاً ، ووضع تقاريره وصور الأشعة وغيرها في الملف. وعندما علم أهلها بمرضها قالوا لها: هذا غضب الرب عليك لأنك أسلمتِ ، ارجعي عن دين الإسلام عسى الرب يعفو عنك ويشفيك. فلم تستمع لكلامهم وتمسكت بدين الإسلام ، فعرضوا عليها أن تأتي فرنسا ويكشف عليها أطباء كبار أفضل من أطباء الجزائر! فسافرت إلي فرنسا وهم يعلمون تمام العلم أنه لا أمل في الشفاء ، ولكن قصدهم أن تكون عبرة لمن يعتبر ممن أراد أن يُسلم ويدخل في دين الإسلام! فراحوا يلفوا بها على الكنائس ويقولوا للناس: هذا جزاء من يدخل في الإسلام! فبكت المرأة بكاءً شديداً بعد ما عرفت قصدهم! ثم رجعت إلى الجزائر تنتظر الموت على دين الإسلام! وفي ليلة من الليالي فكرت أنها لو ماتت ستكون عبرة لمن لم يعتبر من أهل بلدها وسيقولون بأنها ماتت لأنها دخلت في الإسلام! فتوضأت في جوف الليل وفرشت سجادة الصلاة ، وقامت الليل تدعو الله وتناجيه وتُلح عليه قائلة: (يا رب إني لا أخاف أن أموت وألقاك ولكني أخاف أن أموت ويشمتوا في لأني أسلمت ، ويخاف الناس من الإسلام ، يا رب اشفني وعافني لكي يعلم الناس قدرتك ورحمتك ، ويدخل الناس في الإسلام ولا أكون أنا السبب في تنفير الناس من الإسلام)! ثم أغشي عليها وراحت في غيبوبة حتي استفاقت في العصر من اليوم التالي ، ولم تشعر بأي ألم ، فعرفت أنها صحوة الموت وأنها ستموت الآن! ولكن عندما جاء الليل لم تمُت ، وقامت الليل حتى الصباح ، ولم تمت فاندهشت ولم تشعر بأي ألم! فذهبت إلي طبيبها المتابع لحالتها! وبعد ما أجري لها الطبيب جميع الفحوصات ، سألها مـــــــن

أنت؟ قالت: أنا فلانة وملفي عندك! قال الطبيب: إنك إنسانة أخرى غير التي في الملف ، الملف يقول إنك عندك سرطان في حالة متأخرة! وأنت ليس عندك سرطان نهائي لم تصيبي بالسرطان مطلقاً! من أنت؟ فسجدت لله حمداً وشكراً!)

5 ـ ستة مواقف قصيرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

١. لم يكن لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقتٌ ينامُ فيه فكان ينعس وهو جالس فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا تنام؟ فقال: كيف أنام؟ إن نمت بالنهار ضيّعت حقوق الناس ، وإن نمت بالليل ضيّعت حق الله تعالى.

٢ . مرض عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يوماً فوصفوا له العسل كدواء ، وكان ببيت المال عسلٌ جاء من البلاد المفتوحة ، فلم يتداو عمر بالعسل كما وصف الأطباء! بل جمع الناس وصعد المنبر ، واستأذن الناس وقال لهم: "لن أستخدمه إلا إذا أذِنتم لي وإلا فهو علي حرام! فبكى الناس إشفاقاً عليه وأذنوا له جميعاً ومضى بعضهم يقول لبعض: لله درك يا عمر! لقد أتعبت الخلفاء من بعدك رحمك الله يا خليفه المسلمين حقاً لقد أتعبت الخلفاء بعدك!

٣ . سار عمر يوماً ومعه أبو عبيدة ، فالتقته امرأة فقالت: آه يا عمر ، لقد كنت تسمى عُميراً تسارع الفتيان في أسواق عكاظ ، ثم ما لبثت أن سُميت عمراً ، ثم ما لبثت حتى أصبحت أميراً للمؤمنين ، فاتقي الله يا عمر واعلم بأن الله سائلك عن الرعية كيف رعيتها" ، فبكى عمر بكاءً شديداً ، فلام أبو عبيدة المرأة على قسوتها على عمر ، فقال له عمر: دعها يا أبا عبيدة فهذه التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، أفلا يسمع لها عمر؟!

٤ . يروى أن زوجة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دخلت عليه عقب توليه الخلافة فوجدته يبكي فقالت له: ألشيء حدث؟! قال: لقد توليت أمر أمة محمد ﷺ ، ففكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهول والمقهور والمظلوم والغريب والأسير والشيخ الكبير ، وعرفت أن ربي سائلي عنهم جميعاً فخشيت فبكيت.

٥ . رحم الله عمر بن الخطَاب حين كان بطنه يُحدث أصواتًا من كثرة ما أكل الخبز بالزيت ، كان يقول لبطنه: " قرقري أو لا تقرقري ، لن تذوقي طعم اللحم حتى يشبع أطفال المسلمين".

٦ . في عام الرمادة (العام الذي أصيب فيه المسلمين بالقحط والجوع) كان عمر ـ رضي الله عنه ـ لا يأكل إلا الخبز والزيت ، حتى اسود جلده ويقول: بئس الوالي إن شبعت والناسُ جياع.

6 ـ حكمة العلماء وفراستهم

(دخل رجلٌ غريبٌ على مجلس أحد الحكماء الأثرياء ، فجلس يستمع إلى الحكيم وهو يُعلّم تلامذته وجُلساءه ، ولا يبدو على الرجل الغريب ملامح طالب العلم ، ولكنه بدا للوهلة الأولى كأنه عزيزُ قومٍ أذلّتهُ الحياة. دخل وسلّم ، وجلس حيث انتهى به المجلس ، وأخذ يستمع للشيخ بأدبٍ وإنصات ، وفي يده قارورةٌ فيها ما يشبه الماء لا تفارقه. قطع الشيخ العالمُ الحكيم حديثه والتفت إلى الرجل الغريب ، وتفرّس في وجهه ، ثم سأله: ألك حاجةٌ نقضيها لك؟! أم لك سؤال فنجيبك عنه؟! فقال الضيف الغريب: لا هذا ولا ذاك ، وإنما أنا تاجر ، سمعتُ عن علمك وخُلُقك

ومروءتك ، فجئتُ أبيعك هذه القارورةَ التي أقسمتُ ألّا أبيعَها إلا لمن يقدّر قيمتها ، وأنت ـ من دون ريبٍ ـ حقيقٌ بها وجدير. قال الشيخ: ناولنيها ، فناوله إياها ، فأخذ الشيخ يتأملها ويحرك رأسه إعجاباً بها ، ثم التفت إلى الضيف: فقال له: بكم تبيعها؟ قال: بمئة دينار ، فرد عليه الشيخ: هذا قليل عليها ، سأعطيك مئةً وخمسين. فقال الضيف: بل مئةٌ كاملةٌ لا تزيد ولا تنقص. فقال الشيخ لابنه: ادخل عند أمك وأحضر منها مئةَ دينار. وفعلاً استلم الضيف المبلغ ، ومضى في حال سبيله حامداً شاكراً. ثم انفضَّ المجلسُ وخرج الحاضرون ، وجميعهم متعجبون من هذا الماء الذي اشتراه شيخُهم بمئة دينار. دخل الشيخ إلى مخدعه للنوم ، ولكنّ الفضول دعا ولده إلى فحص القارورة ومعرفةِ ما فيها ، حتى تأكد ـ بما لا يترك للشك مجالاً ـ أن ما فيها ماءٌ عاديّ. فدخل إلى والده مسرعاً مندهشاً صارخاً: يا حكيم الحكماء ، لقد خدعك الغريب فوالله ما زاد على أن باعك ماءً عادياً بمئة دينار ، ولا أدري أأعجبُ من دهائه وخبثه ، أم من طيبتك وتسرعك؟ فابتسم الشيخ الحكيم ضاحكاً ، وقال لولده: يا بني ، لقد نظرتَ ببصرك فرأيتَه ماءً عاديّاً ، أما أنا ، فقد نظرتُ ببصيرتي وخبرتي فرأيتُ الرجل جاء يحمل في القارورة ماءَ وجهه الذي أبَتْ عليه عزَّةُ نفسه أن يُريقَه أمام الحاضرين بالتذلُّل والسؤال ، وكانت له حاجةٌ إلى مبلغٍ يقضي به حاجته لا يريد أكثر منه. والحمد لله الذي وفقني لإجابته وفَهْم مراده وحِفْظِ ماء وجهه أمام الحاضرين. ولو أقسمتُ ألفَ مرّةٍ أنّ ما دفعتُه له فيه لقليل ، لما حَنَثْتُ في يميني. إن استطعتَ أن تفهم حاجةَ أخيك قبل أن يتكلم بها فافعل ، فذلك هو الأجملُ والأمثل!)

7 ـ مصر أول دولة على كوكب الأرض منذ 10 آلاف سنة

(مصر سماها الله بوحي ، وعلى اسمها سُمي نبي الله نوح حفيده مصرايم! مصر ولد فيها نبي الله إدريس. أول من كتب الأحرف بيده ، وأول من فصّل الملابس ليلبسها البشر وأول من بنى بيت الله الحرام بسواعد المصريين! مصر أول من صك النقود من آلاف السنين وحتى اليوم تسميها بعض الشعوب مصاري نسبة لمصر! مصر التي أنجبتْ الأميرة هاجر زوجة نبي الله إبراهيم وأم نبي الله إسماعيل التي يسير شتى المسلمين على شعائرها هي وابنها في الحج! مصر التي اشتُريَ أحد أبنائها نبي الله يوسف ليعيش ويموت ويدفن في مصر! مصر الدولة الوحيدة التي توجد بها خزائن الأرض! مصر أتى إليها كل بنى إسرائيل وعلى رأسهم نبي الله يعقوب وزوجته وأولاده! مصر التي أنقذ الله بها كل شعوب الارض من الموت جوعاً في سنوات القحط العجاف، فأطعمتهم من خيرها ، فظلت صاحبة الفضل عليهم وعلى أحفادهم إلى يوم الدين بعد فضل الله تعالى! مصر التي ولد وترعرع فيها نبي الله موسى ويكلمه الله في الواد المقدس طوى لتكون المرة الأولى والأخيرة التي يصل فيها صوت الله إلى الأرض ويسمعه بشر! مصر التي أنجبت السيدة آسيا زوجة فرعون وهي أول امرأة يَبني الله لها قصراً في الجنة! مصر التي نزلت فيها التوراة في ألواح من السماء ، وهي التي أنزل الله فيها على بني إسرائيل المن والسلوى! مصر التي اختارتها بوحي إلهي مريم بنت عمران وطفلها الرضيع نبي الله عيسى بن مريم هرباً من بطش أعداء الله فتمكث فيها سبع سنوات! مصر التي ذكرت في القرآن الكريم خمس مراتٍ صراحة ، والعديد من المرات بالإشارة دوناً عن سائر بلدان الأرض ، وهي الوحيدة أيضاً التي ذكرتْ في كل الكتب السماوية! مصر التي قال فيها رسول الله استوصوا بأهلها خيراً. وأكد أن جندها خير أجناد الأرض (هذا على فرض صحة الحديث) وأن شعبها في رباط "جهاد" إلى يوم الدين! مصر التي قال فيها عمر بن العاص: إن إمارة مصر

تعدل كل باقي دولة الخلافة! مصر التي خلال المجاعة في شبه الجزيرة العربية وموت الناس جوعاً ، أرسل لها عمر بن الخطاب بطلب الغوث من أهلها ، ويكتب ثلاث كلماتٍ فقط: واغوثاه. واغوثاه. واغوثاه. فيجتمع المصريين ويقررون إنقاذ إخوانهم في شبه الجزيرة العربية ويرسلون قافلة أولها في المدينة المنورة وآخرها في القاهرة ، ويدعو عمر لمصر وأهلها بالخير والنماء والرخاء! مصر هي الدولة الوحيدة التي خصها الله بالأمن والأمان بطولها وعرضها. وقال جل علاه: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)! فهل وعى ذلك من يتنقصون مصر وأهلها من المسلمين المؤمنين الموحدين؟!)

8 ـ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله!

(رجل ضرب زوجته ...وكانت إحدى الضربات على رأسها فماتت دون أن يقصد قتلها ....وخاف أن ينكشف أمره! فقصّ القصة على أحد معارفه. فقال له ذلك الشخص: إن طريق الخلاص هو أن تعثر على شخص جميل الصورة وتدعوه لبيتك بعنوان طلب المساعدة....ثم اقطع رأسه وضع جسده بجانب جسد زوجتك ....ثم اطلب من أهلها أن يأتوا وقل لهم....إني وجدت هذا الشاب كان معها فلم أتحمّل فقتلتهما معًا.. وحين سمع الحيلة منه جلس على باب داره حتى جاء شابٌ وسيمٌ فأصرّ عليه بأن يدخل المنزل! فدخل المنزل وقتله ، ولمّا جاء أقرباء الزوجة وشاهدوا الجنازتين ، وقصّ عليهمُ القصة ، ذهبوا راضين. وكان لذلك الرجل (صاحب الحيلة) ولد.. ولم يرجع إلى منزله ذلك اليوم ، فاضطرب الأب الحيّال ، وذهب إلى بيت ذلك الزوج القاتل وسأله عن الحيلة التي علمه إياها ، هل نفذّها؟! فقال: نعم....فقال له: أرني ذلك الشاب الذي قتلته! فلما رآه وجده ابنه! وقد قُتل بسبب حيلة أبيه. "مَن سلّ سيف البغي قُتل به! ومن حفر لأخيه بئرًا وقع فيها!)

9 ـ قصة مكذوبة وغير صحيحة

قصة علقمة وأمه

(قصة علقمة وأمه ، يوردها الكُتاب والأدباء والشعراء ، ويرويها الخطباء في بعض المساجد ، تقول القصة: إن علقمة كان عاقاً لوالديه ، وكان يقدم زوجته على أمه ، فحضرته الوفاة ، فطلب من أمه أن تسامحه فرفضت ، فانغلقت عليه الشهادة فما استطاع أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، فذهبوا إلى أمه وقالوا: اعفي عنه ، فقالت: لا. فذهبوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاستدعى أمه ، فطلبها العفو فرفضت ، قال: اجمعوا لي حطباً ، قالت: ما تريد بهذا يا رسول الله؟ قال: أريد أن أحرق علقمة ، قالت: غفر الله لـعلقمة ، فذهبوا فوجدوه قد تشهد. إن هذه القصة كذب وليست بثابتة في كتب السنة المعتبرة ، ولم يروها أحد من أهل العلم الموثوق بهم في الكتب المعتمدة ، فلا يجوز للمسلم أن يرويها على المنابر ولا يوردها في الكتب أو المحاضرات ، ويكفينا من الأحاديث الصحيحة والآيات الواضحة في القرآن عن بر الوالدين قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً). وفي الصحيحين : {أن رجلاً أتى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك}! وبعض الناس يريد أن يكذب لكن ما عنده خبرة في الكذب ، وما درس الكذب دراسة ، فلذلك

يسميهم ابن الجوزي: كذب الحمقى. ومن ضمن كذبهم قالوا: أنه قام واعظ كذّاب يعظ الناس بعد صلاة العشاء ، فقال من ضمن كلامه: اسم الذئب الذي أكل يوسف: نون. وما علم أن الذئب لم يأكل يوسف ، لكن الواعظ نسي فكذب ، فقالوا: سامحك الله! الذئب ما أكل يوسف قال: أجل هذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف! وقد مر معنا أن قوماً من المحدثين اختلفوا هل سمع الحسن البصري من أبي هريرة ؛ أم لا؟ لأن الحسن البصري تابعي وأبو هريرة صحابي ، فتساءل أهل الحديث فقال قوم: سمع ، وقال آخرون: ما سمع ، فقام أحدهم وقال: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "سمع الحسن من أبي هريرة" ، والرسول صلى الله عليه وسلم مات قبل أن يولد الحسن! وهذا أمر معلوم ، فكيف يقوله عليه الصلاة والسلام. على سبيل هذه الخزعبلات التي يجب أن ينبه عليها - لأن بعض أهل الوعظ لا يملك أحاديث ولا آيات فيأتي بخزعبلات - ما ذكره ابن الجوزي قال: قام أحد الناس فتحدث في الناس في نعيم الجنة ، لكنه لا يعرف الأحاديث الصحيحة فأتى بباطلة ، قال: في الجنة كل شيء ، فقال رجل منهم: كيف إذا اشتهى أهل الجنة العصيدة؟ فقال: صح في الأحاديث أن الله سبحانه وتعالى يرسل جبالاً من دقيق ثم يرسل عليها سيولاً ، فتأخذها إلى قيعان الجنة ، فتعصدها فيقول الله: يا أهل الجنة كلوا واعذرونا! وأنا أضم صوتي لصوت الدكتور عائض القرني في أننا لا ينبغي أن نستشهد بالضعيف ولا بالموضوع ولا بالكذب ، لأن الله أغنانا بالصحيح!)

10 - اتبع قلبك دومًا!

(كان مونتي روبرت ابن مدرّب خيول يقضي أيّامه متنقّلا من إسطبل إلى إسطبل ومن مزرعة إلى أخرى يدرّب الخيول ويروّضها ، وكانت مسيرته الدراسية منقطعة نتيجة تنقّله الدائم مع أبيه. وفي أحد الأيام بينما كان في المرحلة الثانوية طُلب منه في المدرسة كتابة موضوع تعبير عمّا يرغب أن يكونه عندما يكبر. لم يتردّد روبرت... كان يعرفُ تمامًا ما يريد ، وهكذا كتب 7 صفحات عن هدفه في أن يكون مالك مزرعة خيول. كان موضوعًا مفصّلاً وضّح فيه موقع المزرعة وإسطبلاتها ، بل ورسم أيضًا مخطّطًا لها. وبعد تسليم الموضوع بيومين ، حصل روبرت على نتيجته وقد كانت "راسب"! وبات مستغربًا من هذه النتيجة! سأل روبرت معلّمه عن السبب في رسوبه ، وكان الجواب: - حلمك هذا غيرُ واقعي ، ولا يتناسب مع ولدٍ مثلك ، فأنت لا تملك المال ولا الموارد ، فضلاً عن كونك ابن عائلة متجوّلة غير مستقرة...من المستحيل أن تحقّق هذا الهدف! بعد ذلك منح المعلّم روبرت فرصة لإعادة كتابة موضوعه ، على أن يكون في هذه المرّة أكثر واقعية. عاد الولد إلى منزله وأخبر أباه بما حدث طالبًا منه النصح والإرشاد ، فقال الأب: - هذا القرار مهمّ للغاية ، وعليك الوصول إلى الإجابة بمفردك. مرّت عدّة أيام ، عاد بعدها روبرت إلى معلّمه يحمل نفس موضوع التعبير السابق ، وسلّمه إياه قائلاً: - احتفظ بعلامة الرسوب ، وأنا سأحتفظ بحلمي! هذه كانت قصّة حقيقية رواها مونتي روبرت عن نفسه ، ولمن لا يعرفه ، فهو واحد من أشهر مدرّبي الخيول ، ويعيش في منزل تبلغ مساحته أكثر من 300 متر مربع في مزرعة خيول ضخمة تتجاوز مساحتها 200 دونم! والدرس الذي نستفيده من هذه القصة: تعلم المضاء والاعتزام واتبع شغفك دومًا...إيّاك أن تُنصت لأولئك الذين لا يؤمنون بقدرتك على تحقيق أحلامك وأهدافك. فإن إن لم تفعل هذا ظللت تراوح في مكانك أبد الدهر. وإذن فبداية تحقيق الأمل أن يؤمن به صاحبه ويسعى في تحقيقه!)

11 - قصة الفيل والحبل

(في يوم من الأيام كان هناك رجل يتمشى في الغابة القريبة من قريته ، ووصل الي مخيم الأفيال ، فلاحظ فيلاً ضخم عجوز مربوط بحبل صغير وضعيف جداً ، ولكن الفيل كان لا يحاول أن يقطع الحبل ويحرر نفسه. تعجب الرجل كثيراً من أمر الفيل ، واقترب من المدرب ليسأله لماذا لا يتحرر الفيل من قيده وينعم بالحرية علي الرغم من أنه قوي قوة تمكنه من أن يقطع الحبل بدون بذل أي مجهود؟! قال المدرب: إن هذا الفيل كان مربوطاً بهذا الشكل منذ صغره ، وعندما كان صغيراً كان يحاول دائماً أن يقطع الحبل ، إلا أن قوته لم تكن كافية في ذلك الوقت فلم يستطع ، وعندما كبر الفيل ظل معتقداً أن الحبل لا يزال أقوي منه ، ولذلك لم يحاول أبداً قطعه مجدداً. والعبرة من هذه القصة: أن فشلك في القيام بأمر ما في الماضي ، لا يعني أنك لا تستطيع تحقيقه في المستقبل ، فإنك تتقدم كل يوم ولا تعيش بقوةٍ أو بعقليةٍ ثابتة ، فلا تتخل عن أحلامك ، ولكن تخل عن أفكارك السلبية التي تجعلك تقف مكانك ولا تتقدم!)

12 - غرق فرعون

(دأب موسى عليه السلام - بعد انتصاره على السحرة - على دعاء فرعون إلى الإيمان بالله تعالى وإطلاقه بني إسرائيل ، فأبى ووجد أن عزته تكمن في السلطان ووفرة المال ، واستهزأ بموسى وطالب أن يكون له أسورة من ذهب أو تقترن به الملائكة! وقد قال تعالى في وصف فرعون: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تبصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)! وبعد استحالة هداية فرعون ، سار موسى بقومه أول الليل من مصر إلى الأرض المقدسة ، وأوحى الله لنبيه أن يضرب بعصاه البحر فانفلق البحر اثني عشر فريقاً لاثني عشر سبطاً (أي فريق من اليهود) لكل سبطٍ منهم طريق ، وجفت أرض البحر بتأثير الشمس والرياح ، وسار القوم آمنين إلى بر الأمن والسلام أحس فرعون بخروج بني إسرائيل وهربهم دون إذنه ، فجمع لذلك جنداً عظيماً واتبع بني إسرائيل ليردهم إلى عبوديته ، فأدركهم مع جنوده على ساحل البحر الأحمر فعبر موسى ومن معه مسالك البحر فتبعهم فرعون ومن معه ولما نجا بنو إسرائيل وتجاوزوا البحر ، كان فرعون حينها قد توسط البحر هو وجنوده ، فأطبق الله البحر على فرعون وجنوده وأغرقهم جميعاً حين أدرك الغرق فرعون ، قرر أن يؤمن برب موسى قائلاً: (آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) إلا أن الله لم يتقبل إيمان ذلك الطاغية لكونه قد قرر أن يؤمن حين الشدة فقط وخوفاً من الموت ، وقد نجى الله تعالى بدن فرعون حتى يكون آية لمن خلفه وعبرة للناس!)

13 - الحكمة في معاملة الآخرين

(يقول حكيم: جالس العلماء بعقلك ؛ وجالس الأمراء بعلمك. وجالس الأصدقاء بأدبك ، وجالس أهل بيتك بعطفك. ولا تأمن مكر الأقوى منك لكي لا تكون ساذجاً فتودي بحياتك! يُحكى أن غابة تعرضت لحريق كبير ، فهربت الحيوانات خارجها ، ومن تلك الحيوانات كانت أفعى تحاول الزحف بأسرع ما يمكنها لعل وعسى تنجو من النار.. وأثناء هروبها وحال خروجها من الغابة مرهقة مصابة بالعطش نظرت فوجدت فأراً. في تلك اللحظة خشي الفأر على نفسه منها ،

فأراد الهرب فنادته وقال: " لا تهرب أيها الفأر ، فإنني نجوت الآن ، ولن أقتلك بعد هذا الخوف الذي رأيته". توقف الفأر وقال لها: "لم أفهم". قالت له: "أنا عطشى وأريد أن أكون صديقتك منذ الآن ، فقط اسقني الماء". قال لها الفأر الحقيني. مشى الفأر ومن خلفه الأفعى تزحف متعبة ومصابة بالعطش ... حتى وصلا إلى بيت كان قد أعده ، وتعب عليه لفترة طويلة فدخل وخرج ومعه بعض الماء ليسقيها منه. شربت الأفعى حتى ارتوت .. ثم قالت له: "أريد النوم ، هل من مكان هادئ؟" فأجاب الفأر الطيب الساذج: "ادخلي إلى بيتي فهو معد بعناية". دخلت الأفعى ونامت ، واستيقظت بعد ساعات مستعيدة عافيتها كاملة ، فنظرت إلى الفأر فوجدته في البيت وقالت: " اسمع ، أنا أعقد اتفاق معك على أن أعيش هنا فلا نعتدي على بعضنا ونعيش براحةٍ وأمن وسلام". فأجاب الفأر متردداً: "نعم .. نعم .. أنا موافق". وبعد دقائق وبعد أن جالت الأفعى في بيتها الجديد ، حسب ما وصفته ، فقال لها الفأر: أنا ذاهب لإحضار بعض الطعام فقالت له: "لا تتأخر!" وصل الفأر باب بيته وعندها التفت إلى الأفعى وقال: "وداعاً إلى الأبد مبارك عليك بيتي ، حياتي أهم". فنادته الأفعى: "لماذا تشك في؟". فأجابها: "هذا اتفاق بين قوي وضعيف ، ليس لي فيه حول ولا قوة بل إنني وافقت عليه خوفاً على حياتي والآن أنجو بها". والحكمة المستفادة من هذه القصة: (ليست كل الاتفاقيات تضمن حقوقنا ، ويجب أن نكون أذكياء فإن كان الاتفاق لا يحمينا علينا الهرب إلى اتفاق أخر يحمينا أو مكان يضمن حقنا!)

14 - طرف من قصة قوم عاد

(جاء في (المُدْهش لابن الجوزي) ، وتحديداً في القسم الأول من الكتاب وهو المختص بذكر القصص وفيه ست وعشرون قصة أوردها ابن الجوزي – رحمه الله – تأتي هذه القصة: (الفصل الرابع في قصة عاد -: لمّا تجبّر قوم عادٍ في ظل ظلل ضلالهم حين أملى الأمل ، وطول البقاء ، وزوى ذكر زوالهم ، ومروا في مشارع عذاب الملاهي ، ناسين من عذابها رافلين في حلل الغفلة بالأمنية عن المنية وآدابها ، أقبل هود يهديهم وينابيهم في ناديهم: (اعبدوا الله) فبرزوا في عتو (من أشد منا قوة) فسحب سحاب العذاب ذيل الأدبار بإقباله إلى قبالتهم فظنوه لما اعترض عارض مطر فتهادوا تباشير البشارة بتهادي بشارة (هذا عارض ممطرنا) ، فصاح بلبل البلبال فبلبل (بل هو ما استعجلتم به) فكان كلما دنا وترامى ترى ما كان (كأن لم يكن) فحنظلت شجرات مشاجرتهم هوداً ، فجنى من جنى من جنا ما جنى في مغنى (فما أغنى عنهم سمعهم) فراحت ريحُ الدبور لكي تسم الأدبار بكى الأدبار ، فعجوا منها عجيج الأدبر فلم تزل تكوى تكوينهم بميسم العدم ، وتلوي تلوينهم إلى حياض دم الندم وتكفأ عليهم الرمال ، فتكفي تكفينهم وتبرزهم إلى البراز عن صون حصون كن يقيناً يقينهم ، فإذا أصبحت أخذت تنزع في قوس (تنزع الناس) ، وإذا أمست أوقعت عريضهم في عرض (كأنهم أعجاز نخل) فما برحت بارحهم عن براحهم حتى برحت بهم ، ولا أقلعت حتى قلعت ، قلوع قلاعهم فدامت عليهم آفة وداء لا تقبل فداء (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) فحسوا ما أذاقهم من سوء ما حسّوا ونسفوا في قفر (إلا بعداً) إلى يم (واتبعوا) فلو عبرت في معبر الاعتبار لترى ما آل إليه مآلهم ، لرأيت التوى كيف التوى عليهم ، وكف النوى كيف نوى الدنو إليهم ، فانظر إلى عواقب الخلاف فإنه شاف كاف!)

15 - الأب المؤمن الحكيم

(دخل رجُل على زوجته بعد صلاة العشاء ، ووجد الأولاد قد ناموا. فسألها: هل صلى الأولاد أم لا؟ قالت: لم يكن عندي طعام ، وعلَّلتُهُم حتى ناموا ولم يُصلُّوا. فقال: أيقظيهم لكي يُصلوا. قالت: يا أبا جاد الحق ، إذا أيقظْتُهم سيبكون من الجوع ولا يوجد طعام. قال: يا امرأة ، إنَّ الله أمرني بأن آمرهم بالصلاة ، ورزقُهُم ليس علي. أيقظيهم فرزقُهم على الله. الله يقول: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصطبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ}. فاستسلمت الأم وأيقظتهم ، ولما فرغوا من الصلاة إذا بالباب يُقرَع ، وإذا بأحد الأغنياء يحمِل مائدة عليها ما لذ من أصناف الطعام. قال: خذ هذا لأهل بيتك. فقال أبو جاد الحق الأب المؤمن الحكيم: ما شأنك يا هذا؟ قال: جاءني أحد أشراف البلد وقدَّمت له هذا الطعام ، وقبل أن يأكل تخاصمنا وحلف ألا يأكل شيئاً وخرج. فحملتُ الطعام وقُلت: سأُعطيه لمن تقف عند بابه قدماي ، ووالله ما وقفت إلَّا عند بابك ، ووالله لا أدري ما الذي أتى بي إليكُم. وعندها رفَع الأب كفيه لربِّ العالمين وقال: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ.)

16 - إنا لله وإنا إليه راجعون

(أحد الذين إذا انفعلوا لم يميزوا بين التمرة والجمرة ، كان قد عاقب أحد أبنائه ، والذي لم يتجاوز السابعة من عمره ، عقوبة أودت بيديه ورجليه! وهز الخبر ضمير الأسرة العالمية فضلاً عن الأسرة الموحدة المؤمنة ، وتبدأ تفاصيله عندما جدّد الأبُ أثاث بيته ، وعاد من عمله فوجد الابن قد لعب بالسكين في الوسائد والكنب في غفلة من أمه وأهل البيت والخدم ، فلم يتمالك الأب نفسه ، فربط الابن بغترته من يديه ورجليه ، واحتبس الدم لساعات ، وجاءت الأم فهدّدها الزوج بالطلاق إن تدخلتْ ، وذهب بالولد بعد صمته الموهم للنوم إلى المستشفى ، وهناك قرر الأطباء بتر الأطراف الأربعة لضمان سلامة الابن ، ووقع الأب على إقرار العملية الجراحية وخرج الابن من غرفة العمليات بلا يدٍ أو رجل. وعاش كالأحياء الموتى ، وكانت أولى كلماته بعد العملية: أبي الحبيب ، رُدّ علي يديّ ورجليّ ، ولك عليّ أنْ لا ألعب بالسكين في الكنبات مرة أخرى! فكتبتُ هذه القصيدة لأعزي الوالد المتهور المتسرع المسرف في العقوبة ، والولد الضحية البائسة ، والوالدة المهملة الجاهلة ، والكنبات والوسائد الممزقة بالسكين. كتبتُ القصيدة للوالد المتهور أسأله: ألست تملك قلباً تعاقب به ولدك؟ ألا تملك نفسك عند الغضب لتكون الشديد بحق؟ لماذا جعلت العقوبة تفوق الجريمة ببلايين المرات؟ أتظن الله لن يسألك عن هذه الجريمة النكراء؟ لقد جعلت من ولدك بسوء خلقك مثلة الأولاد وأعجوبة الدهر إذ قضيت عليه حياً بحمقك وغلظتك! وكتبتُ القصيدة للأم التي كان عليها أن تضحي بتطليقة على أرجح أقوال أهل العلم ولا تبتعد عن مسرح الجريمة مؤثرة السلامة وبقاء الزوجية! أين قلب الأم؟ وأين عقل الفقيهة؟! وأخيراً كتبتُ القصة للكنبات والوسائد أسألها: هل يساوي قماشك والإسفنج المحشو بداخلك يدي الصبي ورجليه! وإذن فلا ينبغي للمربي أن يعاقب بما لم يعاقب به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم! فليكن لطيفاً في معاقبته! وليتذكر قدرة الله عليه ، وليتذكر أنه منتسب إلى أمة ذات منهج قويم وصراط مستقيم! فلا يتعامل ولا يعاقب إلا وفق المنهج الرباني!)

17 - أم إبراهيم

(أخت يمنية مؤمنة لا نزكيها على الله. أوذيت في الله بما دعت فاحتسبت وصبرت. فرحت أحييها وأوصيها وأنصحها. وأعلم أن الابتلاء في دار الغربة عسير على النفس عنه في الوطن بين الأهل والخلان. ولقد كان بلاء هذه الأخت شديداً وعاتياً ، للحد الذي لا أتخيل أن تطيقه الجبال الرواسي. ولكن التي تحاضر في الأخريات ، وتعظهن وتنصحهن في الله ، أحرى بأن تصبر ، وأجدر بأن تتجلد للمصائب والكوارث. والحمد لله الذي قيض لها ولأبنائها من الصالحين من يذلل لها العسير ، ويهون عليها المصاب بعد الله تعالى. فمن متصدق ، ومن ساع في الأوراق والوثائق الرسمية ، ومن متنازل عن حق عندها ابتغاء وجه الله الكريم. قَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ وَقد ذَكَرَ الإمام أَحْمَدَ يَوْمًا فَقَالَ: "رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي الدِّينِ مَا كَانَ أَبْصَرَهُ ، وَعَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ ، وَفِي الزُّهْدِ مَا كَانَ أَخْبَرَهُ ، وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَلْحَقَهُ ، وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ ، عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا ، وَالْبِدَعُ فَنَفَاهَا". وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: "قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ بَعْدَمَا امْتُحِنَ أَحْمَدُ ، وَقَبْلَ أَنْ يُمْتَحَنَ: يَا مَيْمُونِيُّ ، مَا قَامَ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَامَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. فَعَجِبْتُ مِنْ هَذَا عَجَبًا شَدِيدًا ، وَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، فَحَكَيْتُ لَهُ مَقَالَةَ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، فَقَالَ: صَدَقَ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ – رضي الله عنه - وَجَدَ يَوْمَ الرِّدَّةِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، وَإِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْصَارٌ وَلَا أَعْوَانٌ". وَقَالَ هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرَّقِّيُّ: "مَنَّ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَرْبَعَةٍ: بِالشَّافِعِيِّ ، فَهِمَ الْأَحَادِيثَ وَفَسَّرَهَا ، وَبَيَّنَ الْمُجْمَلَ مِنَ الْمُفَسَّرِ ، وَالْخَاصِّ مِنَ الْعَامِّ ، وَالنَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ ، وَبِأَبِي عُبَيْدٍ عَرَفَ الْغَرِيبَ وَفَسَّرَهُ ، وَبِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ نَفَى الْكَذِبَ عَنِ الْأَحَادِيثِ ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ثَبَتَ فِي الْمِحْنَةِ ، ولَوْلَا هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ – بعد الله تعالى - لَهَلَكَ النَّاسُ". انتهى من "البداية والنهاية". وفي تعزية له لأختٍ مؤمنةٍ ابتليتْ في الله ، يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (تعلمي ، يا أمة الله ، أن على العبد أن يحسن الظن بربه ، والتوكل عليه ، وينظر في حاله مع ربه ، وما يرجوه عنده من الأجر والمثوبة ، والكفارة ، ثم لا عليه بحال فلان أو فلان ، صغير أو كبير ؛ فإن خفايا الأحوال وما في قلوب العباد ، لا يعلمه إلا رب العالمين. فمن يدري ؛ رب صغير القدر ، ضعيف الحال ، مسكين ، منكسر بين يدي أرحم الراحمين: له من الحال عند رب العالمين ، ما يغبطه عليه الأئمة العالمون! ألم تعلمي ، يا أمة الله: (أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ ، وَقُرْبِهِمْ أَوْ قُرْبَتِهِمْ - شَكَّ ابْنُ صَاعِدٍ - مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ)؟! وإننا لنرجو من الله: أن يرزقك البصيرة في دينه ، وحسن الظن به تبارك وتعالى ، وحسن الرجاء فيه ، والتعلق برحمته وفضله ومنه. وإننا لنرجو لك يا أمة الله ، بما أنت فيه من الصبر والرضا والاحتساب ، أن تكوني بمقام جليل ، ومحل كريم عند الله ، ونرجو الله أن يعظم لك الأجر ، ويحط عنك الوزر ، ويرفع عنك البلاء ، وقد قال سبحانه: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ، قال الأوزاعي: "ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفاً". "تفسير ابن كثير". فهذا بلاء من يصبر عليه يوف أجره يوم القيامة).هـ. والحقيقة أن صبر (أم إبراهيم) كان قد فرض نفسه على قلمي ، فكانت هذه القصيدة ترجمة حية لهذا الفرض! ورأيتني ألهج بالمطلع ثم بالأبيات التي تليه ، بلا أدنى رويةٍ أو تفكير! وقلت لنفسي: قد يواسيها صاحب المال بالمال ، ويواسيها صاحب الجاه بالجاه ، ويواسيها صاحب الرأي بالرأي ، ويواسيها صاحب الحكمة بالحكمة! فإذا كان ذلك كذلك ، فلماذا لا يواسيها صاحب الشعر بالشعر؟ إنه جهد المُقِل ، وشعره في المواساة تلك هو لون من ألوان الإعذار إلى الله تعالى! فكأنه يُشهد الله تعالى أن صاحبه أي (الشاعر) ليس يملك إلا هذا ، ولو كان يملك سواه لواساها به في مصابها! والله يقول الحق وهو سبحانه يهدي السبيل!)

18 - امرأةٌ مثالية من نساء (قرية ظفر)!

(كتابة الشعر فيما يتعلق بالنساء توقعني في حرج شديد علم الله! وكم كتبت عن النساء وتناولتهن في أشعاري! ولكن كتابتي عن الأرامل منهن أشد إحراجاً! لقد كتبتُ عن الأرامل رجالاً ونساءً من قبل قصائد شتى! ولكن أرملة قصيدتنا هذي من نوع آخر! حيث إنها بطلة فذة مثالية في شخصيتها ، مثالية في أخلاقها ، مثالية في معاييرها ومقاييسها ، مثالية في ترملها ، مثالية في مواجهتها للحياة القاسية ، مثالية في جهادها وكفاحها من أجل لقمة العيش لأطفال يتامى ، مثالية في مواجهة المجتمع الظالم الذي لا يرحم ، مثالية في التحدي والمثابرة والمكابدة! ومثاليتها تلك جعلتني أكتب لها هذه القصيدة لأشيد بكل ما ذكرت! ويشهد الله ما بيني وبينها سوى مجرد العلم والمعرفة بأحوالها وأحوال أولادها عن كثب! ولا أريد من وراء كلماتي وأبياتي سوى مرضاة الله تعالى! وفرقٌ كبير بين الشاعر يكتب ليقال شاعر وقد قيل! وبين الشاعر يكتب يبتغي وجه الله تعالى! كما أنني أكتب فيها الشعر لمّا عجزتْ يدي عن إعانتها بالمال! فلا أقل من إسداء الجميل لها بالشاعر! ولما كنتُ لا أملك كشاعر إلا قلمي فها أنذا أكتب عن هذه الأم المثالية! وتحت عنوان: (آلام أرملة!) قالت الأستاذة الأديبة: أميمة الجابر ما نصه بإيجاز: (علم الله سبحانه أن الأسرة التي تبني أسسها على القوامة الزوجية هي أسرة ينتظر منها النجاح في طريقها لتؤدي دورها بين لبنات المجتمع . فاهتم الإسلام بالزوج وحقوقه ، وحث على معونته لأداء مسئوليته ودوره ، وجعل من واجباته رعاية الأسرة والإنفاق عليها وتأمين الأمان النفسي والمادي لها. وللأسف ترى الكثيرات يعشن مع أزواجهن عيشه الأغراب ، فيكثرن عليه الأعباء والمتطلبات ، وكثيراً ما يتربصن به الأخطاء ، فيدفعن أزواجهن إما إلى كثرة المشاكل والاشتباكات أو إلي الهروب من عش الزوجية ، إذ تصبح الحياة بينهما متصفة بالتأفف والضيق والملل! فلا تشعر الزوجة كثيرة الشكوى بقيمة الزوج الحقيقية في أحيان كثيرة إلا بعد فراقه لأي سبب ، أو أن تصبح أرمل حينذاك تبدأ المعاناة ويبدأ الألم ويبدأ حمل الهم وحمل المسؤولية. فبالأمس كانت في رعاية الزوج وكنفه ولا تلقي للدنيا بالا ، واليوم أصبحت أرملة لفقدان زوجها فجأة! ذهبت حينذاك وغيرت وصفها في بطاقتها الشخصية وغيرت كلمة "متزوجة" إلى كلمة أرملة ، وما إن رأت هذه الكلمة حتى انهالت دموعها واستيقظت من غفلتها ، وكأنها لطمتها الأيام بأحداثها ، عندئذ تسلمت المسؤولية فأصبحت هي الأم والأب في آن واحد. لقد انفضت فجأة المؤسسة التي كانت ترعاها ، وهي مقبلة على مرحلة عدم اتزان كامل ، فقد تتحامل على نفسها وتقف ، وقد تترنح وتسقط فمن الأرامل من يستطعن الوقوف أمام التحدي فتراها ثابتة أمام المسؤولية التي أصبحت تطوق عنقها ، وهؤلاء يضربن المثل والقدوة حين يقمن بتربية أولادهن على أفضل ما يكون. ومنهن من تقفن وسط الطريق تعلن عن ضعفها واستسلامها ، وبعضهن يجدن في مسؤولية الأبناء بأساً شديداً فتفشلن في ملاحقة أولادهن خارج البيت أو تقدمن لهم النصح داخل البيت فتشعرن بالانهيار حينما تجدهم لا يستجيبون لنصائحها بل يفضلون الهروب من النصح ويدخلون في دائرة العناد والانقياد وراء رفقاء السوء. أو تقف بعض الأمهات مكبلة الأيدي حينما تعجز عن الوصول لمصاحبة بناتهن فإذا استعملن العنف وجدن الهجوم ، وإذا أظهرن العطف والحنان وجدن من بناتهن ما لا تحببن ، وإذا استعن بالعم أو الخال في توجيه الأبناء كانت الطامة ، فأصبحن في حيرةٍ فلا يملكن إلا البكاء والدعاء. بل قد تقع الأرملة في شدائد المحن ، فكثيراً ما يقوم البعض من أهل زوج الأرملة بعد موت ابنهم بالمسارعة في فعل الحيل والألاعيب من أجل

حرمان هذه الأرملة وأحياناً أولادها من الميراث ، هذا غير ما يلاحق الكثيرات منهن من عيون الطامعين من الرجال ، وقد اعتبر البعض أن الأرملة بعد وفاة زوجها سهلة المنال ، ما جعلها عرضة للابتزاز والمضايقات وسوء الظن الدائم! ومخاطر اخرى يتعرضن لها في الخارج ، وهذا الجار يلاحقها حينما تخرج أو تدخل بيتها مُصِراً على أن يوقعها في قبضته ، حتى يجعل سيرتها وسمعتها سيئة في الحي الذي تعيش فيه! غير ما تعانيه الأرملة من ملاحقة المخاطر النفسية التي هي أشد ألماً. ما يدفع بعضهن إلى الانعزال عن المجتمع لتفادي الألسن والأعين البذيئة ، غير ملاحقة الأحزان حينما تجد عسرة في الحصول على المال الذي يكفى حاجاتها وحاجة أولادها. فمنهن من تخرج للعمل فتحاصرها الفتن ، فإذا هربت منها اليوم قد تقع في قيودها غداً بحثاً عن لقمة العيش! الأرملة في ديننا تنال كل تكريم ورعاية واهتمام ، بل أكثر اللاتي تزوجهن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأرامل ، فقد جعل الإسلام للمرأة الأرملة المنزلة الكريمة ، بل جعل الإسلام رعايتها من القربات إلى الله تعالى ، كما أن مساعدتها على قضاء حوائجها له فضل عظيم عنده سبحانه ، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل ، الصائم النهار". رواه البخاري. لكن إذا كانت الأرملة قدر الله تعالى لها أن تفقد زوجها فليس معنى ذلك أن تمنع من ممارسة حقها في الحياة الكريمة. فموت الزوج ليس معناه نهاية الحياة بالنسبة للزوجة ، وليس معناه أن تعيش بقية حياتها في أغلال وقيود لقب الأرملة. وللأسف فإنها عندما تفكر في الزواج مثلا تنهال عليها سيول الاتهامات والنظرات المشينة من قبل البعض ، على الرغم من أن الإسلام بشريعته السمحة يدعم الأرملة ويساعدها على التفاعل مع المجتمع ، لكنها عندما تحاول الانخراط والتفاعل مع من حولها من الجيران والأقارب قد تجد من حولها من النساء الخوف من الاقتراب منها ، فالكل يتخوف منها على زوجه ، ما يدفعها أن تحبس وحيدة تعيش على ذكريات الماضي ، بل تكون مرتعا لوسوسة الشيطان. لقد اعتبر الاسلام الزواج حقاً للأرملة أجازه لها الشرع بعد انتهاء العدة ، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل إن كانت حاملاً ، فلها أن تتزوج لتكمل حياتها في ظل أسرة مسلمة. وقد تلجأ المرأة الأرملة للزواج عندما تشعر أنها بحاجة لرجل يقوم بدور الأب ، وذلك عندما تفقد استطاعتها في السيطرة على أبنائها ، إضافة إلى المساندة المادية ، أما من الناحية النفسية ، فإنها تلجأ للزواج لكثرة ما يلاحقها من آلام ومخاطر ، فتنظر إلى الزواج كبداية لإعادة ترتيب أوراقها من جديد. وعلى الجانب الآخر ، تنال المرأة الأرملة الاحترام من المجتمع ، إذا أوقفت نفسها لأولادها وتفرغت لهم ورفضت الزواج بعد وفاة زوجها ، خصوصاً إذا كبر أبناؤها وكبرت هي أيضا في العمر. فماذا على الأرملة في مثل هذه الأوضاع وتلك الأحوال؟ ليس عليها إلا أن تعود إلى خالقها وتعلم أنه سبحانه مدبر رزق النملة في جحرها ، فعليها ألا تيأس بل تحسن الظن به سبحانه ، فإنه تعالى يعلم مقدار احتياجها ، فله اللجوء سبحانه ، وله تفويض أمرها ، وله الدعاء والرجاء ، فإنه سبحانه لا يرد من يسأله ، ولا يخيب من اتقاه ، دل على ذلك قوله تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب". ولذلك إذا انهكت بالأعباء والهموم والأحزان فليس عليها إلا العودة إليه سبحانه وكثرة الاستغفار له ،مصداقاً لقوله تعالى: "فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكن جنات ويجعل لكم أنهاراً". وعليها أيضاً بالأمل فيما عند الله تعالي ، ولابد من زيادة إيمانها بشتى الطرق ، فمثلاً إذا كانت مقصرة في صلاتها فعليها

المحافظة عليها في أوقاتها وعليها بالأذكار اليومية (أذكار الصباح والمساء). وأن تجعل لنفسها ورداً قرآنياً كل يوم ، وأن تبتعد عن الغيبة والنميمة والقيل والقال ، كل ذلك يوثق الإيمان داخلها. وأن تشغل وقت فراغها بشيءٍ هادفٍ كالقراءة مثلاً فالكتاب خير صديق! وعليها أن تبني في قلبها ثقة وثباتاً ، مع إيمانها فقد تكون صورة إيجابية لتتحدى كل تلك المخاطر التي تواجهها. وعليها أن تخاف الله في السر قبل العلن وتستشعر مراقبة الله تعالى لها ، فمن يخاف الله يخجل أن يعصيه في السر أو العلن ، فعليها أن تعلم أن الله تعالى وحده هو الذي يراها حين تريد أن تهم بالمعصية! فإذا ضاقت بها الأمور فقد شرع لها الإسلام حقها في الزواج ، وإن أرادت أن تعيش لأولادها فليس عليها إلا الصبر والإكثار من الطاعات ، ولتحسن رعايتهم ، وتجيد التصرف والتفوق فيما تفعل. ولتكن أكثر حباً وعطفاً وحناناً ، وتدقيقاً في أمورهم ، ولتكن في عيونهم قدوة. ولتثبت كفاءتها لتستطيع تجاوز الأزمات ، وعليها أن تعلم أن الدنيا فانية بحلوها ومرها ولا يبقى لنا سوى أعمالنا التي نلقى بها ربنا).هـ. وأحيي الباحثة الأديبة أميمة الجابر على هذا التشخيص البديع الرائع لأحوال المرأة الأرملة! وكنتُ قد جعلت جزءًا ليس بالقليل من كلماتها في مقدمة قصيدتي ، حتى يضعني القارئ في مقارنةٍ بين ما كتبتُه شعراً عن الأرملة وما كتبته نثراً الأستاذة أميمة الجابر! ومن الآن أقولها: إن كلمات أميمة الجابر تلمس الوجدان أكثر من أبيات قصيدتي! أسأل الله تعالى أن يأجرك ويجازيك على كلماتك يا أميمة! اللهم اكتب لأمتك أميمة الجابر بكل حرفٍ حسنة ، وحُط عنها بكل حرفٍ سيئة وارفعها بكل حرفٍ درجة في جنات النعيم! إن أرملة قصيدتنا هي هي التي تناولتْها أميمة الجابر في مقالتها! أرملة تعتبر بطلة مغوارة مجاهدة بكل ما تعنيه الكلمة من معان! قاومت الترمّل وواجهت الحياة وجاهدت في الارتفاع على ضغوط النفس والأولاد والحياة والمجتمع معاً! فنجحت نجاحاً يجعلها تستحق لقب: (الأم المثالية) في قرية (ظفر – مركز تمي الأمديد – دقهلية)! وأجعل قصيدتي تحية لها تحمل معاني الامتنان والعرفان على جهودها المباركة وصبرها الجم وكفاحها العنيد الذي يعجز عنه الرجال! وتحت عنوان: (سيكولوجية التَرَمّل: كيف يواصل الأرامل حياتهم بنجاح؟) يقول الأستاذ الدكتور ناصر أحمد سنه ، الكاتب والأكاديمي المصري الكبير ، ما نصه بتصرفٍ زهيد: (يمثل الترمل "أزمة" نفسية واجتماعية لمن يمر بها. فكيف تمر بسلام ، كي يواصل الأرامل ، نساءً ورجالاً ، حياتهم بنجاح؟ مات الزوج أو الزوجة ، فالتف الجميع حولها أو حوله معزياً ومواسياً. لكن ما إن انتهت أيام العزاء والمواساة حتى لفتهما الوحدة ، وباتا يجتران ذكرياتهما ، ويعانيان ـ وحدهما ـ مأساة الفقد ، والقلق علي المستقبل. وحدوث الترمل في مرحلة الشيخوخة مأساة قاسية ، فوفاة أحد الزوجين يعد بالنسبة لمسن كارثة مؤلمة ، وحدثًا حزينًا ، ومشكلة عويصة ، فهو يحدث في الوقت الذي يكون فيه الإنسان في أمس الحاجة إلى الرفيق والأليف والمعين. وبشكل عام فإن الرجال أكثر تأثرًا وحزنًا ، ولهذا فهم يلحقون بزوجاتهم المتوفيات بشكل أسرع من النساء. بيد أن "أزمة" الترمل هي أشد وطئاً وعبئاً علي الأرملة ، مقارنة بنظيرها الأرمل. ولأن الزوج عادة ما يموت أولاً ، فتطلع الزوجة الأرملة بدوره ، مما يجعل يضفي علي الترمل صفة "الأنثوية" علي وجه العموم. فهي بعد فقد عائلها تواجه ـ منفردة في غالب الأحيان ـ مسؤولياتها والكفاح من أجل إعالة أولادها ، فضلاً عن معاناتها من نظرة بعض المجتمعات لها كونها بلا زوج. فنراهم فيحسبون عليها حركاتها وسكناتها ، بل وأنفاسها. ويري البعض أن حياة المرأة سلسلة من "الانتظارات". إذ هي تنتظر الحب ، فالزواج ، فالحمل ، فالولادة

فالأولاد ، فنموهم ، فزواجهم. وهلم جراً. لذا فهي ـ وبخاصة في مجتمعاتنا العربية ـ تعلق كثيراً من الآمال علي الزواج ، وتشعر بأنه ـ اجتماعياً ـ هو كل حياتها. بل و"تنتظر" من الزوج العائل والسند "أسباب" تلك الحياة ومبرر من "مبررات وجودها". وبالمقابل فإن المجتمع العربي مازال ينظر للأرملة نظرة تعاطف وتراحم باعتبارها ذات ظروف خاصة ، تحتاج لمن يساندها ، ويدعم رعايتها وكفالتها هي وأبنائها. ومن ثم فانفضاض مؤسسة الزواج ـ ترملاً ـ قد يولد لديها معاناة تنطوي علي معاني نفسية وعاطفية واجتماعية واقتصادية أعمق مما قد يتولد عند الزوج الأرمل. فالأرمل وبخاصة المسن قد يواجه مشاكل أخرى تختلف عما تواجهه الأرملة ، إذ يجد صعوبة فيما لم يعتد عليه مثل إدارة الشؤون المنزلية وغيرها ، وهذا ما قد يدفع به إلى الزواج مرة أخرى. أما هي فقد يحدث لها مرحلة من "عدم الاتزان" ، والانعزالية. فإما أن تتماسك ، لتقوم بتحمل مسؤولياتها ، والنهوض بأعباء إعالة أولادها لامتلاكها قوة الإرادة والعزم والمثابرة ، والمقدرة علي تحمل وتجاوز الصدمات ، فتقوم بدور الأم والأب معاً. وإما أن تنهار. استسلاماً للعديد من الآلام. وإما أن تنهار استسلاماً للعديد من الآلام. وإذن فهناك آلام متعددة: تتألم الأرملة من افتقاد أجوبة علي أسئلة صغارها: "لماذا تأخر أبي؟ ، دعيني أكلمه في التليفون؟ ، هل هو حزين منا يا أمي؟ ، لماذا قتل؟ ، أخبريه أن يعود فلقد أوحشنا كثيراً غيابه؟ ، هل سيكون معنا في العيد؟ ، أين ذهبت سيارته؟ ، لقد نسي أبي "جواله" ، وساعته في الدولاب ، لكن لماذا ذهبتم بملابسه؟ ، لماذا يأتي أبو أصحابي ليأخذهم من الحضانة المدرسة ، وأنا لا؟ الخ.....". ونراها تتألم حينما ترى نظرات الشفقة في أعين بعض من حضروا لعزائها ، وهي تتمنى أن يعامل أطفالها معاملة عادية ، حتي لا يتولد لديهم "شعور بالنقص" ، وتتألم عندما تتسلم شهادة وفاة زوجها ، وتتألم في إنهاء إجراءات الميراث والمعاش والوصاية و"المشكلات المالية" ، وتتألم من طمع بعض الأقارب في الميراث ، وتتألم من تصرفات بعض أهل زوجها ، وتتألم لتعرضها للمجتمع بلا غطاء من زوج وتتألم لابتعاد جاراتها وصديقاتها عنها وخوفهن على أزواجهن منها ، وتتألم من خشية أن يتكلم عنها الناس بسوء ، وتتألم كل يوم مع أي شيء يذكرها بزوجها ، في حين أن كل شيء حولها ، وداخلها يذكرها به. وهي تتعرض لصراع شديد ، وبخاصةٍ إذا كانت في مقتبل العمر ، فتعاني صراعاً بين شعورها بعدم الاستقرار النفسي والأسري والعاطفي ، و"الحاجة" إلى الزواج لسد ذلك الفراغ المتعدد الجوانب ، وبين الخوف على الأبناء ومستقبلهم. وهي تواجه مشكلات ضاغطة اجتماعياً (لعل ما قد يخفف منها إذا كان الأبوان أحدهما ، أو كلاهما حي) تعتبر معاودة الزواج نكرانًا أو جحودًا منها للزوج الراحل. ولو أرادت أن تتزوج ولديها أبناء تبدأ مشاكل الحضانة ، وأحيانًا يطلب أهل زوجها الراحل منها الزواج من أحد أفراد العائلة ، وذلك من أجل الأولاد ، و"كرامة العائلة". وقد يتغلب حب الأبناء والخوف عليهم فتكرس بقية حياتها لهم. بيد أن صعوبات الحياة ومتطلباتها الحاضرة ، وتمثل أعباء الأب والأم في نفس الوقت دور ـ لا شك ـ صعب. لذا قد تتطور تلك الصراعات إلى قلق وإحباط ، وانعزال واكتئاب ، مما ينعكس على أبنائها ، والمحيطين بها باعتبارهم سبب يحول دون سعادتها. وهي تخشى ـ بعد سنوات سعت فيها للم شمل أسرتها ورعاية مصالحها ـ ذلك الوقت الذي يمضي فيه أبناؤها مع زوجاتهم ويتركونها وحيدة ، أو يدعونها للعيش معهم ولكنها تكره أن تكون ضيفاً ثقيلاً على أسرة حتى ولو كانت أسرة أحد أبنائها. وبسبب كل ذلك وغيره نجد أن كثيراً من الأرامل (بعض الدراسات تشير إلي نسبة 35%) يتعرض للعديد من الأمراض والحوادث. أو نراها قد

تعايشت بصورةٍ أو بأخري ، مع واقعها وحياتها الجديدة ، وبخاصة عندما تري أنها ليست وحيدة فحولها من العراقيات فقط نحو مليون ونصف أرملة ، فضلاً عن أرامل الشهداء من الفلسطينيين الذين يتساقطون يومياً جراء عمليات القتل والاغتيال الصهيوني ، إضافة إلي الأرامل من الصومال ودارفور الخ. ولكن كيف يواصل الأرامل حياتهم بنجاح؟ ليتغلب الأرامل على معاناتهم النفسية وتحولهم من "حالة الترمل" الى "حالة الحياة والاستمرارية" فإن عليهم بالإكثار مما يحقق لهم التوزان ، والاستقرار ، و"الأمن النفسي" مثل العبادات ، والبعد عن مسببات القلق والتوتر ، فالحياة لم تنته بوفاة الزوج ، فكل لحظة تعاش نعمة من الله تعالي غالية ، من الظلم إهدارها في كثير من التألم من ابتلاء يمر به العديد والعديد من الناس. فلتغلق أبواب الحزن ، ولتفتح نوافذ الرضا ليشرق الاطمئنان والهدوء لهم ولأبنائهم. وعليهم اكتساب المزيد من المعارف والمعلومات التي تساعدهم على التعامل مع واقعهم الجديد بنجاح. وعليهم طرد فكرة "قلة الحيلة" ، والمسارعة إلي "الاستقلالية" ، فالمبالغة في الاعتماد على الآخرين تجعلهم يسارعون في الابتعاد ، هروباً من عبء إضافي على أعباء حياتهم. والأرامل بحاجة إلى بعض الوقت ، للتكيف مع حياتهم الجديدة ، خاصة إذا ساعدهم المحيطون على تنمية ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم. ويتوجب على الأبناء توفير أوجه الرعاية ، والتي تتمثل في رد الجميل تجاه والدهم في هذه المرحلة الحرجة من حياته ، وبخاصة إذا تزامنت وأزمة التقاعد عن العمل وتقديمه وإشعاره بالحب والحنان ؛ وتنمية العلاقات الاجتماعية وتوسيع دائرة صداقاته ، والحرص على ملء وقت فراغه ؛ وتشجيعه على ممارسة أنشطته المحببة والمفيدة. وأن يعتني بنفسه وغذائه ورياضته. بدلاً من أن تجلس وحيدة تجتر الماضي وذكرياته ، تحاول الأرملة أن تخلق لنفسها جماعات اجتماعية تكون بمثابة "إسعافات سريعة" لتضميد جراحها ، وضمان عودتها للبداية الصحيحة بعد ترتيب أوراقها. وإذا افتقدت الكفالات المناسبة (من ابن أو أب أو أخ أو غيرهم) ، وأصابها العوز المادي ، وكانت لديها ما يؤهل للعمل فلها البحث عن عمل بما يتناسب مع خبرتها لتغطي المصاريف اللازمة للأسرة. والأرملة عندما تخرج إلى محيط العمل تختلف نظرتها إلى الأمور وتنجح أسرع. والصورة الإيجابية للأرملة تساعدها على الانخراط والتفاعل الاجتماعي الصحي مع الآخرين في العمل ، وبين الجيران ، والأقارب. تسهم الأرملة في بلورة هذه النظرة لها سلبًا أو إيجابًا. فإذا كانت "وفية لزوجها ، مكافحة مع أولادها" ، فإنها غالباً ما تلقى التعاطف والمساندة والتأييد لاستكمال رحلتها في تربية أبنائها ورعايتهم. ألا وإن هذه النظرة الإيجابية للأرملة قد تتغير نوعًا ما إذا أقبلت الأرملة على الزواج مرة أخرى. برغم أن هذا الزواج حق أساس أجازه لها الشرع المطهر بعد انتهاء العدة ، خاصة إذا كانت في مقتبل العمر ، ولديها أطفال بحاجةٍ إلى رعاية في ظل أسرة طبيعية. فلها أن تتزوج لتكمل حياتها ، وتراعى مصلحة أبنائها في اختيار الزوج الذي يرفق بهم ويتحمل مسؤوليته نحوهم ، ويمتلك القدرة على التعامل معهم ليحل محل الأب في حياتهم. فمن يرعى الأيتام في بيته له منزلة ـ دنيوية وأخروية ـ رفيعة الشأن. وينبغي علي الأبناء الراشدين أن يراعوا أيضاً والدتهم وأن يحسنوا إليها إذا رغبت في الزواج من جديد. أما بعض الحالات التي تظهر في الصحف السيارة من أن زوج الأم يقوم بطرد أولادها ، أو أن الأم "الأرملة" تتخلى عن رعايتهم ما هي إلا حالات استثنائية لا يمكن القياس عليها في تحديد موقف المجتمع من زواج الأرملة. وإذا ما آثرت الأرملة أطفالها علي حساب محاولة الزواج ثانية ، فلتحسن رعايتهم ، وتجيد التصرف والتفوق فيما تفعل. ولتكن أكثر حباً وعطفاً وحناناً ، وتدقيقاً في أمورهم ،

ولتكن في عيونهم قدوة. ولتثبت كفاءتها لتستطيع تجاوز الأزمة. والمرأة العربية عموماً لديها قوة وإرادة ، وتحمل للصدمات ، وتستطيع أن تقوم بدور الأم والأب ، خاصة إذا كانت عاملة. يد أن حالات النجاح لا يمكن أن تحجب حالات الفشل الذي قد يتجاوز ـ في حال الكثرة الكاثرة ـ نطاق الأسرة والعائلة إلي المجتمع فيهدد بنائه. لذا فثمة حاجة إلى مؤسسات مختصة تعتني بدراسة الآثار النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية على الأرامل ، وخاصة الإناث ، وبخاصة في البلدان التي تعيش في "أزمات فقد وترمل" مستمر ، ويكثر فيها عدد الأرامل والثكالى كفلسطين المحتلة. ومن ثم تؤهل الأرامل من الناحية النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتقدم البرامج التأهيلية وسبل الضمان الاجتماعي لهن. كذلك ثمة حاجة الى مؤسسات لمساعدة ودعم الأرامل الراغبات في الزواج. وفي مجال التوعية المجتمعية نحن بحاجة إلى برامج تثقيف وتوعية للمجتمع بهدف تغيير النظرة السلبية تجاه الأرامل. فعلي الإعلام ـ المؤثر في تشكيل القيم والسلوك والتوجهات ـ أن يصحح صوراً تبدو "ظالمة" للأرامل ـ نساءً ورجالاً. فقد تُصورهن بعض الأعمال الإعلامية والفنية بأنهن "عاجزات سلبيات تابعات للرجل أنانيات لا يردن الكفاح من أجل أبنائهن أو متسيبات أخلاقياً الخ....." ، أوأرامل بأنهم "غير أوفياء لزوجاتهن يسعون فقط لتحقيق نزواتهم الخ.....").هـ. ونحن نشكر الدكتور ناصر على إحاطته لموضوع اليتم والأرامل من جميع جوانبه! حتى أنني أكاد أشعر بأن هذه الكلمات الجميلة الدقيقة تصلح لأن تكون منهاجاً تسير عليه الأمم في معاملة الأرامل خاصة النساء منهم! لقد فصّل الدكتور أمر تفصيلاً دقيقاً ووضع الحلول للمشكلات! الأمر الذي لا يفعله كثير من النقاد والمراقبين والباحثين! وذلك عندما ينجحون في تشخيص الداءات ، ولكنهم لا يضعون علاجاً واحداً لداءٍ من تك الداءات التي شخصوها! إن أرملة قصيدتنا كانت من النوع الإيجابي بامتياز ، حث تغلبتْ على الثكل والفقد ، ليس ذلك فقط ، بل تفاعلت مع معطيات الحياة لكي تتجاوز هذه المرحلة! ليس هذا فقط ، بل قامت بدور الأم والأب معاً في الرعاية والإرشاد والتوجيه والإنفاق! ليس هذا فقط ، بل أخذت على كاهلها مواجهة المجتمع القاسي الذي لا يرحم! فما استطاع سفهاؤه ولا بلهاؤه التخرص عليها ببنت شفة ولا أقل من ذلك! وذلك بتوفيق الله وحده وفضله على تلك الأرملة المجاهد المثابرة المكافحة المثالية! ومن هنا اعتبرتُها أماً مثالية عاشت في قرية: (ظفر مركز تمي الأمديد – دقهلية) ، وكانت مثالاً في تحمل المسؤولية الكاملة لإفراطٍ ولا تفريط! وقامت بدور يعجز عنه الرجال! فتحية لها ولأمثالها من الأمهات المحترمات الفضليات! وإنني لأجعل هذه القصة هدية لها وتحية أنقشها في سجل الخلود! وأعلم علم ليقين أن عمر قصيدتي سيكون أطول من عمري وعمرها! وتكون القصيدة شاهداً على شاعرها وبطلتها الحقيقية الأم المثالية العفيفة الشريفة! وكنتُ قد كتبتُ القصة منذ زمن بعيد ، وخشيتُ أن أذهب عن الدنيا ولا ترى هذه القصة النور! فلقد منعني من إخراجها النور الحرج الشديد من صاحبتها! واليوم ننشرها بلا رتوش! آملاً أن توصل الغاية التي من أجلها كتبتها!)

19 - رسالة شعرية إلى «أم يوسف»

كيف تعبِّرين عن حبك لزوجك؟

(إنني أسطر هذه الرسالة للأخت أم يوسف زوجة الداعية الأستاذ عصام العويد ، أعبر في رسالتي عن مدى تقديري لرسالتها التي عنونتُ لها بـ: (كيف تعبرين عن حبك لزوجك؟) ، وبالطبع هي وجهتْ رسالتها للأخوات المؤمنات ، في محاولة من أم يوسف لإصلاح ذات البين! فجزاها الله عن الكتاب والسنة والإسلام والمسلمين والمسلمات خير الجزاء! قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). لا شكَّ في أن المرأة المسلمة تلتزم بالأحكام الإسلامية حتى في حياتها الاجتماعية ، حتى وإن اضطرتها الظروف إلى مجاراة العادات الاجتماعية الموافقة للشرع والسائدة بين الآخرين ، فإنها لا تتخلى عن موقفها الإسلامي. والإسلام ثروة تأخذها المرأة معها إلى دار الزوجية ، وتشترك مع زوجها المسلم في تكوين أسرة مسلمة. وهناك وسائل تعين المرأة في التعبير عن مشاعر الحب لزوجها وتغفل عنها الكثيرات من الزوجات أيضًا: منها إظهار الحب ، فلا يكفي أن نحب الآخرين فقط ، ولكن لا بد من إظهار الحب لهم. نعم إن الحب محله القلب ولكن الناس تحب أن ترى علاماته على الجوارح الظاهرة ، ومن هذه الوسائل: 1 ـ استقبال الزوجة لزوجها والزوج لزوجته بابتسامة وكلمة رقيقة عند الدخول إلى المنزل. 2 ـ أهتم به عند حديثه معي ، وأحترم جداً رأيه إذا خالفني. 3 ـ أهيئ له الجو العاطفي دائمًا حتى لا يطير مني ؛ لأنه كالطفل يحتاج إلى الرعاية دائمًا. 4 ـ عدم تدخلي فيما لا يعنيني من أموره الخاصة. 5 ـ كسب محبة والديه وإخوانه فهذا تعبير عن حب الزوجة لزوجها. 6 ـ عدم خيانة الزوج مهما توفرت لها الفرص ، وأن تكون زوجة صالحة تحفظ زوجها عند حضوره وأثناء غيبته. 7 ـ أن تهتم بنفسها وجسمها وشئون الأبناء وتربيتهم. 8 ـ أن يسمع الزوج من زوجته كلمات الشكر إذا تعب من أجلها ، وخصوصًا بعد الأربعين ؛ فإنه يحتاج منها إلى المدح والتقدير والشكر. 9 ـ أن تلبس له الثياب الجميلة والتي تبرز مفاتنها له ليستمتع بالنظر إليها. 10 ـ أنجب منه الأطفال فإن هذا دليل حبي له وتعبير عن مشاعري تجاهه. وهذه قصة المرأة التي أخرست لسانها وفاء لزوجها: قال الأصمعي: «رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم ، فقلت لأهلها: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا ، ولكنها ذات صوتٍ عذب رخيم وكان زوجها معجبًا بصوتها ، وكان لا يحب أن يسمع صوتها الجميل أحد ، ثم إنه توفي وفارق الحياة الدنيا فأقسَمَتْ بالله أن لا يسمع صوتها بعده أحد ، وألَّا تكلِّم بعده أحدًا وفاءً له وحرصًا على ما يحبه! فما أجمل وما أعذب هذا الوفاء للأزواج حتى في أدق الأشياء!).هـ.

أم يوسف (زوجة الشيخ عصام العويد)

(أقول: لقد عظمت شريعتنا الغراء شأن الزوج وأكبرت حقه عند زوجته. وقليل من النساء في عصرنا الحاضر من يوفقها الله للقيام بحق زوجها كاملًا. إن النبي ﷺ يقول: «لَو كُنتُ آمرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأَمَرتُ المرأةَ أنْ تَسجُدَ لِزَوجِهَا» ، ورواية: «لَو كَانَ السُّجُودُ لِغَيرِ اللهِ لأَمَرتُ المرأةَ أنْ تَسجُدَ لِزَوجِهَا ، وَذَلِكَ لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيهَا» ، أو كما قال

رسول الله ﷺ. وقد أشارت موسوعة الفتاوى المعاصرة لهيئة كبار العلماء بالسعودية لبعض الحقوق التي يتعين على المرأة أن تقوم بها لزوجها ، فقالت: «إن للرجل في شريعتنا حقوقًا على زوجته ، فمنها: 1 ـ وجوب الطاعة. وذلك بما له من حق القوامة عليها. 2 ـ تمكين الزوج من الاستمتاع متى كانت صالحة قادرة عليه. 3 ـ عدم الإذن لمن يكره الزوج دخوله البيت ، ولقد ورد في هذا ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: «لا يَحِلُّ للمَرأةِ أنْ تَصُومَ وَزَوجُهَا شَاهِدٌ إلَّا بِإذْنِهِ ، وَلا تَأذَن في بَيتِهِ إلَّا بِإذْنِهِ». ومن هنا فلا تأذن لأحد يكرهه الزوج بالدخول. 4 ـ عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج. وقال الشافعية: «وليس لها الخروج لعيادة أبيها إلا بإذن الزوج ، وله منعها من ذلك ، لأن طاعة الزوج واجبة ، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب». وحدِّث اليوم ولا حرج عن الخروج من البيوت. 5 ـ التأديب: أي: للزوج تأديب زوجته عند عصيانها أمرَه بالمعروف لا بالمعصية ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أمر بتأديب النساء بالهجر والضرب إذا لم تفلح الموعظة عند عدم طاعتهن. والسادة الأحناف ذكروا أربعة مواضع يجوز فيها لكل زوج مسلم أن يؤدب زوجته بالضرب: ومنها: ترك الزينة إذا أراد الزينة. ومنها: ترك الإجابة إذا دعاها إلى الفراش وهي طاهرة. ومنها: الصلاة ، ومنها: الخروج من البيت بغير إذنه. فما أجمل هذا الشرع الحنيف الوضاء الطاهر. 6 ـ خدمة الزوجة لزوجها بالمعروف حسب طاقتها ومقدرتها. 7 ـ تسليم المرأة نفسها له إذا استوفى عقد النكاح شروطه ووقع صحيحًا ، لأنه بالعقد يستحق الزوج تسليم العِوَض وهو الاستمتاع بها كما استحقت هي المهر. 8 ـ معاشرة الزوجة لزوجها بالخير والمعروف».اهـ. ألا نعمتِ الوصايا ، ونعمتِ النصائح! إن ديننا لعظيم لو كان له رجال! إنني أردتُ بإيراد هذه المعلومات أن أدعّم مقال «أم يوسف» الداعية التي كَتَبتْ هذه المقالة الجميلة التي صدّرنا بها مقدمة قصيدتنا: أم يوسف ، زوجة أستاذنا الفاضل الشيخ / عصام العويد ـ حفظهما الله تعالى ـ ووجَّهَتْ مقالتها ونصائحها الغالية للزوجات المؤمنات كما أسلفنا. وكنتُ قد طالعتُ المقال في مجلة «الجائزة» ، تلك المجلة الدورية التي تصدر هنا في دار غربتي ، وفي أم القيوين تحديداً. وأعجبني ـ وأنا الرجل ـ كل ما جاء في المقال من تصريحات وتلميحات ، فأعدت قراءته مرة بعد مرة ، وتمنيت من الله العلي القدير أن يجعل قلوبًا من الأخوات المسلمات الزوجات وغير الزوجات ، تأوي إلى تلك النصائح والدرر الغالية والجواهر الثمينة ، وأن يرزق الله تعالى هذه القلوب الفهم والتدبر والوعي السليم للذي حواه النص من المعاني الخالدة العظيمة ، كما أسأله سبحانه أن يرزقهن العمل والتطبيق في عالم الواقع لتُصبح الواحدة منهن قرآنًا يمشي على الارض كما كان نبيها ﷺ ، عسى الله أن يتحقق هذا الأمل المنشود. آمين. ومن هنا رحتُ أحيي هذه الأخت الكريمة صاحبةَ المقال ، وإنني لأحسبها هكذا ولا أزكي على الله ربي أحداً ، والله حسبها ووكيلها. فقمتُ بكتابة هذه الرسالة الشعرية التي أحيي بها هذه الأخت التي أتمنى من قلبي أن ينفع الله بها وبمثيلاتها من المؤمنات. ذلك أنني أرى أن أم يوسف إنما كتبت من باب النصح ، إذ النصيحة شعيرة من شعائر ديننا الحنيف! وتحت عنوان: (الدين النصيحة) كتب الأستاذ إبراهيم الأسمري ما نصه بتصرف زهيد: (عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم). رواه مسلم. هذا الحديث من الأحاديث الكلية العظيمة التي اشتملت على الدين كله ،

فقد اشتمل على حقوق الله تعالى ، وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى حقوق عباده ، فليس ثم لفظ أجمع في بيان تلك الحقوق من لفظ النصيحة. وأصل النصح في لغة العرب فسر بأحد التفسيريْن: الأول: أنه بمعنى الخلوص من الشوائب والشركة ، فيقال: عسل ناصح أو نصوح ، إذا لم يشبْه شيء. الثاني: فسرت النصيحة بأنها التئام شيئين بحيث لا يكون ثم تنافر بينهما. والنصيحة عرفت في هذا الحديث بأنها إرادة الخير للمنصوح له ، وهذا يتعلق بنصح أئمة المسلمين وعامتهم ، أما في الثلاثة الأول فإن النصيحة ـ كما ذكرنا ـ تكون الصلة بين الذاتين على التئام. فقال صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة) ، وجعل الدين كله نصيحة ، لأن النصيحة تجمع الدين كله بواجباته ومستحباته. قال بعض العلماء: (الدين النصيحة): يعني أن معظم الدين وجل الدين النصيحة ، وهذا على أخذ نظائره ، كقوله: (الدعاء هو العبادة). قالوا: (لمن يا رسول الله؟) اللام هنا في (لمن) هي لام الاستحقاق يعني: من يستحقها في الدين؟ فأجابهم رسول الله بقوله: (لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم). فاشتملت على أمور: الأول: النصيحة لله: وهي كلمة جامعة لأداء حق الله جل جلاله الواجب والمستحب ، فحق الله الواجب هو الإيمان به وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، كما جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله ، بدون تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه. فالنصيحة لله واجبة: وهي ما يكون فيما أوجبه الشرع في حق الله من الاعتقاد أن الله جل جلاله له ما أثبت لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأنه ليس له مثيل في أسمائه وصفاته ، وأيضا اتباع أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره. ومستحبة: وهي ما كان في حق الله جل جلاله من ازدراء الخلق في جنب الله ، وأن يراقب العبد ربه دائماً في السر والعلن. أما النصيحة المستحبة للقران ، فأن يكثر من تلاوته ، وأن يتداوى به ، وأن يتدارسه العبد. قال: (ولرسوله) كذلك النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم تكون بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يؤمن العبد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين. قال: (ولأئمة المسلمين) ، والنصيحة لأئمة المسلمين (الذين يُقيمون الإسلام في الأرض ، ويُحققون العدل بين الناس) أن يُعطوْا حقهمُ الذي أعطاهمُ الله في كتابه وبيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته ، وذلك بطاعتهم في المعروف وعدم طاعتهم في المعصية ، وأن يجتمع معهم على الحق والهدى ، وأن تؤلف القلوب لهم ، وأن يُجتمع عليهم وأن يُدعى لهم ، وحق ولي أمر المسلم أن يُنصح بمعنى أن يُؤتى إليه ، وأن يُبين له الحق وأن يُبصر به وأن يُوضح له ما أمر الله جل جلاله به ، وما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما النصيحة لعامة المسلمين ، فهي إرشادهم لما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم ، هذه جماع النصيحة للمؤمنين ، بأن يحبوا في الله ، وأن يتعاون معهم على الخير والهدى وأن يبين لهم الحق.).هـ. وتحت عنوان: (حسن الخاتمة وسائلها وعلاماتها والتحذير من سوء الخاتمة) يقول الأستاذ الشيخ عبد الله بن محمد المطلق ما نصه: (إن نصيب الإنسان من الدنيا عمره ، فإن أحسن استغلاله فيما ينفعه في دار القرار ربحت تجارته ، وإن أساء استغلاله في المعاصي والسيئات حتى لقي الله على تلك الخاتمة السيئة فهو من الخاسرين ، وكم حسرة تحت التراب والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ، وخاف من ذنوبه قبل أن تكون سبباً في هلاكه ، قال ابن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه. وكم شخص أصرَّ على صغيرةٍ فألِفَها وهانَت عليه ولم يفكر يومًا في عظمة من عصاه ، فكانت سببًا في سوء خاتمته ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه:

إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الموبقات. وقد نبَّه الله في كتابه جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة ، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} ، وقال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}. فالأمر بالتقوى والعبادة مستمر حتى الموت: لتحصل الخاتمة الحسنة. وقد بين - صلى الله عليه وسلم - أن بعض الناس يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة من عمره ، ولكن قبيل وفاته يقترف السيئات والمعاصي مما يكون سببًا في أن يختم له بخاتمة السوء ، قال - صلى الله عليه وسلم -: «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». وورد في حديث سهل بن سعد الساعدي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً من المسلمين في إحدى المعارك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبلى بلاءً شديدًا ، فأعجب الصحابة ذلك ، وقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أما إنه من أهل النار». فقال بعض الصحابة: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبه، سأنظر ماذا يفعل ، فتبِعَه ، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت ، فوضع سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فرجع الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أشهد أنك رسول الله ، قال: وما ذلك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت: أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحًا شديدًا ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار». وفي بعض الروايات زيادة: «وإنما الأعمال بالخواتيم». وقد وصف الله - سبحانه - عباده المؤمنين بأنهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع الإحسان في العمل فقال: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}).هـ. والآن ، أوجه رسالتي بكل فخر واحترام لأم يوسف. راجياً منها قبول هذه الرسالة البسيطة المُتواضعة! وهذه الهدية سوف تبقى للأبد شاهدة بمدى الإخلاص والود!)

20 - أمانة التكليف

(كم توقفت طويلاً عند قول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). وكم تأملت في هذه الآية! وكم أمعنتُ فيها النظر! قال الإمام الطبري معلقاً في تفسيره على هذه الآية ما نصه: (اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت ، وإن ضيعت عوقبت ، فأبت حملها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها ، وحملها آدم (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه (جَهُولاً) بالذي فيه الحظ له. * ذكر من قال ذلك: عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد. وعن ابن عباس في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) قال: الأمانة الفرائض التي افترضها الله على عباده. قال: عن ابن

عباس في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ ...) إلى قوله: (جَهُولاً) قال: الأمانة الفرائض. قال جويبر في حديثه: فلما عرضت على آدم قال: أي رب وما الأمانة؟ قال: قيل: إن أديتها جزيت ، وإن ضيعتها عوقبت ، قال: أي رب حملتها بما فيها ، قال: فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية ، فأخرج منها. وعن معاوية عن علي عن ابن عباس قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ) إن أدّوْها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك ، وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله: (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) غرًّا بأمر الله. وعن ابن عباس قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ): الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم – عليه السلام - ، فلم تطقها ، فقال لآدم: يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فلم تطقها ، فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا رب: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله: (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً). وعن الضحاك بن مزاحم في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) قال: آدم قيل له خذها بحقها قال وما حقها؟ قيل: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها. والضحاك يقول في قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ) فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها؟ قال آدم وما فيها يا رب؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فقال: تحملتها ، فقال الله تبارك وتعالى: قد حملتكها ، فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة ، والأمانة الطاعة. وكان من أصحاب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: قال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "إِنَّ الأَمَانَةَ وَالْوَفَاءَ نـزلا عَلَى ابنِ آدَمَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ ، فَأُرْسِلُوا بِهِ ؛ فَمِنهُمْ رَسُولَ اللهِ وَمِنْهُمْ نَبِي وَمِنْهُمْ نَبِي رَسُولٌ ، نـزل القرآن وهو كلام الله ونـزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ، ولم يدع الله شيئًا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون وهي الحجج عليهم إلا بينة لهم ، فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح. ثم الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم ، وتبقى الكتب ؛ فعالم يعمل ، وجاهل يعرفها وينكرها ، حتى وصل إليَّ وإلى أمتي ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفله إلا تارك ، والحذر ، أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا". وعن أَبي الدرداء قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس ؛ على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها" وكان يقول: وايم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن ، وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأدى الأمانة ، قالوا: يا أبا الدرداء وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة ، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره. وعن أُبي بن كعب ، قال: مِن الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها. وقال ابن زيد في قول الله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قال: إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ، ويجعل لهن ثوابًا وعقابًا ، ويستأمنهن على الدين ، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك ، لا نريد ثوابًا ولا عقابًا ، قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "وعرضها الله على آدم ، فقال: بين أذني وعاتقي". قال ابن زيد: فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك ، أجعل لبصرك حجابًا إذا

خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك ، فأرْخ عليه حجابه ، وأجعل للسانك بابًا وغلقًا ، فإذا خشيت فأغلق ، وأجعل لفرجك لباسًا ، فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك. وعن قتادة قوله: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ) يعني به: الدين والفرائض والحدود (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)! قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك! (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) قيل له: أتحملها؟ قال: نعم ، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم ، قال الله: إنه كان ظلومًا جهولاً عن حقها. وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ، أو قال: يكفر كل شيء إلا الأمانة ؛ يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك ، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا ، ثلاثًا. فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية ، فيذهب به إليها ، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها ، فيجدها هناك كهيئتها ، فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت ، فهوى في أثرها أبد الآبدين". قالوا: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائع ، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق).هـ. قال شريك وعن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بنحوه ، لم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء. وعن ابن وهب قال: قال ابن زيد: أخبرني عمرو بن الحارث عن ابن أَبي هلال عن أَبي حازم قال: إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها ، ثم الأرضين ثم الجبال ، ثم عرضها على آدم فقال: نعم بين أذني وعاتقي. فثلاث آمرك بهن فإنهن لك عون: إني جعلت لك لسانًا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه ، وجعلت لك فرجًا وواريته فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك. وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده ، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه. وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى ولد له اثنان ، يقال لهما: قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى ، وإنهما قرّبا قربانًا إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما ، أي بمكة ينظر إليها ، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتًا في الأرض؟ قال: اللهم لا قال: إن لي بيتا بمكة فأته ، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت ، وقال للأرض فأبت ، فقال للجبال فأبت ، فقال لقابيل فقال: نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ، فلما انطلق آدم وقربا قربانًا وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك ؛ هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي ، فلما قربا ، قرب هابيل جَذَعَة سمينة وقرب هابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي! فقال هابيل: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ... إلى قوله فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رءوس الجبال ، وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات ، وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفنه ؛ فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه

قال: يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ، فهو قول الله تبارك وتعالى فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ...) إلى آخر الآية. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله: (عَرَضْنَا الأَمَانَةَ) بعض معاني الأمانات لما وصفنا. وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا). (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) يعني قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله. وعن الضحاك في قوله: (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ) قال آدم: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) قال: ظلومًا لنفسه جهولاً فيما احتمل فيما بينه وبين ربه. وعن علي عن ابن عباس (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) غر بأمر الله. وعن سعيد عن قتادة: (إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) قال: ظلومًا لها يعني الأمانة جهولاً عن حقها).هـ. والحقيقة أن المتأمل في أغلب أحوال الناس اليوم يجدهم قد ضيعوا الأمانة ، وفرطوا فيما توجبه هذه الأمانة من الواجبات! من أجل ذلك كانت هذه التذكرة!)

21 - أمانة صاحب الحانوت

(ص 29 من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري ، قصة الحفيد مع جدته لأمه ، حيث عاش معها صغيراً. ثم كتبت له بيتها كاملاً. ووضعت الورق عند صاحب حانوت يمني. فلما ماتت دخل صاحب السبعين خريفاً على القاضي يقبض بيمينه شاباً صغيراً ، وتقدمهم حضرمي كريم أمين فقال هذا الصبي الباكي الحزين: ردوا عليّ جدتي ولا أريد شيئاً ، وقال جده لأبيه: إن حفيدي هذا كان عند جدته لأمه ، وكان يرعاها ويعولها ويخدمها حين مرضت في المستشفى ، ولأن أم الطفل زوجة ولدي وهو على خلاف شديد معها فقد فارقها ولدي ، ثم تزوجت برجل آخر وهي عاقة لأمها ظالمة لها ، وابني أيضاً ضائع وتائه لا كرامة عندي له ، ولهذا فإن هذا الحفيد سيكون في قبضتي والله يعينني عليه ، ولكن جدته خلفت عقاراً لا تملك سواه ، وقد وهبته في حياتها لهذا الحفيد ولا يزال قاصراً ، وخشيتْ إن أعطته أوراق الدار أو نحوها أن تخون أمه الأمانة فتسرق منه الأوراق وتزورها أو تأخذ البيت منه قصراً ولا يستطيع له نصراً ولا منها انتصاراً ، فولت وجهة هذا الحضرمي الكريم الأمين وأعطته هذه الأوراق التي لا ندري ما فيها ، وجاءت بنتها كشيطان تلبس لباس امرأة تزمجر وتولول وتسب وتسخط وتشتم أمها ورائحة العقوق تفوح كريهة مؤذية ، وبالفعل تقدّم الحضرمي بخطوات واثقة وقال للقاضي: أيها الشيخ الجليل هذه المرأة في حال عافيتها قبل سنين أتت إليّ في بقالتي وهي تسكن قريبا منها ، وقالت: إني أستودعك هذه الأمانة بسرارها ووكائها ، وأنشدك الله أن لا تطلع عليها وعلى ما فيها ، وأن لا تسلمها لكائن من كان من أقاربي ، وأن تعطيها للقاضي في يده تأمره أن يحافظ على ابني وعليها ، فإذا وصلتْ إلى القاضي فقد وصلت إلى الأمان ، لأني لا أثق في أولادي ولا أثق في ابنتي ولا في أقاربي ، ولم يكن لها غير ابنتها يومئذ وبني عم هم أبعد الناس عنها وأشدهم غضباً عليها ، فأخذ القاضي تلك الأوراق بوكائها وسرارها وعفاصها ، وفكها وفلها ، ورأى الحرص الشديد من تلك العجوز ، فإذا فيها كلام يسيل الدموع الجارحة ، كلام تهتز له القلوب المؤمنة تقول فيها نصياً: أيها القاضي سلام الله عليك! أما بعد: فإن ابنتي بجرة مؤذية لم تعرفني منذ عشر سنين ، وقد فارقها زوجها بعد أن أنجبت له هذا الطفل الذي ألقوه في داري طفلاً صغيراً فربّيته وأكرمته وعلمته التوحيد وأمور الدين وحُسن الأخلاق ،

ولأنني أعلم أن والد هذا الطفل أيضاً تائه كأمه ، ولأن هذا الطفل قد أحسن إليّ وأكرمني بحسن خلقه وخِدمته لي ، فقد وهبته بيتي الذي أقطنه ، وجعلته مِلكاً له يسكن فيه إذا احتاجه أو يؤجره ، واعلم أيها القاضي أن بيتي هذا أمانة وأنا لا أملك من الدنيا شيئاً سواه ، وقد سددتُ الديون التي عليّ ، وما يقوله صاحب البقالة من ديون عليّ فإنه صادق فتعطى إياه من هذه النقود التي هي ميراثي ، ثم نظر القاضي إلى مجموعة قليلة من النقود ، وعدّها بيده وسأل هذا الحضرمي ألك عليها دين؟ قال: نعم ، ولكنه قليل وقد سامحتها فيه الدنيا والآخرة فلا أريده ، وسلم القاضي المبلغ للورثة على قسمة الله تعالى ورسوله ﷺ وخرجوا يسبون ويشتمون هذه المرأة الميتة ، وأما الطفل الصغير فقد سُلم أوراقه بعد أن وثقها التوثيق الشرعي وسلمها لجده ، وأخذ القاضي عليه العهود والمواثيق أن يحافظ عليه ، فكان الجد نعم الأب حافظ على ابنه وعلمه ووجهه ابتغاء وجه الله).هـ. والحقيقة أنني كلما تذكرت موقف هذه العجوز بطلة قصتنا الثانية أكبرتها ، (إذ بطلها الأول هو اليمني صاحب الحانوت) ، فعلى رغم كبر سنها لم تخرف ولم تظلم كما قد يتصور البعض ، بل كان تصرفها هذا يروي شجرة الفضيلة والقيم ، ذلك أنها أكرمت اليتيم ولم تقهره. ولمّا طالعت القصة احترت بمن أعجب وكيف أكتب؟ وكانت هناك تساؤلات كثيرة في نفسي: فلقد احتوت القصة على مجموعة من الأحاسيس والمنطلقات العجيبة. العجوز الحكيمة في اتخاذ القرار الصائب المناسب وفي الوقت المناسب ، وأدب الصبي وأخلاقه التي حملتها على منحه بيتها ابتغاء وجه الله ، وأمانة اليمني صاحب الحانوت (الحكمة يمانية والفقه يماني والإيمان يماني) ، وعدالة القاضي ونزاهته في تنفيذ وصيتها بحذافيرها ، والجد الصادق في شهادته. وفي نهاية المطاف انتصرت أمانة صاحب الحانوت لأنها كانت المرتكز والمنطلق والأساس لكل ما تلاها من الأشياء. ومن هنا رُحتُ أحيي صاحب الحانوت!)

22 - أمانة

(مردتْ هذه الزوجة الناشز على إفشاء سر زوجها ، بل والاستهزاء به آناء الليل وأطراف النهار ، والسخرية من أي عمل يعمله. ونسيتْ أو تناستْ أن حقوق زوجها أمانة سوف يسألها الله عنها يوم القيامة. روى ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا صلتِ المرأة خمسها وصامت شهرها وحصّنتْ فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت". صححه الألباني. وروى ابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدِم معاذ من الشام سجد للنبي - صلى الله عليه وسلم -! قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم! فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك! فقال: فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لغير الله لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها." صححه الألباني.)

23 - أماه

(يعود تاريخ كتابة هذه القصة لسنة 1986م ، وهذا يعني أنها من قصصي القديمة التي تسبق مرحلة الإجادة نسبياً. وكنت قد جعلتها كما هي إلا من تعديل بسيط تطلبته الضرورة الفنية. وعندما يغترب الإنسان ويعيش بعيداً عن أمه بوجه خاص وعن عشيرته بوجه عام! وتصبح الكرة في ملعب الوشاة والحاقدين والخراصين ، فحدّث ولا حرج عن الإفك والتخرص والأوهام والأباطيل التي يلفقها هؤلاء عن رجل برئ لقدر من الله تغرب عن أهله يخشى أن

يكون له نصيب من سؤال الملائكة يوم القيامة: (إن الذين توفاهمُ الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً). فليخفف هؤلاء الكاذبون الأفاكون من حربهمُ الكلامية وليكفوا عن كيل الاتهامات بالباطل. ولا أقول عن نفسي: (لست بالمُصِر!) ولكن يعلم ربي بالنية والقصد والسبب الذي من أجله كان الاغتراب. ويشهد ربي على الأعمال والأقوال والدموع والتضرع إليه وحده ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً. إن عوامل كثيرة ساعدت على هذا المصير. وإنني إذ أقدم لهذه القصيدة لا أكاد أجد من الكلمات التي بها أصدر لهذه القصيدة. فليكن عزائي أنني عنونت لها بـ (أماه). إنه ساعة يتذكر إنسان ما اللحظات الأولى في حياته عندما أخرجه الله وليدا من بطن أمه ، وطبيعي أنه لا يتذكرها بل يحكيها له الذين شهدوها ، وتحكيها بكل صدق وشفافية وصراحة الأم لأنها عاشتها لحظة بلحظة وثانية بثانية! ويتذكر مع هذه الذكرى المحكية له ذكريات تربيته التي مهما أدى لأمه من بر وجميل ومعروف ما أدى جميلها عليه ولا بزفرة من زفرات المخاض! وعلى وجه العموم فإن الأم تظل تحب ولدها أكثر من أي أحد! وهذا رجل يماني يطوف بالبيت ، يحمل أمه العجوز على ظهره ، ويطوف بها بالبيت ، من منا يفعل هذا؟ ومن منا يتصور هذا قبل أن يفعله؟ يحمل أمه على ظهره ثم يطوف حول البيت ، هل وصلنا بالبر إلى هذا المستوى؟ هل وصلنا بطاعة الوالدين وحبهما إلى هذه الدرجة؟ يحملها على ظهره فيطوف بالبيت! فيرى ابن عمر ذلك الرجل الصحابي الفقيه ، فقال له: (يا ابن عمر ! أتراني جزيتها؟ - تراني بهذا الفعل جزيت حق أمي وأرجعت لها الحقوق؟ - فقال له ذلك الرجل العالم ابن عمر: لا. ولا بزفرة من زفراتها ، ولا بطلقة من طلقاتها حين وضعتك من بطنها). وهذه قصة يرويها أحد بائعي المجوهرات يقول: دخل عليَّ في المحل رجل ومعه زوجته ، وخلفه أمه العجوز تحمل ولده الصغير! أربعة دخلوا في المحل ، يقول: وأخذت زوجته تشتري من المحل ، وتشتري من الذهب ، وتأخذ من المجوهرات ، ثم قال له هذا الرجل للبائع: كم حسابك؟ فقال له: عشرون ألف ريال ومائة! فقال هذا الرجل: ومن أين جاءت هذه المائة؟ نحن حسبناها عشرين ألف ، من أين هذه المائة ريال؟ من أين جاءت؟ قال: أمك العجوز اشترت خاتماً بمائة ريال ، قال: أين هذا الخاتم؟ قال: هو ذا ، فأخذ ابنها الخاتم ثم رماه إلى البائع ، وقال: العجائز ليس لهن الذهب ، ثم لما سمعت العجوز تلك الكلمات ، بكت وذهبت إلى السيارة ، فقالت زوجته: يا فلان! ماذا فعلت؟ لعلها لا تحمل ابنك بعد هذا. لعلها لا تحمل لنا الابن ، كأنها أصبحت خادمة ، فعاتبه بائع المجوهرات ، ثم ذهب إلى السيارة وقال لأمه: خذي الخاتم إن كنت تريدين ، خذي هذا الذهب إن أردتيه ، فقالت أمه: لا والله لا أريد الذهب ، ولا أريد الخاتم ، ولكني أردت أن أفرح بالعيد كما يفرح الناس ، فقتلت سعادتي سامحك الله! سامحك الله يا ولدي! (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فبعد التوحيد والعبادة ، ماذا يا ربنا؟ (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ). عموماً هذه القصة أنا غير راض عنها تمام الرضا! ولكنني أوردها كما كتبتها في بدايات كتابتي للقصة! وإن بدا عليها بعض آثار الضعف الفني ، ولكنني فخور بها أنها محاولة في بداية الطريق!)

24 - أمة اقرأ أولى بهذا

(دُعِي الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو إلى حفل على مستوى راق من طبقات الشعب الفرنسي. فصافح الحضور جميعاً ورحب بهم بعبارات ظريفة. وفجأة يلتزم أحدهم ويقبل رأسه ويده اليمنى ويده اليسرى ويعانقه طويلاً. فسألوه في ذلك قائلين: صافحت الوزير والمهندس والصيدلي والفلكي والجيولوجي والبيولوجي والمدير والضابط والكيميائي والفيزيائي وغيرهم مصافحة عادية ، حتى إذا صافحت هذا خصصته بما رأينا فلم؟ فأجاب: لأن هذا معلم ، ومن تحت يديه تخرّج هؤلاء جميعاً). إن مكانة المعلم اليوم قد نيل منها ، للحد الذي امتهن فيه المعلم امتهاناً لم يعرف التاريخ مثله. وبوصفي معلماً أمارس مهنة التربية والتعليم قرابة العقدين ونصف العقد ، رحت أتساءل: لماذا وصل الحال بالمعلم إلى هذا الحد المُزري المضحك المبكي؟ هل هي فقط المؤامرة العالمية على التعليم في ديارنا؟ وإن كنت لا أنكر ذلك ولكنني أقول: هل هي المؤامرة وحدها السبب؟ إن المؤامرة على ضرب التعليم خطيرة ولا شك ، وقد ساهمت بنصيب الأسد في ازدراء المعلم والنيل منه. ولكنني أقطع بأننا إن قلنا بأنها المؤامرة وحدها فقد جعلناها شماعة نعلق عليها الممارسات السيئة المسيئة للمعلم في ديارنا. إن هناك عوامل وأسبابا أخرى أورثت المعلم هذا الازدراء والاحتقار في المجتمع. إن دور بعض الإدارات الفاشلة في بعض المدارس - خاصة المدارس الخاصة حيث يغيب دور الرقابة والمساءلة – قد أودى بالمعلم كذلك (حيث تقوم هذه الإدارات الفاشلة بجعل المدارس أشبه ما تكون بحلبات الصراع بينها وبين معلميها. فلا يكون هناك أمن وظيفي للمعلم ، بل قلق واضطراب ، حيث يشعر المعلم أن دوره فقط تنفيذ أوامر المدراء الفاشلين المتسلطين ، وليس إثراء العملية التعليمية وتطوير الطلاب والنهوض بمستواهم العلمي والمعرفي والأخلاقي والسلوكي. يضاف إلى ذلك عملية تدني الرواتب المتعمدة مما يجعل الكثير من المعلمين يزهدون في هذه الوظيفة التي لا تقيم شأنهم بين الناس. وانعدام من ترفع إليه الشكوى للنظر فيها لإنصاف المعلم. إن فيكتور هوجو عنى بقوله هذا المعلم ذا الرسالة لا الوظيفة ، وفرق ما بينهما كالفرق بين الثرى وبين الثريا. إن المعلم صاحب الرسالة يمكن أن يضحّي بالكثير من أجل تحقيق رسالته. وأعود فأقول: ولكن لهذا المعلم بيت وأسرة وأولاد لهم مطالب واحتياجات ، فإذا كانت وظيفته أو رسالته على حد سواء لا تفي باحتياجاته هو وأسرته فعلى الرسالة السلام! نعم يا فكتور هوجو: من تحت يد المعلم تخرّج الكل ، وربما لأنكم تحترمون التعليم قلت في أبناء جلدتك ما قلت ورأيت ما رأيت. وأنا أقولها بصدق: إن أمة (اقرأ) أولى منك بهذا. إن آيتكم التي تفاخرون بها وهي ثابتة في كتبكم: (أطفئ سراج عقلك واتبعني!). وآيتنا التي نفاخر بها: (اقرأ باسم ربك الذي خلق). ومن هنا فنحن أولى باحترام المعلم ، وتذليل الصعاب أمامه ، والإغداق عليه ، والتدخل العادل لحمايته من مافيا الإدارات الفاشلة الجاهلة المتغطرسة ، التي هضمته حقه ، ونالت من كرامته ، وأغرت به السفهاء ، حيث إنها تعتبر المدارس التي تتولى إدارتها أشبه ما تكون بالمزارع التي ورثوها عن آبائهم ، والمعلمين عبيداً اشتراهم آباء هؤلاء المدراء ليعملوا في هذه المدارس!)

25 - مسؤولية أمة الإسلام

(لقد خسرَ العالم بانحراف المسلمين عن دينهم خسارة كبيرة ، فصّلها أبو الحسن علي الندوي في كتابه المسمى بـ: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) وأزيد الأمر وضوحاً فأقول بأن خسارة المسلمين أنفسهم كانت أكبر وأفدح من خسارة غيرهم! وكان الأحرى بالمسلمين أن لا ينحطوا ذلك الانحطاط كيلا ينحطوا وينحط العالم بأسره لانحطاطهم! ومن هنا تبدو مسؤولية أمة الإسلام عن انحطاطها وانحطاط العالم من حولها! ونسأل الله أن يقيل عثرتها وتصبح قوية فتية!)

26 - أمة تذبح وعالم يتفرج

(إن دور العالم هو تقديم النصيحة وبيان الحق ابتغاء وجه الله تعالى. وهو يبين الحق عليه أن يسوق الأدلة من كتاب الله وسنة ورسوله – صلى الله عليه وسلم – حتى يتبعه من يريد وعلى بينة ويعرض عنه من يريد وعلى بينة كذلك. كتب الأستاذ / وحيد عبد السلام بالي - حفظه الله - كتابه البديع العظيم: (المتهم الأول) ، ولفت انتباهي عنوانه فاشتريته وتصفحته وأهديته وانتفعت به ، وهو يحسم القضية في شأن صنم التلفاز الذي يدين له أغلب أهل الأرض اليوم من أهل الجاهلية ، وقد تحدث علماء كثيرون عن التلفاز لكن لم يوفقوا إلى حسم القضية كالأستاذ / وحيد بالي ، قاهر كل من شياطين الإنس والجن بفضل الله عز وجل. والذي عناه الأستاذ وحيد هو البرامج والمواد الصوتية المرئية في التلفاز! وليس كما يفهم السفهاء والمتنطعون: أن الرجل يحكم في كتابه على صندوق من الفيبر جلاس وبداخله ميكرفون وشاشة ولمبات صوت ولمبات صورة ومحول ويخرج منه سلك ليوصله بالكهرباء! إن هذه الأشياء لا يمكن الحكم على اقتنائها في ذاتها بالحل أو بالحرمة! إنما الحكم علة ما يقدم عبرها من مواد إعلامية! قال محمد المنجد عن النصيحة في خطبة له: (إن النصيحة تنقذ المسلم ، كما قال العبد الصالح لموسى لما جاء من أقصى المدينة يسعى: (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِين) ، إن النصيحة تنقذ الإنسان من زواج فاشل ، كما إذا استنصحك في أمر امرأة سيقدم على الزواج منها ، وأنت تعلم أنها لا تصلح له ، فإنك تنقذه بنصيحته ، وكذلك ولي المرأة إذا استنصحك في حال شاب تقدم إليهم ، فقد تكون النصيحة منقذة من كارثة ستحل بهذه الفتاة لو تزوجها ذلك الفاجر المتخفي الذي يخادعهم ، فالنصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عظيمة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه). لقد ضاعت النصيحة بسبب انقلاب المفهوم والخوف من الكلام الذي سيأتي من الطرف الآخر ، ولما صارت القضية عندنا إرضاء الناس ، ولو سخط الله عم كثير من الشر والفساد ، صرنا نخاف أن نتدخل في شأن رجل على منكر ، صرنا نخاف أن نوجه كلمة حق إلى إنسان في شر واقع فيه).هـ. ومن هنا فالأستاذ وحيد بالي حريص على هداية الناس بالدليل الواضح!)

27 - امتَهنوا فما امتُهنوا!

(إن امتهان الإنسان بمهنةٍ ما تجعله في عِزةٍ ومَنعةٍ. فلا يمكن لأحد أن يضيّق عليه ، أو يُكرهه على التنازل عن شيء من مبادئه أو قيمه ، أو يجعله يطوع دينه لخدمة من يعطيه وينتظر نواله. ومن هنا حرص فقهاؤنا وعلماؤنا وأدباؤنا من ذوي العلم والرسالة في الحياة ، على أن يتخذ كل منهم مهنة يرتزق منها الرزق الحلال الذي يُعزه عن أن يتنازل أو يطوّع ، أو يأكل بعلمه أو بدينه أو بأدبه نثراً أو شعراً ، أو يُحرّف الكلم كتاباً أو سُنة عن مواضعه ليرضي ذوي الأموال والإمرة. أو يكون دوره في هذه الحياة إضفاء الشريعة على انحرافات الجاهلية أو يلوي أعناق النصوص طلباً للحظوة عند عِلية القوم ، أو كتمان الحق وعدم إبلاغه خوفاً على الوظيفة الارتزاقية التي لا يعدل التمسك بها ألف سنة غمسة واحدة في جهنم. ومن هنا كان العلماء على ضربين: ضرب هو صاحب رسالة بل ومهمة في الحياة ، وهذه الرسالة هي حماية هذا العلم ونشره في العالمين مهما جرى. والضرب الثاني مرتزقٌ يبيع في سبيل الدينار نفسه قبل علمه أو دينه أو أدبه. ولقد استقرأتُ التاريخ ، وقمتُ بعمل دراسة على علمائنا وأدبائنا ومربينا وقرائنا وفقهائنا ، هناك في القرن الثاني والثالث الهجريين ، فوجدتهم كانوا حريصين كل الحرص على عدم التكسب بالعلم أو بالدين أو بالأدب. بل كان معظمهم يمتهنون المهن الشتى ، ويحترفون الحِرف المنوعة ، ويعملون الأعمال المختلفة ، ويشتغلون بالصنائع المتباينة ، بعيداً عن ساحة التكسّب بالعلم أو بالدين. والحديث عن حرف ومهن القدوات والأسوات من الأنبياء والرسل يطول! فهذا هو آدم عليه السلام كان يعمل في مجال الزراعة ، فهو أول مهندس زراعي ماهر على الكرة الأرضية ، وقد كان يقوم بكل مهام الزراعة التي تقوم بها الآلات والتكنولوجيا الآن ، وكانت زوجته حواء تساعده على القيام بذلك ، حيث يقوم بحراثة الأرض بيده والقيام بجميع المهام ، ويقال أيضًا أنه كان يقوم بتصنيع جميع الآلات الزراعية التي يحتاج إليها في الزراعة بنفسه. فضلاً عن أنه كغيره من الأنبياء والرسل كان يرعى الغنم! بنص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الثابت عند البخاري من حديث أبي هريرة: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم). (ونوح عليه السلام كان نجاراً محترفاً يقوم بصنع جميع الأدوات من الخشب وهو من قام بصنع السفينة التي أمره الله تعالى بصنعها. وصالح عليه السلام كان يعمل في تربية الإبل ، وقد كان يشرب الحليب ويبيعه حتى يحصل على الرزق وهو صاحب الناقة الشهيرة التي ذكرت في القرآن الكريم. ولوط عليه السلام كان مؤرخًا كبيرًا وقد كان يسافر من بلد إلى آخر دائمًا ، أنه الأب الأكبر لجميع المؤرخين. وموسى عليه السلام كان راعيًا للغنم وخادم لسيدنا شعيب عليه السلام. فقد كانت خدمة شخص عظيم مثل سيدنا شعيب هي واحدة من مهن الأنبياء الرائعة أيضًا. وداوود عليه السلام كان قائدًا وصانعًا للحديد والمدرعات ، وقد قام داوود عليه السلام بتأسيس جيش كامل وهزم به جالوت. وإدريس عليه السلام هو أول من ابتكر الإبرة ، وقد كان يعمل خياطًا وقد كان يخيط الملابس بأنواعها ، كما أنه هو أول من قام بصناعة الصحف وكتب بقلمه فيها. وهارون عليه السلام كان وزيرًا لأخيه سيدنا موسى عليه السلام ، يساعده في أداء رسالته العظيمة ، وكان موسى عليه السلام يستشيره في مختلف الأمور لأنه كان يثق به وبآرائه الحكيمة كثيرًا ، وبالفعل قام هارون بدوره على أكمل وجه وأصبح عونًا لأخيه. ومحمد صلى الله عليه وسلم كان راعيًا للأغنام في بداية حياته ، ثم اشتغل بالتجارة بعد ذلك وأصبح يبذل الكثير من الجهد فيها ومن ثم برع فيها وحقق نجاحًا كبيرًا. والياس عليه السلام كان نساجًا كبيرًا للملابس والأقمشة. وإسماعيل عليه السلام

كان يعمل في مهنة الصيد وقد كان صيادًا محترفًاً يعتمد على الصيد في كسب الرزق ، وهو قائد الصيادين. وقد كان يعقوب وإسحاق وشعيب يعملون في مجال رعي الأغنام ، أما إبراهيم فقد كان تاجرًا للملابس والأقمشة. ولقمان عليه السلام هو أبو الأطباء ، وقد كان يعمل كطبيب ومعالج يستخدم الكثير من الأدوية في العلاج. وإبراهيم عليه السلام هو تاجر أقمشة وهو أيضًا مهندس معماري محترف استعان به سليمان لبناء الكعبة. ويرى الأستاذ أحمد مراد أن العمل عبادة وفريضة شرعية فيقول ما نصه: (شدد العلماء على أهمية منزلة العمل في الإسلام ، مؤكدين أن الدين الحنيف يجعل صاحب العمل مثله مثل المجاهد في سبيل الله. وأوضح العلماء أن الإسلام ينظر إلى العمل كقيمة في حد ذاته ، ومكمل لإيمان المرء ودليل على صدق اعتقاده وضرورة للمعاش وتنمية البشر ، مؤكدين أن السعي على الرزق يعد من العبادة ما دام صاحبه قد نوى به القيام بواجباته نحو من يعول وإغناء نفسه عن العوز ومذلة الحاجة والسؤال. ودعا العلماء إلى ضرورة إتقان العمل ، باعتباره قيمة توصل العبد إلى محبة الله تعالى ، مشيرين إلى أن الإتقان والحث عليه ليس مقتصراً على أمور العبادة فحسب ، بل يمتد حتى يصل للأمور الدنيوية. قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...) ، والعمل بهذا الخطاب القرآني يعد فريضة ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن أفضل ما يأكله الإنسان هو ما كان من عمل يده ، حيث قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» ، وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثالاً بداود لأنه كان ذا مال وكان من الممكن أن يكتفي بما عنده فلا يعمل ، ولكنه مع هذا كان حريصاً على العمل ؛ لأن العمل عبادة وشرف وحق ، ولأن الحياة لا تنهض إلا بمشاركة جميع أبنائها وعملهم في عمارة الحياة وبنائها).هـ. ولسوف أذكر في صدر قصيدتي هذي بعض الأمثلة والنماذج على هؤلاء الأفذاذ الأبطال الأمناء. وذلك لأدلل على صدق ما أذهب إليه ، من هذا العنوان الذي أعنون به لهذه القصيدة (امتهنوا ، فما امتهنوا!) ، حيث كانت المهن والحرف والصنائع سر عزتهم وشرفهم وسؤددهم بعد الإيمان بالله والإخلاص له وحسن متابعة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ. أضرب لذلك أمثلة: * يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور (أبو زكريا الفرّاء المحدّث والفقيه الحنفي) كان بائع فراء. ما ارتزق بالعلم. * حجاج بن المنهال البصري (أبو محمد) وكان محدّثاً كبيراً. كان يعمل سِمساراً ، يتوسّط بين بائع ومشتر بأجر. * حجين بن المثنى اليماني (أبو عمر) المحدّث ، كان تاجر لؤلؤ. * يونس عبيد بن دينار العبدي المحدث. كان بزازا أي يبيع القماش. * داود بن دينار بن عذافر (ابن أبي هند) المحدّث ، كان خياطاً. * عبيد بن أبي المية الطنافسي الفقيه الحنفي ، كان بائعا. * إسماعيل بن أبي خالد البجلي المحدّث ، كان طحانا. * جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المحدث ، كان تاجراً. * سليمان بن مهران الأسدي المحدث ، كان تاجرا. * عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المحدث كان تاجراً. * محمد بن إسحق بن يسار المحدّث كان يربّي الديوك ويبيعها ويلعب بها. * النعمان بن ثابت التميمي (أبو حنيفة) إمام المذهب الحنفي ، كان بزازاً. * ذكوان بن عبد الله الغطفاني المحدّث كان يبيع الزيت والسمن. * القاسم بن مخيمرة الهمداني المحدث ، كان تاجراً. * جابر بن زيد الأذدي المحدث وهو المعروف بأبي الشعثاء ، كان سمساراً. * مؤرّق بن المشمرج العجلي (أبو المعتمر) المحدث الفذ كان تاجراً. * محمد بن سيرين الأنصاري المحدث التابعي المعروف ، كان تاجراً. * حماد بن أبي سليمان بن مسلم المحدّث ، كان تاجراً. * عثمان بن عاصم بن حصين المحدّث ، كان تاجراً متمرّساً. * إبراهيم بن مروان المروزي المحدث ،

كان صانعاً حاذقاً. * مالك بن دينار الشافعي المحدّث الفقيه ، كان ينسخ المصاحف. * منصور بن المعتمر السلمي المحدث ، كان تاجراً. * أيوب بن مسكين الواسطي التميمي المحدث ، كان قصاباً. * محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المحدث الفذ ، كان تاجراً. * علي بن موسى بن جعفر الصادق المالكي المعروف ، كان تاجراً. * عبد الوهاب بن عطاء العجلي المحدث كان خفافاً أي صانع خفاف أي نعال. * محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (الإمام الشافعي) كان تاجراً. * سليمان بن داوود بن الجارود (أبو داود الطيالسي) الفقيه المالكي المعروف ، وكان بائع طيالس وهي نوع من الأكسية. * محمد بن عبيد بن أبي أمية الفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * روح بن عبادة بن العلاء (أبو محمد) ، الفقيه المالكي المشهور ، كان تاجراً. * يزيد بن هارون زاذان السلمي ، الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * الوضاح بن عبد الله اليشكري (أبو عونة) المحدّث الفحل ، كان بزازاً. * عبد الله بن المبارك الحنظلي المحدث ، كان تاجراً. * هشام بن بشير بن أبي حازم السلمي (أبو معاوية) المحدث كان تاجراً كل حياته. * المعافي بن عمران بن نفيل الأزدي المحدث ، كان تاجراً. * إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري المحدث كان مؤدباً. * عمر بن عبيد بن أبي أمية المحدث والفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * على بن مسهر القرشي المحدث والفقيه الحنفي كان تاجراً. * يوسف بن خالد بن عمير السمتي الفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * عبيد الله بن رجاء البصري المحدث كان حذاء. * عثمان بن مقسم الكندي المحدث كان بائع بُر. * نعيم بن عمرو القديدي الفقيه الحنفي ، وكان يصنع القديد. * حماد بن سلمة بن دينار المحدث والفقيه الحنفي ، كان بزازاً.* محمد بن مسلم بن المثنى المحدّث كان مؤدباً. * جرير بن حازم الأزدي المحدث ، كان تاجراً. * خالد بن يزيد الزيات الفقيه الحنفي ، كان بائع زيت. * ياسين بن معاذ الزيات (أبو خلف) المحدث والفقيه الحنفي ، كان بائع زيت. * نجيح بن عبد الرحمن السندي (أبو معشر) المحدث ، كان خياطاً. * حبّان بن علي العنزي المحدث والفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * عبيدة بن حميد بن صهيب التميمي المحدث ، كان مؤدباً. * سالم بن عياش بن سالم الأسدي (أبو بكر) المحدث ، كان خياطاً. * وكيع بن الجراح بن مليح الفقه الحنفي ، كان تاجراً. * يحيي بن سعيد بن فروخ القطان المحدث ، وكان قطاناً. * معنّ بن عيسى الأشجعي الفقيه المالكي المعروف ، كان قزازاً أي بائع حرير. * عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي التميمي المحدث كان بائع لؤلؤ. * الوليد بن مسلم بن السائب الدمشقي الفقيه المالكي ، كان بائعاً. * إسماعيل بن إبراهيم بن ميمون بن الفقيه الحنفي العملاق كان صائغاً. * على بن عاصم بن صهيب المحدث ، كان تاجراً. * عبد الله بن عون بن أرطبان المحدث ، كان صاحب مزرعة. * هشام بن أبي عبيد الله الدستوائي المحدث كان بزازاً. * سعيد بن مهران العدوي (ابن أبي عروبة) المحدّث المشهور كان ينسخ المصاحف. * حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات المحدث كان تاجراً. * محمد بن عبد الرحمن بن الصغيرة (ابن ابي ذويب) المحدث ، كان تاجراً. * عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المحدث كان كاتباً. * عمران بن داوود القطان المحدث كان قطاناً. * سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المحدث الفقيه كان تاجراً. * داوود نصير الطائي المحدث الفقيه ، كان تاجراً. * شيبان بن عبد الرحمن التميمي المحدث ، كان مؤدباً لأبناء الأمراء. * أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي النجاد ، الفقيه الحنبلي كان نجاداً أي (ينجّد البيوت والفرش والبسط وكذا الوسائد ويخِيطها). * أحمد بن هارون بن إبراهيم المزني (أبو العباس) الفقيه الحنفي ، كان بائع تبن. * محمد بن أبي بكر بن محمد بن داسة الفقيه

الحنفي ، كان بائع تمور. * محمد بن القاسم بن بشار بن الحسين بن الأنباري (أبو بكر) الفقيه الحنبلي ، كان مؤدباً. * أبو محمد الشعراني الفقيه الحنبلي ، كان بائع شَعر. * يحي بن هلال الورّاق الفقيه الحنبلي ، كان ورّاقاً. * أحمد بن المنذر بن بدر المغازلي ، الفقيه الحنبلي ، كان يعمل المغازل. * إبراهيم بن إبراهيم بن إسحق الثقفي السراج الفقيه الحنبلي ، كان سرّاجاً أي يعمل (السرُج التي توضع على الخيول). * محمد بن غالب بن حرب الضبي (تمتام) الفقيه الحنبلي كان بائع تمر. * أحمد بن محمد بن بكر بن خالد القصير الفقيه الحنفي ، كان بزازاً. * عبيد بن عبد الواحد بن شريك (أبو محمد البزاز) الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. (يوسف بن موسى الحربي العطار الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * محمد بن يونس بن الكديمي القرشي (الفراء) الفقيه الحنبلي كان فراء. * إدريس بن جعفر بن يزيد بن خالد (أبو محمد العطار) الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم الفقيه الحنفي ، كان لؤلؤياً. * عمر بن إبراهيم أبو الآذان البغدادي الفقيه الحنفي ، كان زجّاجاً. * أحمد بن علي بن مسلم الأبار ، كان أباراً أي كان يعمل الإبر التي يُخاط بها ، على أنه كان فقيهاً حنبلياً فذاً. * أسلم بن سهل بن مسلم الرزاز الفقيه الحنفي ، كان بائع أرز. * إدريس بن عبد الكريم الحدّاد البغدادي الفقيه الحنبلي ، كان حدّاداً. * إسماعيل بن إسحق بن إبراهيم بن مهران الفقيه الحنبلي ، كان سرّاجاً. * موسى بن هارون الحمال (أبو عمران) الفقيه الحنبلي ، كان حمالاً. * هارون بن عيسى الخيّاط الفقيه الحنبلي (أبو محمد) كان خياطاً. * محمد بن حنيفة بن ماهان القصبي الفقيه الحنفي ، كان بائع قصب. * محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الفقيه الحنبلي ، كان مطيّناً (أي بناء يبني البيوت بالطين اللبن أو المحروق). * أحمد بن نصر الخفاف النيسابوري الفقيه الحنبلي الجهبذ ، كان خفافاً. * عباس بن محمد بن عيسى الجوهري الفقيه الحنبلي ، كان جوهرياً. * إسماعيل بن بكر السكرى الفقيه الحنبلي ، كان سكرياً (أي يبيع السكر). * محمد بن عبد الله بن عبيد الزعفراني الفقيه الحنفي ، كان بائع زعفران. * محمد الآدمي الفقيه الحنبلي كان بائع جلود. * محمد بن عيسى الجصّاص الفقيه الحنبلي المعروف كان جصاصاً. * محمد هارون الجمّال ، الفقيه الحنبلي ، كان جمّالاً. * على بن أبي صبيح السواق الفقيه الحنبلي ، كان سوّاقاً أي يبيع السّوِيق. * أبو داود الخفاف الفقيه الحنبلي كان خفافاً. * عبد الرحمن المتطبب الفقيه الحنبلي (أبو الفضل البغدادي) كان طبيباً. أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء ، الفقيه المالكي كان وشاء أي يبيع الوشْي وهو نوع من الثياب المعمولة من الإبريسم أي الحرير. * رويم بن أحمد بن يزد بن رويم من الظاهرية كان حارساً. * محمد بن خلف المرزبان الفقيه الشافعي ، كان آجُرِّياً أي يعمل الآجُرّ ويبيعه. * أحمد بن الحسين البردعي الفقيه الحنفي ، كان بائع جلود. *علي بن الخواص الفقيه الحنبلي كان خواصا أي ينسج الخوص من سعف النخيل لعمل المراوح وغيرها. * الحسن بن محمد الأنماطي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * عمر بن بكار القافلاني الفقيه الحنبلي كان يعمل قافلانياً أي يشتري السفن الكبار ويُكسّرها ويبيع كل الأخشاب التي بنيت منها ويبيع قيرها وقفلها. * الحسين بن إسحق الخِرقيّ الفقيه الحنبلي ، كان بائع خرق. * موسى بن عيسى الجصّاص الفقيه الحنبلي ، كان جصّاصاً. * عبدوس بن مالك العطار الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * علي بن حرب الطائي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنبلي كان صيرفياً. * إبراهيم بن أرومة الأصبهاني (أبو اسحق) الفقيه الحنبلي كان طحّاناً. * الحسن بن منصور الفقيه الحنبلي ، كان جصّاصاً. * محمد بن عبد الملك القيقي الفقيه الحنبلي كان بائعاً.

* الحسن بن علي بن عفان العامري الفقيه الحنفي كان خواصاً. * سندي أبو بكر الخواتمي البغدادي الفقيه الحنبلي ، كان يعمل الخواتيم. * مهنا بن يحيي السلمي (أبو عبد الله) الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * محمد بن علي بن عبد الله بن مهران بن أيوب الفقيه الحنبلي كان ورّاقاً. * علي بن سهل بن المغيرة النسائي الفقيه الحنبلي كان بائع بذور. * محمد بن عبد الله بن يزيد المنادي الفقيه الحنبلي ، كان منادياً أي ينادي على الأشياء المفقودة بالأجر. * الحسن بن علي الإسكافي الفقيه الحنبلي ، كان إسكافياً أي يصنع الأحذية ويُصلحها. * عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران العاقولي الفقيه الحنبلي كان قطاناً. * إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي الفقيه الحنفي كان قصّار ثياب أي يُقصر الثياب ويدقها بالقصرة وهي قطعة من الخشب. * جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ الفقيه الحنبلي كان صائغاً. * أحمد بن أبي خيثمة بن زهير بن حرب الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * حرب بن إسماعيل الكرماني (أبو محمد) الفقيه الحنبلي كان معلماً. أحمد بن محمد الصايغ الفقيه الحنبلي وأبو الحارث كان صائغاً. * إبراهيم بن رستم المروزي الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * عبد الرزاق بن همام بن نفاع الصنعاني الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * حسين بن محمد بن بهرام (أبو أحمد المؤدب) الفقيه الحنفي ، كان مؤدِّباً. * عبد الله بن داود الخربي الهمداني الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. إسحق بن عيسى الطبّاع الفقيه الحنفي كان طبّاعاً. * سعيد بن أوس الأنصاري الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * بشر بن غياث بن عبد الرحمن المريسي الفقيه الحنفي كان مريسياً أي صانع أحبال. *عيسى بن جعفر الصفدي (أبو موسى) الفقيه الحنبلي ، كان ورّاقاً. * محمد بن أحمد واصل (أبو العباس المقرئ) الفقيه الحنبلي ، كان طبّاعاً. * أحمد بن حرب بن مسمع بن مالك الفقيه الحنبلي ، مزارعاً. * يحيي بن يزداد الوراق (أبو الصقر) الفقيه الحنبلي ، كان ورّاقاً. سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني (أبو داود) الفقيه الحنبلي المعروف ، كان تاجراً. * محمد بن عبدك القزاز الفقيه الحنبلي ، كان قزازاً. * محمد بن الجهم بن هارون السامري الفقيه الحنفي ، كان كاتباً. * محمد بن الحسين بن موسى الحنيني الفقيه المالكي ، كان بزازاً. * سليمان بن شعيب بن سليمان الكيساني الصفار الفقيه الحنفي ، كان صفاراً. * عفان بن مسلم بن عبد الله الأنصاري الفقيه الحنبلي ، كان صفاراً أي صانع الأواني الصفرية أي النحاسية. * سليمان بن داود الفقيه الشافعي ، كان تاجراً. * الفضل بن دكين التميمي (أبو نعيم) الفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * الحسن بن الربيع الفقيه الحنفي ، كان بورائياً أي يعمل البواري وهي البسط تبسَط في الدور ويُجلس عليها. * هشام بن عبيد الله الرازي الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * أحمد بن داوود حدّاد الفقيه الحنبلي ، كان حداداً. * هشام بن عبد الملك الطيالسي الفقيه الحنبلي ، كان بائعاً. * محمد بن عيسى بن نجيح الفقيه المالكي ، كان طباعاً أي يصنع السيوف من الحديد. * عبد الغفار بن داود بن مهران البكري الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * عبد الملك بن مسلمة الأموي (أبو مروان) الفقيه المالكي ، كان قزازاً. * سعيد بن سليمان الضبّي الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * صالح بن إسحق الجرمي الفقيه الحنفي كان تاجراً. * يحي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الفقيه الحنبلي كان قطاناً. * مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * عبد الله بن أبي حسان اليحصبي الفقيه المالكي ، كان تاجراً. * خلف بن هشام بن ثعلب الرازي الفقيه الحنبلي ، كان بائع بذور. * الوليد بن حماد بن زياد الكوفي الفقيه الحنيف ، كان تاجراً. * إسماعيل بن سعيد بن إسحق الشالنجي الفقيه الحنفي ، كان بائع

شَعر وحبال. * أحمد بن عمر بن الصباح الرازي الفقيه الشافعي ، كان خيّاطاً. * سلمة بن الجارود بن يزيد الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * إبراهيم بن موسى التميمي الفقيه الشافعي ، كان فراء. * الحارث بن شريح الخوارزمي الفقيه الشافعي ، كان بقالاً. * زكريا بن يحيي بن صالح (أبو يحيي اللؤلؤي) ، الفقيه الحنفي كان بائع لؤلؤ. * الحكم بن موسى أبو صالح البغدادي الفقيه المالكي كان بزازاً. * أحمد بن محمد بن سعيد الصيرفي الفقيه الشافعي ، كان صيرفياً. * علي بن الهيثم البغدادي الفقيه الحنفي ، كان بائع الطعام المطبوخ . * عباس بن غالب محمد الهمذاني الفقيه الحنبلي كان ورّاقاً. سليمان بن داود بن بشر المنقري الفقيه الحنبلي كان تاجراً. * عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي القواريري الفقيه الحنفي كان زجاجاً يبيع القوارير. * محمد بن بشر بن مطر الفقيه الحنبلي ، كان وراقاً. * محمد بن أبان بن عمران السلمي الفقيه الحنفي ، كان طحّاناً. * عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان القرشي (مشكدانة) الفقيه الحنبلي كان تاجراً. * قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي الفقيه الحنبلي ، كان تاجر حيوانات.* محمد بن عبد الله (أبو جعفر السمرقندي) الفقيه الحنفي ، كان حائكاً. * محمد بن إسحق بن موسى الخراساني الفقيه الحنفي ، كان بزازاً. * عبد الله بن سعيد بن كلاب الفقيه الشافعي كان خياطاً. * محمد بن عبد الله بن عمار الأزدي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * هارون بن عبد الله بن مروان البزاز الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. * الحسن بن علي بن يزيد الكرابيسي الفقيه الشافعي ، كان بائع ثياب .* أحمد بن إبراهيم بن كثير بن أفلح العبدي الفقيه الحنبلي ، كان دورقياً يعمل القلانس الدورقية ويبيعها. * أحمد بن خالد الخلال الفقيه الشافعي ، كان خلالاً يصنع الخل ويبيعه للناس بعد تصنيعه. * هارون بن سفيان المستملي الفقيه الحنبلي ، كان كحالًا وهو الذي يكحل العين ويداويها من أمراضها. * علي بن يوسف بن خالد السمتي (أبو الربيع) الفقيه الحنفي كان تاجراً. * الحسن بن الصباح بن محمد الفقه الحنبلي كان مزارعاً. * نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي الفقيه الحنبلي ، كان سمساراً. * عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع الفقيه الحنبلي ، كان وراقاً. * إسحق بن بُهلول حسان التنوخي الفقيه الحنفي ، كان صاحب مزرعة يعمل الناس فيها. * محمد بن بشار بن عثمان (بندار) الفقيه الحنفي ، كان مزارعاً. * يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد العبدي الفقيه الحنبلي ، كان دورقياً. *يوسف بن موسى بن راشد الأهوازي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * السري بن المغلس السقطي (أبو الحسن) الفقيه الحنبلي كان بائعاً. * الفضل بن زياد القطان (أبو العباس) الفقيه الحنبلي ، كان قطاناً. * محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير العمري (صاعقة) الفقيه الحنبلي كان بزازاً. * الحسن بن علي بن محمد بن يحيي بن موسى الفقيه الحنبلي ، كان قطاناً. * محمد بن عثمان بن كرامة العجلي الفقيه الحنفي ، كان وراقاً. * محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (الإمام البخاري) الفقيه الشافعي والمحدث المعروف المشهور ، كان مزارعاً. * الحسن بن الوضاح المؤدب الفقيه الحنبلي، كان مؤدباً. * عباس بن محمد موسى الخلال الفقيه الحنبلي ، كان خلالًا. * مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (الإمام مسلم) الفقيه الحنبلي والمحدث المعرف ، كان تاجراً. * أحمد بن محمد بن هاني الإسكافي (الأترم) الفقيه الحنبلي ، كان إسكافياً. * عمر بن سبة بن عبيده النميري الفقيه الحنفي ، كان ورّاقاً. * حاتم بن الليث بن الحارث بن عبد الرحمن (أبو الفضل الفقيه الحنبلي) ، كان جوهرياً. * سعدان بن يزيد البزاز ، الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. * يعقوب بن شيبة بن الصلت الفقيه المالكي ، كان تاجراً. * عبد الرحمن بن يحيي بن خاقان الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * محمد

بن إبراهيم الأنماطي (أبو جعفر) الفقيه الحنبلي ، كان بائعاً. * عبد الله بن محمد بن المهاجر الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي الفقيه الحنبلي كان مؤدباً. * العباس بن الفرج الرياشي (أبو الفضل) ، الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * الحسن بن عبد العزيز بن الحذامي الجروي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * أحمد بن الجذامي الجروي الفقيه الحنبلي ، كان حمالاً يحمل بالأجر. * حميد بن الربيع بن حميد اللخمي الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. * محمد بن عبد الملك بن زنجويه الفقيه الحنبلي. كان غزالاً. * الحسن بن علي الإسكافي الفقيه الحنبلي ، كان إسكافياً. * محمد بن حمدان حماد الصيدلاني الفقيه الحنبلي ، كان صيدلانياً. * يوسف بن يعقوب بن إسحق التنوخي (الأزرق) الفقيه الحنفي ، كان كاتباً. * محمد بن عبد الله بن الحسين العلاف المستعيني الفقيه الحنفي ، كان علافاً يبيع العلف. * الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه الحنبلي ، كان بائع أدوية. * إسحق بن إبراهيم بن موسى بن آزر الفقيه الحنفي ، كان غزالاً يبيع الغِزلان. * محمد بن عبد الله الصيرفي (أبو بكر) الفقيه الشافعي كان صيرفياً. * محمد بن مخلد بن حفص الدوري الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * الحسن بن سعد بن إدريس الكتامي الفقيه الشافعي ، كان صيدلانياً. * محمد بن القاسم بن عبد الرحمن النيسابوري الفقيه الحنفي ، كان بائع صبغ. وكان هؤلاء من فقهاء القرن الثاني وكذلك القرن الثالث من الهجرة. وكنتُ قد أوردت أسماءهم والكني الثابتة الموثقة في كتب التراجم عنهم ، فمنهم من كانت كُنيته مستمدة من مهنته التي هي جزء من عنوان قصيدتنا. ومنهم من كانت كُنيته مستمدة من محلته أو المكان الذي ولد أو عاش أو عمل أو درس فيه. ومن أراد فليطالع إذن كتب التراجم والسير والتاريخ مثل: (ابن سعد في الطبقات ـ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي – وسير أعلام النبلاء للذهبي ـ والبداية والنهاية لابن كثير- وغيرها الكثير). وسُئل الأستاذ محمد المنجد هذا السؤال: (هل كان السلف يعملون أم كانوا متفرغين للعلم؟ وما فائدة قراءة تراجم العلماء؟ أنا عندي مشكلة وهي عندما أقرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أشعر بالسعادة وحب العمل الصالح والإقدام عليه ، وكذا عندما أقرأ سير الصحابة رضوان الله عليهم ، أشعر بالحياة السعيدة عندهم في الدارين ، لكن عندما أقرأ سير السلف (أي: من بعدهم) أشعر بالحزن ، وأشعر أن الدين والالتزام به خالٍ من الحياة ، يعني: لا أشعر أن بعض السلف يعيشون الحياة كما يعيشها الصحابة ، ولذلك أجد أن الصحابة يعملون في الزراعة وغيرها مثلاً من أمور الدنيا ، بينما أجد بعض سير السلف أو كثير ممن قرأت لهم لا يوجد فيها سوى طلب العلم والحفظ والعمل دون وجود لهم في الحياة العامة وكرهم للدنيا المبالغ فيه في فهمي ـ وأعلم أن هذا من فهمي السقيم الذي أريد منكم توضيحه لي ـ. الأمر الآخر: أشعر بالتحطم إذا قرأت سير السلف الصالح لأني أشعر أنني ولا شيء مقارنة بهم ويجعلني هذا الشعور لا أعمل أحياناً فما هو السبب لهذا خلافاً عندما أقرأ في سير الصحابة رغم أني أحب جميع السلف حبّاً كبيراً والذين قدموا لهذا الدين الشيء الكبير وعلى رأسهم الإمام الليث بن سعد رحمه الله).هـ. فكان من جواب الأستاذ ما نصه: (لا شك أن ما تقوله عن واقع سلف هذه الأمة ـ ممن بعد الصحابة ـ ليس صواباً ، وليست حياتهم كالذي فهمته من قراءة بعض السير والتراجم ؛ فالسلف الصالح ليسوا مجموعة علماء عاشوا على الأوقاف والعطايا! بل إن لهم مساهمة فاعلة في بناء حضارة الإسلام ، وبناء بلدانهم ، وقد برز ذلك في تنوع أعمالهم ، ومهنهم ، فلم يكن العلم الشرعي ليمنعهم من أن يكون أحدهم تاجراً ، أو مزارعاً ، أو نجَّاراً ، أو حدّاداً ، أو قصَّاباً ، وأن يكون طبيباً ، وفلكيّاً ، فقد ساروا على ما سار عليه أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم من فهم للدين على وجهه الصحيح ، ثم تطبيق ذلك في واقعهم العملي ، وبما أنك تحب الإمام الليث بن سعد – وهو حري بتلك المحبة – فاجعل منه أنموذجاً على ما نقوله هنا ، فقد كان رحمه الله من التجار ، ولم تمنعه تجارته أن يكون من أعلام المسلمين ، وقل مثل ذلك في الإمام التاجر عبد الله بن المبارك رحمه الله. ولو أنه قُدِّر لك – أخي السائل – الاطلاع على تراجم الأئمة بدقة وتأمل: لما حصل عندك الخلل في ذلك الفهم لواقع أولئك الأئمة الأعلام ، ففي تراجم أولئك الأئمة كان يُذكر صنعة أحدهم ، أو عمله ، فيُنسب لتلك المهنة ، أو لذلك العمل ، وقد جمع بعض الباحثين ذلك في كتاب مستقل أسماه "الطرفة فيمن نسب من العلماء إلى مهنة أو حرفة" ؛ وفي هذا الكتاب قرابة أربعمائة حرفة ومهنة ، منسوبة إلى قرابة ألف وخمسمائة محدِّث ، وفقيه ، وأديب. ومن النماذج التي يمكن ذكرها ها هنا لأولئك الأعلام: * الآجرِّي ، نسبة إلى عمل الآجر وبيعه ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجرِّي ، صاحب كتاب "الشريعة". * الأنماطي ، نسبة إلى بيع الأنماط ، وهي الفرش التي تبسط ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: عثمان بن سعيد بن بشار أبو القاسم الأنماطي البغدادي الأحول. قال ابن قاضي شهبة – رحمه الله -: أحد أئمة الشافعية في عصره ، أخذ الفقه عن المزني والربيع ، وأخذ عنه أبو العباس ابن سريج ، قال الشيخ أبو إسحاق: كان هو السبب في نشاط الناس لكتب فقه الشافعي وتحفظه. "طبقات الشافعية". * البحراني ، نسبة إلى ركوب البحر ، أو قيادة السفن ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: محمد بن معمر بن ربعي البحراني القيسي البصري ، وقد روى عنه الأئمة الستة. * البربهاري ، نسبة إلى بربهار ، وهي الأدوية التي تُجلب من الهند ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري. قال ابن أبي يعلي – رحمه الله -: شيخ الطائفة في وقته ، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع ، والمباينة لهم باليد واللسان ، وكان له صيت عند السلطان ، وقدم عند الأصحاب ، وكان أحد الأئمة العارفين ، والحفاظ للأصول المتقين ، والثقات المؤمنين. "طبقات الحنابلة". * الحداد ، والحدَّادي ، نسبة إلى الحدادة ، وهي العمل في الحديد ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: محمد بن الحسين. قال الذهبي – رحمه الله -: شيخ مرو ، القاضي الكبير ، أبو الفضل ، محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي. قال الحاكم: كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا. "سير أعلام النبلاء". أما الأمر الآخر الذي تذكره في سؤالك: فهو مما يستغرب منه ؛ لأن قراءة سير أعلام النبلاء من الأئمة الأعلام تشحذ الهمم وتقوي العزيمة على العمل ، لا على التثاقل والكسل! وما تقرأه من أعمال أولئك ليس مستحيلاً على المرء أن يقتدي به ، بل يمكنه أن يعمل ، وكل بحسبه ، وكل بما يطيقه ، ففي الناس اليوم بقية من السلف الصالح في هممهم واجتهاده ، وفي الناس بالأمس من هو ظالم لنفسه ، أو مقتصد ، كما أن فيهم السابق بالخيرات بإذن الله. ولك في بعض المعاصرين من أهل العلم والزهد والطاعة قدوة وأسوة ، فها هو الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله – مثلاً – قد ضرب أروع الأمثلة في إمكان أن يكون المسلم منَّا على هدي السلف ومنهاجهم ، من الأئمة الأعلام ، في الطاعة والعبادة! فلم يُختم التنافس على التقرب من الله تعالى بانتهاء القرون الثلاثة ، نعم لهم فضلهم ، ولهم مكانتهم العالية ، لكن لا يعني هذا أنهم استأثروا بالسبق والدرجات العلى دون الباقين ؛ فالسوق قائمة والجنة قد أزلفت للمتقين ؛ لكن هل من مشمر لها؟! لذا أخي السائل لا ينبغي لك أن يصيبك اليأس من اللحاق بركب من سلف من الأئمة ، ولتجعل من قراءتك لسيرهم دافعاً نحو العمل بجد

واجتهاد ، وهذا من أعظم فوائد قراءة التراجم لأولئك العلماء ، والعبَّاد ، والمجاهدين. قال الشيخ عبد الحي اللكنوني – رحمه الله - في مقدمة كتابه "الفوائد البهية في تراجم الحنفية". وأجلها: فن تراجم الكبار ، وأخبار الأخيار ، ففيه غير ما مضى فوائد جمة ، ومنافع مهمة. منها: الإطلاع على مناقبهم وأوصافهم ونباهتهم وجلالتهم ؛ ليحصل التأدب بآدابهم والتخلق بأخلاقهم فيحشر في زمرتهم ، ويدخل فيهم وإن لم يكن منهم...ومنها: الاطلاع على آثارهم وحكاياتهم وفيوضهم وتصنيفاتهم ، فيتحرك عرق الشوق إلى الاهتداء بهديهم ، والاقتداء بسيرهم. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد – وفقه الله – في مقدمة كتابه "تراجم لتسعة من الأعلام". فإن الهمم لتخمد ، وإن الرياح لتسكن ، وإن النفوس ليعتريها الملل ، وينتابها الفتور ، وإن سيَر العظماء لمِن أعظم ما يُزْكي الأوار ، ويبعث الهمم ، ويرتقي بالعقول ، ويوحي بالاقتداء وكم من الناس من أقبل على الجِد ، وتداعى إلى العمل ، وانبعث إلى معالي الأمور ، وترقى في مدارج الكمالات بسبب حكاية قرأها ، أو حادثة رويت له....هذا ، وإن من أعظم المقاصد لكتابة تلك التراجم: بيان الجوانب المشرقة - وما أكثرها - من سير عظمائنا).هـ. وأعرف أن هذه المقدمة التي تجاوزت الصفحات طويلة ومملة ولكنني أردتُ هنا أن أثبت كيف كان أئمتنا حريصين كل الحرص على أن يتكسبوا بعيداً عن العلم حتى لا يكتموه أو يحرفوه أو يتاجروا به. وحتى لا يكون العلم في مقابل القوت! ويضاف إلى ذلك أنهم ما كانوا يستكبرون عن العمل في أي مهنةٍ مهما كانت وضيعة ، إذ المقياس عندهم هو كون هذي المهنة أو تلك مما هو حلال في الشرع أم لا. وإن كان الناس يروْنها في غاية الوضاعة والانحطاط. إن المهنة الشريفة التي يقرّها الله – تعالى - ويقرّها رسوله – صلى الله عليه وسلم - هي التي عصمت الواحد منهم عن أن يكون مرتزقاً مهيناً يبيع دينه بعرض من الدنيا حقير! ورحم الله أئمتنا أئمة الهدى ومصابيح الدجي وتقبّل منهم علمهم وعملهم.)

28 - امرأتان من صعيد مصر!

(أما الأولى فهي (هاجر) أم إسماعيل زوج الخليل إبراهيم عليهم السلام. وكانت أميرة منف المخطوبة لابن عمها الأمير ، ثم غلب على قافلتها الهكسوس الرعاة ، فقتلوا خطيبها وسبَوْها. وأصبحت من الحريم السلطاني. إلى أن أخدمها فرعون سارة فزوجتها للخليل. والثانية مارية بنت شمعون القبطية ، أم المؤمنين زوج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهي من قرية تسمى (الحفن) من كورة أنصيا بصعيد مصر. آمنت بالله ورسوله قبل زواجها من النبي. وكذلك أسلمت هاجر على يد سارة. وهاجر ليست أمَة فهي أميرة منف. ومارية أعتقها ولدها من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - (إبراهيم). وهذا الكلام ثابت في كتب المغازي والسير والتراجم والتاريخ ، وموثق في مظانه يعلمه القاصي والداني. وإذن فلأهل الصعيد الفخر عندما كانوا أصهار النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصهار أبيه إبراهيم – عليه السلام – وإنه لشرف كبير ومجد تليد. ولأني من أهل الصعيد لكون أبي واحداً من أهله ، رحتُ أفتخر بهذا المجد وأفاخر الدنيا به! فيكفي صعيد مصر أن يكون له ذلك الشرف العظيم! الصحفي المصري محمود خليل - سكرتير تحرير جريدة الأحرار المصرية يقول تحت عنوان: (العرب أول من سكن مصر والنبي محمد "صلى الله عليه وسلم" من أصول مصرية من ناحية جدته لأبيه ، حيث إن هاجر جدته لأنه من ولد اسماعيل ، وإسماعيل ولدها! ثم يناقش الأستاذ محمود خليل المسألة من الناحية التاريخية فيقول: (كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام زوجتان: "سارى" وتتحدث العبرانية ،

و"هاجر" وتتحدث العربية. وأمر الله إبراهيم أن يغير اسمه هو وسارة زوجته من الأسماء العبرية "إبرام وساراى -"إلى العربية "إبراهيم وسارة" وأسكن سيدنا إبراهيم سارة في القدس ومن نسلها كان العبرانيون وأسكن هاجر فى صحراء مكة ومن نسلها كان العرب. هاجَر سيدنا إبراهيم من أرض النهرين وأخذ معه زوجته سارة وابن أخيه سيدنا لوط عليه السلام ذهبوا إلى مملكة الأقباط – مصر- وهناك حاول الملك أن ينال من سارة وكلما اقترب دعت ربها فيصرع. وكلما أفاق يقترب وهي تدعو الله فيقع صريعاً إلى أن اقتنع أنها بحماية من الله عز وجل فأهدى إليها أميرة قبطية – مصرية - اسمها هاجر بناء على طلبها إكراماً لها وليس خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم المكذوبة. ويجب أن نلاحظ أن مصر كانت تسمى مملكة الأقباط في عهد سيدنا إبراهيم أي أن الأقباط مصريون وليسوا نصارى كما يدعى النصارى المعاصرون في مصر لأغراض في نفوسهم. مضى إبراهيم إلى فلسطين وفي الطريق وعندما وصلوا إلى قرية "سدوم" على سواحل البحر الميّت أمر لوطاً أن يسكن في تلك القرية ويدعو أهلها إلى عبادة الله سبحانه أما إبراهيم فقد واصل طريقه مع زوجتيه سارة وهاجر إلى أرض فلسطين حيث رأى وادياً جميلاً تحيطه الروابي والتلال فألقى رَحْله هناك. ومنذ ذلك التاريخ سكن إبراهيم الأرض التي تدعى اليوم بمدينة الخليل في فلسطين المحتلة حيث ضرب إبراهيم خيامه في ذلك الوادي الفسيح وترك ماشيته ترعى بسلام وكان ذلك الوادي في طريق القوافل المسافرة ، لهذا كان يقصده الكثير من المسافرين فيجدون عنده الماء العذب ، والطعام الطيب وكرم الوفادة والاستقبال الحسن ، والكلمات الطيبة. حيث كان إبراهيم يتحدث مع ضيوفه داعياً إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا معبود سواه وبمرور الأيام والأعوام عرف الناس سيدنا إبراهيم كرجل صالح كريم أمين وعرفوا أخلاقه وصلاحه وعبادته وتقواه وحبّه للضيوف وللخير والناس. رغم ذلك الحب والتقدير لإبراهيم من الناس. فإنه كان حزيناً لأنه كان يتمنّى أن يكون له طفل خاصة وقد تقدم به العمر ، وأصبح شيخاً كبيراً ، وأصبحت زوجته عجوزاً ، ولم يرزقا طفلاً يأنسا به. ومن شدة حب سيدتنا سارة زوجة إبراهيم له قالت له: أنت تحبّ أن يكون لك أطفال وذريّة وأنا أحب أن يكون لنا طفل نرعاه. يا خليل الرحمن أعرف أنني قد أصبحت عجوزاً ولكنى سوف أهب لك هاجر فتزوّجها لعلّ الله أن يرزقنا منها أولاداً. ورفض إبراهيم حتى لا تحزن سارة ولكنها أصرت على عرضها وقالت له: سوف أفرح لفرحك. وهكذا وهبت سارة هاجر المصرية إلى زوجها إبراهيم فتزوّجها. ولم تمض تسعة أشهر حتى سُمع بكاء الطفل وفرح الجميع بميلاد إسماعيل. لقد وهب الله سبحانه وتعالى إبراهيم ولداً أسماه إسماعيل وكان طفلاً محبوباً ملأ قلب أبيه فرحاً ومسرَّة. لهذا كان يحتضنه ويقبّله ، وكان يقضي بعض أوقاته في خيمة أمّه هاجر ، مما أشعر سارة بالغيرة من هاجر ، وفي ذات الوقت كانت لا تريد للغيرة أن تأكل قلبها وترفض أن تكره أو تحقد على هاجر بسبب ذلك. ولهذا طلبت من إبراهيم أن يبعد هاجر لأنها كلما رأتها تغار منها وتحقد عليها ، وهي لا تريد أن تدخل النار بسبب تلك الغيرة. فلقد تحمّلت العذاب والهجرة بسبب عدم إيذاء هاجر وابنها إسماعيل وإيمانها بزوجها إبراهيم ، وظلّت مؤمنة بربها وبرسوله إبراهيم. وظلت صابرة طوال هذه السنين. ولهذا بشرت الملائكة سيدنا إبراهيم وسارة بولدين متعاقبين هما إسحاق ويعقوب. قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يأخذ إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل إلى أرض بعيدة في الجنوب ممتثلاً لأمر الله سبحانه وتعالى. فشدّ الرحال إلى مكان مجهول لم يذهب إليه من قبل ، وسار إبراهيم مع زوجته هاجر ، ومعهما إسماعيل الطفل الرضيع أيّاماً طويلة ،

وفي كل مرّة وعندما يرى سيدنا إبراهيم مكاناً جميلاً أو وادياً مُعْشباً كان ينظر إلى السماء كان يتمنّى أن يكون قد وصل المكان الموعود ، ولكن الملاك يهبط من السماء ويخبره باستئناف المسير. وهكذا ظل إبراهيم يسير ويسير ومعه زوجته هاجر ، وهي تحمل طفلها الرضيع وبعد أيام طويلة وصلوا أرضاً جرداء عبارة عن وادٍ ليس فيه سوى الرمال وبعض شجيرات الصحراء الجافّة ، وفي ذلك المكان هبط الملاك وأخبر إبراهيم بأنه قد وصل الأرض المقدسة. ونزل إبراهيم في ذلك الوادي الذي كان وادياً خالياً من الحياة حيث لا نهر فيه ولا نبع ولا يعيش فيه إنسان إنها إرادة الله أن يعيش الصبي إسماعيل وأمّه في هذا المكان الموحش وقبّل إبراهيم طفله إسماعيل الذي بكى من أجله وهو يتركه وأمه هاجر في هذا المكان ، وبكى إبراهيم من أجلهما. التفتت هاجر حواليها فلم تر شيئاً سوى الرمال والصخور والجبال الصماء فقالت لزوجها: أتتركنا هنا في هذا الوادي الموحش؟ فيرد عليها: لقد أمرني الله بذلك يا هاجر. ولأن هاجر كانت امرأة مؤمنة وموحدة عرفت أن الله رءوف بعباده ويريد لهم الخير والبركات فقالت لإبراهيم: ما دام الله هو الذي أمرك فهو كفيلنا وهو يرعانا إنه لا ينسى عباده. ابتعد إبراهيم بعد أن ودّع ابنه وزوجته ثم وقف فوق التلال ونظر إلى السماء وابتهل إلى الله أن يحفظهما من الشرور. اختفى إبراهيم عن عيني هاجر وعيني إسماعيل ، وفرشت هاجر لابنها جلد كبش ، وقامت لتصنع لها ولطفلها خيمة صغيرة ، وكانت تعمل بكل طمأنينة فهي تؤمن أن هناك من يرعاها ويرعى وليدها ، وكانت في النهار تجمع بعض الحطب ، وفي المساء توقد النار وتصنع لها رغيفاً تتعشّى به ، وكانت تسهر معظم الليل وهي تنظر إلى السماء والنجوم. مضت عدّة أيام وهاجر على هذه الحال حتى نفد ما معها من الماء ، ولم يبق في القربة قطرة واحدة! والقصة معروفة في القرآن الكريم. حيث استنجدت بالله سبحانه وتعالى من تلك الصحراء القاحلة التي أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم بأن يتركهما فيها لحكمة إعمارها بقوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). وأخذت تسعى بين جبلي الصفا والمروة حتى تفجرت عين زمزم تحت قدمي إسماعيل إيذانا ببدء أول تجمع بشري في تلك الصحراء القاحلة! حيث بدأت القبائل العربية تأتي إلي تلك البقعة طلباً للماء ، واستأذنوا من السيدة هاجر في الجوار والإقامة ، فأذنت لهم وتم تعمير الجزيرة العربية التي لم يسكنها بشر من قبل. بين تلك القبائل العربية نشأ إسماعيل عليه السلام ثم أتى إبراهيم إلى مكة حيث أقام الكعبة هو وسيدنا إسماعيل عليهما السلام ، وتم رفع قواعد البيت العتيق واختارت هاجر - أم العرب التي هي في الأصل مصرية - زوجة مصرية من قبيلتها لابنها إسماعيل "أبو العرب". إذنْ فهاجر كانت على صلة بأهلها القبط – المصريين - ولم تنقطع عنهم وكانت تزورهم وبعد أن تزوج ابنها إسماعيل تمكث أيضاً زوجته المصرية معهما في هذه البقعة من الصحراء ، إذن فالأسرة المصرية هاجرت إلى هذا الموقع لتسكن فيه لماذا؟ لا بد من وجود سبب مهم؟ هذا على فرض صحة هذه الرواية التاريخية ، وإلا فإن إسماعيل تزوج من جرهم! أما السبب فهو نسل إسماعيل وزوجته المصرية حيث سكنت قبيلة قريش بمكة المكرمة التي كانت جزءاً من مصر في ذلك الوقت لذلك فالعرب يعتبرون مصريي الجنسية وأمهاتهم مصريات (باعتبار هاجر أماً لجد العرب إسماعيل). فيكون المصريون أهل هاجر أخوال العرب شاؤوا اليوم أم أبوا! ويُختلف في اسم زوجة سيدنا إسماعيل قيل إن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة! وقيل إن اسمها جداء بنت سعد ، وقيل حبى بنت أسعد بن عملق ، وقيل ريبة أو ميريبة.

وأغلب الظن أنها مصرية مثل أمه السيدة هاجر. وإن كنت لا أعوّل كثيراً على المصادر التاريخية! وهؤلاء هم العرب أي الذين ينطقون العربية الفصحى التي نزل بلسانهم القرآن وغيرهم يسمون الأعراب واشتهروا بقرض الشعر والأدب والتجارة والأخلاقيات الحميدة مثل الكرم والنبل والشجاعة ومساعدة الغير والفروسية. في هذه المنطقة وبين هؤلاء العرب "المصريين" ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ونشأ وترعرع وتعلم ونزل عليه الوحي. حتى اكتملت الرسالة الإلهية ، وبدأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بناء الدولة الإسلامية وتدعيم أركانها. وكان من بين مهامه نشر رسالته للعالم أجمع ، ومن بين من أرسل لهم يدعوهم إلى الإسلام دين رب العالمين وخاتم الرسالات ودين أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وأبي البشر سيدنا آدم. وكان المقوقس ملك القبط ممن كاتبهم وأرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة يدعوه إلى الإسلام. ومما جاء في الرسالة: "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين". وأحسن المقوقس لقاء رسول رسول الله وأخبره بأن القبط لا يطاوعوه على ترك دينه. ومع ذلك فقد أكرم وفادة حاطب رسول رسول الله وكتب له: قد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بأميرتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوةٍ ومَطيةٍ لتركبها والسلام عليك. وتقبل رسول الله الهدية وأعجبته ماريا فاحتفظ بها ، ووهب أختها سيرين إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه وأنزل رسول الله ماريا بمنزل لحارثة بن النعمان قرب المسجد. البعض يدعي أن مارية كانت جارية في قصر المقوقس! والحقيقة أنها فرية وكذبة من الإسرائيليات الموضوعة في الأحاديث النبوية وكتب السيرة ولو كانت كذلك لما قال المقوقس عنها وعن أختها أن لهما مكاناً عظيماً بين القبط. كانت مارية القبطية - أي المصرية أي من مصر أي من - جبت - على عقيدة إخناتون دين قدماء المصريين ولم تكن نصرانية العقيدة كما يردد البعض! وكانت تتحدث اللسان المصري الفرعوني العربي ولم تكن تتحدث اللغة القبطية – لغة المستعمر الروماني - وكانت لغتها مفهومة نسبياً للعرب ولهذا لم تكن بحاجة إلى مترجم بينها وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الكلام فيه نظر ، ونظر كبير! على أية حال تكتمل الحلقات بزواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مصرية بعد زواج إبراهيم وسيدنا إسماعيل من مصريتين لتصبح مصر بحق أم الدنيا وأم العرب اسماً على مسمى كانت مارية ، تفكر باستمرار في سيدة مصرية مثلها جاءت إلى هذه الديار قبلها وتزوجت من النبي إبراهيم عليه السلام ، وأنجبت له إسماعيل نبياً ابن نبي. وعندما شعرت ببوادر الحمل. كانت تتمنى أن يختم الله حياتها فتصبح أما لولد محمد صلى الله عليه وسلم كما كانت هاجر أماً لولد إبراهيم. خاف الرسول على مارية فنقلها إلى العالية بضواحي المدينة ، توفيراً لراحتها وسلامتها ، وعناية بصحتها وصحة جنينها وسهر عليها يرعاها ، وعندما بلغ الجنين أجله وحانت ساعة الولادة ذات ليلة من شهر ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ، دعا رسول الله قابلتها "سلمى زوج أبي رافع" ، ثم انتحى ناحية من الدار يصلي ويدعو. وجاءت أم رافع بالبشرى. وخفّ رسول الله إلى مارية فهنأها. ثم حمل وليده بين يديه فرحاً وسماه إبراهيم تيمناً باسم جده وجد الأنبياء. وخيل لمارية أنها نالت مناها. فها هي تلد للنبي ولداً. كما ولدت هاجر المصرية من قبل لإبراهيم ابنه إسماعيل. ولكن لم تكتمل سعادة الأبوين. فقد مرض إبراهيم وتوفي ولما يبلغ العامين من عمره بعد. وحرمت مارية من ولدها الذي قرت به عينها حيناً ، ثم لم تلبث إلا القليل حتى حرمت من الرسول الذي أوصي المسلمين فقال: استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، وترك مارية تعيش من بعده خمس سنوات. لا تكاد تخرج من

دارها. فلما ماتت سنة ستة عشرة من الهجرة صلي عليها سيدنا عمر رضي الله عنه ودفنها بالبقيع. ومن الواضح أن اليهود الذين اتبعوا تعاليم سيدنا عيسى عليه السلام ثم فروا من فلسطين إلى مصر هرباً من اضطهاد الرومان وأتباع موسى عليه السلام كانوا قلة ولم يدعو أحداً من القبط "المصريين" إلى دينهم بل سكنوا مناطق معزولة كعادة اليهود الذين يفضلون العيش في مناطق معزولةٍ أو "جيتو". ولأن عيسى عليه السلام لم يأمرهم بنشر تعاليمه للأميين أي باقي البشر من غير اليهود ، بينما كان الرومان وثنيين يضطهدون القبط "المصريين" وكانوا مكروهين منهم. فلا يمكن أن يترك المصريين العقيدة التي كانت عليها هاجر ومارية وأهاليها من أجل عقيدة أخرى لا تلبى حاجتهم الدينية ولا تتفق مع معتقدهم ولذلك عندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته أرسلها للمقوقس عظيم المصريين - وهو مصري أي "قبطي" أو "جبتي" فعظيم القبط يعنى عظيم المصريين أو حاكم المصريين - ولم يكن نصراني العقيدة لتسميته عظيم الجبت كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرسل برسالةٍ مماثلةٍ للحاكم الروماني الوثني مثلما بعث إلى المقوقس. كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال قبل وفاته عن مصر وأهلها في حديث صحيح: "ستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا". قال ابن كثير: والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وأمه هاجر القبطية "المصرية" ، وهو الذبيح وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوال إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه مارية القبطية "المصرية" وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكرامًا لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان رسولنا الكريم قد أوصى بأهل مصر خيراً فلأنهم أهل جدته هاجر المصرية وزوجة جده إسماعيل عليه السلام المصرية وزوجته مارية المصرية وأخوال ابنه إبراهيم عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم ابن الذبيحين إسماعيل وعبد الله. والجيش الإسلامي الذي فتح مصر كانوا من أولاد هاجر المصرية الذين عادوا إلى وطن جدتهم ليحرروا عائلتها القبط "المصريين" من ظلم الرومان الأجانب. وقد تمكنوا من تحريرهم بالفعل بقيادة عمرو ابن العاص الذي حرر بلاد بني جدتهم من اضطهاد الاحتلال الروماني الوثني! وكان هذا بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم. عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط. وفي رواية: ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وفي رواية: فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قال العلماء: الرحم تعنى التي لهم وهي هاجر أم إسماعيل وزوجته وزوجة سيدنا محمد وابنه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ولم يكن المقصود بالحديث هم القبط بمعنى النصارى فالنبي صلى الله عليه وسلم كان دقيقاً في حديثه وكلماته وأفعاله لأنه لم يكن ينطق عن الهوى بل يتحدث بوحي من المولى عز وجل. كان المصريون القدماء يتحدثون بلغة مفهومة ومعروفة لعرب شبه الجزيرة العربية - الذين أخذوا لغة هاجر عليها السلام - وهى نفس اللغة المصرية - أي العربية - التي كان يتحدث بها سيدنا موسى عليه السلام - الذي تربى في بيت فرعون وفي وسط الشعب المصري - وهى ذات اللغة التي نزلت بها التوراة وهي نفس اللغة التي كان يتحدث بها أهل مدين التي هاجر إليها سيدنا موسى بعدما قتل مصرياً خطأ ، وهي نفس اللغة التي كانت قبائل الجزيرة العربية تتحدث بها. إذنْ فمصر وأهلها الجبت أو القبط والعراق والشام والحجاز كانت تتحدث بنفس اللسان العربي والذي كان يشمل عدة لغات مثل اللغة الآشورية التي خرجت منها الآرامية واللغة الأكادية التي

خرجت منها العبرية الحالية والحميرية والسبئية والنبطية والعربية والحبشية. فجميع تلك اللغات كانت بنفس اللسان ونفس جذور الكلمات ثم انقسم اللسان إلى عدة لهجات أو لغات تختلف اختلافاً طفيفاً في طريقة تصريف الأفعال وأدوات النداء والتعريف لا أكثر ولكنها تظل لغات مفهومة لكل المتحدثين بها. وهذا الكلام عليه مؤاخذات كثيرة لأنه بحاجة شديدة لأدلة تثبته! يكفي أن نعرف أنه توجد كلمات كثيرة في اللغة المصرية القديمة وهى نفس الكلمات التي نتحدث بها الآن أما اللغة التي أطلقوا عليها اللغة القبطية فهي لغة لم يتكلمها المصريون أبداً وهي اللغة التي ظهرت بعد الاحتلال الروماني لمصر عام 30 ق.م حيث ابتدع الرومان لغة جديدة للتفاهم مع الشعب المصري - الذي كان يتحدث بلغته العربية التي كانت تكتب بحروف ديومطيقية - واقتصر استخدامها على اليهود الذين آمنوا بتعاليم عيسى عليه السلام وسموا "أتباع المسيح" دون غيرهم من المصريين - أتباع أخناتون - سكان مصر الأصليين فاللغة القبطية عبارة عن لغة رومانية أدخلت عليها بعض الحروف المصرية. كانت اللغة المصرية تحتوى على حروف غير موجودة باللغة الرومانية مثل القاف والضاد والغين والعين فقد أدخلت سبعة حروف أخرى على اللغة الرومانية كي تمتلك القدرة على كتابة الكلمات المصرية وهذه اللغة كانت مجرد لغة كتبت بها بعض الأناجيل ولكنها لم تكن اللغة التي يتحدث بها الشعب المصري الأصيل فهذا التلاعب بالألفاظ يغير المفهوم وينبغي تصحيحه لأن المصريين كان لهم فكرهم ولغتهم وعقيدتهم. وإذا عدنا إلى التاريخ القريب وتحديداً في سنوات الاحتلال البريطاني لمصر للاحظنا انتشار لغة سميت بالفرانكو آراب وهي لغة تختلط فيها اللغة العربية باللغة الإنجليزية ، وهكذا كانت اللغة القبطية التي يطالب النصارى حالياً بعودتها وبعثها للحياة من جديد. ولا ندرى كيف يتخلى النصارى المصريون بإحياء لغة المستعمر عن اللغة الأصلية للمصريين وهي اللغة العربية ، هل يعد ذلك حنيناً للغة المستعمر؟ أم كرهاً للغة القرآن؟ أم هي العنصرية والكراهية التي يُكنها النصارى لإخوانهم وشركائهم في الوطن المسلمين؟!).هـ.

ويبقى سؤال مطروق قديماً وحديثاً: هاجر هل كانت من بلاد النوبة جنوب الصعيد؟ هنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن السيدة هاجر هي في الأصل امرأة نوبية ، ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات ما هي؟ ها - جر: (ها) بالهيروغليفي معناها زهرة اللوتس ، وكلمة (جر) معناها أرض جب بالمعنى التوراتي (مصر) أي اسمها زهرة اللوتس وكنايتها المصرية. والبداية يسردها علينا ابن كثير حيث ذكرها بأنها كانت أميرة من العماليق وقيل من الكنعانيين الذين حكموا مصر قبل الفراعنة ، وأنها بنت زعيمهم الذي قتله الفراعنة ، ومن ثم تبناها فرعون. وعندما أراد فرعون سوءاً بسارة دعت الله فشلت يداه ، فقال فرعون ادعي ربك أن يشفي يداي وعاهدها أن لا يمسها ، ففعلت فشفى الله يديه ، فعاد فدعت عدة مرات! فأهدى إليها الأميرة القبطية المصرية التي اسمها هاجر إكراماً لها وليست خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم. ولدت هاجر إسماعيل عليه السلام عندما كان إبراهيم عليه السلام في السادسة والثمانين من العمر ، وسارة قد بلغت سن اليأس من الإنجاب ، فتعاظمت غيرة سارة ، وبات إبراهيم عليه السلام في حيرة من أمره ، كيف يستطيع التوفيق بينهما وهو في هذا العمر شيخ كبير. وبدأ إبراهيم عليه السلام يناجي ربه ، ويطلب أن يعينه ويساعده ، فبشره الله سبحانه بولدٍ آخر تنجبه سارة: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيب * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

وبعد خمس سنوات من ولادة إسماعيل عليه السلام ، أنجبت سارة إسحاق عليه السلام ، وهكذا صار لإبراهيم ولدان: إسماعيل من هاجر ، وإسحاق من سارة. ولحكمة أرادها الله ، وتحاشِياً لما قد يقع بين الزوجتين وولديهما من الخلاف والمشاحنات ، أمر الله سبحانه خليله إبراهيم أن يخرج بإسماعيل وأمه هاجر ، ويبتعد بهما عن سارة ، التي اغتمت كثيراً وثقل عليها أمر هاجر وولدها إسماعيل ، بعد أن صار لها ولداً. أذعن إبراهيم لأمر ربه فخرج بهاجر وابنها إسماعيل وهو لا يدري إلى أين يأخذهما. فكان كل ما مرّ بمكانٍ أعجبه فيه شجر ونخل وزرع قال: إلى ههنا يا ربّ؟ فيجيبه جبرائيل عليه السلام: امضِ يا إبراهيم. وظلَّ هو وهاجر سائرين ، ومعهما ولدهما إسماعيل حتى وصلوا إلى مكة ، حيث لا زرع هناك ولا ماء الا حرِّ الشمس. أراد إبراهيم عليه السلام أن يترك هاجر وولدها إسماعيل ، في ذلك المكان القاحل المقفر ، حيث لا دار ولا طعام فيه ولا شراب ، إلاّ كيس من التمر وقربة صغيرة فيها قليل من الماء كانوا قد حملوهما معهم عند بدء رحلتهم. فخافت هاجر على نفسها الجوع والعطش ، وعلى ولدها الهلاك! فتعلقت بإبراهيم عليه السلام تريد أن لا تتركه يذهب ، وراحت تسأله: إلى أين تذهب يا إبراهيم وتتركني وطفلي في هذا المكان الذي ليس فيه أنيس ، ولا زرع ولا ماء ، ألا تخاف أن نهلك أنا وهذا الطفل جوعاً وعطشاً؟ رق قلب إبراهيم وتحير في أمره ، ولكنه تذكر أمر الله له ، فماذا يفعل وهو إنما ينفذ ما أمره به ربه ، وألحت هاجر في السؤال ، وظل إبراهيم عليه السلام منصرفاً عنها يناجي ربه. ويأتي الجواب جازماً حاسماً لا تردد فيه ولا تراجع: إن الله هو الذي أمرني بترككما في هذا المكان ، وهو لا شك لن يضيعكم. فلاذت أم إسماعيل بالصمت ، ورضخت هي الأخرى لما أراده الله ثم قالت: إذن لا يضيعنا. نفذ التمر والماء من بين يدي هاجر. واشتدت حرارة القيظ فعطشت هي وابنها. وراح يتلوى من الجوع والعطش فلم تعد هاجر تطيق رؤية طفلها على هذه الحال ، فراحت تنظر إليه ولا تدري ماذا تفعل. أتترك ولدها يموت جوعاً وعطشاً ، لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا المصير. فلا بد أنها ستجد الماء. فالله لن يضيعها هي وطفلها. وقامت هاجر في الوادي في "موضع السعي أيام الحج". انطلقت هاجر تبحث عن الماء في كل اتجاه. وكان الصفا أقرب جبل إليها ، فصعدت عليه وراحت تنظر يمنة ويسرة وفي كل ناحية فلاح لها على المروة سراب ظنته ماءً ، نزلت عن الصفا وراحت تسعى مهرولة في الوادي باتجاه المروة وفي ظنها أنها ستجد الماء. ولكن كانت خيبتها حينما لم تجده شيئاً ، فوقفت منهكة تنظر وتتفحص فلاح لها سراب في الجهة الأخرى على الصفا وكأنه الماء فعادت مهرولة إلى الصفا ولكنها لم تجد هنالك شيئاً. وهكذا في كل مرة حتى فعلت ذلك سبع مرات وطفلها لم يفارق مخيلتها ولم تكن تطيق أن يغيب عن ناظريها. فلما كانت في المرة السابعة وقد اشتد بها العطش ، وأخذ منها التعب وأنهكها المسير دون أن تعثر على الماء. نظرت إلى طفلها فإذا الماء ينبع من تحت قدميه فأتته مسرعة وراحت تجمع حوله الرمل وهي تقول: زم زم. ثم أخذت تشرب من الماء حتى ارتوت وانحنت على إسماعيل لتسقيه. ورفع إبراهيم عليه السلام يديه بالدعاء متضرعاً إلى الله وهو يهم بالعودة (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). ثم هم عائداً إلى بلاد الشام حيث سارة ، وقلبه يهوي إلى مكة وإلى ولده إسماعيل ، ولا حيلة له إلاّ الدعاء والتضرع. أما كونها نوبية الأصل أم لا ، هنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن السيدة هاجر هي في الأصل نوبية ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات ماهي؟ *

أولاً: اسم هاجر يقابله نفس النطق في النوبية كلمة هاقجر التي تعنى الجالس أو المتروك في إشارة ربما لعملية تركها وحيدة في مكة والمعنى المباشر للكلمة هو سوف اجلس. * ثانياً: من الثابت أيضاً في القصة أن السيدة هاجر كانت تلبس ثوباً طويلاً فضفاضاً ليخفى آثار أقدامها عن السيدة سارة وهذا الوصف ينطبق على الجرجار اللباس النسائي النوبي المعروف والمستخدم حتى اليوم. * ثالثاً: كلمة زم زم ، يعتقد بأنها أيضاً كلمة نوبية نطقت بها السيدة هاجر عندما انفجر الماء ، ويقابلها في اللغة النوبية سم ، والتي تعنى بالعربية فعل الأمر من جف ، فقد كررتها مراراً وهي تدعو الماء للتوقف سم سم وتحور النطق لتصبح زمزم. * رابعاً: كان ابنها إسماعيل رامياً بارعاً للسهام وهذا أحد أهم مميزات النوبيين القدماء الذين عرفوا تاريخياً باسم رماة الحدق في حروبهم مع الأشوريين والفرس والرومان وحتى مع العرب لاحقاً في 41 هجرية. وعموماً معلوماتنا تلك سواء ما أورده الأستاذ محمود خليل أو ما لخصناه بتصرف كبير من الموسوعة الحرة ، أقول: هناك ما يؤيد الكثير منه عند ابن إسحق وابن كثير في سيرته وبدايته ونهايته وعند السهيلي في روضه الآنف وعند المسعودي في مروجه وعند الواقدي في سيرته وابن هشام في سيرته! والله تعالى أعلى وأجل وأعلم بالحقيقة! تقول الكاتبة سلمى أمين في ترجمتها الخاطفة عن أم المؤمنين مارية القبطية ما نصه: (هي السيدة مارية بنت شمعون القبطية ، ولدت في قرية "حفن" ، وكلمة قبط يقصد بها أهل مصر ، أهداها الملك المقوقس حاكم مصر للنبي عليه السلام سنة 7 هجرية ، وكانت ابنة أحد أشراف القبط. تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام وأنجب منها "إبراهيم" الذي توفي في صغره. وأما عن قصة إرسال المقوقس بمارية القبطية للنبي عليه السلام: فلقد اهتم النبي عليه السلام بعد صلح الحديبية بنشر الدعوة في بلاد العالم ، وبدأ يكتب للحكام والملوك بالاستعانة من ذوي الرأي والحكمة الخطابات يدعوهم فيها إلى الدخول إلى الإسلام. ومنهم كسرى ملك فارس ، وهرقل ملك الروم ، والمقوقس ملك مصر ، والنجاشي ملك الحبشة. كانت ردودهم أجمعين على خطابات النبي بالحسنى ، وردوها رداً جميلاً ، إلا كسرى الذي مزق كتاب النبي عليه السلام. وقد أرسل عليه الصلاة والسلام كتابه إلى المقوقس مع "حاطب بن أبي بلتعة" البليغ الفصيح! فدخل عليه وأخذ يقرأ عليه كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام. استمع المقوقس لكلام حاطب وأثار إعجابه وقال: "إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بزهودٍ فيه ، ولا ينهي عن مرغوب فيه ، ولم أجدهُ بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى وسأنظر". أخذ الكتاب وختم عليه بختمه ، وكتب للنبي عليه السلام يرد عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً بقي ، وكنت أظن أنه سيخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديتُ إليك بغلة لتركبها والسلام عليك" والجاريتان هما: مارية بنت شمعون وأختها سيرين بنت شمعون ، وعشرين ثوباً ، وبغلته الخاصة ، وشيخ كبير وقور وألف مثقال من الذهب. فاختار النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية وأهدى شاعره المادح حسان بن ثابت الأنصاري أختها سيرين بنت شمعون. كان النبي يحفظ للسيدة مارية رضي الله عنها نسبها ومكانة قومها. فقال عليه الصلاة والسلام لجيوش الفاتحين: إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحماً وقيل: نسبًا وصهرًا. والنسب هنا هو من جهة هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه

السلام ، والصهر هو من جهة زوجته مارية القبطية. نزلت في السيدة مارية كثير من آيات سورة التحريم ، وقد ورد ذكرها في أحاديث وتفاسير العلماء والفقهاء في تصنيفاتهم ، وقد ارتقى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راض عنها. فقد كانت أم ولده إبراهيم! كما أنها كانت تتفانى في إرضائه رضي الله عنها. وحدثت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت شديدة الغيرة من مارية القبطية ، حيث كانت ذات حسن وجمال وبهاء طلة. فكانت كثيراً ما تراقب كيف يهتم النبي عليه الصلاة والسلام بها فتقول: "ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية وذلك أنها كانت جميلة جعدة ـ أو دعجة ـ فأعجب بها رسول الله وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيتٍ لحارثة بن النعمان ، فكانت جارتنا ، فكان عامة الليل والنهار عندها ، حتى فرغنا لها ، فجزعت فحوّلها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا". وأنجبت السيدة مارية للنبي عليه السلام ابنه إبراهيم ، وفرح النبي بذلك أشد الفرح فقد كان قد فقد أولاده عدا فاطمة الزهراء وقد شارف الستين. وقد سماه النبي "إبراهيم" تيمناً بسيدنا إبراهيم. غير أنه توفي قبل إتمامه العام الثاني. وقد حمله النبي وهو ينازع الموت ، ومات بين يديه ، وبكى عليه بكاء الصابرين المحتسبين وقال حين سأله عبد الرحمن بن عوف بكائه: أتبكي يا رسول الله؟ أن: نعم فإنها رحمة ، وقال: "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإن لفراقك يا إبراهيم لمحزونون". وتوفيت في شهر محرم في سنة 16 هجرية ، وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب وعدد من الصحابي والمهاجرين وساروا بها في جنازة كبيرة ودفنت بجانب نساء أهل البيت وبجانب ابنها إبراهيم).هـ. ويفرد كتاب «مارية القبطية في البحث عن أم المؤمنين» لمؤلفه محمد علي السيد ، مدير تحرير مجلة «آخر ساعة» المصرية ، ضمن قصص عديدة قصة السيدة ماريا القبطية ، وعنده أنه على أعتاب قرية الشيخ عبادة في صعيد مصر ومحافظة المنيا جنوب القاهرة ، وجدت المنطقة التي تلخص تاريخ مصر ، فلو نظرت إليها من سفح الجبل الشرقي ستجدها تبدأ بالفرعوني فالروماني والإغريقي والنصراني ، ثم الإسلامي! وإذا نظرت إليها من غرب النيل لوجدتها حاضراً إسلامياً ، نصرانيا في عمقه وإغريقياً ورومانياً ، ثم في الأصل فرعونياً ، فهذا هو موطن زهرتَي مصر: السيدة مارية القبطية وأختها سيرين. يأخذنا هذا الكتاب في رحلة للبحث عن أم المؤمنين زوج رسول الله مارية القبطية ، متتبعاً نشأتها وكل أماكن تواجدها ، كما يفتح آفاقاً لم يطأها أحد من قبل في البحث عن صحابة رسول الله. في قرية الشيخ عبادة بدأت رحلة ربط الأرض بواقع التاريخ والجغرافيا ، وفي البحث عن صحابة رسول الله ، الرحلة لم تنته بعد. فمن هي ماريا القبطية أم إبراهيم؟ إنها امرأة بيضاء البشرة مجعدة الشعر أثارت بجمالها الرباني وملابسها المصرية «القباطي» ونور وجهها نساء المدينة المنورة من الأنصار والمهاجرين. كما أثارت غيرة بعض زوجات النبي اللواتي تخفّين في دار «حارثة بن النعمان الأنصاري» ، حيث أنزلها الرسول قرب مسجده ومنازل زوجاته الملاصقة له ، قبل أن يُسكنها بعد عام ونصف العام في منطقة «العالية» على بعد ٣ كم في مزرعة على مجرى سيل البطحان كانت غنيمة له في غزوة بني قينقاع «تشابه موطنها من النيل والخضرة» ، وهناك حملت بابنها إبراهيم ووضعته. ففرض عليها الرسول ارتداء الحجاب لأن ابنها أعتقها وأصبحت من أمهات المؤمنين. ماريا بنت شمعون ، والدها مصري قبطي ، وأمها رومية. أصلها من مدينة أنطونبولس ـ أنصنا ـ قرية حفن ـ الشيخ عبادة في شرق النيل ، مركز ملوى بالمنيا حالياً ، واسمها الحالي يعود إلى الصحابي عبادة بن الصامت الذي بحث عن قريتها بعد الفتح الإسلامي لمصر (٢١ هـ) ، بعد

١٤ سنة من زواجها من الرسول ، وبعد خمس سنوات من وفاتها ، وأقام لها مسجداً ، ثم جاء بعده ابنه أو حفيده وأقام له مسجداً في القرية أو جدد المسجد الأصلي وسمي «مسجد عبادة بن الصامت». ثم مسجد الشيخ عبادة ، وسميت به القرية. كان سنها ما بين ١٢و ١٥سنة ، وكان المصريون - ولا يزالون - بخاصة في القرى يزوجون فتياتهن صغاراً ، وقد شاءت أقدارها أن تحولها من واحدة من ملايين المصريات إلى علامة في تاريخ الإسلام «وبنص رسالة المقوقس عنها وأختها سيرين» - جاريتين لهما مكانة في القبط - ومصاهرة الرسول المصريين «القبط» فأصبحوا «أخوال» ابنه (إبراهيم). وهم أيضاً أخوال نبينا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، من هاجر المصرية التي عمرت مكة وكشفت بئر زمزم. يكتمل الشرف في إبراهيم ، لأنه المولود الوحيد للرسول من زوجاته العشر بعد السيدة خديجة ، التي أنجب منها البنين والبنات ما زاد من غيرة نسائه ، وخصوصاً السيدة عائشة ، التي تمنت أن يكون لها ولد منه. يقول المؤلف: لم أقاوم المشهد العاطفي للرسول حاملاً ابنه بكامل فرحته به ليريه أحب نسائه ، فانفعلت وبكت ، فأخذ النبي رضيعه مسرعاً وهو يدعو لها بالهداية. ضم بيت النبي سودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث التي (توفيت عام 4هـ) ، وصفية بنت حيي وأم حبيبة ، وميمونة بنت الحارث التي (تزوجها عام٧هـ). وفي الطريق من الإسكندرية إلى المدينة المنورة (٤٥ يوماً) ، وفق سطور الكتاب ، كانت الحوارات بين ماريا وشقيقتها سيرين والعبد «مايور» وبين حاطب بن أبي بلتعة سفير رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط والي مصر الروماني ، وكانت أحاديثهم بالقطع عن الرسول والإسلام ، والعرب وحياة المدينة. وجهاد المسلمين لنشر دعوتهم. فأصبحوا على دراية بما هم مقبلون عليه. وفور وصولهم عرض النبي دين الإسلام عليهم ، فآمنت ماريا على الفور وانتظرت أختها ومايور ساعة ، فاتخذ النبي من ماريا سرية «يتسرى ويسعد بها». وأهدى أختها سيرين لشاعره حسان بن ثابت ، وجعل العبد في خدمة ماريا. أحب الرسول ماريا ، فأخذ يمضي عندها عصر يومه ما أثار غضب زوجاته فنقلها إلى العالية ، وفى شهر ذي الحجة 9هـ جاءته بشارة المولود من قابلتها (الداية) أم رافع سلمى ، زوجة أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد أهداهما له عمه العباس ، فأهداها هدايا كثيرة ، وتصدق بوزن شعر إبراهيم من الفضة على فقراء المدينة. وأعتق إبراهيمُ أمَّه من الرق. وقدم الأنصار مرضعة لإبراهيم وسبعة من الماعز إذا احتاج للبن لتتفرغ ماريا للنبي. ويشاء الله أن ينتقل إبراهيم إلى جواره في سن ١٨ شهراً ، ودفن في البقيع ، وبكى النبي عليه كثيراً. لكنه رفض كل ما قاله أهل المدينة عن مصادفة موته كسوفَ الشمس في هذا اليوم ، ثم صلى بالمسلمين صلاة الكسوف ، وطيب خاطر ماريا قائلاً إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعته في الجنة. لاحظت السيدتان عائشة وحفصة حبَّ النبي عسل بنها الذي جاء مع ماريا ، فادّعتا أن به رائحة وكان النبي حريصاً على طيب رائحته ، فامتنع عنه. ثم كانت ماريا سبباً في اعتزال النبي نسائه مدة شهر عربي (٢٩ يوماً) ، حتى شك المسلمون أنه طلقهن ، وأقام في عش بسيط أعلى شجرة. وكانت السيدة حفصة تزور والدها عمر بن الخطاب في يومها مع الرسول ، الذي كان يقضي قيلولة في منزلها ، فجاءت إليه ماريا لبعض أمورها ، فدعاها النبي إلى منزل حفصة وقضى معها الظهيرة فغضبت حفصة وقالت: ما كنت لتصنعها لولا هواني عليك ، فطيَّب خاطرها وأسرَّ لها بأن ماريا حرام عليه من الآن ، ومن فرحتها فشت سرها للسيدة عائشة ، التي قالت لا تبقى

ماريا في المدينة بعد اليوم ، فأبلغ سيدُنا جبريل النبيَّ بما حدث ، فغضب غضباً شديداً لإفشاء سره. واعتزل زوجاته ، فأُنزلت عليه الآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكَ * تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ * وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّـهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ * وَاللَّـهُ مَوْلَاكُمْ * وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّـهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ * فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـٰذَا * قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ»! فعاد النبي إلى زوجاته. فأصبحت لماريا مَكرُمة للنساء كفارة تحرير رقبة عند يمين التحريم بدلاً من تحريم الزوجة تماماً ، ولها مكرمة أخرى للجواري ، بتشريع عتق الجارية «أم الولد» التي تلد ولو «سقطاً» ميتاً لسيدها والتي أصبحت أهم وسائل تحرير الجواري وتحولهن زوجات بعدما أنجبت إبراهيم ، وقال النبي عنها: «حررها ابنها». آثار بقاء مارية في منطقة العالية وحدها مع العبد «مايور» هواجس منافقي المدينة ما أغضب النبي فأرسل علي بن أبي طالب يستطلع الأمر ، فوجد العبد «خصياً». وبعد وفاة النبي عام 11هـ اعتكفت السيدة ماريا في بيتها حتى انتقلت إلى جوار الله بعد خمس سنوات ، لتدفن في البقيع عام ١٦ هـ ، بعدما أمضت ٩ سنوات في المدينة ، منها أربع مع رسول الله وهي في حدود سن العشرين ، وكانت أولى زوجات النبي لحاقاً به. وآخر من مات من زوجات النبي أم سلمة (٦١هـ). عاشت بعده ٥١ سنة. في عام 41 هـ ، بعد 20 عاماً من فتح مصر ، تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان مقابل شروط ، فأرسل له معاوية رسالة مختومة يضع فيها ما يشاء ، وكان منها إعفاء أهالي قرية حفن وأنصنا بناحية البهنسا (المنيا) من الجزية المقررة على القبط «غير المسلمين» دينارين عن الرجال ، تقديراً لزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافق معاوية).هـ. ولازالت الكتب والمراجع ودوائر المعارف تسطر لنا مناقب الزوجتين العظيمتين ، تلك المناقب التي قد تفردتا بها وصارت حكراً عليهما! وإنني كصعيدي أستشعر ذلك المجد يجري في دمي ، أنني من أصهار نبي الله إبراهيم عليه السلام ، ومن أصهار نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم -.)

29 - أمسك عليك زوجك

(خبّبوها على زوجها ففتنوها عنه وفتنوه عنها في فترة وجيزة إذا قورنت بقدر المكر. وهما بريئان فنصحته! قال الأستاذ خالد سعود البليهد - عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة ، تحت عنوان: (الإفساد بين الزوجين) ما نصه: (جعل الله الزواج سكناً وأنساً بين الزوجين ، قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). وقد حرص الشارع الحكيم على تقوية أواصر المحبة ودفع الأمور الجالبة للخلاف والفراق بين الزوجين قال الرسول صلى الله عليه وسلم: استوصوا بالنساء خيراً ، وقال: لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر رواه البخاري. وقال أيضاً: خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي. ومن السنن الإلهية وقوع المشاكل الزوجية في البيت المسلم ، حتى بيت النبوة لم يسلم من ذلك لحكم ربانية ، ولكن الله عز وجل وضع منهجاً رائعاً في التعامل مع المشاكل والخلافات بين الزوجين يتمثل في قوله تعالى: واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً. والإفساد بين الزوجين جرم عظيم من كبائر الذنوب ، وهو من جنس عمل الساحر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه.

والتفريق بين الزوجين من أعظم ما يفرح به إبليس عند بعثه سراياه كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فِي النَّاسِ فَأَقْرَبُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ فِتْنَة يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا زِلْتُ بِفُلَانٍ حَتَّى تَرَكْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولَ إِبْلِيسُ لاَ وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُ شَيْئاً. وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ. قَالَ فَيُقَرِّبُهُ وَيُدْنِيهِ (ويلتزمه) وَيَقُولُ نَعَم أَنْتَ» رواه مسلم. والإفساد بين الزوجين له صور كثيرة منها: (1) المشي بين الزوجين بالنميمة ، وكلام السوء في سائر الأحوال. (2) تخبيب المرأة على زوجها وإيغار صدرها بذكر مساويه ، أو تحريضها على الخلع والطلاق أو المطالبة بما لا يحق لها ، أو نشوزها والخروج عن طاعته. (3) إفساد الرجل على زوجته: بذكر مساويها وسوء أخلاقها ، أو ذم أهلها وتحريضه على فراقها. (4) أمر الوالد ولده بطلاق زوجته من غير داع شرعي ، والواجب على الولد عدم طاعته في ذلك لأنه من المعصية وفيه ظلم للزوجة وسأل رجلٌ الإمام أحمد: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي؟ قال: لا تطلقها! قال: أليس عمر أمر ابنه عبد الله أن يطلق امراته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه. وقال شيخ الإسلام فيمن تأمره أمه بطلاق امرأته؟ قال: لا يحل له أن يطلقها ، بل عليه أن يبرها! وليس تطليق امرأته من برّها. (5) اشتراط الزوجة طلاق ضرتها سواء من ذلك عند إبرام العقل أم بعد زواجها ، فيحرم على كلتا الزوجتين طلب فراق الأخرى لأنه من الظلم ، وسوء ظن بالله ، وضعف في القضاء والقدر وقد نهي عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها رواه الشيخان. (6) تخبيب رجل أجنبي امرأة متزوجة وإقناعها بطلب الطلاق من زوجها الأول! فإذا حصل الطلاق تزوجها ، فيحُرم ذلك ولو كان الزوج الأول ظالماً لها ، وذهب المالكية إلى فساد عقده معاملة له بنقيض قصده. (7) تدخل أجنبي بين الزوجين وقت النزاع ، والسعى في الطلاق).هـ. وأنا أنتهزها فرصة وأطلب من كل زوج عاقل أن يواجه التخبيب بالإمساك! وأن يفوت الفرصة على المخبين المفسدين! وليتق الله كل مخبب بين المرء وزوجه لأن الحق لا يموت أبداً!)

30 - أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه؟

(حكاية عجيبة جداً تلك التي حدثتْ هناك على أرض البوسنة في التسعينيات من القرن المنصرم وتحديداً في عام 1993م. عندما كانت محنة سراييفو على يد الصرب المعتدين. والأصل أن جنود (الناتو) جاؤوا لإحلال السلام في المنطقة ولكن الحقيقة غير ذلك. وكم من مبالغات وهالات نزاهة قد نصبتْ على كثير من الهيئات والمنظمات هنا وهناك ، والله يشهد أن ليس لها نصيب من الصدق ولا المصداقية قط إلا في التسمي زوراً وبهتاناً. حيث اعتاد هؤلاء الجنود على اصطياد النساء والاعتداء على ذويهن علناً. وإنْ هي إلا قصص مكرورة مشهورة. غير أن الذي لفت انتباهي في هذه القصة أنها لامرأة عفيفة شابة تحفظ القرآن وتُدرّسه لبنات حيّها. قتل جنود الناتو والصربيون ذويها. وظفروا بها ، وكانوا سبعة جنود. وبتهديد السلاح ألجأوها إلى إحدى غرف البيت ، وراحوا يغازلونها ، ويتحرشون بها ، وشرعوا في تعريتها ليتعاوروا عليها كالكلاب الضارية أو الذئاب الشرسة ، فدعت الله وتذكرت: (أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه ويكشف السوء؟) ، فقالت: يا رب أعمهم فلا يرون مني ، وأرسل عليهم الشلل فلا يتعاورون عليّ. وقد كان ، فعموا وشُلوا في التو واللحظة. فما رأوْها عارية ، ولا تعاوروا

عليها ، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون. فلبستْ ما طرحوه من ثيابها. وتناولتْ سلاح أحدهم ، وقتلتهم جميعاً ، وخرجت سالمة بفضل الله ورحمته. إنني أسطر هذه القصيدة لكل باحث عن الحقيقة ولكل مبتلى في سبيل الحق والحقيقة ، حتى إذا ما عاش أحدهم أو إحداهن الابتلاءَ في سبيل هذا الحق وتلك الحقيقة ، كان له أو لها رصيد من القدرة على مواجهة الطواغيت الكفرة أياً كان مكانهم أو زمانهم. وأياً كان سلاحهم وعتادهم وذخائرهم. أكتب وأنشد وأروي وأسجل للأجيال القادمة من باب (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) ، ومن باب وصية الله عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) ، ومن باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في مدح قوة المؤمن والإشادة بها: (المؤمن القويّ خيرٌ وأحب الى الله من المؤمن الضعيف). ومن باب وصية لقمان الحكيم فيما صح عنه: (ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة: الشجاع في الحرب ، والكريم في الحاجة ، والحليم في الغضب). إنني لا أريد بالذي أنشده من هذا القبيل أن أروّع أو أسبّط الهمم كما قيل لي من البعض. إن هذه القصيدة انتصارية للحق ، وتبصيرية بمدى ما يحتويه سبيله من تبعاتٍ وابتلاءات. إنني ما أردت بها إثارة الرعب. بل أريد أن أبصّر سالكي درب الحق وسبيل الحقيقة أن هذا الدرب ليس مفروشاً بالورود والرياحين ، بل مفروش بالعذابات والبلاءات والإحن والمِحن والآلام. إن الورود والرياحين في زماننا مرتصدة للمفسدين في الأرض والمفسدات. وأحرى بأهل الحق والخير أن يداوموا على اتباع حقهم والذود عنه مهما كانت التضحيات والأثمان. إن أهل الباطل لا يكفون عن نشر باطلهم طرفة عين ولا أقل من ذلك. إن هذه الأخت المباركة التي تشرّفت بها قصيدتنا قد ضربتْ أروع الأمثلة في التضحية والفداء من جهة ، وضربتْ أروع الأمثلة في صدق التوكل على الله واليقين فيه وحسن اللجوء إليه عز وجل والاعتصام به بكل ما تعنيه الكلمة من معان. لقد ردّدتها آية ، وكانت فيها صادقة مخلصة ، فحقق الله عز وجل لها ما تريده. وكأني بها واللهُ حسيبها ووكيلها قد صدقت مع الله الإيمان والدعاء والإخلاص فصدق الله – عز وجل – معها الاستجابة ومنحها التوفيق ، وحقق لها النصر المؤزر المبين. فلله الفضل والمنة. (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ). قال ابن كثيرٍ - رحمه الله -: «المراد بالنصر الانتصارُ لهم ممَّن آذاهم ، وسواءٌ كان ذلك بحضرتهم أو في غَيْبَتِهم أو بعد موتهم كما فَعَلَ بقَتَلَة يحيى وزكريا وشِعْيَا: سلَّط عليهم من أعدائهم مَن أهانهم وسَفَك دماءَهم...وأمَّا الذين راموا صلْبَ المسيح عليه السلام من اليهود فسلَّط الله تعالى عليهم الرومَ فأهانوهم وأذلُّوهم ، وأظهرهم الله تعالى عليهم ثمَّ قبل يومِ القيامة سينزل عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام إمامًا عادلًا وحَكَمًا مُقْسِطًا ، فيقتل المسيحَ الدجَّال وجنودَه من اليهود ، ويقتل الخنزيرَ ويكسر الصليب ، ويضع الجزيةَ فلا يقبل إلَّا الإسلامَ ، وهذه نصرةٌ عظيمةٌ وسُنَّة الله تعالى في خَلْقه في قديم الدهر وحديثِه: أنه ينصر عبادَه المؤمنين في الدنيا ويُقِرُّ أعينَهم ممَّن آذاهم. ففي صحيح البخاريِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالحَرْبِ». وفي الحديث الآخَر: «إِنِّي لَأَثْأَرُ لِأَوْلِيَائِي كَمَا يَثْأَرُ اللَّيْثُ الحَرِبُ»).هـ.)

31 - أمنا تنتظرنا يا مروة!

(ماتت أمهما ، وكان الابن في العاشرة ، وأخته قد جاوزت السادسة بقليل. وتزوج الأب من أخرى. وذاق الابن والبنت الأمرّين على يدي أفعى في ثياب امرأة ، أو امرأة في ثياب أفعى هي زوجة أبيهما. ودارت رحى تلك الحياة ، فمن عذاب إلى عذاب ، ومن جحيم إلى جحيم. حتى قال الأخ لأخته: هيا بنا نذهب إلى أمنا في قبرها كي نسلم عليها. إن القبر أهون يا مروة من الحياة التي نحياها ، وعثر عليهما الناس وهم في غاية الإعياء والحزن. والقصة لمن أرادها كاملة هناك في كتاب (قصص من الحياة) للأستاذ / علي الطنطاوي. يقول دكتور مصطفى الشكعة – عضو مجمع البحوث الإسلامية – متحدثا عن حكم الشرع فيما ينبغي على زوجة الأب عمله: (أعطى الله تعالى لزوجة الأب حرمة تماثل حرمة الأم ، لذا فواجب لها الاحترام من جانب الأبناء ، وحق البر والصلة حتى بعد وفاة الأب ، كما لا يجب عليهم إغفال حقها في الميراث. أما عن واجبات زوجة الأب فيقول دكتور الشكعة: - إذا راعت الله تعالى في معاملة أبناء زوجها بتربيتهم التربية الصالحة والعناية بهم ، فلا شك أن هؤلاء الأبناء سيكون عليهم واجبات عظيمة نحوها ويكون لها من الله تعالى الأجر والثواب العظيم. والمرأة الواعية هي التي تقوم بواجباتها نحو أبناء زوجها ، لأنها تكون مسؤولة أمام الله عز وجل عن رعايتهم والعطف عليهم مثل أبنائها تماماً وهي تستطيع كسب قلوبهم وحبهم فينادونها بأمي تعبيراً عن امتنانهم لها. ونزيد على كلام الدكتور الشكعة بنصيحة ملخصها أن على زوجة الأب أن تعلم أنها تتعامل أولا وأخيرا مع الله عز وجل. وأنها يمكن أن تلحق بالزوجة الأولى في قبرها فكيف تتمنى أن تعامل الزوجة الجديدة أبناءها؟! ونثري فكرتنا بإيراد اقتراحات ونصائح الأستاذة أماني حصادبة الباحثة الاجتماعية حيث توجه بعض الهمسات لكل زوجة أب تقول: (أمّا عن دور زوجة الأب وطريقة معاملتها للوضع الجديد فلها أن تعرف أنّها جاءت إلى بيت ملئ بالأبناء الفاقدين لأُمّهم ، إلى أب قد مارس حياته كزوج وكأب ، وليست هي حياة طبيعية 100% بل هناك صعوبات عليها تحملها واستيعابها. عليها كسب ثقة الأبناء وجلبهم إلى معاونتها لأنّها منذ البداية تعرف أن وجودها ليس مقبولاً لديهم إلاّ بالفرض من قبل الأب. وتترك الأمر مفتوحاً لهم لكي يتقبلوها ويقبلوا نحوها فتكون المبادرة الأولى منهم لا منها. وإذا كانت ترى في نفسها عدم القدرة على تحمل رجل لديه أولاد فلا تقدم على الزواج من رجل هكذا. وأوجه لها بعض النصائح التي ينبغي عليها مراعاتها: - لا تحاول أن تصور نفسها الأُم الحقيقية فالأولاد لا يرضون بذلك ولا يتحملون هذا الكلام ، وبإمكانها أن تجعل نفسها صديقة لهم للمشاورة والمساعدة. - لا تحاول طرح مشاكلها أمام زوجها في حضور الأبناء. - لا تحاول طلب أشياء ثمينة لها أو لأهلها أمام الأولاد. - لا تتدخل في قضاياهم مع والدهم إلا بشكل مفروض ، ولا تحاول إظهار نفسها بمظهر الحريصة على المصلحة الأُسرية لأنّهم لا يصدقون منها ذلك إلا إذا ثبت ذلك منها فعلا. - إذا أصبحت أُما لا تغير معاملتها مع الأبناء بل تحاول أن تشعرهم أنّ هذا الصغير هو أخوهم وأنّه يزيد الأُلفة بينهم ، وتحاول أن تجعلهم يعتنون به ، ويساعدونها في تربيته. أمّا عن مشكلة الأولاد: فيجب أن يفكر الأولاد ويطرحوا على أنفسهم الأسئلة التالية: في غياب الزوجة أين تقع مسؤوليات الأب ، وأين سيحط رحله بعد ما أصبح أرملاً ، هل يلجأ إلى أبنائه ويطلب منهم ما كان يطلبه من زوجته الراحلة ، وهل يتحمل الأبناء أن يقدروا ظروف أبيهم ، ولا يحقدوا عليه إذا ما تزوج ، وأن يقدروا ظرفه الذي هو فيه ، وأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بتلبية احتياجاته عدا الزوجة ، وأن لا يغرقوا في الأمور

العاطفية بالتصورات الخاطئة ، ويعتبرون زواج الأب هو من قلة الوفاء للراحة ، وماذا يجدي الوفاء الذي يريده الأولاد ، وهل ينفع الأُم وفاء أبيهم وتمسكه بزوجته الميتة تلبية لرغبات الأبناء وتصوراتهم لكنني هنا أصوّر مدى المعاناة التي يعيشها الأبناء بعد موت الأم أو طلاقها وأصور ذلك في إهمال الأب. أشكر من كل قلبي الشيخ الطنطاوي على إيراد القصة التي انفعلتُ بها فكانت قصيدتي ترجمة صادقة لانفعالي. كما وأشكر الدكتور الشكعة الذي تتلمذنا على كتبه وإن لم يجمعنا به لقاء! وأشكرُ الأخت الفاضلة: (أماني حصادبة) ، وأعتذر عن هذه المقدمة الطويلة التي حرصتُ على إيرادها هنا للفائدة فقط!)

32 - أمومة بلا رصيد

(تزوج ذلك المسرف على نفسه ، والظالم لها ، والهارف بما لا يعرف ، من خادمته السريلانكية الحسناء الجميلة ذات القامة النحيلة والبشرة السمراء اللامعة ، وظن المتسرعُ الأبله أن لها رصيداً من الفطرة السليمة يمكن معه أن تجدَّ هذي وتستقيم. فإذا بها تضع وليدها الأول ، وتتركه في أسبوعه الثاني ، وتخرج بلا رجعة ولا عنوان. فكانت أمومة بلا رصيد. ورحت أتعجب عندما عرفت حقيقة هذه المرأة. وعندما أخبرني الراوي بأن هذه المسالة ليست الأولى ، ولن تكون الأخيرة ، وجدتني أمام ترجمة حية شعرية للحدث ، فكتبت هذه القصة. وأتصور نفسي مكان ذلك الطفل الذي يواجه الحياة بهذه الأسلوبية الغريبة العجيبة. وكأني بهذا الطفل البائس يناشد أمه عودة سريعة ليعيش طفولته البريئة كأي طفل في الدنيا. وكأني به يسأل أمه التي كانت تعمل خادمة لا قيمة لها ولا كرامة ، ثم ذلك الأب الذي لما أعجبه جمالها وسباه حسنها لم يشأ أن يزلّ كما تزلّ البهائم الآدمية. بل على كتاب الله وسُنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - تزوجها. آملاً حياة سعيدة هانئة. وكان قد بذل لها من المعروف والجميل ما يقصر اللسان عن وصفه وما تعجز الكلمات عن التعبير عنه. ورفعها من حضيض الرق والنخاسة المقنعة إلى عز الزوجية والكرامة التي شرعها الله لعباده المؤمنين الموحدين. وجعل الله لها من السؤدد ما كان ينبغي فعلاً أن يصرفها عن الرحيل غير المبرر بالمرة. ألا إنها فعلاً أمومة بلا رصيد من الفطرة والإنسانية فضلاً عن أن نقول: لا رصيد لها من الإيمان والتوحيد ، والعقيدة والإسلام. وأعرف أن هذي القصيدة على طولها ستكون شيقة على من يطالعها ، ويحاول معي أن يعيش في مكان أو في مهد هذا الطفل البائس. إذ إنني أعتبره البطل الحقيقي لقصيدتي. والتي لولا أنينه ربما ما كنتُ فكرتُ في كتابتها ابتداء. إنه لحدث جلل. وإنني لأدعو الله العلي القدير أن يلطف بهذا الطفل وبكل طفل تخلتْ عنه أمه إما بالرحيل غير المبرر كهذه السريلانكية ، أو بطلب الطلاق بدون بأس ليُعاني طفلها اليتيم وأبوه حي يرزق. ويثبت التاريخ أن الاسترقاق بدأ أولاً بالنساء ، فهن كن أغلب ضحاياه ، ولم يخضع الرجال للرق إلا بعد مرور زمن طويل عندما انتشر العمران وأراد الغالبون المزيد من الأيدي العاملة الرخيصة أو المجانية تقريبا أما استرقاق النساء فبدأ قبل ذلك لأنهن يقدمن المتعة والخدمة معًا كما أشرنا. وكانت شعوب - مثل اليهود - تقتل النساء كما تقتل الرجال ؛ لأنهم يتوهَّمون أن العِرْق اليهودي أنبل وأسمى من باقي الأعراق ، ولا يحبُّون أن يختلط دمهم بدماء شعوب أخرى أقل منهم شأنًا وأصالة! وهكذا لا تفقد النساء العرض والحرية والكرامة الإنسانية فقط بل تفقد الحياة أيضًا! وكانت المرأة تفقد أطفالها الذين يُباعون في أسواق العبيد المنتشرة في كل أنحاء العالم ولا تراهم بعد ذلك ولا تعرف عن مصيرهم شيئًا أبدًا! ولم يكن السيد وحده هو الذي يغتصب

السبايا ، بل يقدمهن لضيوفه من قبيل كرم الضيافة! ومن الأمثلة على إهدار آدمية المرأة عندهم ما كان يسمى بـ"حزام العِفَّة" ؛ فقد كانت عادة فرسان أوروبا أن يربط كل منهم حزامًا حديديًّا حول فرج زوجته قبل انطلاقه إلى الجيش ، ليضمن عدم ممارستها الفاحشة مع رجل آخر أثناء فترة غيابه في الحروب!) وقضايا الخادمات لا تنتهي ، وقضايا المرأة المعاصرة بين الحريات الممنوحة والحريات المفتوحة لا تنتهي كذلك! وتحت عنوان: (المرأة بين التحرير والتغرير) تقول الدكتورة نهى قاطرجي ما نصه: (لقد أخذت قضية تحرير المرأة حيزاً مهماً من تفكير الناس في العصر الحالي حتى عُقدت من أجل هذه القضية المؤتمرات والندوات التي تطالب برفع الظلم عن المرأة وإعطائها حقوقها التي حرمتها منها الأديان والأعراف والتقاليد. وقد استفحل هذا الأمر حتى خرج عن إطار اللهو والتسلية لبعض النساء الفارغات عن أي عمل لتنعكس آثاره الخطيرة على المرأة بالدرجة الأولى ، وإذا كنَّا في لحظة من اللحظات أُعجبنا بامرأة شابة تعمل شرطية على الطريق أو جندية تحمل السلاح ووجدنا في هذا الأمر قوة إرادة وتحدٍّ عند من فعلن هذا ، فإن الأمر خرج عن إطار التسلية عندما أصبحنا نرى امرأة أخرى عجوزاً تبحث في القمامة أو تجوب الشوارع تجر عربتها الثقيلة لتؤمن رغيف خبزها. إن الأمر ، لم يعد لعبة ومزحة تتسلى بها الفتاة التي تخرجت من الجامعة لتثبت للناس أنه لا فرق بينها وبين الرجل في الذكاء والعطاء فتنافس الرجل في وظيفة وتتساوى معه في أجر أو حتى تسلبه وظيفة بأجر أقل لتنفق ما تقبضه على الزينة والتبرج والترف بينما يكون الرجل الذي نافسته مسؤولاً عن أسرة ، أو على الأقل يسعى لبناء أسرة. إن العمل بالنسبة للفتاة يبقى في إطار تمضية الوقت وإثبات الذات فترة طويلة من الزمن ، حتى تصبح ذات يوم فتجد أن الوظيفة التي كانت تتسلى بها أصبحت تأخذ منها كل وقتها (من الفجر إلى الليل) فلا حياة اجتماعية ولا عائلية ، فهي تعود من العمل متعبة فتنام كالقتيل ، هذا الأمر لم يعد يرضي أحداً! كيف ستمضي بقية عمرها! ولكن لا بديل آخر ، فهي لا تستطيع أن تترك العمل وقد اعتادت أن تجد المال بين يديها ولا تستطيع أيضاً أن تعيش الفراغ في المنزل تنتظر فارس الأحلام الذي قد يتأخر في المجيء أو حتى لا يجيء! أما إذا جاء فانه يجيء بشروط ، ففيما كان هو الذي يأتي على حصان أبيض لينقذ المرأة من وضعها الأسري ، اختلف الوضع اليوم فأصبحت المرأة هي التي تأتي على حصان أبيض لتقدم للرجل حلولاً لمشاكله المادية ، فيعملان معاً (من الفجر إلى الليل) لكي يصبح العمل بالنسبة للمرأة واجباً وليس تطوعاً. بدأت القضية مع المرأة الغربية ، وهذا لا يعني أن المرأة المسلمة لم تكن تعاني من المشاكل والهموم ، فلو كان هذا الأمر صحيحاً لما وجد هؤلاء الغربيون ثغرة يدخلون بها إلى مجتمعاتنا ، ولكن الفرق بين الشرق والغرب شاسع ، ذلك أن المرأة في العالم الإسلامي لم يكن لها قضية خاصة إنما كانت القضية الحقيقية هي تخلف المجتمع وانحرافه عن حقيقة الإسلام ، وما نتج عن هذا التخلف في جميع مجالات الحياة ، وما تحقير المرأة وإهانتها وعدم إعطائها وصفها الإنساني الكريم إلا مجال من المجالات التي وقع فيها التخلف عن الصورة الحقيقة للإسلام. إن الصورة الحقيقية للإسلام يمكن أن تُقرأ واضحة في كتب السِّيَر والتاريخ الإسلامي التي ذكرت كيف كان للمرأة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كيان مستقل عن الرجل تطالب بحقها الذي أعطاها إياه الإسلام بكل جرأة ، فها هي تقف في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطالب بحقها في صلاة الجماعة في المسجد كما فعلت عاتكة بن زيد ، وها هي تمارس حقها بإدارة أموالها بمعزل عن زوجها كما فعلت ميمونة أم المؤمنين بجاريتها دون علم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكما

فعلت أم سليم بنت ملحان التي أهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرسه هدية باسمها لا باسم زوجها ، فقالت: "يا أنيس ، اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام وتقول: إنّ هذا منّا قليل يا رسول الله". هذا في الإسلام أما في الغرب فإنه كان للمرأة بالفعل قضية ومعاناة ، إذ إنها كانت "في اعتقاد وعقيدة الأوروبيين حتى مئتي سنة مطيّة الشيطان ، وهي العقرب الذي لا يتردد قط عن لدغ أي إنسان ، وهي الأفعى التي تنفث السم الرعاف! وفي أوروبا انعقد مؤتمر في فرنسا عام 568م ، أي أيام شباب النبي صلى الله عليه وسلم ، للبحث هل تعدّ المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وأخيراً قرروا: إنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب! والقانون الإنكليزي حتى عام 1805م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته بستة بنسات فقط ، حتى الثورة الفرنسية التي أعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة لم تشمل المرأة بحنوّها ، والقاصرون في عرفها: الصبي والمجنون والمرأة ، واستمر ذلك حتى عام 1938 م ، حيث عُدِّلت هذه النصوص لصالح المرأة". إن أصل القضية في الغرب يعود لاحتقار الكنيسة النصرانية للمرأة احتقاراً جعل رجالها يبحثون إذا كان ممكناً أن يكون للمرأة روح ، وهذا ما حصل "في مؤتمر ماكون" وما شفع بالمرأة آنذاك هو كون مريم أم يسوع امرأة ولا يجوز أن تكون أم يسوع بلا روح". إن أصل القضية إذاً بدأ من الديانة النصرانية حيث أساءت الكنيسة كمؤسسة في فهم الدين النصراني في روحيته وأخذت تطبقه وفقاً لذهنية القائمين عليها ومن هؤلاء القديس بولس الذي قال: إن المرأة خُلقت للرجل ، والقديس توما الأكويني الذي ذهب إلى أبعد من ذلك إذ صنّف المرأة بعد العبيد. ولقد استمرت الكنيسة النصرانية في تغيير التعاليم الدينية وَفْقاً للمفاهيم والاعتبارات السائدة في البلدان التي كانت تريد السيطرة عليها فقدّست "مفهوم الأمومة مثلاً عندما أرادت السيطرة على الحضارة اليونانية ، وألغت هذا التقديس عندما انتقلت إلى السيطرة على الحضارة الجرمانية ، واستبدلته بالاعتبارات المعمول بها في هذه الحضارة حيث كان التقديس للملكية الخاصة ولاعتبار المرأة ملك الرجل وفي مصاف القاصرين". من هنا يمكن أن نستشف أن الفرق بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة يعود إلى الجذور ، ومن هنا عدم صحة إسقاط الحلول الغربية على الوضع الإسلامي ، فالوضع بين الحضارتين مختلف ، والمرأة هنا غير المرأة هناك ، وقد أكدت الراهبة "كارين أرمسترونغ" هذا الاختلاف بين ماضي المرأتين بما يلي: "إن رجال الغرب النصراني حين حبسوا نساءهم ومنعوهم من مخالطة الرجال ووضعوهن في غرف منعزلة في جوف البيوت إنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهونهن ويخافونهن ولا يأمنون لهن وَيَرَوْنَ الخطيئة والغواية كامنة فيهن ، فهم يخرجوهن من الحياة بهذا الحبس إلى خارجها أو هامشها ، بينما حجز المسلمون نساءهم في البيوت ولم يخرجوهن إلى الشوارع تقديراً لهن ولأنهم يعتبرون زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم حَرَماً خاصاً وذاتاً مصونة وجواهر مقدسة يصونونهن ويحملون عنهن عبء الامتهان في الأسواق والطرق". إن هذا الاختلاف لم يفهمه دعاة التحرر الذين حاولوا إسقاط حلول المجتمع الغربي على المجتمع الإسلامي ، فلم يفهموا حرص الرجل على زوجته وحمايته لها بل اعتبروا أن حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجل يعود إلى عدم ثقة الرجل بالمرأة وخوفه منها ، الأمر الذي جعلهم يرون أن المرأة مظلومة قد ظلمها الرجل عندما فرض عليها الحجاب وحرمها من إنسانيتها وقد تناسوا أنه "لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع المرأة قضيتها ضده لتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها ، كما كان وضع القضية في أوروبا بين المرأة والرجل ، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها

وخالقها الذي لا تملك إن كانت مؤمنة أن تجادله سبحانه فيما أمر به ، ويكونَ لها الخِيَرَةُ من الأمر". ساعدت الثورة العلمية التي حصلت في أوائل القرن الماضي الإنسان بشكل عام والمرأة بشكل خاص على المطالبة بالتحرر من الظلم الذي وقع عليها من الكنيسة ، حيث كان لاستعانة الثورة الصناعية بالنساء من أجل التحرر من مطالب الرجال المالية دور مهم في خروج المرأة من قمقمها وسعيها لتغيير واقعها المعاش ، فلم تجد عدواً تواجهه وتعتبره سبباً مباشراً لمعاناتها إلا الكنيسة التي كانت تحمي الرجال وتحثهم على ظلم النساء ، مما جعل عدو النساء الأول هو الدين ، فالمرأة هي التي "تدفع ضريبة الانتماء الديني في هذا الواقع وتتحمل مآسيه أكثر من الرجل" . ومن هنا جاءت ضرورة نبذ الدين وتأييد النظريات العلمانية الحديثة التي تعتبر أن "الدين هو أفيون الشعوب" ، وأن السبيل للنهوض بالأمم يكون بفصل الدين عن الدولة ، هذا الأمر الذي دعا إليه المسيح عليه السلام نفسه كما يدّعون عليه زورا وبهتانا عندما قال بزعمهم: "دع ما لقيصر لقيصر في أرض قيصر وما لله لله في الكنيسة". فالعلمنة إذاً هي نبذ الدين و "إحلال العلم ، في نموذجه الطبيعي ، محل النص والإله في تفسير كل ما يختص ويتصل بالإنسان" ، وقد بالغ كثير من العلماء في تقديس العلم إلى حد أن اعتبروه ديناً جديداً ، فقال أحدهم: "العلم الحديث هو إنجيل الحضارة الحديثة" ، وقال آخر: "العلم الصحيح ، أي العلم الاختياري ، دين أيضاً". وهكذا وجاءت نظرية التطور لـ "دارون" لتقول أن أصل الإنسان قرد تطور مع الزمن إلى أن وصل إلى الحالة التي هو عليها الآن ، لتعتمد على إيحاءين خطيرين كان لهما أثر في نصر نظرية المرأة الغربية الداعية إلى نبذ الدين ، وهذان الإيحاءان هما: (* الإيحاء بالتطور الدائم الذي يلغي فكرة الثبات. * الإيحاء بحيوانية الإنسان وماديته وإرجاعه إلى الأصل الحيواني وإغفال الجانب الروحي إغفالاً تاماً). وهكذا أصبح الإنسان الغربي بعد هذه النظرية العلمانية "لا يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً" كما أصبح " التفسير التطوري لكل شيء هو العقيدة الجديدة للغرب". وقد استفادت المرأة ومن تبعها من دعاة التحرر من الرجال من هذه العقيدة الجديدة استفادة كبيرة ، فاعتبرت أن النصوص التشريعية التي تختص بها لم تعد تصلح لهذا الزمن المتطور ، وقالوا بنسبية القوانين والتشريعات والأخلاق مما يعني عدم صلاحية هذه التشريعات للتطبيق في هذا الزمن ، لذلك كانت الدعوة من أجل الثورة ، هذه الثورة التي وإن كانت ممكنة بالنسبة للمرأة النصرانية التي تدرك تماماً أن التشريع الكنسي تابع لأقوال العلماء إلا أنها صعبة بالنسبة للمرأة المسلمة التي تدرك أن التشريعات الإسلامية مستمدة من النصوص القرآنية ، لذلك دعا أنصار تحرير المرأة إلى رفع راية التطور التاريخي في حال أرادت المرأة مهاجمة النصوص الدينية ، تقول إحدى دعاتهن: إنه "إذا ثارت المرأة المعاصرة وتعاونت المرأة النصرانية مع المرأة المحمدية استطاعتا رفض الدين الأولى باسم الدين نفسه والثانية بموجب الإيمان بسنة التطور التاريخي". وهذه الدعوة إلى الإيمان بالتطور التاريخي لوضع المرأة ذكرها أحد دعاتهم وهو سلامة موسى مخاطباً المرأة: "أنت ثمرة ألف مليون سنة من التطور". وبناء على ذلك كان "طبيعياً أن يفسر حجاب المرأة وعدم مخالفتها للرجل بأنه أثر من آثار الأمم الوحشية ونتيجة لتطور وظهور نظام العائلة ودخول المرأة فيه ، ووقوعها بذلك تحت سيطرة الرجل ، وهو التفسير الذي ذكره كل من تكلم من رواد تحرير المرأة". ثم هبط الغرب على العالم الإسلامي بجيوشه وعساكره وهو يعلم بتجربة الحروب الصليبية أن تطويع هذا العالم لن يكون بالحروب بل يكون بإيجاد جيل جديد ينتمي إليه فكراً وعقيدة ، فعمدوا من أجل ذلك إلى إنشاء المدارس

الغربية التي تدرِّس اللغة والتاريخ والثقافة الغربية ، وبعد ذلك عمدوا إلى إرسال خريجي هذه المدارس في بعثات خارجية إلى الجامعات التي تكفلت بما بقي من العقول الإسلامية كما تكفل الفساد المنتشر في البلاد التي سافرت إليها العقول بتضييع البقية الباقية من جيل شباب عاد ليخرب الأمة ويعمل على تحويل المجتمعات العربية الإسلامية إلى صورة من المجتمعات التي عاد منها. وكان من بين الخريجين "قاسم أمين" المخرّب الأول الذي عاد من الغرب بكل مفاهيمه ليطبقها على مجتمع لا يمت إليه بصِلة ، فطالب بتعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه الغرب لهدم الإسلام ، "وقاسم أمين شاب نشأ في أسرة تركية مصرية فيه ذكاء غير عادي ، حصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة وهو في سن العشرين. ومن هناك التقطه الذين يبحثون عن الكفاءات النادرة والعبقريات الفذة ليفسدوها ، ويفسدوا الأمة من ورائها! التقطوه وابتعثوه إلى فرنسا. اطلع قبل ذهابه إلى فرنسا على رسالة لمستشرق يتهم الإسلام باحتقار المرأة وعدم الاعتراف بكيانها الإنساني ، وغلى الدم في عروقه ، كما يصف في مذكراته ، وقرر أن يرد على هذا المستشرق ويفند افتراءاته على الإسلام. ولكنه عاد بوجه غير الذي ذهب به! لقد أثرت رحلته إلى فرنسا في هذه السن المبكرة تأثيراً بالغاً في كيانه كله ، فعاد إلى مصر بفكر جديد ووجهة جديدة ، عاد يدعو إلى تعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه المستشرقون وهم يخططون لهدم الإسلام". عاد ليطالب بنزع حجاب المرأة. عاد ليطالب بتعليم المرأة وخروجها من بيتها. عاد ليطالب باختلاط المرأة بالرجل. لقد أدرك قاسم أمين أن الوصول إلى الغاية لن تأتي مرة واحدة ، لذلك عمد هو ومن تبعه إلى أسلوبين: (* أسلوب التدرج حيث إنه لم يطالب في البداية بنزع حجاب الرأس كلياً ، بل نادى بسفور الوجه فقط ، ولم يطالب بتعليم المرأة لتصل إلى مستوى جامعي بل نادي بالتعليم الابتدائي ، ولكنه كان حريصاً في كل ما يكتب على أن يضع كلمة "الآن" التي تعني الاكتفاء بهذا الحد من المطلب وقت مطالبته به إلى آن آخر فيقول: "ربما يتوهم ناظر أنني أرى (الآن) رفع الحجاب بالمرة. إنني لا أقصد رفع الحجاب (الآن) دفعة واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم. وإنما أطلب (الآن) ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي". وهكذا تتطور الدعوة مع الزمن فمن المطالبة "بالمساواة في التعليم إلى المطالبة بالمساواة في الميراث ، ومن المطالبة بحريتها في الدخول والخروج والتنزه إلى المطالبة بحريتها في السفر وقضاء السنوات الطوال منفردة ، وافق زوجها أو لم يوافق ، ومن المطالبة بتقييد حق الرجل في التعدد إلى المطالبة بحقها هي في التعدد ثم حقها أن يكون لها الصديق التي ترتضيه". * التشكيك في النصوص القرآنية والدعوة إلى اللحاق بركب التطور ، ومن هنا كانت دعواهم إلى إعادة قراءة النصوص قراءة جديدة مراعين مبدأ تاريخية النصوص ونسبيتها ، حيث إن كثيراً من الأحكام لم تعد تلائم العصر المتطور الحالي بزعمهم ، فكما كان هناك رجال فقهاء اجتهدوا وفهموا النصوص القرآنية فهماً يوافق عصرهم يوجد في عصرنا الحالي رجال "بل ونساء" يمكن أن يجتهدوا في النصوص اجتهاداً معاصراً ، لذلك كثيراً ما رفع هؤلاء شعار "هؤلاء رجال ونحن رجال" لرفض اجتهادات مثل اجتهاد الشافعي أبي حنيفة وأحمد ومالك وغيرهم من الفقهاء ، واعتماد فتوى معاصرة مثل فتوى محمد شحرور الذي يرى أن الجيب الذي ورد في القرآن (يدنين عليهن من جيوبهن) هو شِقُّ الإبط! ومن النماذج المعاصرة عن هجومهم على النصوص القرآنية قول أحدهم: "اعتبرت الشريعة المرأة نصف إنسان ، فشهادة امرأتين بشهادة رجل ونصيب الرجل من الميراث نصيب امرأتين ، كان ذلك

طفرة في العصر الذي نزلت فيه الشريعة الإسلامية ، بل إنه أكثر من طفرة ، غير أن 15 قرناً من الزمان كافية في الواقع أن تهيئ العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة". هذا باختصار السبيل الذي سلكوه من أجل الوصول إلى ما سَمَّوْهُ تحرير المرأة تحريراً كاملاً يجعلها متساوية مع الرجل في كل المجالات دون مراعاة للفروقات البيولوجية بين الاثنين ، ودون مراعاة لشرع أو دين ، لأن الشرائع تتطور أحكامها كما سبق أن أسلفنا. أما أبرز ما دعا إليه هؤلاء فيكمن في نبذ كل ما يمنع هذه المساواة بين الجنسين ويكرس التفرقة على أساس الجنس ، لهذا رَأَوْا في بنود المساواة رفع حجاب المرأة ، اختلاطها بالرجال ، وتعليمها. إن أصل هذا المطلب بدأ أيضاً مع الثورة النسوية في أوروبا حيث كان للمرأة بالفعل قضية ، قضية المساواة في الأجر مع الرجل الذي يعمل معها في المصنع نفسه وفي ساعات العمل نفسها بينما تتقاضى هي نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر. هذا المطلب كان في البداية يمثل منتهى العدل وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان ، أما بعد ذلك فقد تطور هذا المطلب ليشمل المساواة في كل شيء وهذا أمر ، كما تعلمون ، مستحيل! والسبب ببساطة لأن بينهما اختلافات حقيقية جسمية ونفسية حتى ولو نجحت بعض النساء في أن يتبوأن المراكز العالية وفي القيام بأعمال جسدية شاقة إلا أن هذا لا يعني أن كافة النساء يمكنهن أداء ذلك العمل أو يرغبن فيه. فمهما ارتقت "المرأة في مستواها العلمي والثقافي ومهما كانت دوافعها النفسية أو الاقتصادية للخروج إلى العمل ، تبقى رغبة المشاركة في تكوين أسرة إحدى أهم مكونات فطرتها الأصلية ، كما يشير الاستبيان الذي أُجْرِي بين الفتيات في بعض الدول العربية". وقد أكدت الدكتورة إلهام منصور إحدى مناصرات تحرير المرأة ، على هذا الأمر فقالت: "إن الثقافة كما لم تفعل بعد في الرجل المعاصر فهي كذلك لم تفعل بعد في المرأة المعاصرة التي تعتبر مثقفة لأن أغلب النساء المثقفات هن راضيات بوضعهن ، ويعملن على ترسيخه ، وينادين بوجوب إعطاء حقوق للرجل تفوق حقوق المرأة ، وهذا الواقع يدلنا دلالة مباشرة واضحة أن العلم بالنسبة للمرأة المعاصرة ليس سوى وسيلة للحصول على الزوج الأفضل وذلك لأن أغلب الشبان قد أصبحوا اليوم مثقفين ويفضلون الزوجات المثقفات ، والثقافة هنا تأخذ طابع الزيادة الخارجية عند المرأة فهي لا تنصهر مع شخصيتها كي تغيرها من الداخل". هذه الحقيقة في تباين أهداف المرأة والرجل أكد عليها الفيلسوف "أوجست كونت" أحد فلاسفة الغرب المعاصرين حيث يقول: "إن الرجل والمرأة يهدفان إلى آيات متباينة في الحياة ، فمرمى الرجل هو العمل وآية المرأة الحب والحنان" ، ويقول الفيلسوف أيضاً: "حتى في الزواج لا يوجد مساواة بين الرجل والمرأة ، لأن لهما حقوقاً وواجبات مختلفة فالرجل قَوّامٌ على البيت وهو الذي يعول المرأة ، لأن المرأة يجب أن تجرّد من هموم المادة". هذا الكلام الذي ورد على ألسنتهن وألسنة فلاسفتهن يعتبر أكبر دليل على أن ما يطالبون به مخالف لفطرة الله سبحانه وتعالى ، والإسلام إنما جاء ليثبت هذه الحقيقة لا ليدعُوَ إلى أمر لا أساس له من الصحة ، فالإسلام كدين لا يهتم بمصالح فرد دون آخر ، وهو عندما بيَّن للمرأة حقوقها وواجباتها فرض على الرجل أيضاً حقوقاً وواجبات مغايرة تتناسب مع تركيب كل منهما البيولوجي والنفسي والجسدي ، كما تتناسب مع قواعد العدل والتوازن لا المساواة المطلقة ، فالمساواة المطلقة كما قلنا عدوة الفطرة ، "بينما العدل هو الذي يضع الموازين القسط لكل شيء ، ولكل علاقة ، فيعطي لكل شيء حقه ، حسب فطرته وأهليته ووظيفته التي وجد من أجلها. فللمرأة إذن وظيفة تتناسب مع فطرتها التي فطرها الله عليها ، "وعناصر تكوينها أنها ذات بطن يلد وحضن يربي ، ومكانتها الفذة هي فيما فُطرت

عليه فقط ، ومن الممكن توفير المساواة المطلوبة بينها وبين الرجل. ولكن ذلك يكون على حساب امتيازاتها . والنتيجة تحويلها إلى نوع جديد من الرجال". وهناك لطيفة وردت في القرآن الكريم تدل على قمة المساواة والعدل وعدم التفرقة بين المرأة والرجل حيث وردت كلمة رجل مفردة 24 مرة ، ووردت كلمة امرأة مفردة 24 مرة أيضاً ، قمة المساواة. إن أول حاجز حاول الغربيون وأتباعهم من أنصار تحرير المرأة اختراقه هو حاجز الحجاب ، إذ اعتبروا أن في ستر الرأس إهانة للمرأة ولكرامتها الإنسانية وعائقاً يمنعها من مشاركة الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية ، ودعموا مزاعمهم في حالة التخلف الفكري والثقافي عند المرأة المحجبة اليوم في بعض أقطار الجزيرة العربية والخليج العربي ، والواقع أنه لا تلازم بين الاثنين فلا مجال للربط بين حجاب المرأة وتخلفها لأن ما حصل لهؤلاء النسوة ليس سببه الإسلام بل يعود إلى "ظروف استعمارية وفكرية معينة ، وليس أسهل على المصلحين إذا أرادوا الإصلاح الحقيقي من أن يفصلوا بين الواقعين بوعي إسلامي سديد ، يؤيد الستر والاحتشام ويدفع إلى التزود من العلوم والثقافة النافعة ، ويجعل من كل منهما عوناً للآخر". وأكبر دليل على هذا الفصل هو تفوق كثير من فتياتنا الجامعيات المحجبات بحجاب الإسلام ، المستمسكات بحكم الله عز وجل ، وهنّ مع ذلك "أسبق إلى النهضة العلمية والثقافية والنشاط الفكري والاجتماعي من سائر زميلاتهن المتحررات. وإن كل مُطَّلِع على التاريخ يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات اللواتي جمعن بين الإسلام أدباً واحتشاماً وستراً ، وعلماً وثقافة وفكراً ، وذلك بدءاً من عصر الصحابة فما دون ذلك إلى عصرنا الذي نعيش فيه". أما ثاني مزاعمهم فهو رفضهم الربط بين الحجاب والعفة ، فيقولون: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها ، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها ، وكم من فتاة محجبة عن الرجال في ظاهرها هي تمارس معهم البغي والفجور في سلوكها ، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها وسلوكها. إن هذا الكلام فيه شيء من الصحة فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة ، ولا أن تخلق له استقامة معدومة ، وربّ فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها ، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة لتخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟ ومن هذا الذي يزعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟ إن الله عز وجل إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها ، لا حفاظاً على عفتها من الأعين التي تراها. فالمرأة عندما تستر زينتها بالحجاب ولا تتبرج تبرج الجاهلية تكون بذلك قد سدَّت باب الفتنة من ناحيتها ويكون لغض بصر الرجل دور في إخماد الفتنة ومنع تأجج الشهوات التي تؤدي إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات ، ثم لنتساءل: هل المرأة التي لا تلتزم بالشرع وتخرج من بيتها سافرة قد غطت وجهها بالمساحيق هل هي حقاً حرة؟" أم أنها أسيرة من حيث لا تدري ، وإلا فبماذا نفسر عدم قدرتها على مغادرة المنزل إلا بعد أن تسحق بشرتها بأنواع السحوق؟!". وبماذا نفسر العري الإباحي الذي يأبى أن يستر إلا مساحة قليلة من الجسد ، هل يدل تصرف مثل هذا على التحرر الفكري لمن تمارسه ، أم يدل على سعي حثيث للفت نظر شباب يجدون في اتباع موضةٍ رخيصةٍ تحرراً وعصرنة؟ ويعتبرون من تحافظ على حشمتها مثالاً للرجعية والتخلف؟ إن مثل هذا النوع من النساء نوع جاهل إذ تعتقد الواحدة منهن أن ما تفعله من تبرج وزينة يمكن أن يجلب إليها الأنظار أو يجلب لها الأزواج ، لا ، إن الواقع غير هذا تماماً ، فالرجل الشرقي قد يعجب بالشكل واللباس الإباحي

لمتعة النظر واللمس أحياناً أما عند الزواج فإن الأمر يختلف ، وقد وصف د. محمد سعيد رمضان البوطي حال رجل اليوم بقوله: إن الرجال اليوم "نظروا فوجدوا فرص المتعة الخلفية المستورة قد كثرت أمامهم بفعل بحث النساء عن أزواج لهن في المجتمع ، وأعجبهم الوضع. فازدادوا تثاقلاً وزهداً في الزواج ، لتزداد النساء بحثاً عنهم وسعياً وراءهم ، وهكذا كان سعي المرأة في البحث عن الزوج أهم سبب من أسباب فقدها له". وكلمة اختلاط لفظ مستحدث في عصرنا ، فهذه الكلمة لم تستعمل في أي موضع من القرآن الكريم سواء بلفظها أو مدلولها ، ولم ترد في أي حديث نبوي ولا في أي كتاب من كتب الفقه والتشريع ، ولكن بدأ الكلام يكثر عن الاختلاط بعد أن رأى رجال الإصلاح من المسلمين ما هي عليه المرأة الأوروبية من زينة وتجمّل" وحرية في الحركة والجولة ونشاط زائد في الاجتماع الغربي ، ولما رَأَوْا كل هذا بعيون مسحورة وعقول مندهشة تمنوا بدافع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك في نسائهم أيضاً ، حتى يجاري تمدنهم تمدن الغرب ، ثم أثّرت فيهم النظريات الجديدة من حرية المرأة وتعليم الإناث ومساواة الصنفين". إن المطالبين بحرية المرأة واختلاطها بالرجل هم فريقين ، "فريق يعلم جيداً أن الطريق الذي تسير فيه القضية سيؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع وتفككه كما حدث في أوروبا ، وهو يريد ذلك ويسعى إليه جاهداً لأنه من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وفريق آخر مخدوع مستغفَل لأنه مستعبَد للغرب لا يرى إلا ما يراه الغرب. وهذا وذاك مسخران معاً لخدمة الصليبية في المجتمع الإسلامي ، وخدمة اليهودية العالمية كذلك". إن مخطط الغرب في تدمير الإسلام ليس مخططاً حديثاً ، فقد شرح "شكيب أرسلان" في مقالةٍ نشرتها المنار 1925 م. هدف دعاة الحرية والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل بقوله: "عند إعلان الدستور العثماني سنة 1908 م قال أحمد رضا بك من زعماء أحرار الترك: ما دام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر "غلطة" وهي سافرة الوجه فلا أعد في تركيا دستوراً ولا حرية". لقد عمل هؤلاء منذ تلك الفترة على تنفيذ مخططاتهم التدميرية فنجحوا ، بعد أن أبعدوا المسلم عن دينه وعقيدته ، في بث الشكوك والتساؤلات حول القضايا الاجتماعية مستعينين بالنصوص الإسلامية من ناحية وبالجدل من ناحية أخرى. أما النصوص الإسلامية فقد اعتبروها حجة على المعارضين للاختلاط بحجة أن الإسلام أباح للمرأة الخروج للصلاة في المسجد كما سمح لها بالجهاد مع الرجال ومداواة الجرحى ، إن الرد على هذا الأمر بسيط ، ذلك أن مفهوم الاختلاط المباح في الإسلام هو ذلك الاختلاط " المأمون ، وهو الذي يكون لأسباب طبيعية. وتتحقق من خلاله مصالح اجتماعية أو اقتصادية ، وقد كفل الإسلام للمرأة حقوقها في طلب هذه المصالح في ظل الآداب والأخلاق ، وليس هو الاختلاط العابث الماجن المستهتر الذي من شأنه مضيعة الوقت والعبث بالفضيلة والانطلاق العابث بغير حدود وقيود" ، فإن مثل هذا النوع من الاختلاط لا يقره أي دين مهما بلغت درجة تقدمه وانفتاحه. أما أسلوب الجدل فاستخدموه لإثبات نظرياتهم النفسية الجنسية الحديثة التي لا ترضى عنها الشرائع ولا الأخلاق ، فيقولون: "إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة تهذبت طباع كل منهما وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى جنس ولا تنحرف نحو سوء! أما إذا ضُرب بينهما بسور من الاحتجاب فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كُلاً منهما بصاحبه! فتُشيع في ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع. و(الجواب على هذا القول): إنه صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع ، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من ثمارها خلال فترة

طويلة من الزمن ، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها ، وبديهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا بها بل لأنهم يشبعون كل يوم منها. من هنا نؤكد على أهمية اجتناب الاختلاط بغير سبب خاصة في الحفلات العامة والحفلات الخاصة ، والابتعاد عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات خاصة أن كثيراً من حفلات الاختلاط تشوبها الخلوات ، والإسلام لا يجيز أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها ولو كانت محتشمة في لباسها ومظهرها ، وفي ذلك جاء الحديث الشريف "ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما". لم يكن الذين يدعون إلى تحرير المرأة في بداية القرن يحلمون بالوصول إلى ما وصلت إليه المرأة اليوم من العلم ، بل إنهم كانوا يعترفون أن أقصى ما يطالبون به هو تعليم المرأة العلم الابتدائي الذي يساعدها على تربية أولادها ومساعدتهم على التعلم ، أما ما وصلت إليه المرأة الآن من الثقافة والعلم فهذا أمر لم يكن بالحسبان ، خاصة أن طموح المرأة لا يقف عند حد ، فهي تسعى لإزالة كل ما يمكن أن يؤدي إلى التفرقة في المساواة بينها وبين الرجل ، لهذا ليس من المستغرب أن نجد في بنود الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة بنوداً تتعلق بواجب الدول الموقعة على الاتفاقيات في إيجاد المساواة بين الرجل والمرأة عبر تهيئة "نفس الظروف للتوجيه الوظيفي والمهني ، وللوصول إلى الدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية في جميع الفئات ، في المناطق الريفية والحضرية على السواء". والواقع أن هذه الاتفاقيات إذا كان يمكن أن تتماشى مع المجتمعات الغربية الأخرى فإنها لا تتماشى مع المجتمعات العربية التي لا زالت الفطرة تغلب على شريحة كبيرة من نسائها ، حيث لازالت الفتاة تتعلم لمجرد أن تنال شهادة ما تؤمن لها الزوج المناسب وتقيها عثرات الأيام ، هذا ما تؤكد عليه الدكتورة إلهام منصور حيث تقول: عن المرأة المعاصرة: "إذا سألنا الأهل عن فائدة العلم بالنسبة للفتاة نسمع ، في أغلب الأحيان الجواب التالي: إن واجب المرأة الأول هو الزواج ، وإن لم توفق المرأة بزوج كما تريد ، أو إذا افتقر هذا الزوج أو إذا انقطع عن العمل لسبب من الأسباب فالمرأة المثقفة تستطيع العمل لتأمين العيش فقط ، فالعلم والعمل عند المرأة المعاصرة هما قوة احتياطية أكثر الأحيان لا تُستغل". لقد أنكر دعاة التحرر رغبات المرأة وحاجاتها الفطرية إلى تكوين الأسرة وإنجاب الأولاد ، وحاولوا الإثبات أنه ليس هناك فروق بيولوجية تمنع المرأة من العلم والعمل وإثبات الذات ، إنما الموانع هي موانع خارجية تتمثل في الإسلام الذي يقف حاجزاً في سبيل تعلم المرأة ، مع أن هذا مناف للحقيقة ، فالإسلام "لم يمنع المرأة من طلب العلم ، فهو الذي يدعوها إليه بل يفرضه عليها ، ولكن الإسلام يشترط في تعليمها وفي نشاطها كله شرطين اثنين: أن تحافظ على تربيتها وأخلاقها ، وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها ، وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال ، وفي حدود هذين الشرطين تتحرك حركتها كلها". هذا هو المطلوب فقط ، المطلوب التعامل مع الأولويات ومع حاجات المرأة بصراحة لا كبتها كما تطلب إحداهن من زميلاتها المتحررات حيث تقول: "المتحررة حقاً هي التي تستطيع أن ترفض أي تدبير يتنافى مع اكتمال شخصيتها وتحقيق استقلالها ، وبين الاستقلال والزواج تختار المرأة المدركة الواعية الاستقلال حتى ولو ضحت بحياتها الاجتماعية ، لأنها تعلم أن حياتها الحالية في حياة لا تحمل مقومات استمرارها إلا من حيث الناحية الحيوانية فقط". هل هذا الكلام مقبول؟ لا ، إن الإصلاح لا بد أن يراعي حاجات الإنسان والمجتمعات ، ولا يفكر في مصلحة فرد دون آخر ، فما ينفع النساء إن حصلن على الشهادات العالية وحُرمن من نعمة الأمومة ، التي لا تكتمل كيان المرأة إلا بها ، وصَدَقت يمان السباعي حين قالت: " ويل لأمة

تفخر بنسائها في كليات الهندسة ورجالها على الأزقة لا يجدون عملاً ، ولا يفكرون في قضية ، ولا يحملون مسؤولية ، ويل لأمة أهانت رجالها لتثبت ذاتية نساء ضائعات". وهناك أسئلة لا بد من الإجابة عليها : ما هو مفهوم الحرية ؟ ومن هو الإنسان المتحرر (رجلاً كان أم امرأة)؟ هل هو ذلك الإنسان الذي أطلق العِنان لنفسه وشهواته يفعل ما يشاء متى شاء وفي أي وقت شاء؟ وهل الحرية تعني تفلت الإنسان من المسؤوليات والواجبات كي يصبح كالحيوان هدفه من الحياة إشباع غرائزه وشهواته؟ لا ، إن معنى التحرر هو ذلك " التفكير العقلي والمنطقي في التخطيط للحياة بعيداً عن غول المؤثرات الخارجية مثل الأجواء والبيئة والعادات والتقاليد ومتطلبات العصر وغيرها ، أو الداخلية مثل النفس ، والشهوات والغرائز وما شابه ، والتحرر أيضاً يعني العمل قدر الإمكان والمستطاع لإعطاء كل ذي حق حقه فللنفس حق. وللغرائز حق. وللمجتمع حق. وحدود كل ذلك هو عدم تجاوز حقوق النفس والآخرين ، وعدم الإسراف في ذلك". هذا المعنى لم يفهمه بعض دعاة التحرر من المسلمين الذين اعتبروا التحرر إطلاق العِنان للغرائز والشهوات دون اعتبار لمصلحة المرأة أو مصلحة عائلتها ، لقد فهموا التحرر بأنه التهجم على القيم والأخلاق والإسلام الحامي لهذه القيم ، لذلك اعتبروه العدو الأول للمرأة دون تفكير أو دراسة لتاريخه وتشريعه مكتفين بترداد ما نقله المستشرقون الحاقدون دون تمحيص ، مما يسهل على المطلعين على أقوالهم انتقادهم بسهولة لما فيها من كذب وتدجيل ، من هؤلاء أتباع الحركة النسوية العربية حيث تقول إحداهن: أن المرأة في الجاهلية كانت تتمتع بمزايا وحقوق سلبها منها الإسلام. وتقول أخرى أن السيدة خديجة رضي الله عنها منحت الرسول أول عمل له ليتاجر في دمشق وكان عمره 12 عاماً).هـ. ونعود إلى الخادمة التي رفضت إعزاز الله لها. إنه كما يقول الأستاذ المنجد: (إن فتنة الإغراء والإغواء التي تحصل من الخادمات للرجال في البيوت ـ وخصوصاً الشباب منهم ـ ، بوسائل التزين والخلوة ، وتتوالى القصص في أسباب انحراف بعض الشباب ، والسبب: دخلت عليه أو انتهز خلو البيت فجاء إليها ، وبعضهم يصارح أهله ولا من مجيب ، أو يكتشف بعض الأهل شيئاً فيأتي جواب عديم الغيرة: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} ، وتُترك النار بجانب الوقود ، والوضع هو هو لم يتغير ، ولقد وصل الأمر أيضاً ببعض الخادمات إلى نقل الشذوذ لبعض الفتيات في البيوت).هـ.

33 ـ أمومة لها رصيد!

(قبل سنوات كتبت: (أمومة بلا رصيد!) عن أم أدبرتْ تاركة زوجها وطفلها ، ولم تعقب. برغم إحسان الزوج وانتشاله لها من وحل الحضيض والنخاسة والرق ، حيث كانت تعمل خادمة ، وعشقها فهداه ضميره إلى الزواج منها على كتاب الله وسُنة رسوله باذلاً في سبيل ذلك الغالي والنفيس ، مبتغياً في هذه الزيجة وجه الله تعالى. ولم يشأ أن يلوّث حياته ليكتب عند الله في ديوان الزناة والمسافحين على عادة المنحلين الذين لا يخافون الله ولا يتقون حُرماته. فلمّا رزقتْ بطفلها الأول الذي وضعته في أرقى المستشفيات وأغلاها ، إذا بها تنتظر فرصة خلو غرفتها من الناس والزوج ، ثم تخرج ولا تعود ، فكان تصرّفها في غاية الغرابة إذ ولت مدبرة ، وتناست الطفل والزوج والعز والكرامة. فتخيلتُ الطفل الرضيع يناشدها العودة إلى حِياض الديار والزوج والابن والكل. ولكنها لم ترجع! أما هذه المرّة فأكتب عن أم أخرى عاد لها ضميرها ، وندمت بعد أن تركت أولادها لأبيهم بسبب تخبيب المخبين ووشاية الواشين

وإفساد المفسدين ، حتى أوصلوا العلاقة بينها وبين زوجها إلى المحكمة ، برغم بساطة الخلاف بينهما. إن كثيراً من الناس وللأسف يتفننون في توسيع هوة الخلاف بين الزوجين ، ولست أدري ما هو المكسب الراجح المتحقق لهم عندما يطلق فلان فلانة؟ ثم في المحكمة ، وأمام القاضي ، وعندما تشبث أبناؤها بها في براءة الأطفال وأمسكوا بعباءتها ، وأبوا أن يتركوها ، ووعظ القاضي الزوجين فاستأنفا الحياة من جديد. والقصة في كتاب (حدث فى المحكمة) للعمري – جزاه الله خيراً - صـ 58. فلما أخذتني رقة الموقف أنشدتُ من شعري حكاية على لسان زوجها أقول وعلى البحر المتقارب ، عسى الله أن يقرب بينها وبين زوجها! وهناك في جريدة: (العرب) الصادرة يوم 27-11-2016م كانت هذه الدرر عن دور المرأة في التربية: (إن المجتمع الشرقي ينظر إلى المرأة على أنها حجر الأساس في تربية الأبناء ، على الرغم من أن دور الرجل لا يقل عنها أهمية ، حيث لا تقتصر مهمة الرجل على الذهاب كل يوم للعمل وتأمين لقمة العيش لعائلته ، لكن يمكنه تقسيم وقته والاتفاق مع زوجته بتقسيم مسؤولية الأطفال بينهما ، فمثلاً يقوم بالتدريس للأطفال بعد عودته من العمل أو اللعب معهم ، ومعرفة ما فعلوه خلال فترة النهار ، فيجب أن يلجأ الوالدان إلى استخدام أسلوب الحوار مع الأطفال ، وأن يبتعدا عن الضرب والعنف ، كذلك يجب أن يكون العقاب المتخذ بسبب الخطأ موحداً من قبل الطرفين. وتشير الإحصائيات العالمية إلى أن الأطفال الذين حظوا بوجود دور فعّال للأب في طفولتهم ، كانت لديهم مشكلات سلوكية أقلّ من أقرانهم ، مشيرين إلى أنه ليس بالضرورة أن يعيش الأب في نفس المنزل مع الأطفال ، فقد يكون الأبوان مطلّقين ، لكن وجود الأب في حياة أبنائه يكون بشكل فعال ، فالأبناء الذين يجدون آباءهم بجانبهم يتميزون اجتماعياً ودراسياً عمّن يفتقدون دور الأب في حياتهم ، مؤكدين أن تواجد الأب في المنزل لكي يتقاسم مسؤولية تربية الأبناء مع زوجته يجعله يشكل قدوة لأولاده ، بالإضافة إلى أنه سيكون موجوداً ليراقب أبناءه ، فلا يلقي اللوم على الأم ولا يحملها المسؤولية وحدها ، لأن المهام والمسؤوليات مشتركة بينهما دائماً. وأثبتت الدراسات أن قيام الأمّ بمفردها بعملية تنشئة الأطفال ينعكس بالسلب على شخصية الطفل بسبب عدم توازنها ، ويظهر ذلك في سلوكه وميله إلى الاعتماد على الآخرين والخضوع لهم ، كما يتصف الطفل بالسلطوية).هـ. واخترتُ أن يكون العنوان: (أمومة لها رصيد) وذلك لعودة الأمّ! أما قصة: (أمومة بلا رصيد) فكانت التسمية هكذا لعدم عودة الأم! إذ لو كان لها قلبُ فيه رصيدٌ من الأمومة والحنان والشفقة والتبعّل والزوجية والإنسانية لما جاز لها في منطق العقل والحياة أن تترك وليدها الشرعي (فهو ابن نكاح لا سفاح) ، وتذهب إلى حيث اللاعودة! ولكنني هنا جعلت الحكاية على لسان الزوج أبي الأولاد الذي راح يذكّرها الأيام الخوالي والقرية والغنم والبادية والحقول والمزارع والأشجار واللهو البريء واللعب المشروع! وتخيلته يستدر عطفها وحنانها لا من أجله وحده! بل من أجل الأولاد الذين صنعوا الموقف برمته أمام القاضي والناس في المحكمة!)

34 - أميرة القلب

(إن كل شاعر يبُتلى بالقارئ الحَريص على مُتع دنياه أكثر مِن هَدي السماء ، وأكثر مِن تذوق الشعر ، ويبتلى بزمان لا مكان فيه للشعر الصادق النقي المصبوغ بصبغة التوحيد. بل المكان لشعر المُجون والرذيلة والسقوط والانحلال والخزعبلات. فلا أسواق أدبية كسوق عكاظ وذي المجاز ومجنة ولا مناظرات شعرية. وحتى الشعراء الذين تبوأوا المكانة المرموقة وأخذوا النصيب

الأكبر من الشهرة والصيت راحوا ينظرون إلى إخوانهم من الشعراء المبتدئين نظرة الاحتقار والازدراء (إلا من رحم ربك). إن شاعراً كهذا لا يجد أمامه إلا أن يكون وحده لا محالة ولا سبيل إلى غير ذلك. فهو الذي يصوغ شعره ، وهو الذي يقدمه وهو الذي ينشره ، وهو الذي يوزعه ، وهو الذي يروج له ، وهو الذي يشتريه من نفسه! لأن القارئ أحرص على شراء طعام بطنه وغذائها منه على شراء طعام روحه وقلبه. ورحم الله زمان الجاهلية بأسواقه الأدبية التي كان الشعر فيها يُرتجل ارتجالاً ، على البديهة والسليقة معا دونما إعداد ، ويرحم الله زمان صدر الإسلام يوم كان للشعر رسالته السامية في بث روح الفضيلة والتوحيد والقيم الأصيلة. من أجل ذلك كله فإن شاعراً يُبتلى بواقع كالذي وصفته آنفاً ، لا يجد أمامه سوى مَلكته الشعرية الكامنة في ضميره يبثها نجواه ويودعها شكواه ، ويبكي معها على الذي يلمسه ويحسه ويراه ويجده. في مقال له بعنوان: (اترك أثراً قبل الرحيل) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (إن من أعظم الأعمال أجراً ، وأكثرها مرضاة لله ، تلك التي يتعدى نفعها إلى الآخرين ، وذلك لأن نفعها وأجرها وثوابها لا يقتصر على العامل وحده ، بل يمتد إلى غيره من الناس ، حتى الحيوان ، فيكون النفع عاماً للجميع. ومن أعظم الأعمال الصالحة نفعاً ، تلك التي يأتيك أجرها وأنت في قبرك وحيداً فريداً ولذا يجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً لترك أثر قبل رحيله من هذه الدنيا ينتفع به الناس من بعده ، وينتفع به هو في قبره وآخرته ، وصدق الله في قوله: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا). وفرق شاسع بين النفع المتعدي والنفع القاصر. فالنفع المتعدي: هو العمل الذي يصل نفعه للآخرين سواءً كان هذا النفع أخروياً: كالتعليم والدعوة إلى الله تعالى ، أو دنيوياً: كقضاء الحوائج ، ونصرة المظلوم وغير ذلك. أما النفع القاصر: فهو العمل الذي يقتصر نفعه وثوابه على فاعله فقط ، كالصوم ، والاعتكاف وغيرهما. ونسأل: أيهما أفضل النفع المتعدي أم النفع القاصر؟ لقد نص فقهاء الشريعة على أن النفع المتعدي للغير أولى من النفع القاصر على النفس. ولذا قال بعضهم: إن أفضل العبادات أكثرها نفعاً ، وذلك لكثرة ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص دالة على فضل الاشتغال بمصالح الناس ، والسعي الحثيث لنفعهم وقضاء حوائجهم ، ومن أبرزها مثلاً: عن أبي الدرداء – رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ لعلي بن أبي طالب: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم». وعن أبي هريرة –رضي الله عنه ـ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ قال: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً». كما أن صاحب العبادة القاصرة على النفس إذا مات انقطع عمله ، أما صاحب النفع المتعدي فلا ينقطع عمله بموته. وقد بعث الله الأنبياء بالإحسان إلى الخلق ، وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم ، ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس ، ولهذا أنكر النبي – صلى الله عليه وسلم ـ: على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد وترك مخالطة الناس. وهذا التفضيل إنما هو باعتبار الجنس ، ولا يعني ذلك أن كل عمل متعدي النفع أفضل من كل عمل قاصر ، بل الصلاة والصيام والحج عبادات قاصرة – في الأصل – ومع ذلك هي من أركان الإسلام ومبانيه العظام. ولذا قال بعض العلماء: (أفضل العبادات: العمل على مرضاة الرب في كل وقت مما هو مقتضي ذلك الوقت ووظيفته). والحقيقة أن نفع الناس من صفات الأنبياء والرسل! إن النفع المتعدي هو طريق الأنبياء والرسل ، ووظيفة من سلك سبيلهم ، واقتفى أثرهم ، فهم أنفع الناس للناس ، وهم الذين يهدون الناس إلى الله تعالى ، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، وذلك بدعوتهم إلى توحيده ، الذي لا عز ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا به).هـ. وأنا هنا أخاطب أميرة قلبي التي هي ملكتي القصصية محاولاً ترك أثر يدل عليّ من بعدي!)

35 - إن غاب سيده فأنا سيدته

(إنها إرعادة أم الفضل بن العباس لأبي لهب! لقد كانت لها مكانتها في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل عندها وذات مرة أخبرته بحلم رأته فقالت: يا رسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك في بيتي! فقال صلى الله عليه وسلم: خيراً رأيتِ ، تلد فاطمة غلاماً وترضعيه بلبان ابنك قثم. فولدتْ فاطمة رضي الله عنها الحسين رضي الله عنه وأرضعته أم الفضل مع أخيه قثم رضي الله عنه ، والذي كان يُشبه النبي صلى الله عليه وسلم. وسبب قصيدتنا موقف عاشته أم الفضل ، إنه موقفها مع أبي لهب لمّا ضرب أبا رافع الذي كان مولى العباس. فضربتْ أبا لهب وشجّته في رأسه فمات بعد أسبوع قائلة: أنت استضعفته لمّا مات سيده. كانت زوجة العباس وأبناؤه يكتمون إسلامهم بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتخطيط حكيم مدروس ، ليتعرفوا على أسرار المشركين ، وجاءت الأخبار بهزيمة قرش ، وأوصتْ أم الفضل بنيها ومولاها أبا رافع أن يكتموا فرحتهم بتلك الهزيمة ، اتقاءً لشر المشركين ، وخصوصاً أبا لهب الذي كان يتنزى حقداً وكراهية وكيداً لمحمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه ودعوته. ولكنّ مولاها أبا رافع لم ينج من بطش أبي لهب ، إذ أبدى فرحته بانتصار المسلمين ، قيل أنها رضي الله عنها لم يسبقها الى الإسلام من النساء سوى خديجة رضي الله عنها وفي البخاري ما يدل على أنها من المسلمات الأوائل إذ يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان". وقد قال عنها الإمام الذهبي رحمه الله: (كانت أم الفضل من علية القوم). ويروى أنها رضي الله عنها كانت حُبلى بابنها عبد الله عندما كان النبي صلى الله عليه و سلم محاصَراً في الشعب مع بني هاشم فجاءه العباس رضي الله عنه وقال: "يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل". فقال صلى الله عليه و سلم: "لعل الله أن يقر أعينكم". قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ وكان أبو لهب – عدو الله - قد تخلف عن بدر فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته – أذله - الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً. وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم وعندي أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاء من أنباء نصر الله للمسلمين فجاء أبو لهب ولم يصدق أنباء النصر وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو لهب: إليّ يا ابن أخي ما خبر الناس؟ فقال: ما هو إلا لقينا رجال حتى منحناهم أكتافنا ولقينا رجال على خيل بلق بين السماء والأرض. فقلتُ: تلك الملائكة! فلطمني أبو لهب لطمة شديدة وطفق يضربني فقامت أم الفضل الى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فشجت رأسه شجة منكرة وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله.)

36 - إن في ذلك لآية

(أورد الأستاذ عبد العزيز المقبل في كتيبه (50 زهرة من حقل النصح) ما نصه: (امرأة صالحة تقية تحب الخير ، لا تفتر عن ذكر الله ، لا تسمح لكلمة نابية أن تخرج من فمها. إذا ذكرت النار خافت وفزعت ، ورفعت كف الضراعة إلى الله طالبة الوقاية منها ، وإذا ذكرت الجنة شهقت رغبة فيها. ومدت يديها بالدعاء والابتهال إلى الله أن يجعلها من أهلها. تحب

الناس ويحبونها ، وتألفهم ويألفونها ، وفجأة تشعر بألم شديد في الفخذ ، فتسارع إلى المراهم والكمادات ، ولكن الألم يزداد شدة. وبعد رحلة في مستشفيات كثيرة ، ولدى عدد من الأطباء سافر معها زوجها إلى لندن ، وهناك وفي مستشفى فخم وبعد تحليلات دقيقة يكتشف الأطباء أن هناك تعفناً في الدم ، ويبحثون عن مصدره فإذا هو موضع الألم في الفخذ ، ويقرر الأطباء أن المرأة تعاني من سرطان في الفخذ وهو مصدر الألم ومبعث العفن ، وينتهي تقريرهم إلى ضرورة الإسراع ببتر رجْل المرأة من أعلى الفخذ حتى لا تتسع رقعة المرض. وفي غرفة العمليات كانت المرأة ممدّدة مستسلمة لقضاء الله وقدره ، ولكن لسانها لم ينقطع عن ذكر الله ، وصدْق اللجوء والتضرع اليه. ويحضر جميع الأطباء – فعملية البتر عملية كبيرة – ويوضع الموس في المقص ، وتدنى المرأة ، ويحدد بدقة موضع البتر. وبدقة متناهية ووسط وجل شديد ورهبة عميقة يوصل التيار الكهربائي ، وما يكاد المقص يتحرك حتى ينكسر الموس وسط دهشة الجميع ، وتعاد العملية بوضع موس جديد ، وتتكرر الصورة للمرة الثالثة – لأول مرة في تاريخ عمليات البتر التي أجريت من خلاله – حتى ارتسمت علامات حيرة شديدة على وجوه الأطباء ، الذين راحوا يتبادلون النظرات. وانتحى كبير الأطباء بهم جانباً ، وبعد مشاورات سريعة قرر الأطباء إجراء جراحة للفخذ التي يزعمون بترها ، ويا لشدة الدهشة! ما كاد المشرط يصل إلى وسط أحشاء الفخذ حتى رأى الأطباء بأم أعينهم قطناً متعفناً بصورة كريهة ، وبعد عملية يسيرة نظف فيها الأطباء المكان وعقموه ، صحّت المرأة وقد زالت الآلام بشكل نهائي حتى لم يبق أثر. نظرت المرأة فوجدتْ رجلها لم تمس بأذى ، ووجدتْ زوجها يحادث الأطباء الذين لم تغادر الدهشة وجوههم ، فراحوا يسألون زوجها هل حدث وأن أجريت للمرأة عملية جراحية في فخذها؟ فعلم الأطباء من المرأة وزوجها أنها تعرضت لحادث مروري قبل فترة طويلة ، وكانت المرأة قد جرحتْ جرحاً بالغاً في ذلك الموضع ، وقال الأطباء بلسان واحد إنها العناية الإلهية. وكم كانت فرحة المرأة وكابوس الخطر ينجلي ، وهي تستشعرُ أنها لن تمشي برجْل واحدة كما كان يؤرّقها. فراحت تلهجُ بالحمد والثناء على الله الذي كانت تستشعر قربه منها ، ولطفه بها ، ورحمته لها).هـ. فأنشدتُ حكاية على لسانها بعد تأثري بها ، وخاصة عندما حكيتها لأولادي قبل نومهم كنموذج لقصة معاصرة. حيث إننا اعتدنا قبل النوم أن نروي قصتين أو أكثر: قصة من القديم وأخرى من التاريخ الحديث ، والواقعية والمعقولية شرط في القصتين. فلمّا حكيتها للأولاد أعجبوا بها جداً ، وأثنوا عليها خيراً ، للحدّ الذي جعل أكبرهم يقول: إنها أجمل قصة طرقت أسماعنا. ونرجو أن تكون القصص التالية على غِرار هذه القصة في الواقعية والسياق. فوعدتُ قائلاً: إن شاء الله. وليكن للعاصين وللطائعين في هذه القصة عبرة وعظة ودرس! فالعاقل من وعظ بغيره! ولقد أوصى إمام وخطيب المسجد النبوي الشيخ على بن عبد الرحمن الحذيفي المسلمين في إحدى خطبه بتقوى الله عز وجل بفعل ما يرضيه من الطاعات وترك ما يغضبه من المحرمات متحدثاً فضيلته في خطبته عن العبادات وفضلها على العبد. وقال في خطبة الجمعة: (إن عِز العبد في عبوديته لربه عز وجل ، وقوة المسلم في توكله على مولاه ، وغناه في مداومة الدعاء برفع حاجاته كلها الى الله تعالى ، وفلاحه في إحسانه لصلاته ، وحسن عاقبته في تقواه لرب العالمين ، وانشراح صدره وسرور في بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق ، وطمأنينة قلبه في الإكثار من ذكر الله عز وجل ، وانتظام أمور الانسان جميعها في استقامة أحواله بالأخذ بالأسباب المشروعة وترك الأسباب المحرمة ، مع تفويض الأمور كلها للخالق المدبر سبحانه وتعالى).هـ. وأوضح فضيلته

أن السعيد من اتعظ بغيره ، والشقي من وعظ به غيره حاثاً المسلمين على الاستعداد للقاء الله بما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة ، ولا تغرنهم الدنيا وطول الأمد مستشهداً بقوله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. وأردف فضيلته يقول: (إن للعبادة خلقَ المكلفون ، ولرضا الله تعالى بالعبادة فرحة تكثر منافعها للمكلفين ، وتعم بركتها في الدارين! والأمر بعبادة الله في الليل والنهار وجوباً ، مقيدة أو مطلقة ، ليستكثر منها السابقون ، وليلحق بركب العباد المقصرون! وكمال العبادة هو كمال محبة رب العالمين وكمال الذل والخضوع للمعبود سبحانه مع موافقة هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن رحمة الله عز وجل ولطفه بعباده وسعة كرمة أن شرع العبادات للمكلفين كلهم يتقربون بها لله سبحانه).هـ. وبين فضيلة الشيخ الحذيفي أن الله تعالى إذا شرع عبادة دعا المكلفين إلى القيام بها والتقرب إلى الله عز وجل بها فإذا لم يتمكن بعض المكلفين من فعلها فتح الله للمكلفين أبواباً من الطاعات وشرع لهم من الطاعات من جنس ما فاتهم من العبادات ، لينال العباد عز الطاعات وثواب الكربات. فمن لم يدرك والديه فقد شرع الله له الدعاء لهما والحج عنهما وإكرام صديقهما ، فبذلك يستمر البر بهما ، مشيراً فضيلته إلى أن الخالة بمنزلة الأم! ومن لم يجد مالاً يتصدق به فليعمل بيده ويتصدق من هذا المال! وختم فضيلة إمام المسجد النبوي خطبته بحث المسلمين على العمل بإخلاص واتباع الهدي النبوي ولا يحقرن السيئة ولو كانت صغيره فإن لها حساباً ، والحذر من البدع لأنها تهدم الدين وتبطل الحسنات أو تنقص ثواب الأعمال الصالحات مستشهداً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}.هـ. وكانت هذه القصة ترجمة لانفعالي وتأثري بقصة المرأة الصالحة تلك!)

37 - إن في ذلك لعبرة

(في موقع (صيد الفوائد) الإلكتروني قصة تائب فيها من العبر والدروس الشيء الكثير ، وأرى أن يقصها بنفسه. يقول هذا التائب: (لا أحد يدرك قيمة النعمة حتى يفقدها. لقد كنت من المولعين جداً بالقراءة ، فكنت لا أستغني عن القراءة يومياً ، لمدة تزيد على خمس ساعات ، لا أترك جريدة أو مجلة أو كتاباً جديداً إلا وأقرأه حرفاً حرفاً حتى أدمنت هذه الهواية ، وصارت جزءًا من حياتي اليومية. وفي يوم من الأيام كنتُ أقود سيارتي بسرعة مذهلة ، فانحرفتْ بي السيارة نتيجة للسرعة القصوى التي أسير بها وتدحرجتْ كالكرة ، وارتطمت بأحد الأعمدة الضخمة ، وأصبت في رأسي بكدمات قوية ، وقد عولجت لفترة طويلة في المستشفى ، وقدّر الله علي فقد البصر. ووسط هذه المعاناة الشديدة بفقد هذه النعمة الكبرى ، كان ذكر الله والدعاء والصبر والاحتساب ، والاستماع المنتظم لتلاوة القرآن الكريم هو المخرج الوحيد بفضل الله تعالى. لقد كنتُ في زمن مضى من المفرّطين ـ للأسف ـ فكنتُ معرضاً عن تلاوة كتاب الله والتمعن فيه ، وأختلس النظرات المحرمة ، واليوم أعض أصابع الندم على ما فرط مني ، وأرفع كفي إلى الله وأدعو وأبتهل نادماً ، تائباً إلى الله تعالى ، وأسوق حكايتي هنا لعل فيها عبرة للأخرين).هـ. قال سبحانه وتعالى: (وبشر الصابرين الذين إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أولئك عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ). قال شمس الدين المنبجي: "وقد جعل الله كلمات الاسترجاع ـ وهي قول المصاب: {إنا لله وإنا إليه راجعون} ملجأً وملاذاً لذوي المصائب ، وعظمةً للممتحنين من الشيطان لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار

الرديئة ، فيهيِّج ما سكن ، ويُظهِر ما كمن".هـ. قال صاحب الظلال: "إنه لا يَعِدهم هنا نصراً ، ولا يعدهم هنا تمكيناً ، ولا يعِدهم هنا مغانم ، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته ، لقد كان الله يعِدُّ هذه الجماعة لأكبر من ذواتها وأكبر من حياتها ، فكان من ثَمَّ يجرِّدها من كل غاية ، ومن كل هدف ، ومن كل رغبة من الرغبات البشرية ، حتى الرغبة في انتصار العقيدة ، كان يجرِّدها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته ، كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضا الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون. هذا هو الهدف وهذه هي الغاية. وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها. فأما ما يكتبه الله بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم ، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها. إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات ، وجزاء على الخوف والجوع والشدة وجزاء على القتل والشهادة ، إن الكفة ترجح بهذا العطاء ، فهو أثقل في الميزان من كل عطاء. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور).هـ. فتخيلتُ ذلك الشاب تتوجه إليه نصيحة من أخ له راح يلومه ، ويحضه على الإكثار من الاسترجاع والإكثار من التوبة والإلحاح في طلب المغفرة والقبول ، ولكنه جعل تلك النصيحة في قالب قصصي!)

38 - إن قلبي جريح

(إن الداعي إلى الله تعالى يظل يعطي حتى إذا حِيل بينه وبين ما يشتهي من دعوة الناس وبيان الحق ، اشتكى إلى ربه تعالى ما يلقى وما يعاني. وإن المؤامرة على الحنيفية السمحاء مؤامرة عالمية تتجمع في ناديها كل قوى الشر. ولسوف ينتصر الحق يوماً كما انتصر من قبل في جميع جولاته بالأمس. وإنْ هي إلا دول تدال بين الناس ليكون المستقبل لهذا الدين في النهاية. وصدق الرب – عز وجل – إذ قال ، وقوله الحق: (وتلك الأيام نداولها بين الناس). وإذن فالحق سوف ينتصر لأنه دين الله ، والله أغير عليه من سواه وأقدر على نصرته وإن خذله (أي الحق) أهل الأرض جميعاً بما فيهم المسلمون! إنه بسبب الوشاية الرخيصة والنفاق الممقوت الذميم والارتزاق المرذول والعمالة الملعونة الحقيرة ، حيل بين داعية موحّد وبين منبره ، بل حيل بينه وبين الناس المحبين له! ومسته البأساء والضراء وزلزل وكاد أن يضيع في هذه الحياة لولا عناية الله تعالى ولطفه ورحمته. وذات يوم زار ذلك الداعية مسجده الذي اعتاد أن يدعو إلى الله من خلاله بالمواعظ والمحاضرات والدروس والخطب ، وتذكر الأيام الخوالي والذكريات الجميلة ، واستلهم قيمة الحياة الراحلة واعتبر بهوان الأيام الحالية ، فتخيلته يبكي لنا شعراً فأنشدت هذه القصيدة! متخيلاً قلبه الجريح وشعوره المدمى وإحساسه اللاعج وروحه المعذبة وهو يتحدث إلى مسجده!)

39 - إن قلبي لا يفيق

(كثيراً ما نصحها وبين لها الحق وقارن معها بين ما كان في الجاهلية الأولى وما هو اليوم في الجاهلية المعاصرة. ووضع أصابعها على مكامن الخطر ومرادات الأعداء. وقد أهداها كتاباً عظيماً هو (تحفة العروس) لوجه الله وابتغاء مرضاته. فكان جوابها (إن قلبي لا يفيق). فجعلتُ جوابها عنواناً لهذه القصيدة العتابية التي الهدف منها اللوم والتوبيخ والإعذار إلى الله تعالى. إن هذا الجواب ليدل دلالة على أن كل قلب انطلت عليه حيل الجاهلية ورضع

لبانها على خطر. وتصعب عليه العودة إلى حظيرة الطاعة! والتوحيد ، هو أعظم أسباب الهداية ، ولذا لما ذَكرَ الله الشرك قال: (وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا). فالموحِّد على خير ، وهو إلى الخير أقرب. وقال على لسان خليله إبراهيم: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ). فهذا وعدٌ بالهداية لأهل التوحيد. وإذا كانت الذنوب سبباً لسوء الخاتمة ، وللطبع على القلب ، كان تركها سبباً للهداية ، وأشد في الثّبات على دين الله! ومن هنا كان للطاعات النصيب الأكبر في تثبيت قلوب العباد على الحق والدين ، لأنها سبب رئيس لرضا الله ـ تعالى ـ. نعم ، إن الجاهلية إذا تمكنت من قلب عبد ما لا تبقي مجالاً للعودة إلا عند الذين رحمهمُ الله فأنقذهم من براثن الضلال والجهل المطبق! وواجبنا النصح ، ونكل الأمر لله تعالى فإنه سبحانه الأعلم بشؤون عباده! ونسأل الله تعالى أن يقينا شر الجاهلية وأهلها وأن يعصمنا من الضلال وأهله هو ولي ذلك والقادر عليه!)

40 - إن كيدكن عظيم

(في بعض كتب الأدب القديمة قصة مشهورة جداً ، كنتُ أعجب بها وأنا صغير لا أدرك من معناها ومبناها أي شيء! وأعجبت بها كبيراً وأنا أدرك المغزى والمعنى وما وراءهما! وسواء حدثت هذه القصة أم لا ليس مهماً! بل الدرس المستفاد منها هو المهم! وكم من قصص طويلة عريضة نقرأها ولا نستفيد منها شيئاً! بينما في قصتنا القصيرة تلك دروس عظيمة! إنه في إحدى القرى البعيدة تزوجت فتاة شابة ، وكانت مستاءة من ذلك الزواج. ذلك أن زوجها كان يسيء معاملتها ، من أجل هذا انطلقت الفتاة لتشكو زوجها لدى شيخ القرية وتطلب منه عوناً في حل مشكلتها. قال لها شيخ القرية الذي حنكته التجارب: يتوجب عليك أن تنزعي بنفسك شعرات من ذئب حي ثم ائتيني بها حتى استطيع تليين قلب زوجك. وفكرت الفتاة كيف يمكنها أن تفعل ذلك. كيف يمكنها أن تنزع شعرات من ذئب حي. وذهبت الفتاة إلى الصحراء علها تحصل على ذئب. ورأت ذئباً يجرّ ماعزاً وينطلق بها إلى الغار. فراحت تراقب. رأت جراء الذئب يرضعون من أمهم. وفي اليوم التالي أخذت الفتاة قدراً من اللحم والعظام ، ووضعتها في طريق الذئب. وجاء الذئب فأكل قسماً وحمل الباقي إلى جرائه. كل يوم كانت الفتاة تفعل ذلك. وشيئاً فشيئاً راحت تقترب أكثر فأكثر. فأما الذئب فاطمأن للفتاة. والفتاة راحت تمسح على رؤوس الجراء. وذات يوم وهي تمسح على رؤوس الذئاب الصغيرة ، انتزعتْ بلطف عدة شعرات وذهبتْ بها لشيخ القرية. واندهش الشيخ وقال: كيف أمكنك أن تفعلي ذلك؟! كيف تسنى لك أن تنزعي شعرات من جسم ذئب حي؟! وقصّت الفتاة على الشيخ ما جرى وقالت: لقد تودتُ للذئب حتى أصبح يطمئن لي فلا يؤذيني. وهنا التفت الشيخ وقال لها: يا ابنتي لقد استطعت ترويض ذئب مفترس وحيوان كاسر ، أفلا تستطيعين ترويض زوجك! افعلي معه ما فعلتِ مع الذئب. لو أنك توددتِ له لأحبك وأصبح قلبه أسيراً بين يديك! وقديماً قالوا: "الإنسان عبدُ الإحسان"! وقصة هند بنت النعمان مع الحجاج وعبد الملك بن مروان مشهورة معروفة ، أوردتها في ديواني (دموع التصبر) تحت عنوان: (الحجاج تذله امرأة). وبينما كنتُ مع مجموعة من الأصحاب في المدرسة الوطنية بعجمان ، وأعجبته قصيدة (الحجاج تذله امرأة) ، وراح يسألني عن الشعر وأحواله وبحوره وكيفية ولادة النص الأدبي. وفي الختام طلب إليّ أن أوافيه بنص آخر عن ذات المناسبة بقافية أخرى وبحر آخر ، ولفرط إعجابي بشخصية هند بنت النعمان وذكائها في إفحام الخصم ، وعدت الزميل بالوفاء إن شاء الله ، فكانت هذه

القصيدة المختلفة في بحرها وقافيتها ، وإن كان الموضوع واحداً! وجمعتُ هنا في التقديم بين قصة هند بنت النعمان والعروس التي أحضرت شعيرات من الذئب لأن فيهما من كيد الأنثى ما الله به عليم! وصدق الله ربي: (إن كيدكن عظيم)!)

41 - إن له لحلاوة

(التراويح في دار الغربة لها طعم آخر ومعنى آخر! فما إن يحن وقتها حتى ترى الناس رجالاً ونساء يتوافدون على المساجد يصلون لله ويذكرونه ويقفون بين يديه – عز وجل – ضارعين. وخاصة في العشر الأواخر يكون الأمر على نطاق واسع حتى ليمكننا القول بأنه لم يبق في البيوت أحد! وما أجمل التراويح إنْ أدّاها بالناس إمامٌ صحيح العقيدة صحيح التلاوة يترنم بالقرآن ويشدو به ويتغنى ويتباكى إن هو لم يبك! فيجمع بذلك بين (التوحيد والتجويد). وعندها يحس الإنسان بلذة الصلاة وجمالها وعذوبتها. ولقد اعتدت في فترة من الفترات أن ألتمس العقيدة والصوت معا في إمامي مهما بعُد المسجد! فكنت في شرق البلاد أو غربها أو شمالها أو جنوبها ألتمس الإمام الموحّد والخطيب الموحّد مهما كلفني ذلك. وفي دار غربتي كان لي توله وتعلق بمسجد (سلمان الفارسي) ، مثلي في ذلك مثل كثير من المصريين ، وليس تعصباً لإمامه المصري الأستاذ عبد المنعم عبد المبدي – حفظه الله - ، بل كان ذلك مني ومنهم حباً في المسجد وأهله وعُمّاره وزواره من العابدين المخلصين! وما أحلى أن يعيش الموحّد مع كلام ربه يتلوه فمٌ صادق مؤمن لإنسان يعرف الحق ويعمل به. وإن نظن إلا ظناً ، وما نحن بمستيقنين. وتحديداً في يوم العاشر من رمضان لعام 1417هـ كنت قد صليت التراويح في مسجد سلمان الفارسي ، وأدى التراويح بنا إماماً الأستاذ عبد المنعم عبد المبدي ، وكأني به قد أوتي مزماراً من مزامير آل داود ، لا حرمنا الله ذلك الصوت الشجي الندي العذب الرطب ، وكنت قد انفعلت للقراءة الجميلة تلك ، جعلها الله في ميزان من قرأ ومن سمع ومن عمل بما قرأ وسمع ، وكانت ترجمة هذا الانفعال بهذه القراءة الظريفة قصيدة تحرّك جنينها في رحم الشعور ، وذلك بعد أربع ركعات التراويح ، حيث اعتاد الأستاذ أن يتوقف عن الصلاة ليلقي شيئاً من الموعظة متعلقاً بما تلاه على المسامع في الصلاة. ولما تم الحمل وناء رحم الشعور بمطلع وأبيات القصيدة وحانت ساعة الولادة ، تذكرت كيف يحفظ الله كتابه وسُنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالرجال الموحّدين المخلصين – جعلنا الله منهم – وأذكر في هذا المقام ما كتبه ابنُ الأثير في الكامل ص125ج6: (لما بعث الله تعالى سيد الأولين والآخرين محمداً – صلى الله عليه وسلم – عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وقريش وسائر العرب ، لأنه سفه أحلامهم وعاب أديانهم وآلهتهم ، وفرّق جمعهم ، فاجتمعوا يداً واحدة عليه فكفاه الله كيدهم ونصره عليهم ، فأسلم منهم من هداه الله تعالى ، فلما قبض – صلى الله عليه وسلم – نجم النفاق وارتد بعض العرب ، وظنوا أن الصحابة يضعفون بعده ، فجاهد أبو بكر حتى ردّ الردة ، وأذل الكفر ، ووطئ الجزيرة العربية فارس والروم. فلما حضرته الوفاة ، ظنوا أنه بموته ينتقض الإسلام ، فاستخلف عمر بن الخطاب فأذل الروم وفارساً ، وغلب على ممالكهما! فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة المجوسي فقتله ، ظنا منهم أنه بقتله ينطفئ نور الإسلام. فلما قتل ووليَ بعده أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ، قام بالأمر أحسن قيام ، فلما يئس الأعداء من استئصاله (أي الإسلام) بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم).هـ. وأنا أقول بعد ابن الأثير: إن سُنة الله جرت بأن ينتصر الإسلام بقدر من الله الغالب

القوي القدير على أيدي الرجال الصِيد المؤمنين المخلصين. والشاهد على هذا التصور ما نراه نحن اليوم وما رأيناه بالأمس. والآن نعود للأستاذ عبد المنعم الذي أمتعنا بالقرآن وأشجانا به ، فجزاه الله الخير كله ، ولا نزكي على الله أحداً. وكنت قد جعلت عنوان القصيدة ما وصف الوليد بن المغيرة به كتاب الله تعالى في أدق وأحلى وصف عندما أخِذ بجلال وجمال وكمال وحلاوة وعذوبة ورقة القرآن عندما تلاه عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم جاء ليساوم النبي على ترك ما يدعو إليه. وكنتُ قد اخترتُ العنوان من هذا الرجل الكافر من باب: (الحكمة ضالة المؤمن). لئلا يقول سفيه: كيف نأخذ عبارة الكافر؟! يقول الأستاذ علي القرني – حفظه الله – في وصف القرآن: (إن لكل رسول من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - معجزة اِختُصَّ بها من بين الرسل ليصدقه قومه وليعلن التوحيد فيهم بالبراهين! فكان لموسى عليه السلام معجزة العصا يوم خرج في قوم بلغوا في السحر ذروته ومنتهاه ، فأتت عصاه تلقف ما صنعوا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون! وبلغ قوم عيسي مبلغاً عظيماً في الطب ، فأتي إليهم عيسي بطب من الواحد الأحد يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، فوقع الحق واندحر الباطل! وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم فبعث في أمة فصيحة في لغتها مجيدة في بيانها ، خطيبها أخطب الخطباء أرقى الشعراء فأتي إليهم بالقرآن ، سمعوه فدهشوا من بيانه وبهتوا من بلاغته وعذوبته وفصاحته!)

42 - إنا كفيناك المستهزئين

(إن أغلب أعداء هذه الأمة من داخلها من الأئمة المضلين! قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ زَوَى لي الأرضَ ، فرأَيتُ مشارقهَا ومَغارِبَها ، وإن مُلكَ أمَّتِي سيبلغ ما زُوِي مِنْهَا ، وإِنِّي أعْطِيتُ الكنزَين الأحْمَرَ والأَبيضَ ، وإني سأَلتُ ربي أَن لا يُهْلِكُوا بِسَنَةٍ بِعَامَةٍ ، ولاَ يُسَلِّطَ عليهم عدوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَستَبِيح بَيْضَتَهُمْ ، وإِنَّ رَبي عَزَّ وَجَلَّ قال: يَا محمدُ إني إذا قضيتُ قِضاءَ فإِنَّه لا يُرَد ، وإني أعْطَيْتُكَ لأمتك أنْ لاَ أَهْلِكَهُم بِسنة عَامة ، ولا أسَلِّطَ عليهمْ عدواً من سِوَى أنفسِهم فَيَستبيحَ بَيْضَتَهُمْ ، ولو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَيْنَ أَقطَارِهَا ، أَو قال مَنْ بِأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً ، ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وإِنَّما أَخَاف عَلى أمتِي الأئمة المُضِلِّينَ ، وإِذا وُضِعَ في أمتي السيفُ لَم يَرْفَعْ عنهم إلى يَوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تَلْحَقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين ، وحتى تَعْبُد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلٌّ يزعمُ أنَّه نَبِي ، وأَنا خاتمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيّ بَعْدِي ، ولا تَزَال طائفة من أمتي ظاهرين على الحَق لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله عَزَّ وَجَلّ). رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي ، عن أبي أسماء عمرو بن مزيد ، عن ثوبان بن محمد بنحوه ، وقال الترمذي حسن صحيح. وإنه عندما عاد (الأعمى) من تمثيلية (السوربون) في باريس ، احتفل به علية القوم في الجامع الأزهر. ووقف الخطيب في خطبة الجمعة يشيد به وبرأس القوم فقال: (وأقسم غير حانث أن الملك ما عبس وما تولى أن جاءه الأعمى) ، موازنا بين النبي - صلى الله عليه وسلم – وعبد الله بن مكتوم - رضى الله عنه – وبين رأس القوم وعميله! وسورة (عبس) فيها قصة ابن أم مكتوم كما نعلم. فلما صلى الناس ، قام الشيخ (محمد شاكر) - رحمة الله عليه – في الناس خطيباً فقال: (أيها الملك ، أيها الناس: أعيدوا صلاتكم ، فإن الإمام الخطيب قد كفر ، لأنه عرّض بجاه وجناب الرسول – صلى الله عليه وسلم -.) فأعاد الملك والناس صلاتهم. ويحكي الشيخ (محمود محمد شاكر) عن أبيه أنه حدثه (والعهدة

عليه في الرواية) ، ويورد الابن عن أبيه أنه أي الأب قد رأى ذلك الخطيب المرتزق وهو يتسول من الناس ويحمل نعليه. وذلك بعد أن كان أفقه فقهاء عصره وأعلمهم بالخطابة فلقد كان أخطب الخطباء. وأما محمد شاكر يومها فقد كان قاضي القضاة الشرعيين في مصر. إن النص القرآني القاطع (إنا كفيناك المستهزئين) ، والذي عنونا به لهذه القصيدة ليدل على أن كفاية الله لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المستهزئين ، إنما تكون على سبيل الإطلاق أي في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميع المستهزئين ، وبعد مماته وعلى مدار التاريخ. وخاصة في عصرنا هذا ، والذي أنا شاهد على كل ما يدور فيه من الهجمات الشرسة الضارية على الإسلام والقرآن والنبي والصحابة والقيم والأخلاق والمُثل والمناقب والفضائل. إن هذه الهجمة سيتولى الرد عليها وكبت أهلها وإلحاق الهزائم بهم ، الله رب العالمين تبارك وتعالى ، الذي له الخلق والأمر. نعم الخلق المستهزئون خلقه ، والأمر – ومن الأمر أمر الانتقام منهم – أمره: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين). وإنّ من محبّة الله جلّ وعلا محبّةَ رسوله – صلى الله عليه وسلم ـ ، قال ابن تيمية: "فإنّ الرسولَ – صلى الله عليه وسلم ـ إنما يُحَبّ لأجل الله ويطاع لأجل الله ويُتَبَّع لأجل الله ، كما قال جلّ وعلا: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ. فمحبّةُ الله جلّ وعلا لا تنفكّ عن محبّة رسولنا محمّد صلى الله عليه وسلم ـ ، في صحيحِ البخاريّ عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (ثلاثٌ من كُنّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان) ، ومنها: (أن يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما). وحينئذ فمحبّةُ سيِّد الخلق وأفضلِ البشر وإمامِ الرّسُل أصلٌ أصلٌ عظيم من أصولِ الدين وقاعِدَة مهمّة من قواعِدِ الإيمان ، كيف وقد قال ربُّنا جلّ وعلا: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، قال العلماء: وهذه الأولويّةُ تتضمَّن أن يكونَ الرسول أحبَّ إلى العبدِ من نفسِه ، وأن لا يكونَ للعبد حكمٌ على نفسه أصلاً ، بل الحكمُ لله وللرسّول وهديِه وشَرعه وسنّته. في الصحيحين من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: (لا يؤمِن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). ألا إن محبّةُ سيّدنا محمّد عاقبتُها خيرٌ عظيم وفضل عميم ونعيم مُقيم ، فمن أحبَّ رسولَ الله مؤمنًا بالله عزّ وجلّ موحِّدًا محقِّقًا له التوحيدَ كان مع رسولِ الله في جنّاتِ النعيم برحمةٍ من الله وفضلٍ وإحسان. عند البخاريّ أنّ رجلاً قال للنبيِّ: يا رسولَ الله ، متى الساعة؟ قال: (وماذا أعددتَ لها؟) قال: ما أعددتُ لها من كثيرِ صلاةٍ وصوم وصدقة ، أي: ما زِدتُ على الواجباتِ من نوافل ، ثم قال: ولكني أحبُّ الله ورسولَه ، فقال النبيّ: (أنت مع من أحببت) ، قال أنس رضي الله عنه وهو الصحابي الجليل: فأنا أحِبّ النبيَّ وأبا بكر وعُمر وأرجو أن أكونَ معهم بحُبِّي إيّاهم وإن لم أعمَل بمثلِ أعمالهم. يقول الحسن البصري رضي الله عنه في فهم هذا الحديث: "فمن أحبَّ قومًا اتَّبع آثارَهم ، ولن تلحقَ بالأبرار حتى تتّبِع آثارَهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم ، وتصبح وتمسي وأنت على منهجهم ، حريصًا أن تكونَ منهم ، فتسلك سبيلَهم ، وتأخذ طريقَهم ، وإن كنت مقصِّرًا في العمل". وإن محبةُ رسول الله تقتضي تعظيمَ النبيّ وتوقيرَه والأدَبَ معه وفقَ المأذونِ وحسبَ المشروع في كتابِ الله جلّ وعلا وسنّةِ رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام. تعظيمٌ مشروعٌ يقتضي التعظيمَ بالقلبِ باعتقادِ كونِه رسولاً ، رسولاً مصطفي مخصوصًا بأعلى المقدار وأرفعِ الأذكار دونَ غلوٍّ أو جفاء ، وبدون وقوعٍ في محذورٍ. تعظيمٌ باللسان وذلك بالثناءِ عليه بما هو أهلُه وبأفضلِ ما يوصَف به خيرُ البشر، وحينئذ فالواجبُ البُعد والحذَر في مقام النبوّة من الجفاءِ ، كترك الصلاة عليه لَفظًا وخطًّا ، أو الاستهانة بهديِه وسنّته ، أو قلّة المبالاةِ بها ، أو إهمال مطالعةِ سيرتِه ومذاكرةِ هديه. كان محمد بن المنكَدِر وهو من أعلامِ التابعين ، إذا سئل عن حديثٍ من أحاديثِ رسول الله بَكَى حتى يرحَمه الجالسون إجلالاً وتوقيرًا لرسولِ الله! قال ابن العربي: "حُرمةُ النبيِّ ميتًا كحُرمتِه حيًّا ، وكلامه المأثورُ بعد موته في الرِّفعة مثل كلامِه المسموع في لفظه ، فإذا قُرِئ كلامُه وجب على كلّ حاضرٍ أن لا يرفعَ صوتَه عليه ، ولا يعرض عنه. إلى أن قال: وله مِنَ الحرمة

مثلُ ما للقرآنِ ، إلاَّ معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه". فواجبُ المسلم اختيارُ أحسنِ الألفاظ وأهذبها وأرقِّ المعاني وألطفِها في الحديث عنه ، وتجنُّب كلِّ ما فيه جفاءٌ أو إساءَةُ أدبٍ مع مقامه. فأين (الأعمى) وأتباعه من هذا الكلام؟ وإن كتابات الرجل شاهدة! أما آل شاكر فيستحقون هذه القصيدة المتواضعة! وذلك مني احتراماً لمقام هذه العائلة المباركة ، ولجهودهمُ الميمونة في نصرة الإسلام والمسلمين. فكم كتبوا ، وكم نقحوا ، وكم دافعوا ، وكم حققوا ، وكم دققوا. فإذا بالعلم المصفى ، الخالي من الشبهات والشهوات ، والمصفى من الأقوال الشاذة والأحاديث الموضوعة والباطلة التي لا تصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم -. وهي دعوة مني للشعراء والأدباء من المؤمنين الموحدين أن ينصروا آل شاكر بقصصهم وقصائدهم ، وإنهم ليستحقون.)

43 - إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون

(لستُ أدري كيف أستهلّ مقدمة هذه القصيدة الحزينة ، فلقد بلغ السيلُ الزبى ، وطف الصاع ، وظهر الفساد واستعلى ، واستفحل الباطل واستحكم ، وعم الشر وطم ، وأرغى العصيان وأزبد ، وهاج السوء وماج ، وثار السفه وفار في الأرض والبر والبحر والجو. وعشنا غربة الإسلام منذ زمن بعيد. وكما يقول صاحب كتاب (الغرباء) ص99: (الغريب في وقتنا هذا من قد أخذ بالسنين وصبر عليها ، وحذر من البدع وصبر عنها ، واتبع آثار السلف ، وعرف زمانه وشدة فساده وفساد أغلب أهله ، فاستغنى بإصلاح شأن نفسه ، من حفظ جوارحه وترك الخوض فيما لا يعنيه ، وعمل في إصلاح كل كسر فيه ، وكان طلبه في الدنيا ما فيه كفايته في ترك كل فضل لا يعنيه بل يُطغيه ، وداری أهل زمانه ولم يُداهنهم ، وصبر على ذلك ، فهذا غريب ، من يأنس إليه من العشيرة والإخوة قليل ، ولا يضره ذلك).هـ. نعم أصبح المؤمن اليوم يرى حُرُمات الله تنتهك وحدود الله معطلة وشرائع الله يُستهان بها ودماء أهل التوحيد قد أرخصتْ وأرواحهم أزهقت ودورهم استعمرت وأعراضهم انتهكت وعشنا فتنة لا تبقي ولا تذر. وصدق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – إذ يلخص ذلك في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند صحيح في سننه من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والماشي فيها خير من الساعي ، فكسّروا قِسيّكم وقطعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخِل يعني على أحدكم ، فليكن كخير ابنيْ آدم). هذا ، وإذا كان ابن بطة – رحمه الله – يتهم أهل زمانه فما بالنا بأهل زماننا؟! يقول ابن بطة في كتاب (الإبانة): (ألا وإن كل الفتن المضلة المهلكة المضرة بالدين والدنيا قد حلت بأهل عصرنا ، واجتمع عليهم مع الفتن التي هم فيها والتي قد أضرموا نارها وتقلدوا عارها ، الفتن الماضية والسابقة في تلك القرون السالفة ، فقد هلك أكثر من ترى بفتن سالفة وفتن آنفة ، اتبعوا فيها الهوى وآثروا فيها الدنيا ، فعلامة من أراد الله به خيراً وكان ممن سبقت له من مولاه الكريم عناية أن يفتح له باب الدعاء باللجأ والافتقار إلى الله عز وجل بالسلامة والنجا ، ويهب له الصمت إلا بما فيه رضى ولدينه فيه صلاح ، وأن يكون حافظاً للسانه ، عارفاً بأهل زمانه ، مقبلاً على شانه ، قد ترك الخوض والكلام فيما لا يعنيه ، والمسألة والإخبار بما لعله أن يكون فيه هلاكه! لا يحب إلا لله ، ولا يبغض إلا لله ، فإن هذه الفتن والأهواء قد فضحتْ خلقاً كثيراً ، وكشفتْ أستارهم عن أحوال قبيحة. فإن أصوَن الناس لنفسه أحفظهم للسانه وأشغلهم بدينه وأتركهم لما لا يعنيه).هـ. وأما ابن القيم – رحمه الله – فيقول في كتاب (الداء والدواء): (ومن تأثير المعاصي في هذه الأرض ما يحل بها من

الخسف والزلازل ويمحق بركتها. وقد مرّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ديار ثمود ، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شرْب مياههم ومن الاستسقاء من آبارهم ، حتى أمر أن يعلف العجين الذي عجن بمياههم للنواضح أي للبعير ، وذلك لتأثير شؤم المعصية في الماء ، وكذلك تأثير شؤم الذنوب في نقص الثمار وما ترى به من الآفات).هـ. أقول وكلي أسى وحزن على رقعة من الأرض كانت ذخراً للإسلام يوماً ما. كيف تعلمنت اليوم للحد الذي فيه يقيم بعض طواغيتها حفلة ماجنة تشارك فيها عواهرُ من بُنيات بني صهيون وحفيدات العم سام ، وحدّث ولا حرج عن الخمر والدعر والعهر والرقص ، وحدّث ولا كرامة عن الإباحية والتحلل والكفر من أجل سواد عيون أحفاد القردة والخنازير وعبد الطاغوت. وعلى مرآى ومسمع من الناس والدنيا بأسرها يقوم أحد الطواغيت بتمزيق القرآن تحت أرجل الراقصات قائلاً: ليحم هذا الكتابَ صاحبُه الآن! فساد ضوءٌ زهري شديد غطى المنطقة وشق اللهُ البحر وتصاعدت منه نيران ملتهبة بعدها انفجار عات وسقط المسرح بما فيه ومن فيه وسط البحر على الفور! وشق الله الأرض فابتلعت هؤلاء الكفرة الفجرة العهرة الغدرة. وما استطاع الكفر العالمي أن يستخرج جثة واحدة من جثث هؤلاء! ألا وإن قوامهم ثلاثة آلاف كانوا قد صهروا في تلك النيران. ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. وصدق الله: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وكل مجترئ على القرآن والسنة ، وكل معطل لهما ، وكل محارب لهما ولأوليائهما فإن الله مُوَفيه حسابه كاملاً غير منقوص! إنْ عاجلاً أو آجلاً! أكتفي بهذا المقدار في التقديم وأرد شعراً على كل من مزق القرآن مادياً بتقطيع أوراقه ومعنوياً بإسقاط أحكامه أو تعطيلها أو السخرية منها! ولم أشأ أن أذكر المكان ولا الزمان لأنني أعلم أن أغلب القراء يعلمون ذلك ، وقد نشرت مجلة (شيحان) التي تصدر في الأردن مقالاً موسّعاً عنه! يقول الأستاذ سالم التميمي حول إهانة المصحف وإلقاء الكفار – ومعلوم من هم وما مكانهم ـ له في المراحيض ما نصه: (المجرمون يُهينون المصحف الشريف بتمزيق صفحاته ورميها في دورات المياه. وهذا خبر يثير لا أقول الاستهجان والاستنكار ، بل يثير الهلع والرعب والفزع مما وصل إليه حالنا من الضعف والذلة والمهانة ، لدرجة أن ينال العدو من دين الأمة ، ويهين أعز وأقدس مقدساتها ، بعد أن اجترأ على سفك دمها وهتك عرضها ونهب أموالها وخيراتها. ثم ماذا؟ هل سُيرتْ جيوش ورفعتْ رايات وأعلن النفير العام؟ هل قطعتْ علائق وانتفضتْ قلوب تثأر لدين الله وتزيل المهانة عن كلامه المقدس؟ لا..لا لم يحدث من ذلك شيء.. ربما قامت مظاهرات هنا وهناك.. وأدت بعض الشعوب المغلوبة على أمرها شيئاً من مسئوليتها. أما الحكومات.. فمتى كان العبد يعترض على سيده؟ ومتى كان له الحق في سؤاله لم فعل ولم لم يفعل؟ مع كل يوم جديد.. تزداد القناعة رسوخاً والإيمان يقيناً بطبيعة هذه الحرب ومقوماتها رغم ادعاءات متحذلقي الليبرالية وأغيلمة العلمانية ، الذين يتقدمون إلينا مع كل حادث من تلك الحوادث التي تقوم فيها (أمهم) بإعلان الحرب على دين الأمة وانتهاك مقدساتها.. يأتون إلينا باعتذارات وتسويغات تنقصها البراءة ويعوزها الإيمان ويغلفها النفاق الممجوج ، يلمّعون الوجه الكالح.. ويجمّلون العجوز الشمطاء.. يقومون بحملة علاقات عامة لوأد كل مشروع من مشاريع التحرك والاستنكار ولو كان سلمياً.. الفسقة من العلمانيين والتغريبيين وإن لبسوا لبوس الوطنية وادعوا الموضوعية هم أبعد الناس عن أن يثأروا لدين الله ويقفوا من انتهاك حرماته موقف الشرف والعزة.. كيف وهم يهدمون دين الله كل يوم بما يُشِيعونه من التغريب والتمييع لقضايا الأمة ومبادئها؟ رئيس تحرير إحدى الصحف العربية ثارت ثائرته ، وانتفض قلمه حين نشر في

جريدته بطريق الخطأ مقال عن العنصرية في العقيدة الصهيونية ، فشهر سلاحه مدافعاً عن الصهيونية ، واعتذر بكل ما أوتي من عبارات الذلة والاستخذاء ، وأصدر قراراً بمنع كاتب المقال من جريدته.. ترى هل سيسجل مثل هذا موقفاً من إهانة القران كما فعل في الدفاع عن الصهيونية؟).هـ. وتحت عنوان: (فداك نفسي يا كتاب الله) يقول الأستاذ محمد أبو الهيثم ما نصه: (صفعات متوالية تلك التي تنهال على أمة الإسلام في وقت رعى الذئابُ الغنم ، ولم يعد لها راع سوى تلك الذئاب. هانت الأمة حتى وصل الحال بأعدائها إلى المساس بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إهانة لأمة هجرت كتاب ربها وليس إهانة للكتاب ، فحاشى إخوان الخنازير وأعوانهم أن يصلوا لكتاب الله ، ولكنهم استطاعوا الوصول لإهانة الأمة تحقيقاً لسُنن الله في كونه ، من إدالة الظالمين على الظالمين بما كسبت أيديهم ، {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}. أمة الفضائيات الهابطة ، والأكاديميات الداعرة والعُري الفاضح ، والقوانين الكافرة ، والأضرحة المنتشرة في ديار المسلمين تتخذ من دون الله آلهة. أمة أصبح المسلمون فيها غرباء مطرودون والكفار أولياء مقرّبون ، فأصبحت الرابطة رابطة علماني ، وأصبح الولاء ديموقراطياً ، وأصبح العمل لاهوتياً ؛ فلا تكاد تفرّق بين بيوت كثير من المسلمين وبيوت النصارى ، فالزوجة في كلا البيتين عارية ، وصوت الفضائيات والأغاني ينبعث من البيتين كليهما ، وترك الصلاة هنا وهناك ، فبماذا يكون التمييز إذنْ؟ ولا شك أننا عندما نرى شباب الصحوة كالنور يتلألأ في دياجير هذه الظلمات ينتعش القلب فرحاً ، كما يحزن القلب من التفرق المشين بين أبناء الصحوة ، وبين البعد الكبير عن التطبيق الصحيح لمنهج الإسلام ، الذي لو اتُّبِع على حقيقته لما وجدنا هذا التفرّق. فعلى الأمة أن تعود إلى منهج ربها وتنتهي من هذا الفصام النكد بينها وبين التطبيق الصحيح لشريعة ربها. وعلى الطواغيت أن يطبّقوا شريعة ربهم ، فما هانوا وهانت معهم أمتهم إلا بتركهم لأصلهم والتمسّح في كل أصل بديل ، والارتماء على أرجل وأعتاب كل ذليل. وليعلم الجميع أن هذه الثلة الصالحة المباركة ، التي يدنّس شرفها وتهان كرامتها في سجون الدعار ، سواء في الشرق أو الغرب ، أو حتى في سجون الطواغيت المتسلطين من أبناء الجلدة. نقول للجميع بأن هؤلاء هم الأعلوْن رغم ما هم فيه من سجن ، وأن أعداءهم هم الأذلاء ، ولنتذكر قول عمر في رده على أبي سفيان بن حرب بعد غزوة أحد: "قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار". ولنعلم أن دولة الإسلام ستقوم بعز عزيز وبذل ذليل {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس}. ولكنها - مسؤولية النهوض بالأمة - قد اشتدّت فوق الأكتاف ، فماذا عسانا أن ننتظر بعد أن تعرض كتاب ربنا للإهانة في سجون الدعار ، أبناء ثقافة العهر ، وديانة المادة ، على كل مسلم أن يتحرك لدينه بتغيير ما حوله ، بالعلم الصحيح وخاصة المعتقد الصافي ، والدعوة الصادقة ، وتغيير المنكر بما ليس منكر ، والسعي لنشر دين الله في الأرض وتطبيق شريعته. وعلى الطواغيت أن يتذكروا أن التاريخ لن ينسى لهم بحال أن أعداء الله استهانوا بهم لدرجة تدنيس أقدس المقدسات ، بلا هيبة لهم ولا خوف منهم. رحم الله صاحب هذه الكلمات: "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، لك ما ترى دون ما تسمع يا ابن الكافرة". لكِ الله يا أمة المسلمين يوم غاب قادتك العِظام ، فأين عمر يستلم مفاتيح القدس؟ وأين خالد يغزو الروم؟ وأين صلاح الدين يطهّر بيت المقدس؟ وأين عمر بن عبد العزيز يحكم بشريعة الإسلام فلا يجد من يستحق الزكاة؟!).هـ.)

44 - سنسافر أنا والكتب!

(إنها قصة حقيقية قصيرة حدثتْ للأستاذ القارئ الصومالي الفاضل عبد الرشيد صوفي – حفظه الله تعالى – حكاها بنفسه! والأستاذ القارئ المحترم عبد الرشيد بن علي بن عبد الرحمن صوفي ، لمن لا يعرفه ، هو من مواليد (1964) ، وهو قارئ للقرآن الكريم ، ومفتٍ سابق في الصومال ، ويحمل الجنسيتين الصومالية والقطرية. ولد في الصومال واستقر في قطر عام 1991م. وتخرج على يديه الكثير من العلماء والقراء والمفكرين والأدباء ، وأنشأ المَدارس والمراكز العديدة لتعلم القرآن وتعليمه ، وآخرها مسجده المشهور في مقديشو المسمى بمسجد الشيخ علي صوفي ، وكأنه سماه باسم أبيه ، وهذا من بر الوالدين ولاشك. ويعمل الآن كإمام بجامع أنس بن مالك بالعاصمة القطرية الدوحة. كما يشارك كحكم معتمد في مسابقات تلاوة القرآن ، ومن ذلك مشاركته في التحكيم في مسابقة تيجان النور ، التي تقام سنويّا من قبل تلفزيون ج القطري! وأما عن دراسته: فلقد أتم حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره ، كالأئمة العظام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم! ثم أتقن علم التجويد على يد والده الشيخ علي بن عبد الرحمن بن صوفي برواية حفص عن عاصم ، وبعد ذلك القراءات السبع عن طريق الشاطبية ، واستمع لشرح الشاطبية من والده أكثر من ثلاث مرات وحفظها. وأما عن رحلته إلى مصر لطلب العلم: فلقد رحل إلى مصر لاستكمال علم القراءات في أكتوبر عام 1981م ، وهناك انتظم في معهد القراءات ، ونال الشهادة العالية في القراءات العشر من هذا المعهد. وأجازه الشيخ محمد بن إسماعيل الهمذاني إجازتين بسنده المتصل إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ الأولى: في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ، والثانية: في القراءات العشر من طريق الطيبة. وأما عن سفره إلى قطر: فلقد قدم إلى قطر عام 1991م ، حيث عمل منذ قدومه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - بوظيفة إمام وخطيب بجامع أنس بن مالك - بمنطقة السوق المركزي بالدوحة. وهو يحمل الجنسية القطرية الآن. والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرشيد صوفي هو أشهر قارئ في الصومال. وأما عن قصته والتي هي موضوع قصيدتنا ، فيحكيها بنفسه فيقول بأنه عندما كان يدرس في القاهرة ، وأزمع الرحيل منها إلى الصومال ربما في أولى سفراته! وكان قد تجول في أسواق القاهرة القديمة ، حيث الكتب التراثية العظيمة وأسفار العلم الجليلة ، وبأسعار خيالية رخيصة جداً! فقام الأستاذ بشراء كميات كبيرة من الكتب ، وعبأها في كراتين كثيرة! وحملها إلى المطار ، وهناك كانت المفاجأة ، حيث قال الموظف: إن على هذه الكراتين رسوم وزن زائد عن الحد المسموح به كذا وكذا! وذكر مبلغاً كبيراً ليس مع الأستاذ عبد الرشيد منه قليل ولا كثير! فقد أنفق كل ما لديه من المال على الكتب! وقال: والله ما عندي علم بإجراءات السفر والوزن الزائد! بل كان يعتقد كما ذكر أن المسافر يسافر بكل أمتعته التي يحب والأحمال التي يشتهي دون قيدٍ أو شرط! فقال الموظف: هذه قوانين السفر ، وأنا أقترح إما أن تسافر أنت وتترك هذه الكتب ، أو هذه الكتب تسافر وحدها وتتركك معنا هنا في مطار القاهرة! مضيفاً أنه يتحدى الأستاذ أن سفره بالكتب بدون دفع الرسوم من عاشر المستحيلات! فقال له الأستاذ في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: سنسافر أنا والكتب! وأنا أيضاً أتحداك! وحظ الأستاذ كان في أرقى درجات حلاوته وعذوبته ، حيث كان أمامه سويعات على موعد إقلاع الطائرة! فكان أمامه بذلك مجال لأن يسعى ويتحرك يمنة ويسرة ربما وجداً حلاً لهذه المعضلة! واتجه فوراً إلى الصلاة في مسجد مطار القاهرة على حد قوله! وهناك أخذ معه تذكرة الطائرة ووضعها

داخل جواز سفره ، واتجه للصلاة! وهناك في المسجد دفع به المصلون جميعاً إلى المحراب ليصلي بهم لما ارتأوا من سمته ولباسه ولحيته ، ولربما كان أحدهم يعرفه والله أعلم! يقول: وفي الصلاة تلا قول الله تعالى من سورة النمل: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله؟) ويرددها متأثراً متذكراً حاله وتعقيد مسألة السفر! فلما فرغ من صلاته رأى رجلاً من المصلين خلفه عليه وقار وله هيبة ، وكان قد لبس لبساً رسمياً عليه الشارات والنجوم والنسور والنياشين! ولم تكن هنا الغرابة ، بل كانت الغرابة عندما رأى الدموع تنهمر من عينيه! وهمّ الشيخ بسؤال الرجل ما يبكيك! ولكن الثاني طلب من الأستاذ القارئ لو خمس دقائق يكمل المشهد من سورة النمل بهذه القراءة الحلوة! يقول الأستاذ عبد الرشيد صوفي فاستأنستُ واستبشرتُ خيراً ، فلما قرأتُ بناء عن طلبه أجهش بالبكاء وأخذ النحيب يعلو وكان جواً جنائزياً من رآه ظن أن الرجل فقد عزيزاً عليه لتوه! فغلما فرغتُ من القراءة طلب مني أن أشرب معه الشاي في مكتبه! فلم أتردد ووافقت على الفور! وإذا بالرجل هذا مدير أمن مطار القاهرة الدولي! وسألني عن حالي وحلي وترحالي! فحكيت له الموضوع كاملاً وأن معي كراتين كتب حالت دون إكمال إجراءات السفر! فقال لي: أبشر ستسافر أنت وكتبك إلى الصومال ولا تنسنا من صالح دعائك يا شيخ! وطلب المدير الموظف إلى مكتبه والشيخ لا يزال ضيفاً عليه! وجاء الموظف الذي لما رأى الأستاذ ظن أنه اشتكاه إلى المدير ، فتلعثم واحتار ماذا يقول وكيف يتصرف! وقطع المدير عليه لعثمته وبدد حيرته عندما بدأ بالنهاية وهي قوله: اذهب مع الشيخ وأنه له إجراءات سفره وكتبه فوراً! يقول الشيخ وانتهت الإجراءات في ثوان معدودة! وانطلقت من المدير إلى سلم الطائرة التي سوف تقلع بعد ساعة! وتذكرت قول الله تعالى من سورة النمل المباركة: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويجعلكم خلفاء الأرض؟ أإله مع الله؟) وأدركت لطف الله ربي ونحن بين يدي قصيدتنا: (سنسافر أنا والكتب!) يطيب لنا أن نبتهل إلى الله أن نكون جميعاً مخلصين لله تعالى في السر والعلن! ونسأله أن يجعلنا نتعرف إليه في السراء والضراء! ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في كل أحوالنا نحسن الظن بالله تعالى! والحقيقة أننا يجب أن نحسن الظن بالله تعالى في كل أحوالنا! وينبغي أن ندرك جيداً أن الله تعالى لا يريد بنا ولنا إلا الخير المحض واليسر المحض! مهما بدت الظروف متعاكسة والأحوال متشاكسة ، فإنه ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة أن يحسنا ظنهما بالله تعالى! قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان ، فإن المحسن حسن الظن بربه ، أنه يجازيه على إحسانه ، ولا يخلف وعده ، ويقبل توبته ، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه ، وهذا موجود في الشاهد فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به ، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً! فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته ، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له).هـ. كما قال الحسن البصري: (إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني". عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن حسن الظن بالله من حسن العبادة ". رواه أحمد وأبو داود. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي". عَنْ أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا

عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا." رواه أحمد والبخاري. وعن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عز وجل مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة." قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له! إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا رب ، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك ، فيقول عز وجل: قد وجبت لكم مغفرتي". عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بسبي ، وإذا امرأة من السبي تحلب ثديها ، كلما وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ ، قالوا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال: والله ، الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها". وعن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت ، فقال: "كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمّنه مما يخاف". وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل ، قال: "ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة ، ولو عملت من الخطايا حتى تبلغ عنان السماء ما لم تشرك بي شيئاً ، ثم استغفرتني ، لغفرت لك ولا أبالي. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «حسن الظن من حسن العبادة». [أحمد وأبو داود]. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: لله درُّ ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب عن ستر رقيقه. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (الجبن والبخل والحرص غرائز يجمعها كلها سوء الظن بالله). والآن لنطالع ما كتبت في هذا الخصوص بشأن الأستاذ المسافر ومعه كتبه الأستاذ عبد الرشيد صوفي لندرك أن الله تعالى لا يتخلى عن أهل القرآن!)

45 - أنا يا أخا الأوطان

(كثيرون هؤلاء الشعراء الذين تناولوا الطين في أشعارهم. فهبطوا بالشعر إلى الحضيض ، عندما زادت هذه القضية عن حدّها ، وانقلبتْ لضدها ، وصارت عبودية للوحل. وسوف أتغاضى عن الأسماء لئلا يُصدم من أعجبوا بهؤلاء الشعراء! هذا أحدهم يرفع الأرض فوق الدين الحق فيقول:

بـــلادك قـــدّمْها علـــى كـــل ملـــةٍ! ومـــن أجلهـــا أفطـــرْ ، ومـــن أجلهـــا صُـــمِ!

وشاعر آخر لا يقل كفراً وضلالاً عن هذا لا يفرّق بين عبادة الخالق وعبادة الخلق ويراهما سواء:

ولا فـــرق إن كانـــت بـــلادي عزيـــزة عبـــدتُ مســـيحاً أو عبـــدتُ محمـــدا!

وآخر يجعل بيع الدين مسألة فيها نظر ، أما بيع الوطن فإنه الكفر بعينه فيقول:-

إن بعـــت دينـــاً بـــدنيا قصـــدَ منفعـــةٍ! وإن تبـــعْ وطنـــاً فـــالكفر ســـيّانُ

أما كبيرهم الذي علمهم السحر ، وقد نصبوه عليهم ملكاً وأميراً لهم وسلموا له التاج والصولجان فيقول:-

وجـــه الكنانـــة لـــيس يُغضـــبُ ربكـــم أن تعبـــــدوه - كوجهـــــه - معبـــــودا!

ولّـــوا إليـــهِ فـــي الـــدُروس وجـــوهكم وإذا فـــــزعتم ، فاعبـــــدوه هجـــــودا!

فإلى كل معْتدّ بداره على من وفد عليها فراراً بدينه أقول: هوّنْ عليك فكلنا راحلون عن هذه الديار: إن لم نرحل عنها بالرجوع إلى بلاد نزحنا منها ، فسوف نرحل جميعاً بالموت! وقيمة الدار بالتزامها بالحق ، وليس بعطائها لأهلها من فتات موائد عِلية القوم! وليس في كلامي هذا نيل من الأوطان ولا تحريض على بُغضها ، إنما يفهم ذلك من كلامي الحمقى والسفهاء والمغفلون! إذ كيف للمسلم المؤمن الموحد أن يكره وطنه المسلم (دار الإسلام) الذي يطبق الإسلام عقيدة وشريعة ، مصحفاً وسيفاً ، عبادة وقيادة وريادة؟! كيف للمسلم أن يكره وطنه المسلم الذي قاعدة تجمع الناس فيه هي شهادة أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي يدعو للإسلام ويعمل به وينشره في بقاع الأرض ويجاهد في سبيل إعلاء رايته؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي يُحق فيه الحق ويُبطل الباطل ويُؤمر فيه بالمعروف وأعلاه توحيد الله تعالى ، ويُنهى فيه عن المنكر وأعلاه الشرك الأكبر بالله تعالى بأنواعه؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي لا يشعر بالعزة والكرامة والإباء والفخر إلا بين ربوعه؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي يقيم شعائر الإسلام وشرائعه بدون استبعاد شئ منها قل أو كثر؟ إن حب الوطن المسلم الذي هذا شأنه واجب شرعي ، بل فريضة من فرائض الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج! والموت في سبيل الوطن الذي هذا شأنه واجب مقدس وشهادة في سبيل الله يحظى صاحبها بالجنة! وساعتها تصح المقولة المشهورة بأن حب الوطن من الإيمان! يقول الشيخ عزام في كتابه (الإسلام ومستقبل البشرية) ما نصه: (يقول ابن غوريون: (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة ، إنما نخشى الإسلام ، هذا المارد الذي نام طويلاً ، وبدأ يتململ في المنطقة ، إني أخشى أن يظهر محمد جديد في المنطقة. ويقول جب في كتابه (جهة الإسلام) وهو كتاب كتبه مجموعة من المستشرقين نتيجة أبحاث قدمت لمؤتمر في جامعة (برنستون) في أمريكا: (إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة ، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين). وهذاهرقل يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت عنده لغسلت عن قدمه). أما أبو سفيان فيقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة ، إنه لتخافه ملوك بني الأصفر! ولقد كان هرقل جاداً في أمره فعرض على قومه أن يعلنوا إسلامهم ، قال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي! فحاصوا حيصة حمر الوحش. فأصروا واستكبروا وأعرضوا كأنهم حمر مستنفره فرت من قسورة ، ولو قبلوا لنجا ونجوا وبقي لهم ملكهم عدا عن الفلاح والرشد الذي يحمي الممالك ويحفظ الديار ويبارك الأعمار والأجيال. لقد كان شأن حاشية هرقل شأن كثير من الحواشي اليوم ممن يزينون للحكام سوء العمل ويوغرون صدورهم على الدعاة المسلمين الذين يريدون

أن يقدموا الخير للحكام ولحاشيتهم ويحافظوا على الوطن والديار والأموال والقيم والأجيال. إن الدعاة يحرقون أنفسهم لينيروا الطريق أمام البشر ، ويحملون السعادة ليقدموها إلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فيؤذونهم ويضطهدونهم. لقد انتكست الفطرة ومسخ الإيمان ، فهل تقوم الأجيال الحاضرة بالدور الكبير الذي أشار إليه سيد البشرية صلى الله عليه وسلم؟ أين خيرة الله من أرضه التي اجتبى الله إليها خيرته من عباده؟ أيتها البلاد المباركة التي توكل الله بها وبأهلها: هل لك أن تتقدمي لتأخذي بزمام موكب البشرية الضال التائه إلى سواء الصراط؟ أيتها الأرض الطيبة التي تظلها الملائكة بأجنحتها: مالك غافلة نائمة عن دورك الطليعي الذي أحلك الله رب العالمين فيه؟ ماذا دهاك لتأخذي مكانك بين القطيع البشري الذي قصر حياته على بطنه وشهوته؟ (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون). (يا طلائع البعث الإسلامي لماذا أنت مخبأة في ضمير الغيب ، أما آن لك أن تقومي وتستيقظي وتبذلي الأرواح والدماء من أجل المعذبين في الأرض ، رحمة بالإنسان الذي نخر عظامه الكحول ، وأتلفت أنسجته المخدرات ، ومزقت حياته الأمراض العصبية ، وأهدر كيانه وإنسانيته التمرد والشذوذ ، وقتلت زهرات شبابه حبال الانتحار ومواخير المحلات العامة؟).هـ.
أكتب في ذلك على نمط السطر الشعري بتفعيلات رباعية من الكامل! وأعتذر عن طول المقدمة إذ الهدف منها قد يشفع لي! لقد أردت أن أبين أن الفخر لا يكون بالأوطان لمعيشتنا فيها ولانتسابنا لها فقط! بل الفخر يكون بمقدار إقامتها لدين الله تعالى وبمقدار إعزازها للمسلمين واحترامها لهم! وطبيعي أنها إن أقامت الإسلام وعملت به ودعت إليه وجاهدت في سبيله فقد أعزت المسلمين! ونشيد أنا يا أخي الإنسان يعجبني ويبكيني جداً!)

46 - أنت أدرى بما جرى

(هناك في الصف السادس الابتدائي من المرحلة التأسيسية ، قام أحد الطلاب بوضع ساعة زميله التي تركها على طاولته في جيبه عازماً على أن لا يردها له ثانية! ولما عاد الثاني صاحب الساعة لم يجدها ، فسأل الحاضرين عنها بما فيهم السارق فأنكر الكل! فعمد معلم اللغة الفرنسية إلى حيلة بسيطة وهي أن يفتش كل طالب بحثا عن الساعة المفقودة! فقام بوضع ضمادة على عيني كل طالب ، وتظاهر أنه قد وضع ضمادة على عينه هو وإن لم يُحكمها! وقام بتفتيش الكل تفتيشاً ذاتياً فوضع يده في جيب كل واحد منهم ، ولما وصل إلى الساعة في جيب أحدهم أخذها ووضعها خلف الباب قريباً من الطالب صاحب الساعة! وستر على السارق مبتغياً وجه الله تعالى! وبعد قليل عادوا إلى أماكنهم ، وأمر المعلم أحدهم أن يغلق باب الصف ، وعندها اكتشف أن الساعة ملقاة خلف الباب فأعادها إلى صاحبها وأغلق المعلم ذلك الموقف التعليمي بتربوية فائقة سلم فيه الجميع بما فيهم السارق! ومرت السنون وتخرّج الطالب السارق هذا في الجامعة والتقى بالمعلم ذاته في إحدى الحفلات التي دعيَ إليها كل منهما! وسأل الطالب المعلم ممازحاً: أما زلت تذكر قصة الساعة وسارقها؟ فقال المعلم: بلى! فقال الطالب: أنا السارق فهل تعرفني؟ فأجاب المعلم: وإن كنت أعرفك فهل أجيب بنعم؟ لقد سترت عليك صغيراً فهل أفضحك كبيراً يا بني؟! فعقب الطالب قائلاً: لقد توقعت يومها أنك سوف تفضحني وسوف تكشف أمري لهم! والعجيبُ في هذه القصة أن المعلم كان يعرف السارق منذ البداية ، ولكنه استمر على ستره في جموع الحاضرين! وأضاف الطالب: لقد كانت آخر سرقاتي يا معلمي! فلقد تبت عن أخذ ما ليس لي إلى الأبد! وبرغم اعتراف الطالب وتعقيباته

ظل المعلم على ثباته من أنه كان يعرف الطالب السارق! فتخيلتُ نفسي ذلك المعلم أقول للطالب هذه الكلمات التي صغتها في قالب قصصي!)

47 - يا غادتي أنت المُنى

(سألني غير واحد عن شعر الغزل ولماذا لم أكثرْ منه! فأجبته بأنني مشغول بقضايا الأمة والإسلام. وشعر الغزل لا أرى فيه حُرمة مادام شاعره قد التزم أدب العقيدة والتوحيد. ودين الإسلام قِوامه بعد التوحيد الحب. جيء بفتاة خطبها رجلان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – أحدهما موسر يريده أهل الفتاة والآخر معسر تريده هي. فأجاب: لم يُر للمتحابين مثل الزواج ، زوِّجوها من تحب. فلقد خطب عبدُ الله بن عمر بنتاً خطبها المُغيرة بن شعبة! فلما أحبت الفتاة المُغيرة ورُفع الأمرُ إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسأل عن رغبة الفتاة ، فتزوجت المغيرة. وابنُ عمر يقول: وأنا أنظر. وعموماً الحب في الله عظيم أجره عند الله تعالى! فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي". وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش - وكلتا يدي الله يمين - على منابر من نور ، وجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء ، ولا صديقين" ، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "المتحابون بجلال الله تعالى". وأرى أن كل زوجة هي أخت لزوجها في الله! ومن هنا كتبتُ هذه القصيدة الوجدانية لزوجتي (أم عبد الله) تعبيراً عن صادق الحب وخالص الود وعاطر الشوق وطيب العلاقة التي هي في الله والإسلام أولاً وآخراً!)

48 - أنتَ المُنى يا بُني!

(والدٌ بائسٌ مبتلىً في وَلده. إذ كلما اقترب هذا الوالد من ولده ، ابتعد وأعرض عن أبيه ونأى بجانبه. وما ذاك إلا بسبب شِلة الرفاق وزهرة الدنيا. فراح الأب يُبيّن لذلك الابن الغافل أنه أمله في الحياة ومُناه منها. إن الأب الذي يجدّ ويجتهد في سبيل توفير الحياة الكريمة لابنه ، كان عليه أن يُحسن إليه الدهر. وكم أوصانا قرآننا وأوصتنا سُنة نبينا - صلى الله عليه وسلم - بالوالدين. وأعظمت شريعتنا حقوق الوالدين. ومن هنا رحت أنشد على لسان ذلك الوالد المبتلى هذه القصيدة من المتدارك ، أتدارك بها على ذلك الابن وكل ابن لا يقوم بحق الوالدين ولا يراعي حقوقهما. ما استحق أن يولد ابنٌ لا يحترم أبويه ، ولا يؤدي لهما حقوقها. فليحرصْ كل مسلم على أداء الحقوق إلى أصحابها وبخاصة الوالدين. وفي البحث المعنون له بـ (ملامح شخصية الأب في القرآن الكريم للدكتور رشاد أبو لاشين) جاء ما ملخصه: (إن التربية في رحاب القرآن الكريم أولها (الأب): بقدر ومقدار وقيمة الأبوة والبنوة أقسم الله تعالى بهما: (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) ، وهذا القسم يوضح القيمة والقدر والمقدار! فأن تكون أبًا ليس شيئًا بسيطًا

ولا هينًا ، فاقدر للأبوة قدرها ، وكن على مستوى المكانة التي وضعك الله فيها. وبرنامج التعامل الذي ارتضاه الله تعالى للآباء هو الإحسان وهو أرقى درجات التعامل بين البشر ، وجعل هذا الإحسان ميثاقًا بين كل إنسان وبين الله سبحانه وتعالى يحاسبه على الوفاء به. (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ). ومكانة الوالدين في سُلم العلاقات أكدها الله تعالى في عدة مواضع في كتابه العزيز: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا). وأيضا: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا ، فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا). والله تعالى العلي العظيم يوصي- والوصية تكون للأهمية والتأكيد ، والوصية هنا ليست فقط بالحسن والإحسان ، بل بالشكر والعرفان للوالدين ، وهذا مقام كبير: (أحسن واشكر لوالديك) ، وهذا يتضح من خلال الآيات الآتية: (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). والله تعالى يعلمنا شكر نعمه سبحانه على الآباء والأمهات وليس على الذات فقط: وهذا امتداد لشكر نعمة الله تعالى وإحساس بقيمة الوالدين وفضلهم ، وأن نعم الله تعالى عليهم فائدة لنا وللأجيال اللاحقة لذا وجب شكرها ، وهذا يتضح من الآيات الآتية: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ). وللآباء أثر كبير وعظيم على أبنائهم ، فهم القدوة والنبراس الذين يتلقون منهم القيم والسلوكيات منذ نعومة أظفارهم ، وهم أصحاب الفضل وتربطهم بالأبناء عاطفة قوية ، لذا فإن لهم تأثيرا كبيرا في توجيه سلوك الأبناء ، وهذه مسئولية كبيرة يجب أن يعيها كل أب حتى يورث أبنائه الصلاح والإيمان والتقوى. والأب هو أهم شخصية في أمة الإسلام ، باعتبار أن الأسرة هي وحدة بناء الأمة ، والأب هو راعي التربية الأخلاقية ، هو مسعد القلوب ، ومجفف الدموع ، ومخفف الكروب ، هو حامل الراية ، والموصل للغاية ، وواقي الأهل من نارٍ وقودها الناس والحجارة.)هـ. ويعلق صاحب الظلال – رحمه الله – على آية سورة الإسراء (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) فيقول ما نصه: (بهذه العبارات الندية والصور الموحية ، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء. ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء ، توجّه اهتمامهم القوي إلى الأمام. إلى الذرية. إلى الناشئة الجديدة. إلى الجيل المقبل. وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء. إلى الأبوة. إلى الحياة المُوَلية. إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتتلفت إلى الآباء والأمهات! إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد. إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات. وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة ، فإذا هي قشر ، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلهما الأجل - وهما مع ذلك سعيدان! فأما الأولاد

فسرعان ما ينسوْن هذا كله ، ويندفعون بدورهم إلى الأمام. إلى الزوجات والذرية. وهكذا تندفع الحياة. ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء. إنما يحتاج هؤلاء الأبناء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف!هـ.)

أنت جنتي

(مهما كتب شاعرٌ ما قصائد يهديها لزوجته التي أحبها في الله ، وتزوّجها على كِتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فإنني أراه مقصراً في حقها جداً. لأنها تستحق منه الكثير ، خاصة إن كانت صاحبة تصوّر وعقيدة بكل ما تعنيه الكلمة من معان ، وبكل ما تحتويه من مفاهيم. والحقيقة أنني كتبت لأم أولادي أم عبد الله ، أطول ثاني قصيدة في جُملة ما كتبت ، والتي بلغ عدد أبياتها (650بيتاً من الكامل وقافية اللام). وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على فرط الحب في الله – عز وجل -. وكان عنوان هذه القصيدة (لوعة الرحيل) ، أنشدتها عندما فارقتني في غربتي لأول مرة في صيف 1995م ، وكان عمري آنذاك (32 سنة). ومن حقها أن تفاخر الآخرين والأخريات بهذه المعلقة التي تأتي في غير زمان المعلقات (على حدّ تعبير شاعرنا الفذ الكبير والناقد الأدبي العملاق الأستاذ / سالم النوبي). تفاخر بها لأنها أفضل من الأقرطة والعقود والأساور والجواهر والقلائد ، تلك التي يستطيع شراءها أغلبُ الميسورين متى توفر المال. في حين أن هذا الأغلب لا يستطيع قراءة بيت من أبيات (لوعة الرحيل) فضلاً عن تأليفه! تفاخر بها عندما تعايرها الجاهلياتُ بالثعابين والقلائد الذهبية! كما كان القرشيون يفاخرون بهبل وباللات والعزى في بدر فيقولون: (اعلُ هبل! العزى لنا ولا عزى لكم!) فيقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه أجيبوهم! فيقولون وهم الشعراء النحارير والخطباء المغاوير احتقاراً لشخصياتهم وملكاتهم وحظوظ أنفسهم أمام رسولهم: (ماذا نقول يا رسول الله؟) فيقول لهم – صلى الله عليه وسلم -: (قولوا: الله أعلى وأجل ، الله مولانا ولا مولى لكم!) واليوم أكتب هذي القصيدة المتناغمة لزوجتي لأعبر بها عن خالص حبي وتقديري. وجعلتها هذه المرة على البحر العروضي المتدارك وقافية اللام. وسبق لي وأن أهديتها وأولادها جُل شعري غير نادم على ذلك. وكانت مناسبة هذه القصيدة العذبة جملة من الخلافات رانت على علاقتنا الوطيدة ، وكادت أن تودي بها لولا لطف الله تعالى. وحقاً الخلاف بين الخلائق وخصوصاً الأزواج سُنة لا تتبدل ولا تتخلف أبداً. ولو كان بيت ما من بيوت المسلمين يخلو من الخلاف لخلا من قبل بيت النبي – محمد - صلى الله عليه وسلم – ومن هنا رحتُ أبيّن لزوجتي مدى مكانتها عندي ، وذلك من باب: من أحب أخاً له في الله فليعلمه!)

50 - أنت يا حياة

(روي الشيخان أن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال: (إنما مَثَلي ومَثَل الناس كمَثَل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعُّهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها). إنه ببعثة النبي الرسول محمد - صلي الله عليه وسلم – طهُرت الأرض والناس ، وأشرق فجر وليد جديد من النور بمنزلة ، ومن القيم بمكانة ، وعاشت الأمة على هذه النبوة والخلافة من بعد النبوة ما شاء الله عز وجل لها أن تعيش ، ثم ما لبثت أن عادت إلي حياة الذل. إنها حياة الجاهلية البعيدة عن نور الوحي وإشراقات التوحيد ويواقيت العقيدة ونفحات الإيمان وعطاءات الإحسان ، حيث

الحيرة والاضطراب والقلق والحسرة والمرارة ، ولا منجي من كل هذا إلا بالعودة إلى الله تبارك وتعالي: (ففروا إلي الله إني لكم منه نذير مبين) ، (وإن يمَسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يُردك بخير فلا رادّ لفضله) ، (إن الله لا يُغَير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) ، (ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها علي قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم). ومما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم: نشر الدين الحق والأخلاق الحسنة ، والمعاملات الطيبة بين الناس أجمعين ، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فكان ما قال حقاً وصدقاً. فتممّ مكارم الأخلاق ، وسار الناس في عهده ومن بعده على النهج السديد والصراط المستقيم ، وتحلّوا بهذه الأخلاق ، فتغيّرت أحوالهم ، وعَلَت هاماتهم ، وسمَت آمالهم ، فأصبح الذليل عزيزاً ، وأصبح المنفِّر مبشراً ؛ وأصبح الفظ الغليظ ليّناً. وصار رعاة الغنم قادة للأمم ، وحقق أصحابه المجد التليد ، وربّى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه التربية التي أصبحت مضرب الأمثال ، حتى أصبحوا مثلاً يُقتدى بهم. وعاش التابعون وتابعوهم على ما كان عليه الصحابة – رضي الله عنهم -. ثم تبدلت الأحوال وعشنا حياة من الجاهلية بمكان. ألا إنها حياة الحيرة والانحراف بعيداً عن ذكر الله وما نزل من الحق ، وأظن أنه قد آن الأوان لكل ذي بصر وبصيرة أن يستبين طريق المجرمين: (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين.)

51 - انتكاسة غير مسبوقة

(ساقطة لبنانية تدلّ قسماتُ وجهها على العُهر والفجور. كما تدل كلماتها على الفسق والكفر. كانت هذه الساقطة المرذولة قد تزوجتْ من شقيقها علانية. ثم راحت تناظرُ المفتي اللبناني الشيخ خليل الميس على قناة (الدنيا) ، وتبرّر هذا الزواج الملعون تحت مسمى الحرية الشخصية ، وراح أخوها الداعر الفاجر والمذيع الذي لا يختلف كثيراً عنهما ، يبرّران ويباركان ذلك الزواج العُهري الملعون القذر. وانطلق الشيخ الميس يردّ عليها ويصفعُها بالأدلة التي تدل على أنها قد خرجتْ من دين الإسلام. بينما راحت تدافع عن رأيها باسم الحرية ، فخرج الشيخ من القاعة غاضباً ساخطاً على القاعة ومن فيها وعلى مجرد الجدال. ذلك أن هذه العاهرة المرذولة المومس راحت تدافع عن فعلتها الغاوية الضالة الأثيمة ، ويساعدها أخوها الزاني والمذيع المنحل والجمهور المتفحش المجاهر بتأييد الإباحية والانحلال. وإنه ليُفترض في المذيع المحاور أن يكون على الحياد كما هو منصوص عليه في أخلاقيات مهنة المذيع ، ولكن مذيعنا تحوّل إلى أحد الخصمين! وليته كان مع الحق! وزادت القحبة العاهرة الأمر سوءاً وقبحاً عندما خلعت ما يستر رأسها وصدرها لتبدو شبه عارية ، أمام الجمهور الذي صفق تصفيقاً حاداً يُؤيدها في ذلك. وقالت: أنا لستُ مقتنعة بهذا الحجاب ، وإذن فهي مقتنعة بزواجها من شقيقها بعقد وشهود على مِلة إبليس وعلى مذهب العهرة الكفرة الفجرة ، الذين دينهم شهواتهم وقبلتهم أهواؤهم. أما الحجاب فليست راضية عنه. وكنتُ قد شاهدتُ المناظرة ، فاحتقرتُ تلك الداعرة من كل قلبي! وسوف أظل أحتقرها ما حييت! وكتبت هذه القصيدة منددا بها وبالمذيع وبالجمهور الساقط وبأخيها الزاني (زنا المحارم) الذي هو من أشنع وأقبح أنواع الزنا بإطلاق في شريعتنا! وتحت عنوان: (الْمَرْأَةُ بَيْنَ عِزِّ الْإِسْلَامِ وَذُلِّ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ) تقول الأخت نور الإيمان ، من بُنيات فلسطين ما نصه: (إن الْبَاعِثَ الْحَقِيْقِيَّ لِأَنْ نَنْظُرَ إِلَى وَاقِعِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْأَمْسِ الْقَرِيْبِ زَمَنَ وُجُوْدِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفِي ظِلِّ مُجْتَمَعٍ يَحْتَكِمُ إِلَى كِتَابِ

اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ، هُوَ مُقَارَنَتُه بِالْوَاقِعِ الَّذِي تَعِيْشُهُ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ حَالِيَّاً فِي مُجْتَمَعَاتٍ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ تُحْكَمُ بِغَيْرِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ وَتُطَبِّقُ قَوَانِيْنَ الْكَافِرِ الْمُسْتَعْمِرِ صَاحِبِ السِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ حَيْثُ يَصُوْلُ وَيَجُوْلُ دُوْنَ رَقِيْبٍ وَلَا حَسِيْبٍ. فَمَاذَا قَدَّمَ الْإِسْلَامُ لِلمَرْأَةِ؟ وَمَاذَا قَدَّمَتْ الْمَرْأَةُ لِلإِسْلَامِ؟ وَمَا هُوَ حَالُهَا بَعْدَ زَوَالِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ؟ وَمَاذَا يَكِيْدُ لَهَا أَهْلُ الْكُفْرِ فِي كُلِّ بِقَاعِ الْأَرْضِ؟ لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ مِنْ مَكَانَةِ الْمَرْأَةِ مُنْذُ أَنْ أَشْرَقَ فَجْرُ الْإِسْلَامِ فَأَكْرَمَهَا حِيْنَ أَذَلَّهَا أَهْلُ الْكُفْرِ وَصَانَ عِرْضَهَا حِيْنَ دَاسَهُ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ قَدِيْمَاً ، فَأَعْطَاهَا حُقُوْقَهَا كَامِلَةً حِيْنَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا سِلْعَةً وَمُتْعَةً لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَحَافَظَ عَلَى تِلْكَ الْمَكَانَةِ الَّتِي أَعْظَمَ بِهَا الْمَرْأَةَ وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهَا مِنْ خِلَالِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَصُوْنُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِيْنَ وَتَذُوْدُ عَنْهَا ، وَكَانَ خَلِيْفَةُ الْمُسْلِمِيْنَ يُجَيِّشُ الْجُيُوْشَ مِنْ أَجْلِ شَرَفِ امْرَأَةٍ وَعِرْضِهَا ، وَفِي ظِلِ هَذِهِ الْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ الْعَظِيْمِ شَارَكَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْحَيَاةِ وَكَانَ لَهَا دَوْرٌ كَبِيْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْسَى أَوْ يُهْمَلَ عَلَى مَرِّ الْعُصُوْرِ! فَلَقَدْ كُرِّمَتْ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ وَفِي كَنَفِ سُلْطَانِهِ ، فَقَدَّمَتْ مِنْ أَجْلِ إِعْزَازِ دِيْنِ اللهِ الْكَثِيْرَ الْكَثِيْرَ ، ابْتِدَاءً بِأُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ خَدِيْجَةَ الْكُبْرَى كَيْفَ صَحِبَتْ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَيْفَ دَافَعَتْ عَنْهُ وَصَدَّقَتْهُ حِيْنَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، وَكَانَتْ لَهُ عَوْنَاً وَسَنَدَاً فِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللهِ! وَمِنْ بَعْدِهَا عَائِشَةُ وَزِيْرَةُ صِدْقٍ لِرَسُوْلِ اللهِ ، وَسُمَيَّةُ أَوَّلُ شَهِيْدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهَا هِي نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الَّتِي قَالَ لَهَا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يُطِيْقُ مَا تُطِيْقِيْنَ يَا أُمَّ عِمَارة". عِنْدَمَا دَافَعَتْ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ وَثَبَتَتْ أَمَامَ الْكُفَّارِ فِي أُحُد. نِعْمَ الْمُجَاهِدَةُ الْمُطَبِّبَةُ الْمُؤْمِنَةُ التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ هِيَ ، وَخَوْلَه بِنْتُ الْأَزْوَرِ وَهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةِ وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَالْخَنْسَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الَّتِي عُرِفَتْ بِالْبُكَاءِ وَالنُّوَاحِ ، وَإِنْشَاءِ الْمَرَاثِي الشَّهِيْرَةِ فِي أَخِيْهَا الْمُتَوَفَّى إِبَّانَ جَاهِلِيَّتِهَا ، وَمَا أَنْ لَامَسَ الْإِيْمَانُ قَلْبَهَا ، وَعَرَفَتْ مَقَامَ الْأُمُوْمَةِ وَدَوْرَ الْأُمِّ فِي التَّضْحِيَّةِ وَالْجِهَادِ فِي إِعْلَاءِ الْبَيْتِ الْمُسْلِمِ وَرِفْعَةِ مَقَامِهِ عِنْدَ اللهِ ، وَعَظَتْ أَبْنَاءَهَا الْأَرْبَعَةَ عِنْدَمَا حَضَرَتْ مَعْرَكَةَ الْقَادِسِيَّةِ تَقُوْلُ لَهُمْ: "إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِيْنَ ، وَهَاجَرْتُمْ مُخْتَارِيْنَ ، وَإِنَّكُمْ لَابْنُ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍ وَاحِدَةٍ ، مَا خَبَثَ آبَاؤُكُمْ ، وَلَا فُضِحَتْ أَخْوَالُكُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوْا بَاشَرُوْا الْقِتَالَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى قُتِلُوْا ، وَلَمَّا بَلَغَهَا خَبَرَهُمْ مَا زَادَتْ عَلَى أَنْ قَالَتْ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ". هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدَاتُ الصَّابِرَاتُ الْحَافِظَاتُ الْقَانِتَاتُ وَغَيْرُهُنَّ الْكَثِيْرَاتُ مِنَ اللَّوَاتِي سُطِّرَتْ سِيْرَتُهُنَّ بِمَاءِ الذَّهَبِ فِي تَارِيْخِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيْمِ ، هَكَذَا كَانَتْ أُمَّهَاتُنَا وَهَكَذَا كَانَ الْإِسْلَامُ عَظِيْمَاً ، فَعَظُمَتْ مَعَهُ الْمَرْأَةُ فَأَنْعِمْ بِهِنَّ مِنْ نِسَاءٍ أَكْرَمَهُنَّ الْإِسْلَامُ وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهِنَّ وَحَمَى أَعْرَاضَهُنَّ وَدَافَعَ عَنْ شَرَفِهِنَّ ، فَحَافَظْنَّ عَلَى دِيْنِهِنَّ وَتَمَسَّكْنَّ بِهِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ وَاعْتَصَمْنَ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعَاً وَهُنَّ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّهُنَّ بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيْمِ وَصَلْنَ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا. وَبَقِيَتْ الْمَرْأَةُ شَامِخَةً كَرِيْمَةً عَزِيْزَةً مَصُوْنَةً بِعِزِّ الْإِسْلَامِ وَحَامِيَةِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ عَلَى مَدَارِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنَاً مِنَ الزَّمَانِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا أُصِيْبَ الْإِسْلَامُ فِي مَقْتَلٍ ، وَكَانَتْ الرَّصَاصَةُ مُصَوَّبَةً مُبَاشَرَةً إِلَى قَلْبِ الْإِسْلَامِ ، فَسَقَطَتْ حَامِيَةُ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيْمِ دَوْلَةُ الْخِلَافَةِ سنة 1924م. فَمَاذَا خَسِرَتْ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ سُقُوْطِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ وَانْتِهَاءِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَتَنْحِيَةِ الشَّرْعِ جَانِبَاً وَوَضْعِهِ فِي سُجُوْنِ الْاتِّهَامِ بِالرَّجْعِيَّةِ وَالتَّخَلُّفِ؟ إِنَّ حَالَهَا يُوَافِقُ حَالَ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَعِيْشُ فِي بَيْتِهَا تُحِيْطُ بِهَا جُدْرَانُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَوِيَّةً ثَابِتَةً ، لَا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْتَحِمَهُ عَلَيْهَا عُنْوَةً تَعِيْشُ بِهُدُوْءٍ وَسَلَامٍ وَأَمْنٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ مَعَ زَوْجِهَا وَأَبْنَائِهَا وَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ يَتَسَلَّلُ الْعَدُوُ الْكَارِهُ الْحَاقِدُ ، مُتَخَفِّيَاً فِي ثِيَابِ الصَّدِيْقِ الْمُحِبِ الْوَدُوْدِ فَيَشْرَعَ فِي نَقْضِ عُرَى الْبَيْتِ عُرْوَةً عُرْوَةً وَهَدْمِهِ حَجَرَاً حَجَرَاً ، إِلَى أَنْ هَدَمَ الْبَيْتَ بِأَكْمَلِهِ وَقَتَلَ الزَّوْجَ الَّذِي يَصُوْنُهَا وَيَحْمِيَهَا ، وَصَارَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ فِي

الْعَرَاءِ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَسْتُرُ نَفْسَهَا وَكَيْفَ تَحْمِي أَوْلَادَهَا ، وَلَا يُوْجَدُ مَنْ يَرْعَاهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهَا يُرِيْدُ الْحُصُوْلَ عَلَيْهَا بِأَيِّ ثَمَنٍ وَيُرِيْدُ أَنْ يَرَى تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ كَاللُّؤْلُؤَةِ فِي الْمَحَارَةِ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَبْطِشَ بِهَا أَحَدٌ كُلٌّ مِنْهُمْ يُرِيْدُهَا لِنَفْسِهِ ، يُرِيْدُهَا سَافِرَةً ظَاهِرَةً لِلعِيَانِ يَتَهَافَتُ إِلَيْهَا الْقَاصِي وَالدَّانِي مِنْ كِلَابِ الْبَشَرِيَّةِ! فَمَا أَصْعَبَهُ مِنْ حَالٍ آلَتْ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمَرْأَةُ. هَذَا مَا حَصَلَ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُسْلِمَةُ عِنْدَمَا سَقَطَ الْبُنْيَانُ الْعَظِيْمُ وَهُدِمَ عَلَى يَدِ أَهْلِ الْكُفْرِ! وَأَبْعَدُوْا رَاعِيَ الْبَيْتِ وَرَبَّ الْأُسْرَةِ عَنْ صَوْنِ عِرْضِكِ وَكَرَامَتِكِ مَنْ لَوْ اسْتَصْرَخْتِه: وَاخَلِيْفَتَاه لَقَالَهَا مُدَوِّيَةً مُجَلْجِلَةً تَهُزُّ عُرُوْشَ الطُّغَاةِ: لَبَيْكِ أَمَةَ اللهِ. فَقَالُوْا مُرَاوِغِيْنَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ حَبَسَهَا بِأَحْكَامِهِ وَقَيَّدَهَا بِشُرُوْطِهِ وَضَيَّقَ عَلَيْهَا الْخِنَاقَ ، وَلَمْ يُعْطِهَا حُرِّيَّتَهَا فَتَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَقُوْمُ بِمَا تُحِبُ وَلَا تَقُوْمُ بِمَا لَا تُحِبُ! لِمَاذَا تَفْرِضُوْنَ عَلَيْهَا أَحْكَاماً وَحَرَاماً وَحَلَالاً؟ دَعُوْهَا تَعِيْشُ! دَعُوْهَا بِحُرِّيَّتِهَا! قَالُوْا: لِمَ هَذَا الْحِجَابُ إِنَّهُ يُضَايِقُهَا وَيُقَيِّدُهَا! شَعْرُهَا جَمِيْلٌ لِمَ تُخْفِيْه؟ فَخَلَعُوْا عَنْهَا حِجَابَهَا! خَلْعُوْا عَنْهَا إِسْلَامَهَا! خَلَعُوْا عَنْهَا حُكْمَ اللهِ فِي حَقِّهَا: "قُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ". وَاعْتَبَرُوْا كُلَّ مَنْ تَرْتَدِي الْحِجَابَ مُتَّهَمَةٌ بِالتَّخَلُّفِ وَالرَّجْعِيَّةِ وَأَضَافُوْا كِذْبَتَهُمُ الْجَدِيْدَةَ "إِرْهَابِيَّة"! وَمَا حَدَثَ فِي دُوَلِ الْاتِّحَادِ الْأُوْرُوْبِيِّ لَيْسَ عَنْكُمْ بِبَعِيْدٍ. ثُمَّ لِمَاذَا هَذَا الْجِلْبَابُ؟ فَلْتَخْلَعْهُ عَنْهَا! هل جَسَدُهَا مَنْظَرُهُ مُنَفِّرٌ لِدَرَجَةِ أَنْ تَخْجَلَ مِنْهُ؟ لَا بَلْ هِيَ الْجَمِيْلَةُ ، فَبِكَلِمَاتٍ مُزَخْرَفَةٍ أَزَالُوْا عَنْهَا ثَوْبَ الْعَفَافِ وَالطُّهْرِ وأَمَرَ رَبِّهَا: "يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً". فَاسْتَبَاحُوْا جَسَدَهَا وَاسْتَعْمَلُوْهُ سِلْعَةً لِتَرْوِيْجِ الْبَضَائِعِ وَإِشْبَاعِ الشَّهَوَاتِ! فَصَارَتْ تَعِيْشُ لَا تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهَا فِي بَيْتِهَا ، ولا فِي الطُّرُقَاتِ ، ولا فِي كُلِّ شُئُوْنِ حَيَاتِهَا. هَذَا مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا! وَالْمُصِيْبَةُ الطَّامَةُ وُجُوْدُ نِسَاءٍ سَاذَجَاتٍ تَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ. تَتَنَازَلُ بِبَسَاطَةٍ وَيُسْرٍ عَنْ دِيْنِهَا وَتَقْبَلُ بِأَنْ تُذَلَّ وَتُهَانَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْتُرُ النِّسَاءَ وَيَهْتِكْنَ سِتْرَكَ لَهُنَّ بِأَيْدِيْهِنَّ! عَفْوَكَ رَبِّي إِنَّ قَوْمِيَ لَا يَعْلَمُوْنَ. وَهُنَاكَ أَخَوَاتٌ أُجْبِرْنَ عَلَى حَيَاةِ الذُّلِ وَالْمَهَانَةِ وَتَلْوِيْثِ الشَّرَفِ وَالْعَرْضِ ، وَلَا حَامِيَ لَهُنَّ فَلَا يُوْجَدُ مَنْ يَذُوْدُ عَنْهُنَّ أَوْ يُدَافِعُ عَنْ كَرَامَتِهِنَّ الَّتِي انْتُهِكَتْ ، وَهُنَّ كُثُرٌ فَانْظُرُوْا إِلَيْهِنَّ فِي الْعِرَاقِ وَأَفْغَانِسَتَانَ وَالشِّيْشَانِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يُطَبَّقُ فِيْهِ شَرْعُ اللهِ! إِنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ قَابِضَاتٌ عَلَى الْجَمْرِ! قَابِضَاتٌ عَلَى دِيْنِ اللهِ وَيَتَحَمَّلْنَ الْمَشَاقَ وَالتَّضْيِيْقَ عَلَيْهِنَّ ، وَلَكِنَهُنَّ يَصْبِرْنَ وَيَتَحَمَلْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ. كُلُّ هَذَا يَحْدُثُ لِلمُسْلِمَةِ! لِمَاذَا الْمُسْلِمَةُ بِالذَّاتِ؟ لِمَاذَا هَذِهِ الْحَرْبُ الشَّرِسَةُ عَلَيْهَا بِاسْمِ الْحُرِّيَّةِ؟ لِمَاذَا هَذِهِ الْهَجْمَةُ الدَّنِيْئَةُ عَلَى الْمُسْلِمَةِ بِاسْمِ الْمُسَاوَاةِ؟ أَتَعْلَمِين أُخْتِي الْمُسْلِمَةُ لِمَاذَا أَنْتِ فَقَطْ؟ لِأَنَّكِ تَقُوْلِين رَبِّيَ اللهُ ، وَلَيْسَ رَبِّيَ مَا تَفْتَرُوْن! فَقَطْ لِأَنَّكِ تَقُوْلِين لَا الَه إِلَّا اللهَ مُحَمَّدَ رَسُوْلُ اللهِ! فَقَطْ لِأَنَّكِ تَسْجُدِيْنَ للهِ وَلَا تَسْجُدِيْنَ لِشَهَوَاتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ الْعَفِنَةِ! فَقَطْ لِأَنَّكِ تَنْتَهِيْنَ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ فِي زَمَنٍ نَسَاءُ أَهْلِ الْكُفْرِ عَارِيَاتٌ وَضِيْعَاتٌ ، يَبِعْنَ أَنْفُسَهُنَّ بِثَمَنٍ بَخْسٍ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيْقِ. وَمِمَّا يَزِيْدُ الطِّيْنَ بِلَّةً حَالُ مَنْ احْتَسَبُوْهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ رؤوساً وَوَلُّوْهُمْ أَمْرَ الْمُسْلِمِيْنَ وَجَعَلُوْهُمْ لَهُمْ رُعَاةً بَلْ هُم الرِّعَاعُ وَاللهِ ، فَهَا هُمُ الْمُرْتَمُوْنَ بِأَحْضَانِ الْغَرْبِ ، الْمُوَالُوْنَ لِسِيَاسَتِهِ ، وَالْخَاضِعُوْنَ لِإِرَادَتِهِ ، وَالْمُنَفِّذُوْنَ لِأَهْدَافِهِ ، يَفْعَلُوْنَ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ وَيُقَدِّمُوْنَ لَهُ الْوَلَاءَ وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ. إِنَّ الْغَرْبَ الْكَافِرَ الَّذِي عِمْرَانَهُ عَلَى دَمَارِ الْآخَرِيْنَ ، الَّذِي يُغَذِّي جِسْمَهُ مِنْ دِمَاءِ الْمَقْهُوْرِيْنَ وَالَّذِي لَمْ يَبْنِ جَنَّتَه الْمَزْعُوْمَةَ ، الَّتِي ظَاهِرُهَا الرَّحْمَةُ وَبَاطِنُهَا مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ، إِلَّا مِنْ اسْتِعْبَادِ النَّاسِ وَاسْتِغْلَالِهِمْ وَاسْتِعْمَارِهِمْ ، وَمَصِّ دِمَائِهِمْ ، وَنَهْبِ خَيْرَاتِهِم. فَكَيْفَ يَكُوْنُ الدَّوَاءُ وَهُوَ الدَّاءُ

بِعَيْنِهِ؟! ثُمَّ إِنَّ الْغَرْبَ نَفْسَهُ ، وَعَلَى أَرْضِهِ ، حَيْثُ يَدَّعِي أَنَّه يَحْيَا بِرَفَاهِيَّةٍ وَغِنَىً وَكِفَايَةٍ وَحُرِّيَّتِهِ الْمَزْعُوْمَةِ ، يَعِيْشُ تَفَكُّكَاً أُسَرِيَّاً وَانْحِلَالاً خُلُقِيَّاً ، وَانْحِطَاطَاً فِي الْقِيَمِ ، وَانْغِرَاقَاً فِي الشَّهَوَاتِ ، وَاخْتِلَاطَاً فِي الْأَنْسَابِ سَبَبُهُ زِنَا الْمَحَارِمِ ، وَوِفْرَةٍ فِي الْجِرَائِمِ تَدُلُ عَلى شُذُوْذٍ خُلُقِيٍ وَفَرَاغٍ رُوْحِيٍ وَقَلَقٍ نَفْسِيٍ. فَلْنَنْظُرْ عَلَى سَبِيْلِ الْمِثَالِ إلى رُوْسِيَا فِيْمَا أَوْرَدَتْهُ قَنَاةُ BBC الْعَرَبِيَّةُ: "تُشِيْرُ بَعْضُ التَّقَارِيْرُ الْمُسْتَقِلَّةُ إِلَى أَنَّ الْكَثِيْرَ مِنْ الرِّجَالِ الْقَادِرِيْنَ عَلَى الْعَمَلِ فِي رُوْسِيَا حَالِيَّاً إِمَّا يُعَانُوْنَ مِنَ الْبَطَالَةِ أَوْ يَتَوَاجَدُوْنَ فِي السُّجُوْنِ أَوْ يُدْمِنُوْنَ الْكُحُوْلِيَّات. فَمِنْ بَيْنِ 20 مِلْيُوْنَ رَجُلٍ قَادِرٍ عَلَى الْعَمَلِ نَجِدُ مِلْيُوْنَ رَجُلٍ فِي السُّجُوْنِ ، وَ4 مَلَايِيْنَ يَخْدِمُوْنَ فِي الْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ ، وَ5 مَلَايِيْنَ يُعَانُوْنَ الْبَطَالَةَ ، وَ4 مَلَايِيْنَ مِنَ الْمُدْمِنِيْنَ عَلَى الْخَمْرِ ، وَمِلْيُوْن يُدْمِنُوْنَ تَعَاطِي الْمُخَدِّرَاتِ. كَمَا أَنَّ حَوَالِي 60% مِنْ إِجْمَالِي السُّكَّانِ فِي رُوْسِيَا هُمْ مِنَ الْمُسِنِّيْنَ وَالْأَطْفَالِ وَالْمُعَاقِيْنَ". هَذَا حَالُ بَلَدٍ حضَارِيٍّ وَمَا خَفِيَ كَانَ أَعْظَم. كَمَا إِنَّهُ يَعِيْشُ فِي بَهِيْمِيَّةٍ وَاضِحَةٍ بِحَقِ نَفْسِهِ وَبِحَيَوَانِيَّةٍ شَرِسَةٍ بِحَقِ غَيْرِهِ ، وَالدَّلِيْلُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَوْرَدَتْهُ قَنَاةُ الْعَرَبِيَّةُ بِخُصُوْصِ الشَّوَاذِ جِنْسِيَّاً: "وَضَعَتْ دُوَلٌ غَرْبِيَّةٌ مِثْلَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ وَفَرَنْسَا قَضِيَّةَ الشَّوَاذِ جِنْسِيَّاً فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ عَلَى أَجِنْدَةِ الْمُحَادَثَاتِ مَعَ الْمَسْئُوْلِيْنَ الْعَرَبِ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيْرَةِ ، لِدَرَجَةِ أَنَّ الرَّئِيْسَ الْفَرَنْسِيَّ جَاك شِيْرَاك تَدَخَّلَ شَخْصِيَّاً لِصَالِحِهِمْ فِي مِصْرَ ، فِيْمَا تَفِدْ إِلَى الْعِرَاقِ جَمْعِيَّاتٌ أَمْرِيْكِيَّةٌ لِدَعْمِهِمْ هُنَاكَ - كَمَا ذَكَرَتْ تَقَارِيْرٌ صَحَفِيَّةٌ نَشَرَتْهَا صُحُفٌ وَمَوَاقِعُ إِخْبَارِيَّةٌ أَجْنَبِيَّةٌ. وتقول وِكَالَةُ "أَسُوْشيتد برس" تختلف مَشَاعِرَ الْمُوَاطِنِيْنَ فِي الْمَنْطِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِزَاءَ الشُّذُوْذِ الْجِنْسِيِّ! مُؤَكِّدَا أَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُوْنَ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِ انْحِرَافَاً خَطِيْرَاً تَقِفُ وَرَاءَهُ مُؤَامَرَاتٌ أَمْرِيْكِيَّةٌ إِسْرَائِيْلِيَّةٌ لِتَحْطِيْمِ الْإِيْمَانِ وَتَشْوِيْهِ مَعَالِمِ الدِّيْنِ لَدَيْهِمْ" وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيءٍ فَإِنَّهُ يَدُلُ عَلَى أَنَّهُمْ يُرِيْدُوْن أَنْ يَنْقِلُوْا عَفَنَ حَضَارَتِهِمْ إِلَى الْمُسْلِمِيْنَ بِأَيِّ وَسِيْلَةٍ مُمْكِنَةٍ. هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى حَالِ بِرِيْطَانِيَا الدَّوْلَةُ الْعُظْمَى ، حَيْثُ أَوْرَدَتْ قَنَاةُ الْعَرَبِيَّةُ عَنْ صَحِيْفَةِ التَّايْمز اللَّنْدَنِيَّة 25- 7-2005م: كَنِيْسَةٌ بِرِيْطَانِيَّةٌ تُبَارِكُ زَوَاجَ رِجَالِ الدِّيْنِ الشَّوَاذِ: "تَمْنَحُ كَنِيْسَةٌ بِرِيْطَانِيَّةٌ مُبَارَكَتِهَا لِلزَّوَاجِ بَيْنَ رِجَالِ الدِّيْنِ الشَّوَاذِ جِنْسِيَّاً الرَّاغِبِيْنَ فِي دُخُوْلِ عَقْدِ شَرَاكَةٍ مَدَنِيٍّ. إِلَّا أَنَّ "الْكَنِيْسَةَ الْبِرِيْطَانِيَّةَ" تَرْفُضُ مَنْحَ هَذِهِ الشَّرَاكَةِ الزَّوْجِيَّةِ الْمَدَنِيَّةِ صِفَةَ "الْعَلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ" ، كَمَا أَنَّها سَتُطَالِبُ رِجَالَ الدِّيْنِ الشَّوَاذِ الرَّاغِبِيْنَ بِالزَّوَاجِ بِالْحِفَاظِ عَلَى طَهَارَتِهِمْ أَيْ عَلَاقَةٌ زَوْجِيَّةٌ "بِلَا مُمَارَسَةٍ جِنْسِيَّةٍ". وَكَانَ أَسَقُفْ "نوريتش" قَدْ أَشْرَفَ عَلَى إِعْدَادِ هَذَا الْحَلِّ بِالنِّسْبَةِ لِرِجَالِ الدِّيْنِ الشَّوَاذِ. كَمَا يُذْكَرُ أَنَّ الْمُجَمَّعَ الْإِنْجِيْلِيَّ الْعَالَمِيَّ مُنْقَسِمٌ حَوْلَ فِكْرَةِ زَوَاجِ رِجَالِ الدِّيْنِ الشَّوَاذِ جِنْسِيَّاً ، وَوَصَلَ إِلَى حَافَّةِ الْانْشِقَاقِ بَعْدَ انْتِخَابِ أَوَّلِ أَسقف شَاذٍ جِنْسِيَّاً ، رِيْف رُوْبنسون فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ. وَمِنَ الْمُتَوَقَّعِ أَنْ يَجْرِي احْتِفَالٌ رَسْمِيٌّ بِأَوَّلِ زَوَاجٍ لِرِجَالِ دِيْنٍ شَوَاذٍ فِي دِيْسَمْبِرَ/كَانُوْنَ أَوَّلِ الْقَادِمِ للأسف. وَكَانَ جَاك سبونغ أَسْقف أَبْرِشْيَّة تَابِعَةٌ لِلكَنِيْسَةِ الْأَسْقفِيَّةِ الْبرُوتُسْتَانتِيَّةِ وَهِي أَبْرِشية "نيووراك" فِي أَمْرِيْكَا ، قَدْ أَعْلَنَ مُؤَخَّرَاً بَعْدَ تَقَاعُدِهِ أَنَّ "نِصْفَ الْأَسَاقِفَةِ الْكَاثُوْلِيْك شَاذُّوْنَ جِنْسِيَّاً". هَذَا نِتَاجُ فَسَادِ حَضَارَتِهِمْ الْغَرْبِيَّةِ! وَهَذَا حَالُهُمْ! فَأَيُّ دُوَلٍ عُظْمَى تِلْكَ الَّتِي تَعِيْشُ فِي وَحْلِ الشَّوَاذِ وَمُسْتَنْقَعِ الْانْحِطَاطِ الْخُلُقِيِّ. فَكَانَ حَقَاً عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَخْتَارُوْا الْإِسْلَامَ وَيَلْفَظُوْا حَضَارَةَ الْغَرْبِ الَّتِي ابْتَلَعُوْهَا ، وَلَكِنْ لَمْ يَهْضِمُوْهَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَإِذَا مَا تَذَكَّرُوا أَيَّامَهُمُ الْخَوَالِي! يَوْمَ كَانُوْا مُتَمَسِّكِيْنَ بِالْإِسْلَامِ كَانُوْا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجِتْ لِلنَّاسِ ، وَإِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ لَمْ يَتَأَخَّرُوْا عَنْ مُقَدِّمَةِ الرَّكْبِ إِلَّا يَوْمَ تَخَلَّوْا عَنِ الْانْقِيَادِ لِأَوَامِرِ اللهِ فِي شُؤُوْنِ حَيَاتِهِمْ كَافَّةً! وَواللهِ الَّذِي لَا إله إِلَّا هُوَ لَوْ قَارَنَّا بَيْنَ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ رَحْمَةٍ وَهِدَايَةٍ وَبَيْنَ تَعَالِيْمِ الْغَرْبِ وَمَا تَفْرِضُهُ مِنْ شَقَاءٍ وَغِوَايَةٍ ، لَوَجَدْنَا الْبَوْنَ شَاسِعَاً وَأَنَّنَا نَتْرُكُ عِزَّتَنَا لِلذُّلِّ

وَالصِّغَارِ. كَمَا أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَأَوَّلُهُ الْغَرْب بِحَاجَةٍ مَاسَةٍ إِلَى الْإِسْلَامِ لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ مِمَّا يَتَرَدَّى فِيْهِ ، بَلْ قُلْ مِمَّا أَرْدَاهُ بِهِ الْفِكْرُ الْغَرْبِيُ وَالْحَضَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ. هَذَا مَا يُدْرِكُهُ الْغَرْبُ وَيَجِنُ جُنُونُهُ لَهُ ، وَيَكِيْدُ لِلمُسْلِمِيْنَ كَيْدَاً عَظِيْمَاً ، وَيَمْكُرُ مَكْرَاً تَزُوْلُ مِنْهُ الْجِبَالُ ، وَلَعَلَهُ يَتَمَخَّضُ عَنْ كَيْدِهِمْ هَذَا وَعْيُ الْمُسْلِمِيْنَ عَلَى إِسْلَامِهِمِ بِشَكْلٍ يَجْعَلُهُمْ أَهْلاً لِحَمْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ. أَمَّا أُوْلَئِكَ الْمُغْرِضِيْنَ مِنْ دُعَاةِ تَحْرِيْرِ الْمَرْأَةِ ، فَكَفَاهُمْ كَذِبَاً وَنِفَاقَاً! فَلَا وَاللهِ فَإِنَّ نِسَاءَ الْمُسْلِمِيْنَ كَرِيْمَاتٌ بِإِسْلَامِهِنَّ عَزِيْزَاتٌ بِعَقِيْدَتِهِنَّ وَيَعْلَمْنَ الْمُخَطَّطَ جَيِّدَاً وَمَا تَرْمُوْنَ إِلَيْهِ ، فَلَا وَأَلْفُ لَا لَسْنَ مِمَّنْ يَبِعْنَ الشَّرَفَ بِالرَّذِيْلَةِ وَالْعِزَّةَ بِالْمَهَانَةِ وَالْكَرَامَةَ بِالذُّلِ! وَإِنَّهُنَّ بِإِذْنِ اللهِ صَابِرَاتٌ ثَابِتَاتٌ عَلَى دِيْنِهِنَّ عَامِلَاتٌ لِإِقَامَةِ شَرْعِ اللهِ فِي الْأَرْضِ مِنْ جَدِيْدٍ لِتَعُوْدَ الْعِزَّةُ وَالْكَرَامَةُ وَلَا يَكُوْنَ لِأَمْثَالِكُمْ عَلَيْهِنَّ سُلْطَانَاً وَإِنَّ فَجْرَ الْخِلَافَةِ لِنَاظِرِهِ قَرِيْبٌ).هـ. لقد استهجنت ما فعلت المتزوجة اللبنانية بأخيها ، أو بالمعنى الأدق الزانية بأخيها!)

52 - أنتهادى لنتعادى؟

(اعتاد ذلك المسافر عن داره وقومه وأهله أن يشتري لكل قريب أو صديق أو جار هدية تناسب مقامه ومكانته حسب الوسع والمقدرة والطاقة. وبعد تسليم الهدايا تبدأ معركة المقارنات بين أصحاب الهدايا! وتنتهي بإدانة المسافر المغترب. فقرر أن ينتهي عنها تماماً ، فلا يشتري أي هدايا لأي أحد. وراح يتساءل قائلاً: والحديث الصحيح البخاري يقول: تهادوا تحابوا! فكيف بنا نتهادى لنتعادى؟! وتحت عنوان: (لله در الهدية!) يقول الأستاذ محمد مسعد ياقوت ما نصه: (لله در الهدية! تلك الوسيلة التي تطفئ نيران الضغائن ، وتحل أعقد الأزمات والمشكلات والنزاعات ، فللهدية عظيم الأثر ، وجسيم الخبر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب. وهي دليل على الحب ، وبريد إلى القلب ، وهي شعار التقدير ، وعنوان التكريم ، ولذلك فقد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم – الهدية ، ومنحها ، وأقرّها ، وأخذها من المسلم والكافر ، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل ، وحث النبي - صلى الله عليه وسلم - على التهادي ، فبها تطيب القلوب وتذهب وحر الخصومة. والهدية سبيل الحب ، وبساط الود ، وأكسير الألفة ، لقول نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم -: "تهادوا تحابوا" (البخاري). قال القرطبي: "فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقبل الهدية ، وفيه الأسوة الحسنة ، ومن فضل الهدية - مع اتباع السنة - أنها تزيل حزازات النفوس ، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس". وانظر إلى صنيع بلقيس! فقد كانت – بحق – عبقرية ؛ عندما استخدمت سلاح الهدية ؛ وأثره في تغيير النفوس ، محاولة منها لاستقطاب أعظم ملوك الدنيا آنذاك ، فقالت: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ). قال قتادة: "يرحمها الله! أن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها ؛ قد علمت أن الهداية تقع موقعاً من الناس!". ولهذا أُثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إن الهدية تأخذ بالسمع والبصر والقلب" (ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق 110). وقال: "تَهَادَوا تَحَابُّوْا نِعْمَ مِفْتَاحُ الحَاجَةِ الهَدِيةُ" (حسن) (الأمثال في الحديث 288). وانظر وتأمل كيف كانت هدايا الصحابة والتابعين ، كيف كانوا أذكياء عندما عاشوا معاني وقيم "الهدية" في حياتهم اليومية ، وكيف أصبحنا أغبياء - عفواً- عندما ماتت فينا ومن بيننا ومن حولنا أخلاق "التهادي". ولقد أقبل سعيد بن العاص يوماً يمشي وحده في المسجد، فقام إليه رجل من قريش ، فمشى عن يمينه ، فلما بلغا دار سعيد ، التفت إليه سعيد ؛ فقال: ما حاجتك قال: لا حاجة لي ؛ رأيتك تمشي وحدك

فوصلتك. فقال سعيد لجاريته: ماذا لنا عندك؟ قالت: ثلاثون ألفا. قال ادفعيها إليه. وكان شريح إذا أهديت له هدية لم يرد الطبق إلا وعليه شيء. وأهديت إلى إبراهيم بن أدهم هدية ، فلم يكن عنده شيء يكافئه ، فنزع فروه ؛ فجعله في الطبق وبعث به إليه! ولا تَرد الهدية. مهما كانت حقيرة: وإياك ، إياك أن تستصغر الهدية مهما ضعفت ، وتحتقر المنحة مهما صغرت ، وتتكبر على الأعطية مهما حقَّرت. لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لو أهدي إلي كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت". (صحيح) والكراع: من الدابة ما دون الكعب. يعني هذا شيء هين لا يذكر. وإذا رددت الهدية. فبينْ سبب ردها. فلو أهدي إليك ما حُرم ، أو ما لك فيه عذر لرده ، فبين ذلك لصاحب الهدية ، ووضح له الأمر بسماحة ولطافة مرفقة بابتسامة ، جبرًا للخاطر. ففي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة - رضي الله عنه - أنه أهدى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حماراً وحشيًا ، وهو بالأبواء أو بوَدّان ، فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال: "أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم". واظفر قلوب هؤلاء بالهدية: (- الأقربون فهم أولى بالمعروف ، وعلى رأسهم الآباء والأمهات. - ومن يختلف معك في الفكر أو المذهب. - ومن يحرص على الإساءة إليك ، أو التجريح فيك ، أو النيل من عرضك. - ومن ترغب في هدايته إلى طريق الالتزام والتدين. - ومن ترغب في ضمه إلى العمل الجماعي الخيري أو التطوعي. كان هذا هو مجال الكلم ، فبقي ميدان العمل ، فقم ، وانهض وطبق هذه السنة الميتة ، فاحرص على الهدية ولو كانت رمزية).هـ. ولله درّك يا ابن ياقوت على هذه النصائح الغالية والدرر الواعية! وتحت عنوان: (الهدية) يقول الأستاذ عبد الله بن سُليمان العُتَيِّق ما نصه: (الهدية من جوالبِ المودة بين الناس ، وهي تَعْمُرُ بُنياناً راسخاً من المحبةِ ، لما تحمله من جليلِ معاني حقيقة الاتصال بين المُهْدي والمُهْدى إليه. ويَختلفُ المُهْدُون من حيثُ هداياهم ، فليسوا سواءً! منهم مَن يُهدي مُقَيِّماً هديته على قانونِ قدرِ المُهْدى إليه ، ولا ينظرُ إلى الهديةِ مُغْفِلاً المُهْدي إلا من لم يَحْظَ بشيءٍ من حقيقة المودَّةِ التي الهديةُ رسولٌ أمينٌ يحملها إليه ، وإذْ كانَ أناسٌ ينظرون لقدرِ الهديةِ اهتمَّ كثيرٌ من المُهْدِيْن بقدرِها فاستوضعوا نفوسَهم من أجل وُضعاءِ نفوسٍ ، فكانت الهديةِ ممقوتةَ المعنى ، ولا تبايُنَ بين هديةٍ رفيعة القدرِ وأخرى وضيْعَته. ومن المُهْدِيْن من كان شأنُهُ في أن ينظرَ إلى ذات الفعلِ ، فالإهداءُ فعلٌ شريفٌ ، يَشْرُفُ بالإهداءِ المُهدي والهديةُ والمُهْدى إليه ، ولا يُهدي أصحاب هذا النظرِ هداياهم إلا لمن أدركوا صِدق مودتهم ، وصحيح محبتهم ، فكانت الهديةُ لديهم تكميلاً لأساسٍ ، وليستْ توثيقاً بمعنى التوثيق. حينَ تكون الهديةُ بقدرِ ذاتِ الإهداءِ ، فإنَّ النظرَ يتقلَّب في معنى الإهداء لا في مبناه ، ومعنى الإهداءِ إبقاءُ أواصرِ المودَّةِ واستدامتها ، ولذا جاءَ التوجيه النبوي حاملاً هذا المعنى "تهادوا تحابوا" ، فالهديةُ تحقيقٌ لمعنى المحبة بين الطرفَيْن. وإبقاءُ معنى الإهداءِ في الهديةِ يَكون بهديةٍ تقوم بالوظيفةِ ، ويُعْنَى بذاتِ العُمُرِ الطويلِ ، أو ذاتِ الاستعمال الدائم ، أو ذاتِ الأثرِ القوي التأثيرِ ، فلا تغْزُبُ عن قلبِ المُهْدَى إليه ، ولا يَسْتغني عنها ، ولا تغيب عن جارحةٍ ، فتكون حاضرةً في كلِّ أحواله ، أو في أغلبها ، وفي مُلاحظةِ محبوباتِ المُهدى إليهِ و ميَلِهِ في الهديةِ تحقيقٌ لتحصيلِ معنى الإهداءِ ، وهذا ذَوقٌ من سِر الإهداءِ ، قلَّ من يَنتبِهُ إليه. عندما تكون الهديةُ بهذا الذوقِ الرفيع يَهيمُ في واديها المُهْدى إليه ، فيُدرِكُ بِذوقِه ما جالَ في خاطرِ المُهدي ، فيَسْتَبْقي هديته كما قَصَدَ ، على أقلِّ الحالِ في حَضْرَتِهِ ، وهذا من أدبِها الراقي ، وربَّما استبقى المُهْدى إليه معنى الهديةِ لدى المُهدي بهديةِ الإبقاءِ ، فغَدَتْ الهدايا رُسُلَ وَصْلٍ ، والرُّسُلُ لا تكذب. قَد يستدعي الإنسانُ هديةً لإبقاءِ حقيقةِ الوصلِ ، واستدعاءُ المُبْقِياتِ وظيفةُ

عُمَّارِ المجدِ التليد ، وبُناةِ القصدِ الرشيد. فإبقاءُ معنى الإهداءِ بأيِّ مبنى غايةٌ يَسْعى إليها أهل الكمالِ ، وتهفو إليها نفوسُ الجَمالِ ، فالمعاني تُزَيِّنُ المباني ، والمخابرُ تُطَهِّرُ المظاهر).هـ. وإذن فالهدية هي عبارة عن تفضل من المهدي إلى المهدى إليه! وليست فرضاً واجباً على المهدي! إن كثيراً من الناس اليوم يعتبرون الهدية واجبة في كل الأحوال! وأنا مع قرار بطل قصيدتنا في أن يقصِر هداياه على المستحقين من الفقراء والمعوزين!)

53 - انسي الذي بيننا!

(أراد رجلٌ صالح أن يُعَدّد فيتزوج من الثانية ابتغاء وجه الله وإشفاقاً على إحدى العوانس تسمّى (زنابى) ، كان قد نوى الارتباط بها كزوجةٍ على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بكل عزم وجدّية. فإذا بها تشترط على الدكتور الزوج أن ينسى زوجته وأولاده فيُطلقهم قبل الدخول بها! فقال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: لماذا لا أنساكِ أنت؟ وأعلنها مدوية: انسي الذي بيننا ، وزوجتي وأولادي أولى بي وأنا أولى بهم. وكنتُ قد تناولتُ موضوع التعدّد في شعري منذ سنوات في قصيدة عنوانها: (الزوجة الثانية نعمة لا نقمة) ، وأشرتُ في مقدمتها الطويلة إلى سبب كتابتها. وبينتُ لمن أهديتها ، وأفصحتُ عن دور أستاذي أبي إسحاق الحويني فيها. وكنتُ قد أهديته الديوان الواردة فيه ليُصحّحها. وواجهتُ بعض الانتقادات في زماننا هذا الذي علا فيه شأنُ كثير من النسوة على شأن الرجال ، كما ارتفعتْ أصواتهن فوق أصوات الرجال. كما أنني رحتُ بكل صدق وحزم وغيرة أدافع عن الإسلام ، وأستهجن أبيات ذلك الأعرابي التي تملأ الكتب في كل مكان ، تلك الأبيات المبتدأة بقوله: (تـــزوجـــتُ اثـــنـــتـــيـــن لـــفـــرط جـــهـــلـــي بـــمـــا يـــشـــقـــى بـــه زوج اثـــنـــتـــيـــن!) حتى لاح لي طيفُ كتابة هذه القصيدة التي تضرب على ذات الوتر. ولستُ الآن بصدد الحديث عن الإباحة أو الحظر للتعدد. إذ الذي يريد الوقوف على هذا الأمر بالتفصيل فليذهب إلى مقدمة قصيدة: (الزوجة الثانية نعمة لا نقمة). وواضح من عنوانها رأي كاتبها في التعدد ، تماماً مثل تراجم الإمام البخاري: (يُعرف رأيُه في المسألة من خلال ترجمته للباب الذي تنسب إليه تلك المسألة). وكان الصديق الحبيب والأخ الأكبر العزيز وصاحب الفضل علينا بعد الله في نشر شعرنا وتوزيعه خلال التسعينات الدكتور/ صلاح الدين جاب الله الأجاوي – حفظه الله – وراء هذه القصيدة (انسي الذي بيننا). حيث إنه أعطاني جوّها النفسي ومناسبتها ، فانطلقتُ في كتابتها آملاً أن أعرضها عليه في القريب العاجل عندما يجف الحبر عنها. وكم للدكتور من أيادٍ علينا في الخير ، فجزاه الله خيراً كثيراً وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.)

54 - مفاجأة انعكاس الحقائق

(قاطع أخاه ذلك السفيه الحاقد ، على ما يزعم رهط من الحمقى بسبب بُغض زوجته لأخيه وايم الله لو كان أخاً في الله ورسوله والإسلام ما حدث منه هذا. ولو كان أخاه في العروبة والقومية والعشيرة والدم ما فعل هذا. ما هو أساس الأخوة؟ الاعتصام بحبل الله عز وجل ، وبمنهج الله عز وجل ، وبطريق الله تعالى. والأخوة عبادة ، ولا بد أن نعرف أن الأخوة عبادة من العبادات ، نعم هي عبادة نتقرب إلى الله بها ، مثلما نتقرب إليه بالصلاة أو بالصيام ، أو بالحج. بالدعاء. بالتوكل. فهي شعيرة من الشعائر الجليلة التي وعد الله تعالى عليها فضلاً

عظيماً منه عز وجل ، وهي نعمة عظيمة جداً ، نعمة عظيمة لا يحس بها إلا من توافرت فيه شروط الأخوة ، وإلا فأقولها بصراحة: إن كثيراً من الناس اليوم تجده يقول: فلان من أعز أصدقائي ، أو فلان هذا صديق عزيز ، أو فلان هذا كنت أنا معه في السنة الفلانية ، أو في المرحلة الابتدائية ، أو كنا معاً في حارة واحدة ، هذا فلان من أعز أصدقائي ، هذا الكلام - صدقاً - لا يعني مطلقاً أن هذين الرجلين متآخيان في الله ، لا. فقد تكون العلاقة بينهما هي علاقة تجاذب وتقارب وتوافق نفسي فقط ، اثنان يرتاحان كل في صاحبه ، أما الأخوة في الله فهي مسألة أعلى من ذلك بكثير ، فهي مراتب وصفات لا يحس بها إلا من عرفها وذاق طعمها. ولا تفسِد هذه العلاقة الحميمية بين الأخوين لا زوجة ولا جارة ولا شقيقة ولا قريبة ولا بعيدة ، ولا أهل الأرض جميعها! ومن هنا برزت مفاجأة للأخ المخلص ، ألا وهي مفاجأة انعكاس الحقائق ، حيث انقلبت الأخوة إلى عداوة وكراهية وبغضاء. والله المستعان على الخذلان وأهله. يقول الأستاذ مصطفي قاسم عباس في مقال له عن الأخوة ما نصه بتصريف: (الأُخُوَّةُ الصادقة كلمةٌ أريْجُها يعطّر الأرجاء ، وعبارةٌ تفيض بالحُبِّ والإخلاص والوفاء. أُخوةٌ من غير نَسَبٍ ، وصداقةٌ لا تعرف الخداع ولا الزيف ولا الكذب. حُبٌّ في الله ، وإخاءٌ لا لمصلحةٍ من مالٍ أو منصبٍ أو جاهٍ. لكنْ ، يبقى السؤال: هل افتقدنا هذه الكلمة في أيامنا؟ أم نحن كالذين سبقونا ، بحثوا عنها فلمْ يجِدوها ، وجعلوا الخِلَّ الوفيَّ ثالثَ المستحيلات. وقد تلتقي بإنسانٍ لأول مرةٍ ، فيغمرك إحساسٌ بأنك تعرفه منذ زمن بعيد ، ويدخل قلبَك من غير استئذانٍ ، والعكس صحيحٌ ، وما ذلك بعجيبٍ ، فإنّ روحك قد ألفَتْ روحَه ، أمّا الثاني الذي لم تستسغه ، فربما يكون في روحَيكُما تنافرٌ لا إراديٌّ ، إما أن يقوَى مع مرور الزمن ، وبعد التجربة والمعرفة ، وإمَّا أن تحصل الألفة فيما بعد ، وعلى كلِّ حالٍ ، حديثُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم واضحٌ في ذلك وصريحٌ ، حيث يقول: (الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ ، فما تعارفَ مِنْها ائتلَفَ ، وما تَناكرَ مِنْها اختلَفَ). (صحيح ابن حبان باب: ذكر الإخبار عن سبب ائتلاف الناس وافتراقهم). إنّ الأخ الصادق ، والصديق الصدوق يظفر به الإنسان عندما تبنى هذه الأخوةُ والصداقة على محبة الله لذلك جعل الله تعالى من السبعة الذين يُظلُّهم في ظِلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلاّ ظِلُّهُ كما في الحديث الصحيح: (...ورَجُلينِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ). (رواه البخاري). فالمحبة في الله هي التي تبقى ، وسِواها يتلاشى ويضمحلُّ ، والذي يحبُّ إنساناً ما لِمالِهِ ، فإنه لا يحبه لشخصه بل يحب المال الذي في جيبه ، لذلك عندما يصبح فقيراً ينفضُّ عنه الناس. وكذلك الذي يحب إنساناً لمنْصبه ، فهو لا يحبه لشخصه ، بل للمنصب الذي يتسلَّمه! وعندما قيل لبعض الولاة كم لك من صديق؟ فقال: أمّا في حال الولاية فكثير. ولما نُكِب علي بن عيسى الوزير لم يَنظُرْ ببابه أحداً من أصحابه الذين كانوا يألفونه في ولايته ، فلما رُدَّت إليه الوزارة ، وقف أصحابه ببابه ثانياً.)هـ. وإذن فالأخوة الحقيقية ليست بالادعاء الأجوف العاري عن الحقيقة! إنما هي بذل وعطاء! يقول صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». (متفق عليه). ويقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه). ويقول: «مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ». (رواه الترمذي). ومن هنا فقد ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين الموحدين بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. فمفهوم الأخوة الإسلامية أنه امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي

الْيَوْمَ؟ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». (رواه مسلم). فالمحبة والموالاة للمؤمنين هي لازم من لوازم محبة الله وأبجدية من أبجديات موالاته ، فمن أحب الله ولله وفي الله لا بدّ أن يحب من يحبه الله سبحانه وتعالى ومن يقرب من الرسل والصديقين والمؤمنين. يقول الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ). وإلا يكن ذلك كذلك فلا أخوة هنالك ولا إخاء!)

55 - كيف وقد أنقذني الله به؟

(مسلمة فرنسية شابة تدعى (لامي) تعيش في عقدها الثالث ، أجرى لها طبيب مسلم مصري عملية جراحية في باريس ، بعد أن يئست من الشفاء بعد محاولات ومناورات. وقد أخبرها الأطباء في فرنسا بأنه لا أمل في شفائها أبداً ، وأنها تعد أياما فقط ، وسوف تودّع الحياة عما قريب. المهم نجحت عملية زرع القلب التي قام بها الطبيب المسلم المصري. وبعد حين جاءت تشتكي ألماً بعيداً في القلب ، فعجب الطبيب من شكواها. حيث إن الجسم تقبل القلب الجديد وتأقلم معه ، فأجريت لها الفحوصات والتحاليل والأشعة ، فإذا بالطبيب يكتشف جسمً غريباً وراء القلب. تبين له أن هذا الجسم هو مقص معدني صغير جداً كان في جملة المعدات الطبية التي أجريت الجراحة بها. فأجريت عملية استخراجه ، وألح عليها المغرضون أن ترفع دعوة قضائية ضد الطبيب ، تتهمه فيها بالإهمال ، وتطالب بالتعويض ، وأنها قضية مضمونة ولصالحها من أول جلسة. فقالت: كيف أفعل هذا وقد أنقذني الله على يديه؟ فكتبتُ على لسانها هذه القصة في الرد على هؤلاء المغرضين!)

56 - السبب أنك لا تصلي

(موعظة أجراها الله على لسان امرأة لأحد تاركي الصلاة ، وهو قريبها وقد ذهب لزيارتها بحضور أحد محارمها ، وكان مُسرفاً على نفسه في المعاصي ، فكان يشرب الخمر ، ويسهر مع رفقاء السوء على الخمر والغناء ، وكان يترك الصلاة ، أو يُصلي أحيانا حياءً أو خجلاً أو مجاملة ، وذات مرة زار هذا العاصي إحدى قريباته ، فحمل طفلاً من أولادها ، فبال هذا الطفل على هذا الرجل العاصي المسرف على نفسه. يقول هذا الرجل بعدما تاب: فقلت لأمه: خذي هذا الطفل ، فقد بال على ملابسي. فقالت: الحمد لله أنه لم يبُل على ملابس فلان ، وكان قد حضر معه أحد أقاربها من محارمها ، فاستغرب هذا الرجل العاصي ، وقال ما السبب؟ قالت: أنت لا تصلي مثل هذا الرجل! والبول على الثياب لا يضرك مادمت لا تصلي. بهذه الكلمات القليلة (أنت لا تصلي ، لست مثل هذا الرجل ، البول على الثياب إذن لا يضرك) . يقول هذا العاصي: فرجعتُ إلى المنزل ، وتبتُ إلى الله عز وجل ، واغتسلتُ وتركتُ الخمر وهجرتُ رفقاء السوء ، ولزمتُ الصلاة ، وفرحتْ بي زوجتي المتدينة التي تحثني دائماً على ترك الخمر. قال تعالى في سورة التوبة: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّين). وقال في سورة مريم: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً). فوجه الدلالة من الآية الثانية – آية سورة مريم – كما يقول علماؤنا: أن الله قال في المضيعين للصلاة ، المتبعين للشهوات: (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ) فدلّ على أنهم حين إضاعتهم للصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين. ووجه الدلالة من الآية الأولى – آية سورة التوبة – أن الله تعالى اشترط لثبوت الأخوة بيننا وبين المشركين ثلاثة شروط: (* أن يتوبوا من الشرك. * أن يقيموا الصلاة . * أن يؤتوا الزكاة)

فإن تابوا من الشرك ، ولم يقيموا الصلاة ، ولم يؤتوا الزكاة ، فليسوا بإخوة لنا. وإن أقاموا الصلاة ، ولم يؤتوا الزكاة ، فليسوا بإخوة لنا. وأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الأمر واضحة جداً - قال صلى الله عليه وسلم: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". رواه مسلم في كتاب الإيمان عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعن بريده بن الحصيب رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، يقول: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر". رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. والمراد بالكفر هنا : الكفر المخرج عن الملة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة فصلاً بين المؤمنين والكافرين ، ومن المعلوم أن ملة الكفر غير ملة الإسلام فمن لم يأت بهذا العهد فهو من الكافرين. وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: "ستكون أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع. قالوا: "أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا ما صلوا". وكما أورد ابن عثيمين في رسالته عن تارك الصلاة ما نصه: (قال عبد الله بن شقيق: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة". رواه الترمذي والحاكم وصححه على شرطهما. وقال إسحاق بن راهويه الإمام المعروف: "صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر ، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يخرج وقتها كافر". وذكر ابن حزم أنه قد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ، قال: "ولا نعلم لهؤلاء مخالفاً من الصحابة". نقله عنه المنذري في (الترغيب والترهيب) وزاد من الصحابة: عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبا الدرداء رضي الله عنهم. قال: "ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعي ، والحكم بن عتيبة ، وأيوب السختياني ، وأبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب وغيرهم".هـ) ومن أراد المزيد فليطالع رسالة ابن عثيمين كاملة! وأعود لتارك الصلاة التائب!)

57 - إنك ميت وإنهم ميتون

(لفرط حبهم للنبي - ﷺ - لم يكن بعض الصحابة يتصور أنه سيموت. وهذا عمر الفاروق يوم توفي النبي - ﷺ - يُعلنها: إنه ذهب كما ذهب موسى لميقات ربه وسيعود ، ألا من زعم أن رسول الله قد مات ، أضرب عنقه بسيفي هذا. حتى هدأتْ سَوْرةُ عمر عندما خطب الصديق الناس واستهل بقوله: أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا ، فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت. وتلا الصديق الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين). عند ذلك يهدأ الفاروق ويقول: لكأني بهذه الآية قد نزلت لتوها. وإذن فكل مصيبة بعدك يا رسول الله هيّنة لا تقارن بمصاب الأمة المسلمة فيك يوم فارقتها. حديثٌ للنبي - ﷺ - معناه: أنَّ مَنْ أرادَ أنْ تَهُون عليه مصيبتُه فليتذكرْ مصيبتَه فيَّ. أي: فِيه ﷺ. ولـمَّـا كانتْ إصابتي في مُقلتي تذكرت المصاب الأعظمَ الذي هُو موتُ النبي - ﷺ -. ثُمَّ عِشْتُ مع أبيات للشاعر العملاق العظيم حسان بن ثابت شاعر الرسول - رضي الله تعالى

عنه - ، يرثـي فيها النبـي – عليه السلام – رثاء لاعجاً دامعاً باكيا ، يتحفنا فيه بقولـه:

مـــا بـــالُ عينِـــك لا تنَـــامُ كأنّهَـــا ... كُحلـــت مآقيهـــا بكُحـــل الأرمَـــدِ
جَزَعًـا علـى المَهْـديِّ أصـبحَ ثاويًـا ... يـا خيـرَ مَـنْ وَطِـئَ الحصَـى لا تبعـد
وجْهي يقيك التَّرْب ، لهفي ، ليتنـي ... غَيِّبْـتُ قبلَـك فـي بقيـع الغَرقَـد
بـأبي وأمـي مَـنْ شـهدتُ وفاتَـه ... فـي يـوم الاثنـين النبـي المُهْتَـدِي
وظللـــتُ بعـــد وفاتـــه متبلِّـــدًا ... متلـــددًا ، يـــا ليتنـــي لـــم أولَـــد
أألقـيمُ بعـدكَ بالمدينـة بَيْـنَهُم؟ ... يـا ليتنـي صـبِّحت سُـم الأسْـود!
أوْ حَـلَّ أمـرُ الله فينـا عـاجلاً ... فـي رَوْحَـةٍ مِـنْ يومنـا أو فـي غَـد
فتقـوم سـاعتنا ، فنلقـى طيبًـا ... مَحضًـا ضـرائبه كـريم المحتـد
يـا بِكـر آمنـةَ المبـارك بِكرُهـا ... ولدتْـهُ مُحْصَـلَةَ بسَـعْد الأسْـعَد
نُـورًا أضـاءَ علـى البريـة كلهـا ... مَـنْ يُهْـد للنّـور المبـارك يَهْتَـد
يَـا ربِّ فاجمعْنـا معًـا ونبيَّنَـا ... فـي جنـة تثنـي عُيـونَ الحُسَّـد
فِـي جنـة الفـردوس فاكتبْهـا لنـا ... يـا ذا الجـلال وذا العـلا والسـؤددِ

وعندما تذكرت هذا المقطع مِنْ دَاليَّة حسان تحركَتْ في نفسي هذه الخاطرة ، وتذكرت النبي – صلى الله عليه وسلم – عند وفاته ، وكيف آثر الرفيق الأعلى ، وعبر شريط سمعته منذ عشرين سنة للشيخ القطان عن وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم - يقول في مطلعه: (إنه نداءٌ إلى من عظمت مصيبته في موت حبيب من أحبابه ؛ ليذكر مصيبته في المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، يوعك عليه الصلاة والسلام كوعك رجلين ، ومع ذلك ما يمنعه ذلك من أن يمتثل أمر ربه في أن يودع أصحاب البقيع ويستغفر لهم ، النبي صلى الله عليه وسلم يودع أهل البقيع ويستغفر لهم ، ولا يمنعه مرضه من أن يوصي أمته بوصايا مهمة في مرض موته ، ثم بعد ذلك يختار الرفيق الأعلى ، وقد قرت عينه بإبلاغه لأمته الوصايا المهمة في دين الله. يَخْرُج النبي - صلى الله عليه وسلم - في جوف الليل وتتبعُه أم المؤمنين عائشة ، ويتبعه خادمه أبو مويهبة قائلاً: (إلى أين يا رسول الله؟ فيقول: أُمِرْتُ أن أستغفر لشهداء وموتى البقيع ، ويصل إلى مواقع الشهداء ويرفع يديه إلى الله يدعو دعاءً طويلاً في ظلام الليل ، ثم يقول: لِيَهْنِكُم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه) ، يهنئ الشهداء بما أصبحوا ، أصبحوا وأرواحُهم في حواصل طير خضر ، ترتع في أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، هناك عند أرحم الراحمين: (لِيَهْنِكُم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه...). بماذا أصبح الشهداء؟! (للشهيد عند الله سبع خصال: يُغْفَر له عند أول دفعة من دمه. ويرى مكانه في الجنة. ويُجار من عذاب القبر. ويأمن الفزع الأكبر. ويُوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها. ويُزَوَّج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين. ويُشفَّع في سبعين من أقاربه). (... أقْبَلَت الفتن كقطع الليل المظلم - وهو يدعو للشهداء يحدث من حوله- أقْبَلَت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرُها أولَها ، وآخرُها شر من أولِها ، يا أبا مويهبة! إنني خُيِّرت بين الخلود في الدنيا وكنوزها ، وبين لقاء الله والجنة ، فاخترتُ لقاء الله...). إن الذي يريد أن تهون عليه مصيبته وكأنها لم تكن ، فليتذكر البلية العظمى التي كل مصاب دونها فهو

جلل ، إنها موت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -. قال صاحب الظلال في التعليق على الآية: (كل نفس ذائقة الموت) ما نصه: (هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء. فما أجدر الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي ، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). والابتلاء بالشر مفهوم أمره. ليتكشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ، ومدى ثقته في ربه ، ورجائه في رحمته. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان. إن الابتلاء بالخير أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير. كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع ، وما يثيرانه من شهوات وأطماع!).هـ. لقد تذكرتُ وفاة النبي – عليه السلام - فتولد في أساريري فوراً هذا المطلع ، وداعبتْ خاطري هذه الكلمات!)

58 - ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب

(أشيب جاوز السبعين من عمره ، ولم يستفد من كرّ الدهور وتعاقب الأيام ، ولم يغتنم الشيب ويعتبر به! حيث كان جُل حديثه مشفوعاً بالهراء وسفه القول والمزاح المسفّ والنكات العارية القذرة! ونهي فلم يستجب! ووعظ فأعرض ونأى بجانبه! وكنتُ أحد الذين ابتلوا به صحبة ومعرفة! وأنكر ذلك الذي يأتيه من المخارف والهزء والسخريات آخرون! ورحت أحاجج عن خِضابه بينهم ، فكان مما قلت: لعل الذي يوافق السنة فيه الخضاب! إذ كان تخضيب شعره على شروط السنة. وأثبت للقوم ما ذهبت إليه. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تنتفوا الشيب ، فإنه نور المسلم ، من شاب شيبة في الإسلام ، كتب الله له بها حسنة ، وكفر عنه بها خطيئة ، ورفعه بها درجة. أخرجه أحمد في المسند ، وصححه العلامة أحمد شاكر رحمه الله. وروي بلفظ: الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ، ورفع بها درجة. أخرجه البيهقي في الشعب - انظر الصحيحة. وأخرجه الترمذي ، ولفظه: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن نتف الشيب وقال: إنه نور المسلم ، وعند ابن ماجه بلفظ: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال: هو نور المؤمن. ومن حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه: من شاب شيبة في سبيل الله (وفي رواية: في الإسلام) كانت له نوراً يوم القيامة. فقال رجل عند ذلك: فإن رجالاً ينتفون الشيب؟ فقال: من شاء فلينتف نوره. قال الألباني رحمه الله: أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير وغيرهم من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، انظره في الصحيحة ، وقال: رجال إسناده ثقات غير ابن أبي الصعبة وهو حسن الحديث ، السلسلة الصحيحة. ومن حديث: كعب بن مرة ، أخرجه الترمذي ولفظه: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ولفظه: (لا تنتفوا الشيب ، فإنه نور يوم القيامة ، ومن شاب شيبة في الإسلام ، كتب له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة). أخرجه ابن حبان وقال: حسن صحيح وانظر الصحيحة). ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شاب شيبة في

سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة. أخرجه ابن حبان. وانظر الصحيحة. ومن حديث أبي نجيح السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة. أخرجه ابن حبان في صحيحه. وانظر هداية الرواة. ومن حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة. أخرجه الترمذي ، وانظر هداية الرواة. ومن حديث أم سليم عند الحاكم في الكنى والضياء في المنتقى من مسموعاته وفيه زيادة في آخره باطلة منكرة كما قال الألباني رحمه الله ، وهي لفظة (ما لم يُغيرها) انظر الصحيحة. وعن أنس رضي الله عنه قال: يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته - قال - ولم يختضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الرأس نبذ) أخرجه مسلم في الصحيح. قال المباركفوري في التحفة: نهى عن نتف الشيب: أي الشعر الأبيض من اللحية أو الرأس ، قال: إنه نور المسلم: الإضافة للاختصاص ، أي أن وقاره المانع من الغرور بسبب انكسار النفس عن الشهوات والفتور ، وهو المؤدي إلى نور الأعمال الصالحة فيصير نوراً في قبره ويسعى بين يديه في ظلمات حشره ، قال ابن العربي: إنما نهى عن النتف دون الخضب ، لأن فيه تغيير الخلقة عن أصلها بخلاف الخضب ، فإنه لا يغير الخلقة على الناظر إليه. (التحفة). قال الشوكاني في نيل الأوطار: والتصريح بكتب الحسنة ورفع الدرجة وحط الخطيئة نداء بشرف الشيب وأهله وأنه من أسباب كثرة الأجور وإيماء إلى أن الرغوب عنه بنتفه رغوب عن المثوبة العظيمة. وإذن فيكون الشيب نوراً لصاحبه المسلم في يوم القيامة ، كما صحت بذلك الأحاديث ، ففي سنن الترمذي عن كَعْبُ بْنَ مُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ). صححه الألباني في صحيح الترمذي. قال النووي في "المجموع": "يُكْرَهُ نَتْفُ الشَّيْبِ ، لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ. هَكَذَا قَالَ أَصْحَابُنَا يُكْرَهُ ، صَرَّحَ بِهِ الْغَزَالِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَآخَرُونَ ، وَلَوْ قِيلَ: يَحْرُمُ لِلنَّهْيِ الصَّرِيحِ الصَّحِيحِ لَمْ يَبْعُدْ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ نَتْفِهِ مِنْ اللِّحْيَةِ وَالرَّأْسِ" انتهى. إذا شاب الإنسان فقدْ أعذَرَه ربُّه بإمدادِه في فسحة مِن عُمره ، وقد اشتدَّ عتابُ الله عز وجل على أقوام عاشوا طويلاً وامتدت حياتهم ، لكنهم لم ينتفعوا بأعمارهم ، قال الله تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} ، قال ابن كثير في تفسيره: "وقوله: {وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}: روي عن ابن عباس وعكرمة وأبي جعفر الباقر وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا: يعني: الشَيْب. وقال السُدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني به الرسول صلى الله عليه وسلم". والمشيب وإن كان ظاهره الضعف والكِبَر إلا أنه يحمل أبواباً عظيمة من الأجر فقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة في فضل الشيب وحكم تغييره عن أكثر من عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وروى البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشيب نور المؤمن ، لا يشيب رجلٌ شيبةً في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ورُفِع بها درجة). قال الشوكاني: "والتصريح بكتب الحسنة ورفع الدرجة وحط الخطيئة نداء بشرف الشيب وأهله ، وأنه من أسباب كثرة الأجور ، وإيماء إلى أن الرغوب عنه بنتفه رغوب عن المثوبة العظيمة". هذه الأحاديث السابقة تبيّن فضل الشيب في السنة النبوية ، وأنه لا يُنتف ،

لأنه نور ووقار للمسلم ، والوقار يمنع الشخص عن الغرور والتسويف ، ويذهب به إلى الطاعة والتوبة ، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: "ويحصل هذا الفضل بشعرة واحدة بيضاء ، تكون ضياء ومخلصاً عن ظلمات الموقف وشدائده". وقال المناوي في فيض القدير: "فالشيب يصير نفسه نوراً يهتدي به صاحبه ، ويسعى بين يديه يوم القيامة ، والشيب وإن لم يكن من كسب العبد ، لكنه إذا كان بسبب من نحو جهاد أو خوف من الله ينزل منزلة سعيه". وأعظم من النتف التغيير بالسواد ، فقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذّر منه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أُتِيَ بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيِّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد) رواه مسلم قال ابن عثيمين: "(غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد) ففي هذا دليل على أن الأفضل أن الإنسان يغير الشيب ، يصبغه لكن بغير الأسود ، إما بالأصفر كالحناء ، أو بالأصفر الممزوج بالكتم ، والكتم أسود فإذا مزج الأصفر بالأسود ظهر لون بني ، فيصبغ الإنسان بالبني أو بالأصفر كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولولا المشقة والمؤونة على بعض الناس لكان يفعل ذلك لكن في مراعاة ومراقبة ويخرج أسفل شعر أبيض وأعلاه مصبوغاً ، وفي قوله: (جنبوه السواد) دليل على أنه يمنع اللون الأسود ، لأن السواد يعني أنه يعيد الإنسان شاباً، فكان ذلك مضادة لفطرة الله عز وجل وسنته في خلقه وأما بقية الأصباغ فلا بأس بها ، إلا السواد لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه". عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناءُ والكتم) رواه النسائي وصححه الألباني ، قال ابن حجر: ".. إن المأذون فيه ـ يعني الصبغ ـ مقيد بغير السواد لما أخرج مسلم من حديث جابر: (غيروه وجنبوه السواد)". وللخضاب وتغيير الشيب فائدة وهي مخالفة أهل الكتاب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم). رواه البخاري ومسلم. قال النووي: "ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة ، أو حمرة ، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح". وقال ابن القيم: "والصواب أن الأحاديث في هذا الباب لا اختلاف بينها بوجه ، فإن الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من تغيير الشيب أمران: أحدهما: نتفه ، والثاني: خضابه بالسواد... والذي أذن فيه: هو صبغه وتغييره بغير السواد: كالحناء والصفرة وهو الذي عمله الصحابة رضي الله عنهم". والشيب في السنة النبوية نور للمسلم في الدنيا والآخرة ، وبه تُزاد الحسنات ، وتُرفع الدرجات ، وتُحطّ به الخطايا ، وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم من نتفه وإزالته ، وأجاز صبغه وتغييره بالحناء أو الصفرة ، أو الحناء والكتم (لونه بين السواد والحمرة) ، ونهى عن صبغ الشيب بالسواد ، ولا قول لأحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كائناً من كان. فطوبى لمن شاب رأسه وابيض شعره وهو على طاعة ربه ثابت عليها ، فالله تعالى يجعل له بهذا الشيب نوراً يوم القيامة ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَن شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة). رواه ابن حبان. والشيب له أسباب غير كِبَر السِن فقد يكون مبكراً للخوف من الله عز وجل أو لغيره من الأسباب فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: (يا رسول الله قد شِبْتَ؟ قال: شيبتني هودٌ والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كوِّرت). رواه الترمذي وصححه الألباني. ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ورد في كتاب الشمائل المحمدية للترمذي رحمه الله ، فقال: حدثنا محمد بن بشار قال: أخبرنا أبو داود قال: أخبرنا همام عن قتادة قال: قلت لأنس بن

مالك: "هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يبلغ ذلك «إنما كان شيبًا في صدغيه» ولكن أبو بكر خضب بالحناء والكتم". حدثنا محمد بن المثنى قال: أخبرنا أبو داود قال: حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة وقد سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب ، وإذا لم يدهن رئي منه». حدثنا أنبأنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير، عن إياد بن لقيط العجلي عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي قال: فأريته فقلت لما رأيته: هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم «وعليه ثوبان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر»". حدثنا محمد بن عمرو بن الوليد الكندي الكوفي قال: حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: «إنما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوًا من عشرين شعرة بيضاء». حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر عن علي بن صالح عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة قال: "قالوا: يا رسول الله نراك قد شبت، قال: «قد شيبتني هود وأخواتها». والأحاديث عن شيب شعر الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تدل على أن الشعر الذي طاله الشيب قليل جدًا ويوجد في شعر اللحية وقد بين صلى الله عليه وسلم أن سبب شيبه سورة هود وأخواتها وأنه صلوات ربي عليه كان يدهن الشيب فيختفي لون الشيب وفعل الصديق أبي بكر رضي الله عنه من تخضيب شعره بالحناء والكتم! والقول بأن شعر الشيب للرسول صلى الله عليه وسلم لونه أحمر دليل على استعمال الحناء في تغيير الشيب. و(الكتم) الذي ورد في الحديث هو: "نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة وصبغ الحناء أحمر فالصبغ بهما معا يخرج بين السواد والحمرة" (فتح الباري). وإذن فكان على أشيب قصيدتنا أن يحترم شيبه وإن خضبه بالحناء ، فإن للشيب وقاره واحترامه! ويصفنا مفصلاً حياتنا في عبارات بليغة في كتابه حدائق المعروف الدكتور فيصل الحليبي فيقول ما نصه: (مسافرون وفقراء وتائهون أصابهم الظمأ وثناهم الجوع وأضناهم المسير! مسافرون: مهما طالت أعمارهم ، وفقراء: مهما كثرت أموالهم ، وتائهون بعدوا عن النور فهم مظلمون ، أصابهم ظمأ المعاصي فلا يرتوون. وثناهم جوع الذنوب فلا يشبعون. وأضناهم الضياع فلا يهتدون. لكنَّ نورًا ربانيًا أخذ بلباب عقولهم ، أيقظ فيهم غفلتهم ، وبشرهم بالهداية بعد الضياع: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. لقد أحس هؤلاء بتطاير الران عن قلوبهم ، وشعروا بأن الفلاح قريب ، فنشطت أنفسهم ، واشتدت عزائمهم ، ورمقت أعينهم من بعيد خضرة متآلفة الألوان ، ودغدغ أسماعهم خرير الماء يلقي بنفسه على جداول الزروع ، فسارعوا ، وسابقوا ، حتى إذا اقتربوا منها ، خلبتهم أشجارها ، وأذهلتهم ثمارها ، وسحرتهم جداولها ، فأي حدائق جميلة هذه. وأي واحة رائعة هذه. إنها حدائق المعروف ، وواحة الإيمان. ظل وارف ، وماء عذب ، ونسائم طيبة ، وقطوف دانية ، للعمل فيها بهجة ، وللإخلاص فيها نور ، وللصدق فيها سرور ، لا يحزن داخلها ، ولا يندم عاملها ، إنها حدائق ذات بهجة حقًا ، أنشأها الله لكل من في قلبه حب له ، أنشأها الله لكل من يريد الحياة السعيدة ، أنشأها الله لكل من يريد النجاة في الدنيا والآخرة. أخا الإيمان. أتراك اشتقت أن تستظل بدالية من دواليها الظليلة ، لتشتم عبيرها. وتزود نفسك من معروفها ، وتزكو نفسك من همومها. فلتكن معي في جولة إيمانية ، لأقضي معك وقتًا

إيمانيًا تحت ظلال بعض هذه الحدائق الغنّاء! وليس كلها. فإنها كثيرة. وظلالها مديدة. غير أني على يقين من أنك إذا جربت بذرها ، وتابعت سقيها ، وأراد لك ربها أن تسعد بها ، فلن تزول عنها ، حتى تنال جناها ، وتسعد بسناها ، في أولاها وأخراها ، فإلى تلك الحدائق. الستر ـ يا أخي الحبيب ـ نوعان: ستر حسي ، وستر معنوي: أما الستر المعنوي ، فهو أن تجد المسلم قد اقترف الذنب أو ارتكب الفاحشة فلا تفضحه ، بل تنهاه عن معصيته ، وتلين له في نصيحة ملؤها الرفق والشفقة ، وتستر عليه فلا تبوح بخطيئته ، ولا تعريه من ستر الله عليه. لقد اعترف ماعز الأسلمي رضي الله عنه بلسانه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بالوقوع في فاحشة الزنا ، ومع هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم يحاول معه أن يستر على نفسه ، وأن يتوب بينه وبين الله ، فأخذ يقول له: (ويحك ، ارجع فاستغفر وتب إليه). رواه مسلم ، فيرجع ماعز غير بعيد ثم يعود فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم: طهرني! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له مثل ما قال ، حتى تكرر منه هذا الأمر ثلاث مرات ، فلما استيقن النبي صلى الله عليه وسلم من وقوعه في هذه الفاحشة ، وأنه يريد تطهير نفسه من درنها ، ويرجو أن يلقى الله وليس عليه وزرها ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يقيموا عليه الحد ، فذهبوا به فرجموه ، فلما أذلقته الحجارة هرب من مكانه من شدتها ، فأدركه الصحابة بالحجارة حتى مات ، وفي رواية لأبي داود: لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بهروبه ، قال لهم: (هلا تركتموه ؛ لعله أن يتوب فيتوب الله عليه) ، ثم قال عنه: (إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها). فواعجبًا: ممن يتربصون لأي فاحشة تقع ، أو منكر يحصل ، لا ليخبروا الجهة المسؤولة عن ذلك فتنكره بالوسائل الشرعية ، بل ليطيروا بخبره بين الناس ، وينشرونه على الشبكات المعلوماتية وغيرها ، إنها شهوة نقل الخبر التي عمت وطمت من غير سلوكٍ لوسائل النقل الصحيحة من التثبت والتأكد والستر والأدب ، فأين هؤلاء من أسس النصح الشرعي ؟ وأين هم من قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. وليخف هؤلاء من الفضيحة على أنفسهم إذا لم يتركوا تتبع عورات الناس ، فإن أبا بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ : نَادَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ) رواه أحمد وهو صحيح لغيره ، وإسناده حسن. وأما الستر الحسي ، فهو أن تحسن إلى عارٍ من الثياب فتكسوه عن أعين الناس ، فو الله إن هذا لمن هدي الحبيب صلى الله عليه وسلم ، ولقد جمعت قصة ماعز الأسلمي رضي الله عنه هذين السترين ، فقد جاء في روايةٍ لأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم رغّب رجلاً يقال له هزّال بستر ماعز فقال له: (لو سترته بثوبك لكان خيرًا لك). رواه أبو داود. وإنما هدفت من قصيدتي أن أقول للهرم الأشيب بأن الأيام ماضية وليس أسرع منها! وتذكر بالأمس كنت جنيناً فوليداً فصبياً ففتىً فشاباً فرجلاً فكهلاً فأشيب! واعلم بأن السفهاء اليوم وما أكثرهم لن يذكروا دراهم صدقاتك على الفقراء ولا إحسانك وبرك بالأرامل والمعوزين ، ولا قيامك لليل باكياً بين يدي الله ، ولا مسحك رأس اليتيم محسناً إليه ومعوّضاً إياه عن حنان أبيه! بل سيذكرون نكاتك وسخافاتك وسخرياتك وسقطاتك وهمزك ولمزك وغمزك! فاستقم تفلح! وإلا تفعل تكن عاقبة وبال ما تأتيه اليوم عليك غداً!)

59 - إنها تذكرة

(إنني أهمس في آذان من أعماهم الشيطان بألاعيبه فصدهم عن صراط الله المستقيم. وأقول: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)؟ فإلى كل من ذاق حلاوة الإيمان ولذة الاستسلام لله بالتوحيد ولنبيه – صلى الله عليه وسلم – بالمتابعة ولكتابه بالتطبيق. أقول: (إن هذه تذكرة). وأحاول أن أذكر بالله وشرعه وبسنته - تعالى - في إهلاك الظالمين المتجاوزين لحدوده. وأذكر بالموت وأهواله وكرباته ومحنه. وأذكر بمرور العمر سنة وراء سنة ، وأذكر بمن شيعناهم إلى قبورهم ونحن على الأثر. وأذكر بالحساب يوم القيامة والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار. مروراً بحياة البرزخ. لعل القارئ لهذي القصيدة يتذكر أنه يوماً سوف يرحل عن هذه الحياة فيحاول صادقاً مع ربه أن يخلص عمله ويتدارك أمره قبل فوات الأوان. ولات ساعة مندم. جاء في (التبصرة) للإمام القرطبي - رحمه الله - قوله: كم من ظالم تعدى وجار ، فما راع الأهل ولا الجار ، بينما هو قد عقد الإصرار ، حلّ به الموت فحلّ من حُلته الإزار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! ما صحبه سوى الكفن ، إلى بيت البلى والعفن ، فلو رأيته وقد حلّت به الفتن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! سال في اللحد صديده ، وبلى في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرق شحمه وعبيده ، وتخلى عن الأنصار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذته الخالية؟ كم تسفي على قبره السافية ، ذهبت العين وأُخفيت الأثار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وربما فُتح له في اللحد باب النار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! خلي والله بما صنع ، واحتوشه الندم وما نفع ، وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع ، وخلاّه الخليل المصافي وانقطع ، واشتغل الأهل بما كان جمع ، وتملّك أعداءه المال والدار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! نادم بلا شك ولا خفا ، باكٍ على مازلّ وهفا ، يود أن صافي اللذات ما صفى ، وعلم أنه كان يبني من جرفٍ هارٍ على شفا ، فاعتبروا يا أولي الأبصار!).هـ. وأقول: إن الذكي العبقري الكيس هو الذي يعد نفسه إعداداً دقيقاً لهذا اليوم الذي يلقى فيه ربه وخالقه ومولاه. وليعلم أنه مسئول بين يديه عن كل كبيرة وصغيرة من أمره. ومن هنا وجب عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبها الله ، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه. وأن يتحلل من كل مظلمة كان قد اقترفها من قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار. وإنها لنار أبداً أو جنة أبداً فليختر لنفسه ما يشاء. نسأل الله عز وجل من فضله العظيم ، ونعوذ به من غضبه وسوء عذابه. رزقنا الله تقواه ، وأدخلنا جنته ، وزحزحنا عن ناره يوم نلقاه ، وحشرنا مع نبيه. وفي محاضرة له بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول الأستاذ سليمان الماجد – متحدثاً عن معالم النجاة - ما نصه: (معالم النجاة عشرة لا تزيد: * المعلم الأول: لا تُعجب بحالك الراهنة فإن الأعمال بالخواتيم قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم). * المعلم الثاني: زيارة القبور خير طريق لتذكر الموت وما بعده فقد صحّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة). * المعلم الثالث: إذا رأيت ميتاً فتصور أنك أنت الطريح بين يدي الإمام أو على النعش أو من يُنزل في حفرة القبر! فحريٌ بنا حينئذٍ أن نراجع أنفسنا. *المعلم الرابع: لا

تصاحب أهل اللهو والبطالة. * المعلم الخامس: تذكر أنه مع حلاوة المتعة فإنه يعقبها مرارة الندم. * المعلم السادس: لعلك قد كتبت الآن في الأموات بعد مدة يسيرة وأنت تسرح وتمرح بلا توبة ولا مراجعة. * المعلم السابع: كل متعة تعتبر هباءً عند حلول الموت فلماذا نعصي الله - عز وجل - من أجل هذه المتعة {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}. * المعلم الثامن: السعيد من وُعظ بغيره ، قال زين الدين المعبّري: (تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون في الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأُفردوا في قبور موحشة وصاروا جيفاً مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت مع فتان يُقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكورة ونجوماً منكرة وملائكته منزله وأهوالاً مذعرة وصحفٌ منشرة وناراً زفرة وجنة مزخرفة فعُدّ نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدىً كالبهائم ترتع ولا تدري). * المعلم التاسع: الأيام خزائن وما مضى فإنه لا يعود{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. * المعلم العاشر: لا ذكرى بغير إنابة ولا انتفاع بغير استجابة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}).هـ.)

60 - أنى لمثلك الشجاعة؟

(إلى شخصيتي الخرافية (جحا) والتي طالما تمنيت وجودها بيننا في العصر الذي نعيش! ولسان حالي يقول: أتعرف يا جحا لماذا؟ والجواب: لأنه في هذا العصر لا يصلح لمثله شخص مثلما تصلح أنت. فيه من المتناقضات والغرائب والعجائب التي تحطم الأعصاب وتدمر القيم وتجني على النفس الإنسانية التي فطرها الخالق الفطرة السوية ، وجعلها على المحجة البيضاء. والله – عز وجل - لم يخلق هذه النفس عبثاً ولا تركها هَملاً أبداً. ومن هنا يا شخصيتي المفضلة فإنك بهذه الشخصية وصفاتها التي كثيراً ما قرأت عنها وبحثت عن الكتب التي تحتويها ، وهي في اعتقادي التي تصلح وتملك أن تتفهم معضلات العصر ومشكلاته بكل سهولة ويسر. أما بدايتي معك يا جحا فهي عندما كنت صغيراً أسمع من عامة الناس اسم جحا وبدون أن يكمل الشخص حديثه يضحك المستمع سواء أكان شخصاً واحداً أو أكثر فأستغرب ذلك ، ولكن بعد ذلك صرت مثلهم كلما ذكر أمامي اسمك ضحكت وابتسمت من قبل أن يكمل محدثي حديثه. وصارت صورتك تملأ الأجواء. فشدني بذلك موضوعك وكيانك يا جحا ، وجعلني ابحث وأتحرى عنك وعن شخصك ، فبدأت بكتيبات صغيرة من فكاهات جحا ، وصرت أجمع ما يقع تحت عيني وتطاله يدي ، وحين أعجب بنكتةٍ بدوري أحكيها لوالدي ولإخوتي وزملائي وهكذا! وبعد ذلك أردت معرفة شخصية قائل هذه الفكاهة من هو؟ فمن يكون هو صدقاً؟ من أي بلد وفي أي عصر....إلخ. وأخذت أسأل وأستقضي في الكتب والمراجع كلها. بحثت وبحثت فوجدت أن شخصية جحا دار حولها جدل كبير في الماضي والحاضر ، حتى أن النقاد العرب والغربيين لا يكادون يُجمعون على تعريف موحد لهذه الشخصية المتعددة الصفات والمواهب. ويغلب على ظن كثيرين منهم أن جحا شخصية حقيقية. وبعد ذلك يفاجئوننا بأنه لا قبيلة ولا عشيرة ولا عائلة ولا أهل ينتمي إليهم جحا. وإذا ببعض علماء الرجال والشخصيات والتراجم

يقولون لنا أن جحا شخصية خرافية أسطورية غير حقيقية! والله أعلم بحقيقة جحا وقبيلته وعائلته. وهناك فريق ثالث يذهب إلى أن شخصية جحا لا هي حقيقية ولا هي خرافية ، وإنما هي شخصية رمزية في كل عصور الأدب. ومن ذلك الحين وجحا رمز في كتب الأدب بدون ريب. فكلما أراد قوم أن يصفوا شخصاً ما بالسذاجة أو بالحمق أو باللامبالاة أو الذكاء والفطنة الخارقين لم يجدوا إلا شخصية جحا ، ومن هنا فإن كل جيل أضاف إلى هذه الشخصية من المواقف والنوادر والألفاظ والحكايات ما تعجز عن إحصائه المجلدات الضخمة! ويشبه هذا من يؤلفون الكتب في النكات والألغاز على البدوي - والصعيدي – والحمصي - والبتاني... إلخ ، فيجعلون من جحا شماعة لنكاتهم ونوادرهم وفكاهاتهم. وكل جيل يؤلف ويخترع. المهم: أعجبي في شخصيتك يا جحا أنها تستظرف في صناعة المواقف واستسهال الأمور! والتي منها ما حكي عنك عندما توليت القضاء في أحد البلاد ، فجاءك ذات يوم رجل يصيح بصوت عال: يا سيدي لقد سرقت طنبورتي ووجدتها في السوق مع فلان فخذها لي منه. فهدّأ القاضي جحا خاطره ، ونادى المُحضر وأمره أن يذهب إلى السوق ويأتي بالرجل الذي سرق الطنبورة ، ولما جاء به سأله جحا عن دعوة المدعي فأجاب: إن الطنبورة ملكي. وقد اشتريتها من بلاد بعيدة ، فسأله جحا قائلاً: هل عندك شهود؟ قال: نعم ، وأحضر في الحال شاهديْن ، فسألهما جحا عن شهادتهما؟ فقالا: نشهد أن هذه الطنبورة لهذا الرجل ، وعلامتها أنها مكسورة من أعلاها ومفاتيحها رخوة وفي أسفلها شريط وكانت كذلك طبعاً. واحتار جحا في هذه القضية حيرة عجيبة مريبة. فأراد جحا أن يحكم للمدعي عليه فاعترضه المدعي قائلاً: أريد تزكية الشاهدين قبل الحكم في هذه القضية ، إذ إنني مرتاب لأن أحدهما بائع خمر والثاني خليع ، فتأمل الشيخ قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً: وهل يحتاج إلى هذين الشاهدين على تزكية أعظم مما تقول؟ وأي شاهدين أحسن منهما لدعوى طنبور؟ أما عن روعته في الخروج من المواقف الحرجة بأسلوب واقعي وفكاهي في نفس الوقت! وواقعة أخرى حيث أسند إليه منصب واعظ في أحد جوامع (آق شهر) وبالمناسبة هي مدينته التي ولد فيها وعاش على حد قول من قال إنه شخصية واقعية حقيقية ، وآق شهر معناها المدينة البيضاء. فقال: أيها المؤمنون! هل تعلمون ما سأقوله لكم؟ فأجاب السامعون كلا لا نعلم؟ فقال: إذا كنتم لا تعلمون فما الفائدة من التكلم ، ثم نزل وعاد في اليوم الآخر. فألقى عليهم نفس السؤال فأجابوه هذه المرة: إننا نعلم. فقال: مادمتم تعلمون ما سأقوله فما فائدة الكلام؟ فحار الحاضرون في أمره واتفقوا فيما بينهم على أن تكون إجاباتهم في المرة القادمة متناقضة: قسْم يجيب بلا ، وقسْم يجيب بنعم. فلما أتاهم في المرة الثالثة ، وألقى عليهم السؤال نفسه ، اختلفت اصواتهم بين نعم ولا! فقال: حسناً ، ومن يعلم منكم فيعلم من لا يعلم منكم. وبهذه الطريقة يكون جحا قد خرج. أما ما أعجبني في روحه المرحة الممزوجة بالذكاء في بعض النوادر المنسوبة إليه ، فكان يأكل بأصابعه الخمسة فرآه أحدهم فأخبره قائلاً: لماذا بأصابعك الخمسة أمام الناس؟ فأجاب جحا: لأنه لم يكن لي ستة أصابع لآكل بها. وبهذا يكون جحا قد خرج من الموقف باستظراف. فأجابهم: وفي العام الماضي قالت أمي: إن أخاك أكبر منك بسنة واحدة ، وعلى هذا الحساب فنكون كلانا في هذه السنة في عمر واحد. وهذه طريقة في إفحام الخصم المستظرف غاية في الذكاء. وهكذا كانت شخصية جحا متنوعة المواقف والردود والإجابات حسب الأحوال. أما ما يعجبني في شخصيتك يا جحا فهو ظهورك في شخصية المتطفل في أحيان ، وما يظهر من بعض فكاهاتك التي تكون فيها ساذجاً سذاجة البلهاء في أحيان أخرى! ولكن لا أعلق كل هذا عليك ، فقد يكون من تأليف من

يعلقون أخطاءهم على الآخرين ، أو من يريدون تحقيق شيء لم يستطيعوه فيعلفونه على شماعة شخصية جحا الساذج جداً. (إن العالم الذي يعج بالمتناقضات والرزايا والبلايا ليناسبه جداً تصور جحا للحياة في تناقضاتها. حتى رأيت أنه من الشجاعة أنه يصلح لأغلب الأجيال المعاصرة حيث يهرب بهم بعيدا فلا يواجهون الواقع. وأنى لجيل لا يعلم من حقائق دينه ودنياه أدنى ما ينبغي تعلمه أن يواجه الواقع وتكون عنده الشجاعة الأدبية والعلمية والمشاعرية لهذا الذي أريده منها؟ ويعلن الجيل معنا أن شخصية جحا (المسلمة) هي التي يمكن لها أن تواجه العالم بحضارته المادية وتعقيدات أهله. وتقوم بحل ألغاز العالم بما لديها من دين وخلق وذكاء بل وقدرة على المواجهة والتحدي. ولا يعدو كلامي هذا عن كونه مجرد رأى من الآراء المطروحة على الساحة الإعلامية اليوم ليس إلا. تقول الأستاذة منال المغربي في مقال عنوانه: (جحا بين الحقيقة والأسطورة) ما نصه: (إن جحا الإنسان الذي أضحك الملايين بنوادره ، أصبح اليوم في ذاكرة الناس مجرد أسطورة ، إلا أن كتب التراث تبين لنا أن جحا شخصية حقيقية ، فما حقيقة ذلك؟ ومن هو جحا؟ جحا بنوادره الطريفة وأخباره العجيبة التي تناقلتها الألسن على مر العصور ، أصبح اليوم في ذاكرة الناس مجرد شخصية خرافيّة ، إلا أن المعاجم وكتب التراجم والأدب ورجال الحديث تبين لنا أن جُحا شخصية حقيقيّة لها تاريخها العريق ، وماضيها المشرق الذي غَفِل عنه الأكثرون ؛ نتيجة ما نُسِب إليه من النوادر والطرائف التي كرّسته رمزًا للحماقة والتغفيل. فمن هو جحا؟ قبل البَدء تجدر الإشارة إلى أنّ هناك شخصيتين حملتا هذا الاسم الأوّل اختلفت المصادر بشأن اسمه ، فقد قيل: نوح أو عبد الله أو دُجين أبو الغصن بن ثابت اليربوعي البصري ، ولقبه (جُحا) أو (جُحى) ، وكنيته أبو الغصن ينتهي نسبه إلى قبيلة فزازة العربية. أوّل من ذكره الجاحظ حين أَورد في كتابه "القول في البغال" نوادر بطلها جُحا دون أن يترجم له. ولد جُحا في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري (60هـ) ، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الكوفة ، توفي فيها في خلافة أبي جعفر المنصور عام (160هـ). قال عنه الإمام الذهبي: "أبو الغصن صاحب النوادر دُجين بنُ ثابت اليربوعيُّ البصريُّ ، رأى دُجين أنسًا ، وروى عن أسلم ، وهشام بنِ عُروة شيئًا يسيرًا... قال عبّاد بن صهيب: حدّثنا أبو الغصن جُحا ـ وما رأيت أعقل منه ـ قال كاتبه: لعلّه كان يمزح أيام الشبيبة ، فلمّا شاخ ، أقبل على شأنه ، وأخذ عنه المحدِّثون". قال الإمام البخاري: "دُجين بن ثابت أبو الغصن اليربوعي ، سمع من أسلم مولى عمر ، روى عنه مسلم وابن المبارك". أمّا الحافظ ابن حجر العسقلاني فقد فرّق بين دُجين المحدّث (البصري) ونوح الذي استقرّ في الكوفة ، وأورد حديثًا رواه حُجا فقال: "عن ابن عدي حدّثنا أبو خليفة ، حدّثنا مسلم ، حدّثنا الدجين بن ثابت الغصن ، عن أسلم مولى عمر قال: قلنا لعمر: ، ما لك لا تحدّثنا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم -؟ قال: أخشى أن أزيد أو أنقص ، وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: "من كذب عليَّ متعمدًا ، فليتبوأ مقعده من النار". قال عنه ابن الجوزي: "رُوي عنه ما يدل على فطنة وذكاء ، إلا أنّ الغالب عليه التغفيل ، وقد قيل: إنّ بعض من كان يُعاديه وضع له حكايات ، والله أعلم ، عن مكي بن إبراهيم ـ هو مكي بن إبراهيم البلخي آخر من روى من الثقات عن يزيد بن أبي عبيد ، عاش نيفًا وتسعين سنة ، مات سنة 215هـ ـ أنّه كان يقول: رأيت جحا رجلاً كيِّسًا ظريفًا ، وهذا الذي يُقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يُمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه". وربّما هذا ما دفع الإمام النسائي للقول عنه: "ليس بثقة وابن معين للقول: ليس حديثه بشيء ، والدار قطني وغيره: ليس بالقوي. ولعلّ التجريح قد

جاء ممّا نُسِب إليه من نوادر وفكاهات لا تليق براوي حديث ، "وليس من المستحيل أن يكون محدّث البصرة قد وقع فريسة لكيد أهل الكوفة". وقال القطب الشعراني في كتابه (المنهج المطهر للقلب والفوائد): "عبد الله جُحا تابعي ، كما رأيته بخط الجلال السيوطي - الذي ألّف كتابًا عن جُحا ، جوابًا لسؤال ورده مستفسرًا عنه ، جَمع فيه القصص المنسوبة إليه ، سمّاه (إرشاد من نحا إلى نوادر جُحا) - ، قال: وكانت أمّه خادمة لأم أنس بن مالك ، وكان الغالب عليه صفاء السريرة" ، "فلا ينبغي لأحد أن يسْخر به إذا سَمِع ما يضاف إليه من الحكايات المضحكة ، بل يَسأل الله أن ينفعه ببركاته ، قال الجلال: وغالب ما يُذكر عنه من الحكايات المضحكة لا أصل له ، قال شيخنا: وذكره غير واحد ، ونسبوا له كرامات وعلومًا جمّة". أمّا الشخصيّة الأخرى فهي نصر الدين خُوجة المعروف بجُحا الأتراك ؛ فلقد كان معلّمًا وفقيهًا وقاضيًا. ولد في قرية صغيرة تدعى خورتو عام 605هـ ، وتلقّى علومه فيها ، ووليَ القضاء في بعض النواحي المتاخمة لها ، كما ولي الخطابة في (سيوري مصار) ، عُيّن مدرِّسًا وإمامًا في بعض المدن. كان عفيفًا زاهدًا يحْرث الأرض ويحتطب بيده ، كما كانت داره محطة للوافدين من الغرباء والفلاحين. ولا يفوتنا أنْ نؤكّد في هذا المقام أنّ نصر الدين من كبار العلماء الأحناف ، وأنّ أكثر اشتغاله كان بعلم الفقه ، وقد أحبّه تلاميذه فأقبلوا على مجالسه يستمعون إليه ، وكانوا أكثر من 300 تلميذ ، وقد غلب عليه لقب المعلّم ؛ لذلك اشتهر بين أهل تركيا بالخوجة ، كما كان واعظًا ومرشدًا يأتي بالمواعظ في قالب النوادر والنكات الظريفة التي لم تُزعزع مكانته في قلوب الناس. ومن المعروف عنه أنّه كانت له جُرأة على الحكّام والأمراء والقضاة الذين كان يدعوهم إلى السير بمقتضى الشرع الحنيف ، ويحضّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبفضل علمه الغزير الذي اعترف به علماء الأناضول استطاع الوقوف في وجه (تيمور لنك) والتصدي له في العديد من المواقف ، فأَنقذ بذلك العديد من الناس من بعض مظالمه. توفي عام 683هـ ، وضريح الشيخ موجود في مقْبرة آق شهر الكبرى. أمّا النوادر التي نُسبت إليه: "فيستحيل أن تصْدر...عن شخصية واحدة لتباعد البيئات التي تُروى عنها" ، وهي نتيجة ما وضعه الترْك وما وضعه غيرهم من عامّة الشعوب الشرقية الإسلامية ، وبعضه ممّا وضعه غير المسلمين من جِيران العثمانيين كالأرمن. خِتامًا نقول: إنّه من الواجب علينا إعادة الاعتبار إلى هذه الشخصية التي أُخمط حقّها طوال القرون المنصرمة عندما أُلبست أثواب الطفيلين والحمقى ، وذلك بـ: - إعادة الهويّة الإسلامية لجُحا ، من خلال التركيز على شخصية جُحا المسلم ، ورفض ما عداها من هويّات قوميّة أو وطنيّة (جُحا العربي - جُحا المصري - جحا التركي - جُحا الكردي – جحا الرومي - جُحا الفارسي) التي يحاول البعض إلصاقها به ؛ لأنّ هذا يصبّ في مصلحة أعداء الدين ، - توقير جُحا بصفته رجل دين وفقيه ومحدّث ، وإنزاله المنزلة التي تليق به لا السخرية منه ؛ لأن تصويره بشكل كاريكاتوري فيه انتقاص من شأنه كعالم ، وتغييب لدوره الإصلاحي في المجتمع من توعية الناس ، ومواجهة الطُّغاة والجبابرة. وأخيرًا.. إن الألقاب الكثيرة التي أُلصقت بشخصيّة جُحا ، منها الأحمق والمغفّل والطفيلي ، تتعارض مع تعاليم ديننا الحنيف التي تنصّ على عدم السخرية من الآخرين).هـ.) وإذن فأياً كانت حقيقة شخصية جحا: أسطورية خرافية أم واقعية حقيقية نستطيع القول بأنها كانت شخصية ذات تأثير في أدبا العربي!

61 - أنين القلم

(تعجبني وصية الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه – في شروط الأصحاب والأصدقاء. يقول: (عليك بأهل الصدق ، تعش في أكنافهم ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك عنه ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله).هـ. إنني كلما طالعت وصية عمر في كتب الرقائق والمواعظ ، لمْتُ نفسي كثيراً أنني لم أعمل بها ، حتى ابتليت بشر المعارف والأصحاب ، من الذين كتموا خيري وأذاعوا شري. وما كانوا أوفياء ولا مخلصين ساعة من نهار ولا أقل من ذلك! فهل كان الخلل يكمن في عدم معرفة حق النفس وقدرها؟ قالت الأستاذة سندس عبد الرحيم هرفيل في التعريف بالنفس وحقوقها ما نصه بتصرف: (كيف تثمن نفسك؟ هل أنت غال وثمين؟ هل تقدر نفسك حق قدرها؟ هل تعرف قيمة نفسك الحقيقية؟ أن تعرف قيمة نفسك ، يعني أن تقدر قيمة وجودك في الحياة! أن تدرك معنى وجودك! أن تعطي نفسك ما تستحق من التقدير والاحترام! أن تضع لها ضوابط ومعايير تسمح لك بالتحرك بحرية دون المساس بحدود الآخرين! أن تحترم نفسك يعني أن تتأكد كل يوم أنك لم تخذل نفسك ولم تتنازل عن شيء يجعلك تشعر بالندم لاحقاً ، أن تعرف قيمة وجودك ، ما يجعلك قادراً على مواجهة الحياة ، وفي كل الظروف. وأنا أقول في كل الظروف لأن أصعب الظروف الاقتصادية والاجتماعية في كثير من الدول ، وفي العديد من حياة الأفراد ، هي التي أفرزت مجتمعات قوية ومتميزة. أن تعرف حدود نفسك بطريقة عملية ، هو أن تضع لنفسك مجموعة من المعايير للتعامل مع الآخرين ، قد تكون معايير عامة لجميع من تتعامل معهم ، لكنك بحاجة أحياناً لوضع ضوابط أخرى للتعامل مع (سين) من الناس. فالناس خليط من مركبات بالغة التعقيد! ولكي تنجح في وضع هذه الضوابط عليك أن تعرف حدود إمكاناتك الحقيقية! هل أنت إنسان قادر على المجابهة والتحدي؟ فالتعامل مع الآخرين يحتاج إلى الصبر والكياسة).هـ. إنه عندما يتخلى الأصحاب عن صاحب لهم وقع في محنة قاسية ، ويتنكرون لنصرة ذلك الصاحب المنكوب المبتلى مع علمهم اليقين أنه بريء من تهم ألصقت به زوراً وبهتاناً ، تصبح الخلة الحقيقية منهم براء ، وعندئذٍ لا يجد ذلك الصاحب المخذول إلا رب العباد - تبارك وتعالى -: يدعوه ، ويُهرَع إليه! أعود للقلم فإذا له أنين يسمعه القلب!)

62 - أنين النخيل

(لا يحس بأنين النخيل إلا قلب رجل شاعر ، والشاعر يمكن أن يخاطب النخلة ويستمع إلى حديثها بما أوتي من شاعرية وحس وجداني ، وإلا يكن ذلك كذلك فليس بشاعر. وأنا في هذه القصيدة أنصت إلى النخلة وأستجيب لأنينها بكل جوارحي. إن الجلوس بين النخيل متعة نفسية ونزهة قلبية. فيها يتذكر الإنسان قول الله تعالى: (والنخل باسقات لها طلع نضيد)! قال الأستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب في مقالة طويلة عريضة جامعة مانعة عنوانها: (فقه المجد) ما نصه: (كان محمد صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق وأشرف المرسلين - مؤهلاً بأن يقوم بهذا الأمر ولو لم يكن إلا نفسه. وقد تنسحب الرؤية على الصحابة الكرام. الذين قد أخذوا التربية والتأهيل المناسب من الأنبياء! ليأخذوا دورهم سيراً على دربهم واقتفاءً للأثر. ليكونوا نماذجاً لا يشق لها غبار في البطولة. فكان منهم نماذج لو لقي أحدهم خصوماً وهم طلاع الأرض كلها ، ما بالى وما استوحش.

كما قال علي أن أبي طالب (والله لو لاقيتهم وهم طلاع الأرض كلها ما باليت وما اشتوحشت). أو كما قال الإمام علي: [أنا لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة]. وكان هناك خالد بن الوليد الذي قال للكفر: لو ذهبتم إلى السحاب لحَملنا اللهُ إليكم أو أنزلكم الله إلينا. وهو القائل لماهان قائد الروم: نحن قوم نشرب الدم ، ولم نجد أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك. كان هناك فرسان العقيدة. فبعد فقط 100 عام من وفاة الرسول ، كانت جيوش الزحف الإسلامي تحت أسوار باريس. هذا الجمع القليل الذين رباهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ليكونوا القوة الصاعقة على وجه الأرض في زمن قياسي قد فهموا قضيتهم. ودورهم في هذا الوجود. ليخرجوا على المنظومة الدولية للباطل العالمي في أشكاله المختلفة سواء فرعون أو كسرى أم هرقل...الخ آنذاك ويُشهروا السيف آحاداً في وجوه العالمين ويُخرجوا البشرية من الظلمات إلى النور. فمن آثر العمى على الهدى ، فالسيف دواؤه وفيه شفاؤه ، ولتتغير الجغرافية السياسية والاجتماعية ، تبعاً للحق المنزل وإن كان الناس على دين ملوكهم كما يقول المثل. فيأتي هؤلاء العمالقة ليقولوا لأتباعهم من المستضعفين مهمتكم في الكون أن تنكسوا هامة هؤلاء الملوك الجبابرة للملك القهار ، بل وكل صاحب كرسي من هؤلاء الطغاة لا مناص أن يسجد عنوة لمن وسع كرسيه السماوات والأرض. حكم المسلمون العالم بكلمة الله فملأوها سلاماً وحباً وعدلاً!).هـ. وعن مجد الإسلام يقول الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري: - (إذا كان للمجد كلمات فكلمة الإسلام من أكبرها مجداً). نعم هناك ثمة آصرة لا تنفصم بين الإسلام والمجد. فالإسلام هو بمثابة نظرية للمجد ، ويؤهل اتباعه تأهيلاً جاداً لبناء صروح المجد. إن الإسلام هو (المجد) ولا نقول هذا من باب التنطع بل مما اتفق عليه المفكرون ، ومنهم الأميري ما ساقه أعلاه. وتلك المعادلة الصعبة في فقه المجد من منظور الإسلام وضحها الصحابي عُبادة بن الصامت للمقوقس: قائلاً لنا مجد الآخرة إن ظفرتم بنا ، ولنا مجد الدنيا إن ظفرنا بكم ، وما من أحد إلا ويدعو ربه صباحاً ومساءً بألا يعود إلى أهله وولده وماله ، وما منا من أحد إلا وخرج ولا يبتغي الرجوع. تلك هي المعادلة بكلا طرفيها! ألا وهي المجد في الدنيا والآخرة. فإن لم تكن هذه فلتكن تلك ، وإن لم تكن تلك فلتكن هذه ، هو المجد والإصرار عليه وعلى أي وضع انتهت إليه الأمور وحسمتْ فيه المفاصلة).هـ. أعود إلى النخيل فأقول: عدتُ بخيالي وأنا أنظر إلى نخلة ، شعرت أنها تئن كغيرها فعُدت بذكرياتي إلى الوراء إلى المجد الضائع ، وإلى العزة التي رحلتْ ، وإلى المنعة التي ودعناها وداعاً لا ملتقى بعده ، وتركت النخلة في أنينها ، وعشت مع الأنين!)

63 - أنينُ الوشاح

(إنه ليفترض في الأسُود المغاوير أن تظل رابضة في منزلتها اللائقة بها ، لتحافظ عليها من كيد الأوباش الأراذل. ولكن عندما تبرح الليوث هذه المنزلة ، فحدّث ولا حرج عن الفوضى التي تسود ، فضلاً عن انتكاس المعايير وارتكاس الموازين وضياع الأمور التي لم تعد في نصابها ، وتنشرق القوس إذ ليست في يد باريها. إنني أكتب هذه القصيدة معبراً عن هذا المعنى ، ومبيناً أن الوشاح الذي هو سياج للقيم والفضائل ، يئن وينتحب عند اختلال المعايير التي تحكم حركة الحياة وتلزمها سياج المثل التي تليق بالإنسان. إن كرامة الإنسان منوطة بتطبيقه شرعاً أنزله الله ينظم العلاقة بينه وبين الآخرين. ومن هنا يفلح كل عبدٍ التزم أوامر الله وجعل بينه وبين معاصي الله ستراً. قال ابن القيم رحمه الله: (كما أن الله واحد لا إله سواه ، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يُفرَد بالعبودية ، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيّد بالسنة).هـ. وفي الآية دليل على أن أصل الدين

الذي بُعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرسلين قبله ، هو إفراده تعالى بأنواع العبادة ، كما قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون). والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت يُنازع الله في ربوبيته وإلهيته ، ويدعو الناس إلى عبادته ، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان ، أو مشرك يدعو غير الله ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها ، أو شاك في التوحيد: أهو حق ، أم يجوز أن يجعل لله شريك في عبادته؟ أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله ، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم ، لمّا اشتدت غربة الدين ونسِيَ العلمُ بدين المرسلين. وعن أبي هريرة مرفوعاً: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معيَ فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم رحمه الله. وقوله: [من عمل عملاً أشرك فيه غيري] أي من قصد بعمله غيري من المخلوقين (تركته وشركه). ولابن ماجه [فأنا منه بريء وهو للذي أشرك]. قال الطيبي رحمه الله: الضمير المنصوب في قوله: (تركته) يجوز أن يرجع إلى العمل. إن الوشاح الذي نعنى هو وشاح كل حق وفضيلة ، وهذا الوشاح يستر تحته ما كان وما يكون من اعتداء الخذلان والشر والنفاق على هذا الحق أو تلك الفضيلة! ألا وإن كل فضيلة لا يحميها رجال فطبيعي قمن البديهي أن ينال منها النفاق والشر والرياء والعمالة - في أي شكل من الأشكال - وعند اللبيب يُعرَف القصد ، وعندما تتنازل الأسُود عن المكان اللائق بها ، وعن الرسالة المناسبة لها ، تسود الهوام والحشرات والضفادع ليس هذا فقط ، بل وتعتلي صهوة المجد ، وتأخذ في سرعة وفورية مكان الأسود فيرتفع أنين الوشاح.)

64 - آهة في صدري

(عندما يسُودُ الليلُ بظلمتهِ يشعرُ الإنسانُ أنْ لا نهار ، وعندما يسُود النهارُ بضوئه يشعرُ الإنسانُ أنْ لا ليل. فسُبحان مَنْ يكَوِّرُ الليلَ والنهار. قال النووي في رياض الصالحين: (باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة المراد به الحديث الذي يكون مباحاً في غير هذا الوقت وفعله وتركه سواء ، فأما الحديث المحرم أو المكروه في غير هذا الوقت فهو في هذا الوقت أشد تحريماً وكراهة. وأما الحديث في الخير كمذاكرة العلم وحكايات الصالحين ومكارم الأخلاق والحديث مع الضيف ومع طالب حاجة ونحو ذلك فلا كراهة فيه ، بل هو مستحب وكذا الحديث لعذر وعارض لا كراهة فيه وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على كل ما ذكرته).هـ. قال الألباني تعقيباً على كلام الإمام النووي في مقدمة تحقيقه لرياض الصالحين على كلام النووي رحمه الله في الرياض تعليقاً على السهر بعد العشاء: (ينبغي أن يقيّد ذلك بما إذا لم يترتّب على الحديث بعد العشاء إضاعة شيء من الواجبات العينية ، كالشاب مثلاً يسهر في دراسة العلم أو الاستعداد للاختبار إلى قريب من نصف الليل ثم ينام منهكاً ، فتفوته صلاة الصبح ، فمثل هذا السهر - ولو في طلب العلم - لا يجوز. لأن مثله كمثل كمن يبني قصراً ويهدم مصراً. وإنما عليه أن ينام مبكراً بعد صلاة العشاء ، ليستيقظ مبكراً لصلاة الصبح ، وليجعل دراسته بعدها ، وصدق رسول الله صلى الله عليه و سلّم إذ يقول: (بورك لأمتي في بكورها). قال ابن عثيمين في (شرح رياض الصالحين): (أحيا الليل: أي أحياه بالذكر والقرآن والصلاة والعبادة. وأيقظ أهله وشد مئزره: أيقظهم ليصلوا. وشد المئزر: أي تأهب تأهباً كاملاً للعمل لأن شد المئزر معناه أن يتأهب الإنسان للعمل ويتقوى عليه. وقيل معنى شد المئزر أنه يتجنب النساء لأنه

يتفرغ للعبادة وكلاهما صحيح. فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان ويحيي الليل كله بطاعة الله. فهذا من الجود بالنفس لأنه جود في حق الله عز وجل. والله هو الذي يمن على من يشاء من عباده. فإذا منّ عليك بالعمل فله المنة يمن عليك بالعمل أولاً ثم يمن عليكم بقبوله ثانياً).هـ. وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (ومتى كان السمر بلغو ، ورفث ، وهجاء ، فإنه مكروه بغير شك). وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وَالسَّمَر بَعْدَه العشاء قَدْ يُؤَدِّي إِلَى النَّوْم عَنْ الصُّبْح ، أَوْ عَنْ وَقْتهَا الْمُخْتَار ، أَوْ عَنْ قِيَام اللَّيْل. وَكَانَ عُمَر بْن الْخَطَّابِ يَضْرِب النَّاس عَلَى ذَلِكَ وَيَقُول: (أَسَمَرًا أَوَّلَ اللَّيْل وَنَوْمًا آخِرَهُ؟). وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في اللقاء الشهري: (وإذا أطال الإنسان السهر ، فإنه لا يعطي بدنه حظه من النوم ، ولا يقوم لصلاة الصبح ، إلا وهو كسلان تعبان ، ثم ينام في أول نهاره عن مصالحه الدينية والدنيوية. والنوم الطويل في أول النهار يؤدي إلى فوات مصالح كثيرة ، وقد جرب الناس أن العمل في أول النهار أبرك من العمل في آخر النهار ، وأنه أسد وأصلح وأنجح ، فإن البكور مبارك فيه ، وهؤلاء الذين يسهرون الليالي ، لا شك أنهم لا يستطيعون البقاء بدون نوم ، فلا بد للجسم من النوم ، وطول السهر يحول دون ذلك).هـ. وإنما عنيت ليل أمتنا البهيم ، فوازنت بين الليل وهذا الحال! ولاشكَّ أنَّ الليل قد طال ونتوقُ إلى النهار. ونسألُ الله نهارَ العِزِّ لأُمتِنا.)

---

65 - أهداب النصيحة

(ذات يوم كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يجلس إلى أصحابه فقال: (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة. قالوا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). رواه مسلم. وإذن فديننا يضع النصيحة في المكان اللائق بها ، كما فهمنا ضمنا من الحديث آنف الذكر. والذكي العبقري من تخوّل منصوحه النصيحة متخيراً الوقت المناسب والمكان المناسب والظرف المناسب والطريقة المناسبة والكلمات المناسبة. ثم هو يبذلها بين يديه مبتغياً بذلك وجه الله تعالى. كأنه حامل قنديل وسط قوم يتخبطون لا يدرون عن حقيقة وجودهم شيئاً. وإنما هم يخبطون في الحياة خبط عشواء ، ويتيهون في الأرض. وإذن فحامل القنديل الواعي الناصح يعرف دوره. إن حامل القنديل يتعين عليه أن ينير دروب قوم غفاة. مهما كلفه ثمن ذلك العطاء. وذات يوم نكص هذا الذي يحمل القنديل عن عطائه ، وذلك ليلة إصابته على خلفية حادث مروري. ومن هنا رحت أنصحه على الفور ، وجعلت لنصيحتي أهداباً. وأوصيته أن لا يكف عن النصيحة طرفة عين ولا أقل من ذلك. يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه: (السنن الإلهية) ما نصه: (إن أساليب الدعوة كثيرة جداً ، وقد يكون من أسلمها وأنفعها دائماً الدعوة الفردية الصامتة بالقول والفعل والسلوك ، وإشاعة الوعي الإسلامي في الناس وتعميقه في نفوسهم وتبصيرهم بحقائق الإسلام وبواجبهم نحوه ، ولا تبدأ بمهاجمة الطواغيت فإن آخر ما تفعله مهاجمتهم ، وأمامها سوح العمل للإسلام الميسرة المفتوحة كثيرة فلتبدأ بها ، حتى إذا ما شاع الوعي الإسلامي وانتشر في المجتمع وصار مسلماً حقاً فإن الحكومة المسلمة ستنبثق منه ، لأن انبثاقها من الشعب المسلم شيء طبيعي كخروج الثمرة من الشجرة ، والشعب المسلم هو الذي يشيع فيه الوعي الإسلامي الصحيح وتكون طليعته الجماعة المسلمة المستنيرة المخلصة التي ينجذب إليها الطيبون المؤمنون الصادقون دون طلب منها إلى هذا الانجذاب ، كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس).هـ.)

66 - حللت أهلاً ، ونزلت سهلاً يا يوسف الخير

(تأتي هذه القصة بعد انقطاع عن الكتابة دام سنوات. وأكتبها اليوم هدية لولدي (يوسف الصدّيق) ، وهو الولد الرابع الذي رزقنيه اللهُ عز وجل من غير حول مني ولا قوة! فالحمد لله تعالى على نعمة الولد. وكان يوسف قد ولد في اليوم السادس من شهر سبتمبر للعام الألفين من ميلاد المسيح! (ألا شكرنا الواهب وبورك لنا في الموهوب ورزقنا بره وبلغ أشده)! وأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك فيه وعليه وحواليه ومن فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله! والدعاء ذاته لإخوانه: عبد الله وعبد الرحمن وعمر الفاروق ، وأن يجعلهم الله – عز وجل – سِلماً لأوليائه حَرباً على أعدائه ، وأن يجعلهم وأبناء المسلمين أجمعين ذخراً للإسلام والمسلمين. والواجب على كل أسرة مسلمة يرزقها الله الولد أن تشكر نعمة الله شكراً لفظياً وآخر فعلياً عملياً! يقول الأستاذ أحمد الفراك في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصرف: (وتختلف الأسر المسلمة في طريقة احتفالها بالمولود الجديد ، ويتقرب الصالحون إلى الله بإحياء سُنة "النسيكة" ، (أي العقيقة) ، يشكرونه سبحانه على أن وهبهم الذرية ، ويسألونه صلاح وسلامة أبنائهم. (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً). والولَد الصالح ذخْر للأمة في الدنيا ولوالديه في الدنيا والآخرة. ولكن هلاّ سألنا أنفسنا: ما الشروط ليكون العمل الإنجابي صالحاً ، ولتكون الكثرة مما يبهج نبينا في مَعرض مُكاثرة الأمم؟ ما معيارُ الصلاح في حساب الدنيا والآخرة؟ والله وحده بلا شريك هو الذي خلق ورزق وأنعم على الإنسان بالولد ، فمطلوبٌ من الوالد شكر المُنعم الذي له الخلق والأمر ، فمن يؤمن بأن الله أكرمه وأعطاه ولو شاء لحرمه ، يدرك قيمة إنعامه سبحانه ، ويدرك وجوب شكر الله الواهب الكريم على ما وهب وتكرم. إذ تقيد النعم بالشكر ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا شيء أسلب للنعمة من كُفرانها. وإن الشكر أَمن للغِيَر ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة". والنعمة تستوجب الشكر لله تعالى! (إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) ، والحق سبحانه لا يريد منا سوى شكره على كرمه ومَنِّه وأفضاله! (ما يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). والشكر عمل! قال سبحانه: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ). اعملوا ، إذ دوام العمل برهان الصدق. وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، ولما سُئل قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً؟) والشكر يستوجب المزيد كما أن الكفران يستجلب العذاب: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ، وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء ، وروي مرفوعاً: "اللهم لك المُلك كله ، ولك الحمد كله ، وإليك يُرجعُ الأمرُ كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله". وجديرٌ بالتذكير أيضا أن نعمة الولد والنعمة عموما تُنسب حقيقة إلى المُنعِم لا إلى المُنعَم عليه. (وما بكم من نعمةٍ فمن الله) ، ومن أوتي نعمة ولم يشكر ذهبت منه وهو لا يشعر. فاللهم ذكِّرنا النِّعم بدوامها لا بزوالها. والشكر عبودية ، قال الكريم الوهاب سبحانه: (فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ، وقال أيضاً: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون). وعبودية الشكر لا تساويها عبودية. فالحمد لله على وجود النعمة ، والحمد لله على التوفيق لتحصيلها ، والحمد لله على توفيقنا لشكره عليها. فله تمام الحمد وتمام الشكر. اللهم أوزعنا أن نشكرك على نعمائك التي لا تحصى ، وأن نحمدك أن وفقتنا لشكرك ، فالشكر نفسه نعمة منك سبحانك. اللهم زدْنا ولا تنقصْنا ، وأكرمْنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا توثرْ علينا ، وأعز أمتنا واستخلفها ، إنك

ولي ذلك والقادر عليه. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غنيٌّ كريم).هـ. أشكر للأستاذ الفرك هذه الدررَ الغالية في الحث على شكر نعمة الله عموماً ونعمة الأولاد بوجه خاص! ألا وإن هذه القصة على طولها إلا أنني كنت قد كتبتها جملة واحدة إلا ما تتطلبه الصياغة الشعرية من التحقق أحياناً ومراجعة المصادر والمراجع للوقوف على مدى حقيقة نص أو لفظ أو فكرة. وأما عنوانها فهو اسم صاحبها والمهداة إليه! وهو اليوم في المهد ، وغداً عندما يعي من ألفاظها وإيحاءاتها ما يريده والده اليوم وغداً! ولقبناه بهذا الاسم (يوسف) وبهذه الكنية (الصديق) تيمُناً بأن يجعله الله كالصدّيق يوسف بن يعقوب – عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل مَن نعلم قصصهم ومَن لم نعلم صلوات الله وتسليماته -. وأن يحقق الله على يديه اليوم ما تحقق على يد يوسف الصديق النبي بالأمس من الفرج والعزة لهذه الأمة عامة ولأسرته المنكوبة خاصة! وأشدتُ بالدور الذي قامت به ابنتنا (عائشة بنت حمد آل خدوم) إحدى الجارات لنا في الحميدية – عجمان ، وهي بالمناسبة من بُنيات البادية ، فلقد كانت تتابع يوسف الصدّيق حمْلاً فجنيناً فوليداً فصبياً في المهد ، متابعة المحبة المشفقة والجارة التي ترعى الذمار وحق جاراتها والأخت التي تحقق معاني الأخوة. وعرّجتُ على دور الأخت (أم عبد الله الشرقاوي) وهي إحدى صويحبات أمه! ثم سطرتُ مجموعة من الوصايا الطيبة التي أسأل الله أن يوفق ابننا يوسف للعمل بها!)

67 - أو ردّوها

(أرسل أحدهم رسالة بليغة عبر الهاتف ، واستقبلتُها بصدر رحب. وتقبلتُها بقبول حسن وألفيتُها آية في البلاغة والفصاحة والإبانة. ورأيتني عاجزاً عن الردّ عليها ، فقمتُ بإرسالها إلى صاحبها ، لأنني تذكرتُ قول الله تعالى: (وإذا حُييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسنَ منها أو ردّوها). والرسالة تحية ولا شك ، ولعجزي عن التحية بأحسن منها ، أرسلتها كما هي عملاً بقوله تعالى: (أو ردوها) وأيضاً أحسَن المتلقي الفهم وذلك بعد سؤاله لي وجوابي عليه.)

68 - قراءة في أوراق الماضي

(مُنذُ كانتْ إصابتي في مُقلتي اليُسرى هذه وأنا أقارنُ بينَ أوراق الماضي السحيقِ الوريف والحاضرِ الرقيق الأسيف. أقرأ هنا مرة ، وهناك أخرى ، وأحزنُ في نفسي. والحزنُ رفيقُ الكئيب وصديق المطعون ، ولذا نَحَلَ الجِسم وذابَ الشعورُ فعلًا. واللهُ يُفَرجُ الهم والغم ، (وما بكم من نعمة فمن الله) ، (والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)! وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وفي الحقيقة ، لم يكن لي وَلَعٌ بِمَا يُسَمَّى - هذه الأيام - بالشعر الحُر أو الشعر المنثور ، أو النثر المشعور - ذلك أنَّ الشعرَ العربيَ الأصيلَ براءٌ كل البراءة مِنْ شيء يُنْسَبُ إليه ويحملُ اسمه ما لم يكن على قواعده وأصوله وضوابطه ونهجه وأوزانه وقوافيه وجماله ووحدته ونسقه ومنواله وألفاظه.

كتب محمد عباس عرابي ▪ بتاريخ 2016/01/11م مجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية العدد 55 في التعليق على كتاب (الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته تأليف / الدكتور عدنان النحوي) ما نصه: (وأما عن ظروف تشكّل الشعر العربي الحديث ، فلقد عُرف الشعر العربي الحديث - وهو لمَـّا يَزَلْ حَدَثاً يحبو في دنيا التأسيس - في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة بعدة تسميات أبرزها: (شعر التفعيلة ، والشعر الحر ، والشعر الحديث ، والشعر المنطلق ، والشعر

المرسل ، والشعر الجديد ، والشعر المنثور ، والنثر المشعور). وقد تناسلت مجموعة من الظروف والعوامل التي تفسر الإبدالات التي مسّت بنية هذا الفتح الشعري الجديد لعل أبرزها: أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وما رافقها من حركات تحرر ترنو إلى التحرر والديمقراطية والعدالة ، ثم ضياع فلسطين زمن نكبة 1948م ، الذي جعل الشاعر المعاصر يحدق في اليقظة المفزعة والحقيقة المُرة ، التي حملتها رياح الأزمات والحروب والأوضاع السياسية المتأزمة على المنطقة العربية ، بالإضافة إلى انفتاح الشاعر على الآداب العالمية والثقافات الغربية ، والاغتراف من الروافد والأيديولوجيات والأفكار والفلسفات المختلفة سيّما الاشتراكية والوجودية ، وكذا الشعر العالمي (توماس إيليوت ، لوركا ، مایاكوفسكي ، ناظم حكمت..) والملاحم والأساطير اليونانية والبابلية (جلجامش ، العنقاء ، سيزيف ، عشتار..) ، والموروث السِّيري والصوفي الإسلامي والعربي القديم (سيرة عنترة ، أبي زيد الهلالي../ كل هذه العوامل أسهمت في تشكّل تصور جديد للشعر العربي ، يؤسس الحلاج ، ابن عربي..). Le répertoire du لبدائل تعبيرية جديدة جاءت لتستفزّ السّجل النصي للقارئ الواعي! وتجعله يستنفر كل خزّاناته الذهنية والفكرية لتأويل المنجز النصي الجديد ، وفك texte رموزه ومكوناته اللغوية والدلالية (وعلى رأسها العنوان باعتباره بوابة النص ولبنة من عتباته ، تستثير القارئ لاكتشاف محتواه من حيث التركيب والدلالة والإحالات المرجعية حسب ليوهوك. والقرائن الزمنية والمكانية والحالية وقرائن الإرسال والاستقبال ، والوظائف والموضوعات والإشارات النوعية والإغرائية حسب جيرار جنيت). وتقوم هذه البدائل على تحولات إيقاعية وفنية ودلالية ، تجاوزت القصيدة القديمة في بنيتها الإيقاعية والتركيبية والدلالية ، وكسرت نمطها الصارم وبنيتها من حيث المعالم الشكلية ، ونظام القافية والروي الموحد وأسست لشعر التفعيلة ، الذي يتيح للشاعر آفاقاً رحبة قادرة على استيعاب المستجدات والمعطيات الحضارية والفكرية والواقعية للعصر ، عكس القصيدة الشطرية التي تقيد الشاعر بشكلها الهندسي الصارم - الذي لا يصح الخروج عنه - وتكبح أفكاره المحمومة بنموذجها الواحد. تقول نازك الملائكة مبررة دوافع تحرر الشاعر الحديث من الشكل القديم: "لقد وجد الشاعر الحديث نفسه محتاجاً إلى التحرر من هذا النظام الهندسي الصارم الذي يتدخل حتى في طول عبارته ، وليس هذا غريباً في عصر يبحث عن الحرية ، ويريد أن يحطم القيود ، ويعيش ملء مجالاته الفكرية والروحية". بهذا أصبح شعر التفعيلة / أو الشعر الحر متحرراً من الشكل الهندسي القديم ، وحافظ الشاعر المعاصر فيه على الوزن والقافية لكي يحقق بهما الشاعر نفسه وذبذبات مشاعره وأعصابه" ، ووظف السطر الشعري بدلًا من الشطر الشعري ، تماشياً مع نظرته الشعرية الخاصة ، ودفقته الشعورية والوجدانية والعاطفية والتأملية ، وأحدث رجّة لدى النقد المحافظ بعد إعلان التيار الجديد قطيعته الإبيستيمولوجية مع القديم في مضامينه وهيكله العمودي ؛ إذ أرسل المحافظون شواظاً من نار على هذا المولود الجديد الذي يرنو إلى التحديث والمعاصرة استجابة للتحولات المعاصرة ، فكانت المعركة أشرس من تلك التي أعلنها الرومانسيون العقاد والمازني على مَن سموهم "أصنام الشعر" الإحيائي: حافظ وشوقي والرافعي. ولكَ أن تعود إلى كتاب: "الشعر المتفلت" للدكتور الشاعر المفكر الناقد الناصح الأمين عدنان علي رضا النحوي ، لتقرأ العجب العجاب ، وكيف اعتبر الشعر الحر "شراً على دين الله ولغة دينه" ، بل "فتنة وابتلاء من الله لعباده" ، قال في إهدائه: "إلى كل من أغرته فتنة الزخرف الكاذب من الشعر المتفلت ليرجع إلى الحق" ، وقال في مقدمته: "والشعر

المتفلت بالتفعيلة أشد خطراً على اللغة العربية من المتفلت بالنثر - يقصد قصيدة النثر - وكلاهما خطر شديد ومؤامرة على اللغة العربية". واعتبر الدكتور أن المثل الأعلى في الشعر هو نظام الشطرين الذي لا يحيد عن الوزن والقافية والروي ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة في الشعر الحر إلا هاجمها وندد بها ، وكأني به نقد فقهي أو عاطفي وليس أدبياً ولا نقداً منهجياً! وما ذلك إلا لأنه ينطلق من الفكر المؤامراتي الذي يعتبر كل جديد في الأدب معولاً لهدم الثقافة والدين واللغة .. إلخ ، وليت شعري ماذا يقول في أبي تمام وبشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد وابن الرومي الذين التزموا بالقالب العمودي ولم يلتزموا بالمعاني التي تُصبّ فيه؟ وحتى الشعراء الذين وُصفوا بالزندقة والمروق ، واتهموا في دينهم وطباعهم وثقافتهم كمطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، ووالبة بن الحباب ، والحسين بن الضحاك ، وأبان بن عبد الحميد ، وصالح بن عبد القدوس التزموا بالقديم في شكله وتجاوزوه في أهم مقوماته وسُنَنه الشعرية ، وأجادوا في مبناه وسبكه ومعانيه؟ وماذا يقول في شعر الرومانسيين إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران الذين نظموا على نظام الشطرين ونظام المقاطع وكان شعرهم جيداً ، ولَمّا يكونوا مسلمين في عقيدتهم! ولو عاد إلى الشعر القديم سواء العباسي أو الأندلسي لوجده مفعماً بالتجديد والأشكال الجديدة والمعاني الجديدة ، عُدْ مثلاً إلى أبي نواس في وثوبه على المقدمة الطللية وهي إحدى ركائز المنجز الشعري القديم ، وانظرْ إلى التجديد لدى أبي تمام في حماسته الصغرى والكبرى ، وابن المعتز في "البديع" وهو يؤسس لمنهج شعري جديد ، ولا يخفى كذلك على الدكتور ما أبدعه شعراء الأندلس من جديد على مستوى الشكل ، وما الموشحات والمخمسات والرباعيات والمزدوجات منا ببعيد ، وحتى النقاد والبلاغيون القدامى – حينما نتحدث في جانب آخر مثلاً عن مسألة الوزن - الذين شددوا في مسألة الوزن في الشعر كابن رشيق ، اعتبروه مجرد عنصر كباقي عناصر الشعر الأخرى ، وذهب إلى أن الشاعر سمي شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، أي لا أساس لها ولا رصيد! (راجع: العمدة) ، وإذا تتبعنا شعر الأولين نجد أن بعضه أو كثيراً منه- سيما الجاهلي - لم يرد على ميزان الخليل وما تمليه قواعد الخليل في عمود الشعر. ولهذا فالشعر يعيش عصره ، بأشكال تتلاءم ومتطلبات العصر ومضامينه فكان لا بد من "تطوير الإيقاع الشعري العربي وصقله على ضوء المضامين الجديدة. فليس للأوزان التقليدية أية قداسة". ومن أهم رواد هذا الاتجاه الشعري الجديد الأوائل نذكر: الناقدة والشاعرة العراقية نازك الملائكة بقصيدتها "الكوليرا" ومقدمة ديوانها "شظايا ورماد" ، وكتابها المؤسس لعروض الشعر الجديد" قضايا الشعر المعاصر" ، وبدر شاكر السياب في ديوانه "أزهار ذابلة" الذي ضم قصيدة حرة بعنوان "هل كان حباً" ، بالإضافة إلى عبد الوهاب البياتي بديوانه "ملائكة وشياطين" ، واتسعت دائرة هذا الاتجاه لتشمل صلاح عبد الصبور ، وأمل دنقل ، ومظفر النواب ، وأحمد عبد المعطي حجازي ، وأدونيس ، ويوسف الخال ، ومحمود درويش ، وخليل حاوي ، وفدوى طوقان ، ونزار قباني. وفي المغرب :عبد الله راجع ، ومحمد الخمار الكنوني ، ومحمد الأشعري ، ومصطفى المعداوي ، وأحمد المعداوي ، ومحمد السرغيني ، ومحمد بنيس. إن تكسير البنية القديمة لا يعني التمرد الكاسح والخرق الكلي لعمود الخليل ، والخروج المطلق عن كل الأسس الإيقاعية للقصيدة الشطرية ، وإنما يعني عدم التزام الشاعر المعاصر بتفعيلات محددة ، وقافية موحدة ، ومعجم يستدر معانيه من ضرع القاموس القديم ، ونهجه نهجاً إيقاعياً جديداً ، رغبة

منه لجعل القصيدة وحدة متماسكة ، تعبر عن المضمون الفكري المرتبط بقضايا العصر ، وإحباطات الإنسان المعاصر وعذاباته ، فالشعر الحديث "لا يتقيد بعدد محدود من التفاعيل لكل بيت ، ولا يلتزم بجميع أحكام العروض التقليدية ، بل يسمح لنفسه بتنويع الإيقاع مجاراة لما يتطلبه المضمون الفكري والعاطفي". وبخصوص شعر الرؤيا فقد سعى الشاعر المعاصر إلى تشكيل رؤاه الخاصة ، في ظل المستجدات والقضايا التي يعرفها الواقع المعاصر ، والتعبير عن انفعالاته وقلقه الوجودي وتجربته الإنسانية العميقة التي تتجاوز الظاهر إلى الباطن ، بآليات فنية وتعبيرية مختلفة وتراكيب انزياحية جديدة تجاوزت المألوف ، فأصبح الشعر رؤيا تتطور بتطور العالم ، ومدى انفتاح الشاعر عليه ، وإحساسه الشامل بحضوره فيه ، ولم تعد اللغة تقوم فقط على مجرد وظيفة تعبيرية أو جمالية ، بل تجاوزت المألوف ، لتخلق علاقات جديدة بين الشاعر والمتلقي ، موظِفاً رموزاً وأساطير تجسد رؤيا الشاعر ومشكلاته في الوجود ، فأصبح النص الشعري مكثفاً يحمل دلالات متعددة منفتحة على تأويلات مختلفة ، يجد فيها كل السطر الشعري: اتخذ شعر التفعيلة شكلاً طِباعياً جديداً يختلف عن الشكل قارئ خريطة ما. الطباعي لنظام الشطرين ، فاعتمد الشاعر أسطراً شعرية متفاوتة الطول والعدد ، وظف فيها التفعيلة توظيفاً مغايراً للقصيدة القديمة ، يحقق الانسجام الإيقاعي بين الأسطر الشعرية ، ويُخضع طول السطر الشعري أو قصره لطبيعة "الدفقة الشعرية" لديه. ومن أمثلة هذه الأسطر المتفاوتة نورد قصيدة "الآفاق" للشاعر العراقي المعروف عبد الوهاب البياتي وكأنه عبث متعمد في القصيدة وبنائها:

سكتت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزينْ

كالسائل المحروم ، كالحلزونْ

يتنظر المساءْ

وغداً ستوصد بابها في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين

ولا يعود

كالسائل المحروم ، ينتظر المساء"

انبنت هذه القصيدة على بنية مفتوحة ، يتفاوت فيها طول البيت بحسب التفعيلات الموجودة ، ويرتبط هذا التفاوت بالإيقاع النفسي للشاعر ودفقته الشعورية. وقد لا يرتبط الشاعر المعاصر بنفس التقسيم الشكلي الذي عُرف به الشعر الحر ، فيوظف كَالِيغْرَافاً قائماً على توزيع الأسطر والكلمات وتجزيئها حسب الحمولة الدلالية للقصيدة ، فتتفاوت الأسطر أو تتساوى لخدمة النسق المضموني الذي بنيت به القصيدة ، لعل أبرز مثال ، قصيدة لصاحب الشاعر بعنوان "قصيدة أخرى تأكل نفسها" ليصور كاتبها أنها تحاكي الواقع كما يتوهم! يقول فيها:

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ فصحتُ: اخطئيني

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ فصحتُ:

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً بالرصاصِ

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة مبتلةً

سيدي الحبّ أملى عليّ القصيدة

سيدي الحبّ أملى عليّ

سيدي الحبّ أملى

سيدي الحبّ

سيدي

فالشاعر هنا "أراد أن يرمز بالشكل للواقع المتآكل ، فكان أن وظف الشكل متناقضاً متآكلاً ، ليبرز تآكل المجتمع ، أو تآكل المعاني والقيم فيه وشروعَ هذه القيم في التراجع. فلهذا جماليته الخاصة ، حيث تنتج الدلالة بتوظيف الرمز للواقع على هذا النحو التشكيلي العجيب ، الذي يُلمّح إلى إمكان جعل الشكل في ذاته ، موضوعاً شعرياً من ناحية ، وعنصراً دلالياً من ناحية "المقطع الشعري: يرتبط المقطع الشعري أساساً بالأسطر الشعرية التي تتألف منها القصيدة ، إذ تتوزع هذه الأسطر إلى محطات أو مجموعة من الأسطر الشعرية المنسجمة فيما بينها ، يفصل بينها الشاعر بعلامات ، أو أرقام ، أو عناوين فرعية ، أو أشكال ، أو نجمات ، أو مثلثات ، أو حروف ، أو مربعات ، أو بياضات ، أو فراغات. وتسمى كل مجموعة مقسمة مقطعاً شعرياً. وقد يتحدد المقطع الشعري بنواة دلالية توحد بين أسطره ، أو جملة ، أو عبارة معينة ، أو لازمة تتكرر في بداية كل مقطع أو نهايته. ومثاله قصيدة "أرى شبحاً قادماً من بعيد" من البحر العروضي المتقارب للشاعر الفلسطيني المعروف محمـــود درويـــش إذ يقـول:

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ

أُطلُّ على أصدقائي وهم يحملون بريدَ

المساء: نبيذاً وخبزاً ،

وبعض الروايات والأسطوانات...

أُطلُّ على نورس ، وعلى شاحنات جنودْ

تغير أشجار هذا المكانْ.

أُطلُّ على كلب جاري المهاجرِ

من كندا ، منذ عام ونصف...

"أطل على اسم "أبي الطيب المتنبي

المسافر من طبريا إلى مصر

فوق حصان النشيدْ

أطل على الوردة الفارسية تصعدُ

فوق سياج الحديْ

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ

أطل على شجر يحرس الليل من نفسهِ

ويحرس نوم الذين يحبونني ميّتاً ..

أطل على الريح تبحث عن وطن الريحِ

في نفسها ...

أطل على امرأة تتشمس في نفسها ...

أطل على موكبِ الأنبياء القدامى

وهم يصعدون حفاةً إلى أورشليم

وأسأل: هل من نبي جديدٍ

لهذا الزمان الجديْ؟

أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ

أطلُّ على شبحي

قادما

من

بعيد...

وإذ نتأمل هذه القصيدة إن جازت تسميتها قصيدة نجدها تتضمن هذه الخصائص:

الشكل الطباعي: قسّم الشاعر النص إلى ثلاث مجموعات / مقاطع ، متفاوتة من حيث عدد الأسطر ، فصل بينها بمربع ، وبلازمة: أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريدْ. وأما عن التفعيلات والإيقاع: كسر الشاعر البنية الكلاسيكية للقصيدة ، فلم يورد التفعيلات متقابلة كما في القصيدة التقليدية في نظام الشطرين (فعولن أربع مرات في كل شطر) ، بل جعلها متفاوتة العدد ونوّع القافية (أريد ، بريد / نفسها نفسها). وأما عن البنية الدلالية: الملاحظ أن النص يتمحور حول بؤرة دلالية واحدة هي: الإطلالة ، تتجلى في: - (المقطع الأول): أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ. (المقطع هذا والوقفة الثاني): أطل على شجر. - (المقطع الثالث): أُطلُّ ، كشرفة بيتٍ على ما أريد. العروضية اعتبر النقاد والشعراء القدماء البيت الذي يكون مستقلاً في معناه بيتاً جيداً ، يميز الشاعر المتمكن عن غيره ممن يسقط في عيب "التضمين" ، بيد أن الشاعر المعاصر لا يخضع قوله وعباراته للهندسة الشطرية ، التي تتحكم بصرامتها في البيت التقليدي ، بل يقف حينما يكتمل المعنى الذي يريده ، والدفقة الشعورية والوجدانية التي تحكم تجربته. وهذه الوقفة لا تلتزم بانتهاء الوزن كما في الشطر التقليدي ، وإنما يضفي الشاعر الحديث على السطر الشعري نفَساً إيقاعياً محدداً ونغمة صوتية تنتهي بها الأسطر الشعرية ، وتعتبر بمثابة

امتداد لأسلوب التقفية في القصيدة التقليدية ، وهذا ما يسمى بالوقفة العروضية. والوقفة الدلالية: هي وقفة تكون بانتهاء المستوى المعنوي والدلالي ، المرتبط بنفسية الشاعر ووجدانه والمعنى المراد التعبير عنه. وقد يكتمل الجانب الوجداني لدى الشاعر حسب تجربته الانفعالية ، بيد أن البنية العروضية قد لا تكتمل ، فيورد تفعيلة تحقق الانسجام الإيقاعي في القصيدة. فمثلاً قال الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدة "حبر الغراب":

أنا أنتَ في الكلمات. يجمعنا كتابُ

واحدٌ. لي ما عليك من الرماد ، ولم

نكنْ في الظل إلا شاهدين ضحيتينِ

قصيدتينِ

قصيدتينِ

عن الطبيعة ، ريثما يُنهي وليمته الخرابُ.

عندما نتأمل هذا المقطع من الناحية الإيقاعية نجد أنه يتضمن نغمة صوتية تنتهي بها الأسطر الشعرية (كتابُ- الخرابُ ضحيتينِ - قصيدتينِ - قصيدتينِ) ، وهذه النغمة تحقق نفَساً إيقاعياً بمثابة امتداد للتقفية في القصيدة الكلاسيكية. فتحققت الوقفة العروضية هنا بتكامل العناصر العروضية المكونة لها. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الشاعر فصل في السطر الأول بين لفظة "كتاب" ولفظة "واحد" التي هي صفة لها ، ولفظة "لم" مع الفعل" نكن" للضرورة العروضية فغلّب الوقفة العروضية على حساب المعنى ، موظفا القافية / الروي الواحد (كتاب - خراب / ضحيتين – قصيدتين) لتحقيق الانسجام الإيقاعي في المقطع. - شعرية اللغة: إذا كان التشبيه والاستعارة في القصائد التقليدية يقومان على مماثلة شيء محسوس بآخر مثله محسوس (الصورة الشعرية المفردة) ، أو صورة محسوسة بشيء معنوي (الصورة الشعرية المركبة) ،أو تكثيف الصورة بعناصر متنوعة (الصورة الشعرية الكلية) ، لعلاقةٍ أو لشبهٍ بين المشبه والمشبه به ، فإن الصورة الشعرية في الشعر الحر تقوم على الانزياح التصويري ؛ في المفردات ، والتراكيب ، والعبارات الموظفة ، يتخذ مظاهر متعددة منها: الانزياح الدلالي ، والانزياح النحوي ، والانزياح العروضي ، تتجاوز ما هو مباشر ومألوف في اللغة ، إلى لغة متنافرة وتراكيب جديدة ومعان جديدة ، تُكسب النص الشعري إيحاءات ودلالات قوية ، تستفز خيال المتلقي ، وتثير دهشته ليشارك في بناء المعنى واستغوار لآلئه ومعانيه. يقول أدونيس في هذا الصدد: "تتيح لنا الصورة أن نمتلك الأشياء امتلاكاً تاماً (..) فهي من هذه الناحية ، الأشياء ذاتها ، وليست لمحة أو إشارة تعبر فوقها أو عليها. وامتلاك الأشياء يعني النفاذ إلى حقيقتها فتتعرى ، وتتلألأ في النور... هكذا تكون الصورة مفاجأة ودَهَشاً - تكون رؤيا ، أي تغييراً في نظام التعبير عن هذه الأشياء". تتجاوز اللغة لدى الشاعر المعاصر المألوفَ والبديهي والتقريري في التصوير ، إلى التنافر اللفظي في اللغة ، والتوظيف الرمزي لها ، وإسناد الأفعال البشرية للأشياء ، وخرق قواعد النحو والمعجم بعبارات تؤسس لمعاني جديدة ، تترك أثراً جمالياً وانطباعاً خاصاً لدى القارئ. فهي "تمنح ذاك الوهج التعبيري الذي يسيل إيحاء وترميزاً ، ويتيح القفز والتحليق فوق الضفاف الحالمة" ، وتتحقق دلالاتها بتكثيف

والربط بين الصور المتباعدة دون اعتبار للحدود الزمانية والمكانية. condensationالمعنى ولعل مظاهر تجليات شعرية اللغة ومعانيها وجماليتها ، تتحقق في مقطع عجيب للشاعر أدونيس في قصيدة "اثنا عشر قنديلاً لغرناطة" إذ يقول:

بيتٌ واحد للسماء والأرض

هنا ، بين المتوسط وسييرّانيفادا.

الجبلُ يضع يده في يد الموج

والبحرُ يتسلق نوافذ الشجر.

(...)

ضيقٌ هو الفضاء على عطر هذا التاريخ ،

ضيقٌ هو التاريخ على نكهة هذه الأرض.

اصعدْ أيها الشاعر ، إلى أبراج الأسئلة ،

اقرأْ هواء الريحان ،

ودَرّبْ شفتيكَ على خمرة المعنى.

في هذا المقطع أكسبَ الانزياحُ للمنجز النصي شعريته وخصوصيته ، إذ نلاحظ أن الشاعر تجاوز التشبيه المباشر والتعبير العادي المألوف إلى تصوير جديد ذي معان جديدة ، خلقتها مفردات متنافرة أدت المعنى بشعرية نادرة ، شخّصت عناصر الطبيعة الصماء وجسمتها ، وكأنها أناسي تتحرك وتحس كالإنسان ، فرسم صورة بديعة للفضاء الذي بين المتوسط وسييرّانيفادا: فجعل للجبل يداً وللموج يداً وكأنهما أخوان ، واعتبر البحر شخصا يتسلق الشجر ونوافذه ، وهذه اللغة تزخر بالتنافر بين عالمين ، جمعت بينهما المكونات اللغوية بإسناد أفعال إنسانية لأشياء غير إنسانية: - فضاء ما بين المتوسط وسييرّانيفادا يبدو فيه الجبل (وهو مرتفع من عناصر الطبيعة + جماد) يضع يده في يد الموج ، والبحر (وهو فضاء مائي من عناصر الطبيعة + جماد) يتسلق نوافذ الشجر ، ووضع اليد (فعل إنساني يقع على جماد (الجبل) ، والتسلق (فعل إنساني يقع على جماد (البحر). فتحققت بذلك شعرية اللغة بانزياح دلالي أحدث توتراً بين الألفاظ والعبارات ، وإسناد فعل الإنسان / الوضع ،التسلق ، إلى عناصر الطبيعة (وضعُ الجبل لليد في يد الموج - تسلّقُ البحر لنوافذ الشجر- عطرُ التاريخ – ضيْقُ التاريخ – نكهةُ الأرض – أبراجُ الأسئلة – درّبْ شفتيك – خمرةُ المعنى) ، وباستعمال اللغة استعمالاً خاصاً ، يتجاوز التعبير المباشر المألوف والتقريري. - الرمـز: لم يقتصر تجديد التيار المعاصر على الوزن والرؤيا والصورة الشعرية بل لامس كذلك آليات اشتغال المنجز النصي وأدواته الفنية ، وأهمها الرمز ، الذي يعتبر وسيلة لتوليد المعنى ، وتبليغ معاني اجتماعية وثقافية تجسد مواقف الشعراء ونظراتهم للكون والحياة والوجود ، يستحضرون فيه ما يتلاءم مع السياق الإبداعي الذي يخدم النص ، ويكسبه دلالات جديدة وإيحاءات جديدة تثير ذهن التلقي. يقول أدونيس في تعريفه للرمز: "فالرمز هو ، قبل كل شيء ، معنى خفي وإيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة

القصيدة. إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالما لا حدود له. "- والشاعر الحديث يوظف الرمز بنقله من إطاره المباشر الضيق ، وسياقه السوسيوثقافي المتعارف عليه ، إلى معنى آخر مرتبط بتجربة الشاعر ورؤيته الفكرية ، تكتسب دلالات إيحائية جديدة. ويتخذ الرمز في الشعر العربي الحديث مظاهر متعددة ينهله الشاعر من مصادر مختلفة منها: الدين ، والتاريخ ، والطبيعة ، والأدب ، والأسطورة ، واللغة ، والفن. ولنضرب لذلك مثلاً بمحمـود درويـش في قصيـدة عجيبة / ديوان "جدارية" حين يقول:

لا شيء يوجعني على باب القيامة

لا الزمان ولا العواطف. لا

أحس خفة الأشياء أو ثقل

الهواجس. لم أجد أحداً لأسأل:

أين "أيني" الآن؟ أين مدينة

" الموتى وأين أنا؟..

إن قراءتنا للجانب الدلالي لهذا المقطع لا يجب أن تتوقف عند الدلالة المعجمية السطحية للرموز الموظفة فيه فقط ، بل لابد أن تتجاوزها لتستوعب تجربة الشاعر ككل ، والسياق الذي جاءت فيه القصيدة ، ويتمثل هذا السياق في تحدي الشاعر للموت /هذا القاهرِ لكل موجود ، معلنا رفضه لسطوة الموت على الإنسان فوظف الرمز ليبرز رؤيته الكونية لهذا الواقع الحتمي فاستمد رمز (القيامة) من المُعطى الديني الذي يدل على نهاية العالم الدنيوي وبداية يوم الحساب ، ليرصد استعداده للموت - وأهواله وسكراته - باعتباره بوابةً للقيامة وأولَ ما يصادف الإنسان وهو على مشارف القيامة ، فعبر عن صموده أمامه ، وعدم خوفه من هواجسه. موظفاً كذلك الرمز اللغوي المتمثل في اسم استفهام "أيني" الذي تضمن خرقاً نحوياً (بإضافة ياء المتكلم إلى اسم استفهام) ، يوحي بفداحة السؤال التي لم تؤثر في وحدة الشاعر على عتبات الموت ، وكذا الرمز المكاني / مدينة الموتى - الذي يدل على معنى المقبرة - ليرمز إلى عدم تأثره بهذا الفضاء الذي يرتبط بالموت. ويتجلى الرمز كذلك في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد" لمحمود درويش (وهو يعبث بالشعر ويلعب بقالبه وبحوره وقوافيه) في قوله:

"أطلُّ على اسم "أبي الطيب المتنبي"

المسافر من طبريا إلى مصر

فوق حصان النشيدْ

أطلُّ على جذع زيتونة خبأَتْ زكريا

"أطلُّ على المفردات التي انقرضتْ في "لسان العرب

أطلُّ على الفرس والروم والسومريين

"واللاجئين الجدد ..

في هذا المقطع كثّف الشاعر النص برموز تنتمي لمجالات مختلفة ، فوظف الرمز الأدبي (أبي الطيب المتنبي) ، والرمز الديني (زكريا) ، والرمز اللغوي (لسان العرب) ، والرمز التاريخي (الفرس والروم والسومريين). ومن بين أهم الرموز فيما يسمى - زوراً وبهتاناً - بالشعر الحر نذكر على سبيل المثال وليس الحصر:

- **آشور: مدينة عراقية قديمة كانت عاصمة للآشوريين خلال ق11 قبل الميلاد.**
- **المسيح: مخلص البشرية حسب العقيدة النصرانية.**
- **المرأة : رمز للأرض.**
- **الطوفان : رمز للثورة كما يمكن أن يكون رمزاً للتطهير والتجدد.**
- **لوركا: نجده مثلاً في قصيدة "لوركا" لمحمود درويش في قوله:"عفوَ زهر الدم يا لوركا وشمسٌ في يديك .." ، والمقصود به كارسيا لوركا ، شاعر أسباني ورسام وعازف بيانو من أدباء القرن العشرين قتل في الحرب الأهلية الأسبانية.**
- **طاغور: نجده مثلاً في قصيدة "أرى شبحي قادماً من بعيد" لمحمود درويش في قوله: " أطلُّ على عقْد إحدى فقيرات طاغور" ، وهو فيلسوف هندي وشاعر له شعر ومسرحيات ومقالات في الفلسفة والدين والسياسة ، تحدث في أدبه كثيراً عن الفقراء والفلاحين والبسطاء! وعموماً كان طاغور أقل سوءاً من هؤلاء.**
- **زرقاء اليمامة: امرأة في العصر الجاهلي ، يضرب بها المثل في حدة البصر شيّد لها قومها برجا لمراقبة الأعداء على بعد ثلاثة أيام ، لكن الأعداء ألقوا عليها القبض.**
- **المطر: قد يرمز للحياة والبعث والخصب كما قد يرمز للموت.**
- **الريح: ترمز للدمار والقوة.**
- **بابل: رمز تاريخي يحيل إلى حضارة بلاد الرافدين.**
- **سارق النار: يرمز للتضحية والخلاص والكفاح.**
- **أيوب: رمز ديني يرمز للصبر والتجلد ، كما كان عليه النبي أيوب عليه السلام في لحظة مرضه وسقامه.**

- الأسطورة: ترتبط الأسطورة لدى الشاعر الحديث بتجربته الفنية والذاتية والجماعية ، فتنضاف إلى باقي المكونات الفنية الأخرى (اللغة الشعرية والانزياح والرمز) لتضفي على النص جمالية ودلالات فنية وتعبيرية جديدة تتجاوز حدود المعطى الأسطوري وسياقها التاريخي والاجتماعي ، لتمدّ الشاعر بأبعاد أخرى قادرة على تشكيل دلالات وإيحاءات تصور قضايا واقعه ، ومشكلاته الكبرى وهمومه وانفعالاته النفسية ، فيلتفت إلى عالم الخوارق والموروث الحضاري والسوسيوثقافي والفنطاستيكي والخرافي للأمم والشعوب العريقة ، فيتخذ الأسطورة وسيلة للتعبير الرمزي غير المباشر للواقع ، فينهل من روافد الأسطورة ، وينقلها من كونها مجرد حدث عابر ، أو تاريخ مضى ، إلى رؤية جديدة تصور الواقع الحاضر ، وتبلور مشاعره ومواقفه ورؤاه حول واقعه ، وترصد تجربته الذاتية العجيبة المفتراة بلون

مغاير عما كان عليه الشعر القديم ، وكلها محاولات غثة الهدف منها نقض اشعر.
- ومن بين أهم هذه الأساطير العجيبة التي جنت حقاً على الشعر والشعراء نذكر:

• أسطورة الفينيق: وهو طائر جميل كالنسر ، يذهب إلى مصر في هيليوبلس / معبد رع (إله الشمس) كلما أحس بقرب أجله ، فينشئ محرقة موته بنفسه ، فيشعل النار فيها فيحترق فيها ويصير رماداً ، ثم يتكون من رماده فينيق آخر. • أسطورة تموز: ترمز للحياة والخصب والانبعاث من جديد ، وهو إله مزعوم مفترى صرعه خنزير فقتله ، فبحثت عنه حبيبته "عشتار" فوجدته في العالم السفلي فقبّلته وأعادته إلى الحياة. وهذه من الخرافات والأباطيل والضلالات! • أسطورة أوديسيوس: أسطورة التيه الذي يعقبه اللقاء ، تحكي قصة أوديسيوس الذي عاد من حرب طراودة ، فَضَلَّ الطريق في البحر لعشر سنين ، فانتظرته زوجته "بينيلوب" حتى عودته. وتلك خرافة تصح عند الإغريق الوثنيين • أسطورة سندباد: أسطورة التيه الذي يعقبه اللقاء ، وهو رحّالة قام بعدة رحلات لقي فيها الأهوال والمخاطر. • أسطورة بروميثيوس: أسطورة التيه والعذاب الأبدي ، تحكي معاقبة كبير الآلهة "زيوس" لبروميثيوس الذي سرق نار الحكمة من السماء ، وأهداها إلى البشر في الأرض ، ليكون فيها خلاصهم وسعادتهم ، فسلّط عليه نسراً يأكل كبده في النهار ، فَيُخلقُ مجدداً في الليل ليعذبه وهكذا دواليك ، ليعيش في عذاب أبديّ. • أسطورة سربروس: أسطورة كلب عجيب الخلقة ، له ثلاثة رؤوس مفتوحة الأفواه ، وتكسو شعره وظهره ثعابين مخيفة ، وهو يحرس مملكة الموت أو العالم السفلي. • أسطورة سبارتكوس: أسطورة الثورة والكفاح من أجل تحقيق الحقوق. • أسطورة شهريار: تحكي خيانة زوجة هذا الملك له مع عبد من خدمه ، وقتله لها ، فقرر أن يأتي كل ليلة بفتاة فيقتلها انتقاماً من النساء ، فلما جاء دور شهرزاد ، كانت تحكي له حكاية فتترك بقيتها إلى الغد ، وهكذا دواليك حتى كفّ عن قتل النساء ، بفضل شهرزاد. • أسطورة عشتار: إلهة الحب والخصب عند الأشوريين والبابليين. • أسطورة جلجامش: ملحمة سومرية تحكي رحلة البحث عن الخلود ، تتحدث عن ملك اسمه جلجامش ، يكرهه شعبه لأفعاله السيئة ، إذ يستخدم الناس ويستعبدهم لبناء سور عظيم ، فحصل على عشب سحري يعيده لمرحلة الشباب ، فقرر أن يأخذه لوطنه ، ويجربه على رجل عجوز ، لكنه في طريق عودته اغتسل في نهر ، فسرقت منه أفعى العشب ، ثم عاد صفر اليدين ، يشاهد السور الذي بناه ، ففكر بأن عملاً ضخماً كسوره هو أفضل طريق للخلود. • أسطورة سيزيف: حكمت عليه الآلهة المفتراة المزعومة بالشقاء الأبدي ، بحمل الصخور إلى أعلى الجبل ، وكلما وصل إلى الجبل أو كاد ، يهوي مرة أخرى فيسقط ، فيعيد حمل الصخور من جديد. • أسطورة أورفيوس: هو بطل أسطوري ، وهبته الآلهة مواهب موسيقية يتميز بعذوبة صوته وجمال عزفه على الآلات الموسيقية وخصوصاً القيثارة ، نزل إلى العالم السفلي حيث الأشباح والآلهة لاستعادة زوجته ، فسحرهم بجمال عزفه ، واستعاد زوجته ، لكن اشتُرط عليه أن يمضي وزوجته خلفه ولا يلتفت إلى الوراء إلا بعد الخروج من العالم السفلي ، لكنه خالف هذا الشرط فكان مصيره أن اختفت زوجته. لقد أكسب تيار تكسير البنية وتجديد الرؤيا الشعر العربي الحديث دفقاً جديداً ، في معماريته وبنيته الإيقاعية والفنية واللغوية ، فشحنه بلغة إيحائية ورموز وأساطير مفعمة بدلالات غير دلالاتها المباشرة ، تكثّفُ النص وتعطيه أبعاداً أخرى مفتوحة على تأويلات متعددة ، وقراءات مختلفة ، مما أفرز قارئا جديداً غير الذي عكف على الموروث الشعري القديم لآمادٍ ودهور طويلة ، فكان لزاماً على المتلقي الجديد أن ينفتح على هذه التجربة الحديثة ، من خلال

أبنيتها وأنساقها اللغوية والمعرفية.).هـ. جزى الله خيراً الدكتور عدنان النحوي على هذا التحليل البديع الرائع! وجزى الله خيراً الناقد الأدبي المحترم الأستاذ محمد عباس عرابي على هذا التفصيل المستفيض. وجزى الله خيراً القائمين على مجلة (الأدب الإسلامي) ونفع الله بهذه المجلة العظيمة. وأحب هنا أن أضيف مداخلة تقييمية لكل ما سبق إيراده حول تكسير النص والبنيوية وما وراء المجهول والمسرح العبثي وفكرة الآلهة المفتراة المدعاة ، كل هذا الهراء ، وكل هذا العبث سببه البعد عن الأدب العربي الأصيل والتغريد خارج السرب! سببه الترجمة عن الغرب ومحاولة محاكاته في كل شيء والانهزام أمام الغرب! إن لكل أدب أجروميته ومواده التي تتناسب مع لغته! فلماذا إقحام الأدب العربي في مزالق وعثرات الآداب العالمية؟ المهم أنني أردتُ برثائي لعيني على هذا النوع من اللاشعر ، وكان ذلك من باب المواكبة الصورية لجديد الفن ، وإن لم أومن به! تقول الأستاذة حُرّة طيبي في مقال عنوانه: (خطر الشعر العربي المعاصر على اللغة العربية) بتصرف دعت إليه الضرورة ما نصه: (يحاول بعض الشعراء وليس كل الشعراء – عن قصد أو عن غير قصد ـ تحطيم كل ما هو قديم متوارث ، من لغة وقيم وفن و... وليتهم يملكون – البديل. والمعروف كذلك أن الاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة ، بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة ، وما الصراعات التي نشاهدها اليوم بين الدول ، وأحياناً في الدولة الواحدة التي فيها أكثر من لغة واحدة ، إلا نوع من الصراع من أجل السيطرة والسيادة ليس إلا؟ فهل يحق لأحد أن يتلف هذه الوسيلة العجيبة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من تقدم وازدهار ، وتواصل عبر آلاف السنين؟ في هذا التساؤل تكمن إشكالية محاولة ضرب اللغة العربية ، بطرق وأشكال مختلفة من الداخل ، بإيعاز وتدبير محكم من الخارج ، إن العرب بفطرتهم مطبوعون على حب الشعر ، لأنه يغلب على أحكامهم الوجدان بحكم بداوتهم وأميتهم ، فأكسبهم ذلك التأنق في الكلام ، وسرعة الحفظ وحضور البديهة ، فاتخذوه كما قال الجمحي "ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون" وأحلوه من الاعتبار في الغاية ، ومن الرعاية في الذروة ، وكانت القبيلة يرفعها البيت من الشعر ، أو يحط من شأنها بين القبائل)! حتى أصبح ذلك مضرباً للأمثال ، فقيل هذا "بيت القصيد". وإذن فالعرب لم يهتموا بفن من الفنون كاهتمامهم بفن الشعر ، يحفظونه ويروونه وينظمونه كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، فكان رفيقهم وأنيسهم في الحلّ والتّرحال ، في البؤس والشقاء ، في الحرب والسلم منذ ذلكم التاريخ إلى يومنا هذا. فكيف نسمح لأنفسنا ، بأن نرمي بكل هذا التراث الشعري الضخم ، المتراكم عبر الأجيال ، من خلال التلاعب باللغة واستهجانها والحط من قيمتها بحجة التطور والتجديد ومسايرة العصر؟ والحقيقة عكس ذلك تماماً كما هو واضح عند هؤلاء الشعراء المعاصرين أمثال) أدونيس (تكمن في ضرب اللغة العربية بهدف إضعافها ثم تقسيمها إلى لهجات محلية لقتلها والتخلص منها ، وليتهم وعوا أنهم بضربهم اللغة يضربون أنفسهم ولا يشعرون ، لأن في ذلك دعوة صريحة إلى الجهل ، بل إلى الاستهجان والاستهتار بتاريخنا وقيمنا وشخصيتنا وبكل ما نستطيع أن نفاخر به غيرنا من الأمم. واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مُقدِّمة اللغات التي نجحَتْ في القيام بدورها الحضاري الرَّفِيع ، وارتَقَتْ بأمَّة من مجتمع الصحراء المتوارِي لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة مُتوالِيَة ، ويَكفِي في هذا المقام أن نتذكَّر أنها شَرُفَتْ بحمل آخِر رِسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مُبِين. إنَّنا في عصر تَحرِص فيه اللغات الكبرى المُسَيطِرة على التِهام اللغات المُنافِسة لها ، أو على أقل تقدير

إضعافها وتفتيتها! وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى توظيف وسائل علميَّة وتعليميَّة وإعلاميَّة ، تَمَّ إعدادُها ودراستها بدِقَّة شديدة ، فيها مُغريات كثيرة ، يتَمَّ من خلالها دسُّ السمِّ بإحكام ، في آنية العسل ؛ لتكون كالطعم يَنجَذِب لها المتلقي بوعي أو بلا وعي من أبناء اللغة المستهدفة ، فيتم تحقيق الهدف المرسوم بسهولة ويسر. والقُوَى الكبرى التي تسعَى إلى تحقيق مثل هذه الأهداف ، تَعرِف أنها لا تُحارِب فقط كلماتٍ وقواعد وتراكيب ، وتراثًا شعريًّا أو نثريًّا ، ولكنها تُحارِب ما يَرمُز إليه ذلك كله ، وتسعى إلى السَّيْطَرة على مُقَدَّرات أبناء هذه اللغة وثرواتهم ، واستقلال ذواتهم ، وصَلابة قراراتهم ؛ لكي يكونوا لقمة سائغة في خدمة عجلات الإنتاج ومَطامِع التوسُّع ، لدى أصحاب اللغات المسيطرة. من المعرف أن الشعر أياً كان موضوعه يعتمد في ما يعتمد عليه ، على عنصر الخيال لتشكيل الصور التي هي من صميم التعبير الشعري ، لأن الشعر إذا خلا من الخيال والتصوير فليس بشعر ، وإنما هو ضرب من النظم. ولكن الخيال والتصوير الذي نعنيه هاهنا ، ليس الغموض والإبهام والتضليل والوهم الذي يمتلئ به شعرنا المعاصر. والذي نحاول جاهدين أن نفقه منه شيئا في كثير من القصائد فلا نتمكن من ذلك. وإنما نعني ذلك التصوير الإيجابي الذي يعطي للمتلقي مجالاً واسعاً للتأويلات والاحتمالات ، للوصول إلى المعنى المقصود. ولأن الشعر مهما حلّق في أجواء الخيال ، واسترسل في أفانين التصوير والبيان ، فإنه منطلق من الواقع ، من الحياة ، من شعور الإنسان وعلاقاته بالآخرين ، وبالكون الذي يعيش بين أحضانه ، ولا يأتي من عدم أو ينزل على الشاعر وحياً من السماء. لذلك فقد يؤدي الكلام على الأدب ، إلى الكلام على مرجعيته ، التي ساهمت في تكوينه وبلورته وإخراجه إلى الوجود ، ملوناً بألوان وأحاسيس الشاعر الذي أبدعه ، مصبوغا بانفعالاته وعواطفه. لأن الشعر الحقيقي هو ذاك الذي تمتزج فيه ذات الشاعر بموضوعه ، فيغدو الشعر قطعة من ذات الشاعر فيها أحلامه وأمنياته ، وموقفه الذي يدعو إليه متلقيه ، وليس ذلك الواقع الجاف الذي يعرفه الناس على مسرح الحياة. وهذا الأمر لا يخص الشاعر وحده ، فحسب وإنما يخص كل فنان مبدع لفنه. إذ لكل ذي فن في الحياة أسلوبه وطريقته للتعبير عن فنه ، والإبانة عن ذات نفسه ، فالموسيقي بنغمه والمثال بنحته ، والمصوّر بريشته ، والأديب بشعره ونثره ، وقد صدق شوقي حين قال: "أساطين البيان أربعة: شاعر سار بيته ، ومصور نطق زيته ، ومثال ضحك حجره ، وموسيقي شدا وتره". ولا يغيب عن الذهن ، أن الفنان المبدع ، يخاطب في المتلقي العقل والوجدان معاً ، لإثارة انفعاله واستمالته ،إلى تقبل الفكرة أو الموقف دون تردد أو رويّة. وبما أن الحقائق والأفكار في تجدد مستمر ، لا تجف ينابيعها ، فمن الطبيعي أن تتشابه الأحداث والقضايا ، التي تشكل عناصر الشعر ومن ثمة يصبح من الطبيعي تكرار المواقف وصور التعبير عنها ، ولكن بأدوات مختلفة وبمنظار مختلف ، وبألوان غير الألوان وهكذا. وهذا أمر بديهي ، أشار إليه كثير من شعراء العصر الجاهلي ، منهم عنترة بن شداد حيث قال: هل غادر الشعراء من متردّم؟ يشير هنا إلى أن الشعراء الذين سبقوه ، لم يتركوا شيئاً يصاغ فيه شعر، إلا وقد صاغوه فيه. فالشاعر عنترة ، قد شعر بضيق من أزمة المواضيع ، التي تتيح للشاعر أن يقول فيها شعراً ، لتوصيل فكرته إلى المتلقي ، ولكن ذلك لم يثنه عن إبداع أرق الشعر وأجمل القصائد ، بلغة وأساليب من سبقوه من الشعراء ، دون أن يعلن الحرب عليهم ، أو القطيعة مع الماضي ، لا شيء سوى لأنه كان يمتلك الوسائل الكافية لقول الشعر. وما قلناه عن عنترة يمكن قوله أيضاً عن عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة الشهيرة "ألا هبي بصحنك" ، فهي

مثل حيّ للتعبير الجميل واللغة الواضحة ، والصدق الفني في التعبير ، فإنها في الوقت ذاته جمعت بين المعاني وجودة السبك ، وحسن الصياغة وقضايا القبيلة ، الأمر الذي جعلها تحتل مكانة مرموقة ، في نفوس قبيلة (تغلب) ، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، حتى غدت نشيداً قومياً لهذه القبيلة ، ظلت تفاخر بها القبائل جيلاً بعد جيل. ومع ذلك كله ، فهي لا تختلف عن نظام القصيدة المعروفة في ذلك الوقت ، من الناحية المعنوية أو الفنية. وربما تجديد الشاعر فيها ، يكمن في تعبيره عن قضايا قبيلته ، من خلال منظور ذاته وبيئته وعصره ، وتلكم هي الحداثة أو المعاصرة ، وهي الأصالة في الشعر. وليست المعاصرة في الشعر ، هي أن يأتي الشاعر في شعره بأشياء مستعارة ، غريبة عن قومه ومجتمعه وعصره وبيئته ، ويزعم أنه من دعاة التجديد والمعاصرة. وليس عيباً أن يحاول الشاعر مواكبة العصر الذي يعيش فيه ، ولكن بشرط أن يكون شعره معبراً عن مجتمعه وبيئته ، منطلقا من ذاته ، لا مستعيراً ومشحوناً برموز وطلاسم لا يفهمها حتى هو بذاته ، بل العيب كل العيب أن يظل الشاعر متقوقعاً في صومعته مغلقاً بابه على نفسه ، مكتفياً باجترار آثار القدماء ، في موضوعاتهم ومشاعرهم وبيئاتهم وأفكارهم: وهذا هو التخلف بعينه ، وهذه أهم الأسباب التي تفقد الشعر والشاعر ، قدرته على التواصل والتأثير في المتلقي. فإذا أراد الشاعر المعاصر أن يرتقي بشعره ، إلى مرتبة المعلقات العربية التي لا نزال نرددها إلى اليوم ، ولا نمل من ترادها ، فعليه أن يعود إلى هذا التراث الثري ، ويعي جيداً تلك العلاقة التي كانت تربط الشاعر بقومه وبيئته وعصره ، فضلاً عن الخصائص الفنية التي ساعدت هذا الشعر ، على البقاء والخلود عبر قرون طويلة من الزمان. وعليه أن يعي أيضاً بأن الشاعر ليس كياناً مستقلاً بذاته وإنما هو ابن بيئته ومجتمعه وعصره. فالأديب وأعماله ثمرة قوانين عملت في القديم ، وتعمل في الحاضر ، وتظل تعمل في المستقبل وهو يصدر عنها صدوراً حتمياً لا مفرّ منه ، إذ تشكله وتكيفه حسب مشيئتها ، وحسب ما تحمل في تضاعيفها من جبر وإلزام. وكم من شاعر أراد أن يثور ، عن الماضي ويقطع صلته به ، ولكنه سُرعان ما أحس بالفشل ، فعاد إلى حيث كان من قبل. وإذن فالشعر كان هادياً ومربياً ومعلماً ، ومعبراً عن المشاعر والمواقف ، وساعياً إلى محاربة الشرّ والخرافات ونبذ الرذائل ، وداعيا إلى مكارم الأخلاق والفضائل ، وبناء المجتمع الراقي الذي يتذوق الفن ويقدّر قيمته في بناء الحضارة ، وكل كلام يخرج عن أداء هذه الرسالة ، فهو ضرب من الوهم والهذيان ، حتى لو كان موزوناً ومقفىً. وما أكثر هذا النوع من الشعر ، في ما يسمى بالشعر المعاصر في الأدب العربي بشكل عام ، وفي الشعر الجزائري أيضاً ، فهو شعر لا علاقة له لا بالبيئة ولا بالمجتمع ولا بالعواطف الإنسانية ، ولا حتى بذات صاحبه ، بقدر ما يعبر عن الواقع الصادم للذات الشاعرة ، التي ولّت هاربة من الأصالة نحو الفوضى والاضطراب ، وعدم الرؤية الصحيحة للأشياء. أما أصحاب هذا النوع من الشعر ، فيمكن تقسيمهم إلى فريقين. أما الفريق الأول ، فيتبنى التجديد بسوء نية ، لأنه يهدف إلى تضليل الإنسان العربي ، وإفساد ذوقه ، وذوق الأمة العربية وتشويه إحساسها بالجمال ، وإضعاف اللغة العربية ، باستعمال الألفاظ الأجنبية والعامية ، أو استعمال اللفظة في معنى لا تمت له بصلة ، لا من قريب ولا من بعيد لإحداث التشويش في الفهم ، وتعقيد الكلام ، لتنفير الناس من العربية ، ويتم ذلك كله بدعوى التجديد والمعاصرة ومواكبة العصر. وأما الفريق الثاني ، فيتبنى هذه الموضة أو الموجة عن حسن نية ظناً منهم أنهم يمثلون عصرهم بصدق وإخلاص ، وأن كل ما يأتون به من تجديد ، في اللغة أو الصياغة أو الفكر ، فهو منتزع من روح العصر ، ويواكب الحركة الأدبية العالمية ، وكلاهما

يؤدي في نهاية المطاف إلى هدم القيم العربية المتوازنة عبر الأجيال ، والتي يتميز بها العربي عن غيره من الأجناس الأخرى. وبتجريد العربي من هذه القيم الروحية والفنية ، يغدو إنساناً هجيناً ، يشبه الإنسان الآلي في سلوكياته وتصرفاته ، ومن ثمة يعجز عن تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويبقى تابعاً في كل تصرفاته ، ومسارات حياته ، ويسهل انقياده إلى حيث يريدون اقتياده. والأمثلة من هذا الشعر كثيرة ، وكثيرة جداً ، وهكذا يمضي الشاعر المعاصر في نظمه على هذا النمط العبثي ، الذي لا يمتّ إلى فن القول بصلة ، لا هو شعر ولا هو نثر مفهوم ، وإنما هو نوع جديد من الهراء والهذيان والنعيق ، أو هو أكثر من ذلك. ولعل الهدف منه هو ملأ الساحة بالهذيان والضجيج ، حتى يزعق محبّو الشعر ، ويضجون من كثرة الخشخشة والضجيج والصياح ، فيعلنون استسلامهم ويقبلون بما هو موجود في الساحة. وما قلناه لا يشملُ الشعراء المعاصرين ، من الذين يحافظون على أصالة اللغة ، ويحترمون قوانين الشعر وقواعده ، ويقدسون قيمة الكلمة ، ويرفعون من شأن مشاعر المتلقي. وإلى جانب ذلك كله فالشاعر المعاصر، يدرك جيداً ، بأن الزيف والفساد ، قد استشرى وانتشر في كل مجالات الحياة اليومية ، وأن الأصالة تموت يوماً بعد يوم ، وجيلاً بعد جيل ، لأن هناك قوى ضاغطة من الزائفين والمرتزقة يخنقون كل موهبة أصيلة ، ويئدون كل عبقرية مضيئة ، عن عمد واضح مفضوح وبكل الوسائل. وهناك أسباب عديدة ، ساهمت في انتشار هذه الموجة من الشعر المعاصر بهذا المستوى المتدني للغاية ، ويأتي على رأس هذه الأسباب: غياب النقد ، والنقد هو الذي يسوق الإبداع ويوجهه ، فإذا وجد النقد ، فإن المبدع يعرف مسبقاً أنه ـ سيجد أمامه على طول الطريق ، أقلاماً مشرعة ، تتناول عمله بالفحص والمناقشة والتفسير والتعليل ، مما يجعله يقرأ ألف حساب لهذا النقد قبل إخراج عمله ، وفي الوقت ذاته يجعله في حالة تحصيل دائم لمادته الإبداعية. إذ أن هذه الأقلام تكشف له في واقع الأمر ما بداخله ، من مدى صدقه في التعبير عن القضايا ، ومدى قدرته على تقديمها للمتلقي. إن النقد في الحقيقة يفعل فعل السحر في نفس المبدع ، إذ هو ينير له في داخله مناطق كانت معتمة ، لا يراها واضحة في وعيه ، فيزداد بذلك الشاعر المبدع ثراءً وعمقاً ، وبفضل هذه المتابعة النقدية الواعية ، يتم تطور الشاعر في غده بأفضل مما كان عليه في أمسه ، فلا يتوقف ولا يكرر ولا يستبدل. كما أن النقد الواعي هو الذي يستطيع أن يفرز للمتلقي حقيقة معادن المبدعين ، وبهذا لا يبقى في دنيا الإبداع الشعري إلا العمل الناجح والموهبة الحقيقية. فلا مجال للزيف وسيف النقد مصلت على الرقاب ، ولا مجال للادعاء وعين النقد صاحية. كم من أعمال نقدية أثارت الزوابع وأقامت الدنيا وأقعدتها ، وكم من معارك أدبية وفكرية شغلت الصحف والمجلات! وكم من شاعر ولد على أيدي النقاد الذين احتفلوا به وبشروا بمولده الفني! والعكس صحيح ، فالنقد ضمير المجتمع الأدبي ، وذوق الأمة. إن شعرنا المعاصر ، شعر مأزوم ، لقد أصابه العجز منذ البداية عن مواجهة المذاهب الشعرية العالمية المعاصرة ، فاستسلم لها ، ولكنه عدّ نفسه مخادعة للذات وتضليلاً لها جزءا من تلك المذاهب ، فامتلأ بالغرور ، وزها بشعور الاستعلاء ، وراح يكتب ويترجم وينقل ، عن الغرب كل ما يصادفه من إبداع شعري وينسبه إلى نفسه ، فأدى ذلك إلى قطع الصلة بين الموقف الشعري المعاصر، ومسيرة الشعر العربي في مراحل تطوره ، وقطع الصلة مع الموقف الاجتماعي ، فكان هذا الانقطاع آية التخبط والاضطراب ، بل وشاهد صدق على المآل الكئيب الذي آل إليه الشعر المعاصر ، لأن هذا الشعر لم يكن نابعاً من حاجة المجتمع ، ولم يكن نتيجة تطور طبيعي للشعر

العربي ، وإنما جيء به كما هو بزيه الأجنبي. إن كثرة وسائل الإعلام المسموع والمقروء ، والسمعي البصري ، وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى ، جعلت المتلقي حائراً إلى أين يتجه ، وماذا يختار منها. وكل هذه الوسائل تحاول أن تصل إليه بطريقة أو بأخرى ، في سباق محموم للاستيلاء على هذا المتلقي. وفي غمرة هذا الكم الهائل من الفضائيات والصحف والإنترنيت والكتب والمجلات ، ضاع المتلقي ولم يدر ماذا يفعل ، ففتح باب بيته وصار يستقبل ما يصل إليه مجاناً ، دون البحث والتمييز بين الجيّد والرديء ، بين الذي يفيد والذي لا يفيد ، بين الأصيل وغير الأصيل ، يفعل ذلك لأنه لا يدفع ثمناً مادياً لما يصل إليه ، ولكنه لا يعي بأنه يدفع ثمناً باهظاً ، يكمن في ضياع أصالته ، وكرامته وخلقه وذوقه وما إلى ذلك ، لأن هذه الوسائل ، معظمها لا يراعي الحفاظ على الوجود الصحي للمتلقي ، عقلاً ووجداناً وتذوقاً ، فإنسان العصر ضاع تحت ضغط هذا الكم الهائل ، من وسائل الإعلام المختلفة ، والتي تحيط به من كل جانب ، وتجرعه مع الحياة اليومية جرعات دائمة ، مما هو شبيه بالأدب والفن وهو ليس من الأدب والفن في شيء. ولعل ما نراه اليوم في الساحة العربية من التفرقة ، والتخاذل والضعف العام بل الانحطاط في جميع الميادين المعروفة ، هو لا شك حصاد وجماع ذلك كله).هـ. وتحت عنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصرف: (إن الأدب من منظور إسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحثُّ الفرد والمجتمع على اتباع الحق وقول الحق ، والشهادة بالحق في كل شيء ، والأدب هو فنُّ العبارة ذات الكلمة الصادقة ، ولذا كان لزامًا على المسلم أن يَلتزم في سلوكه ومُعاملاته وأفعاله وأقواله بما هو خير ، والنقد الأدبي مِن منظور إسلامي يُعنى عناية تامَّة باستجلاء النصوص الأدبية ليضعها تحت المِجهَر النقدي فيُخرج صالحَها مِن خبثِها. ولقد لازم النُّقاد الإسلاميون إدامة النظر في العطاء الأدبي الإسلامي حين أدركوا ـ عن قناعة تامة ـ أن الإسلام هو الكفيل بإصلاح الناس مِن خلال معتقداتهم وأخلاقهم وعطائهم الأدبي ، ومن خلال هذا المنهج في النقد الأدبي الإسلامي يتعيَّن على كل ناقد واعٍ بصير مُنصِف أن يقول: إن أول مصادر هذا الأدب هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب السماوي الذي غيَّر العقلية العربية ، ورفع النظر مِن الأرض إلى السماء ، وعلَّم الناس أن يَقرأوا كتاب الطبيعة في فصوله المختلفة مِن إنسان ونبات وجبال ونجوم وأرض وسماء وأن يقرأوا ما بعد الطبيعة مِن إلهٍ فوق العالَمين هو نور السموات والأرض. وبذلك كشف القرآن عن العيون غطاءها فأصبح بصرها حديدًا فنظرت إلى العالم مِن أعلى ، ورأته وحدة مُتناسِقة الأجزاء تخضَع كلها لإرادة الله ـ تعالى ـ وأعلنَ القرآن الكريم الثورة على النظرة المادية الأرضية التي كان يَنظر بها الجاهِلون وغيرهم مِن أمم الأرض ، فكانت ضربة المعول في الأصنام دعوةً إلى النظر الجديد فدوَّت كلمة "لا إله إلا الله" في جزيرة العرب مُعلنةً ضياع الوثنية وعبادة المادية ، كان هذا في القرآن وأكثر مِن هذا ، وكان لزامًا أن تتغيَّر نظرة الأدب ، وخاصة نظرة الشِّعر والشعراء ليرتفع نظر الشاعر الإسلامي ارتفاعه في عقيدته وأن يكون له جانب روحي ـ كجانبه المادي ـ يرى القرآن يدعو إلى العزة ، ليكف الشاعر عن المبالغة في المدح ، ويدعو إلى عفَّة اللسان ، ليكفَّ الشاعر ويتحرَّج عن الإقذاع في الهجاء ، ويرفع القرآن من شأن المرأة لتعظم في قصيدة الشاعر فيتسامى في الكلام عن جسدها إلى الكلام عن رُوحها أمانة وعفَّة وخُلُقًا. ولكن الشعر الإسلامي في الحقبة الزمنية من تاريخ الأدب في العصر الأموي لم يتخذ له إمامًا غير الشعر الجاهلي ؛ فقالبه قالبه ، وموضوعاته ومادته مادته ، وإن كان هناك جديد فجدة في العَرض لا في الجوهر ، في الشكل لا في المضمون ، جدة لا تتجاوَز

رقَّة اللفظ بدل خشونته ، وتحوير المعنى بدل ابتكاره ، وهذا الحكم حكم ليس عامًّا ، وإنما يخصُّ الكثير مِن شعراء العصر الأموي ؛ لأن واقع ذلك العصر يشهد بوجود عدد من الشعراء انفردوا باتجاه جديد نحو العقيدة الإسلامية يُعبِّر عن شِعر الجهاد الإسلامي فيُصوِّر معارك الفتوح الإسلامية ، ويزن الفضائل الإسلامية بميزان الإسلام داعيًا إلى الفداء بكل غالٍ ونفيس داعيًا إلى كريم الأخلاق وسموِّ الروح ، وعفَّة النسيب ، وسماحة الأريحة ، وسخاء اليد ، ولنقف على كل شيء مِن هذه الخصائص في هذه المقطوعة مِن الشعر الإسلامي المعاصر الذي وَرِث الفضائل الإسلامية مِن إلهامات الشعراء في مختلف العصور الإسلامية التي اتخذت القرآن والسنة محرابًا لشِعرها وشُعورها. وبعد أن سكب الشاعر هذه العاطفة الإسلامية المتوهِّجة في هذه المعاني الإسلامية مؤنِّبًا ناصحًا لائمًا كل مسلم ، محاسبًا كان أو مسؤولاً عن المجتمع المسلم في كل أرض ، بعد أن تهدأ ثورة تجاربه الشعرية يأخذ في نفس طويل مِن الملحمَة مُعدِّدًا ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون المؤتَمنون على الإسلام ورسالة الإسلام. وتستمر أبيات الملحمة على هذا النسق بشعر يقرع جرسه الأذن ، ويملأ الفم ، ويستثير العواطف ، ويلهب الوجدان والأحاسيس تحت مقاطع مِن عناوين الملحمة ؛ كتصوير الشاعر نكبة حزيران ، ومأساة فلسطين وجهاد الفدائيين ، وبيت القصيد في هذا الشعر الإسلامي يُلهب الشاعر حماس الفدائي المسلم ليجعله ـ حربه وقتاله واستشهاده ـ في سبيل الله وله ؛ ليهبه النصر أو يهبه الشهادة في سبيله. وبعد ، فقديمًا قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه"؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صوره الشعرية على الخيال المجنَّح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشاعري بعيدًا عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحيانًا في تلمس المعنى والخروج به إلى المتلقِّي في ثوب قد يُعري مِن الصحة ، ويَنعكِس الإبداع فيه إلى صورة مشوَّهة يمجُّها الذوق ويَنفر منها العقل وترفضها الفِطرة السليمة ، وتلك المآخذ قد عري منها شعر الأستاذ حسين عرب في كثير من أبيات ملحمتِه ؛ ذلك لأنه في نزعته الإسلامية تقيَّد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام كل فرد ولكل مجتمع ، فانطلق الشاعر في صوره ومعانيه وأخيلَته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقيَّة لا تَحتمِل التأويل والتخييل المُفرِط. إلى قوله: واصبروا ، وانصروا الله واشكروه ، واثبتوا ولا تُخدَعوا بسياسات أعدائكم ، واحذروا ، وامضوا في جهادكم لله أولاً ، ثم الوطن والحقوق. ومِن خلال أفكار هذا النص الشعري للأديب حسين عرب ، ومِن خلال نظرة الإسلام وتصوُّره الشامل للحياة يُمكننا القول عن موقف الإسلام مِن الأدب بعامة ، ومِن الشعر بخاصة: إن أول ما يَحسُن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء مِن النُّظُم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدةً إبان العهد الجاهلي لتَّتضح الرؤية في تحديد موقف الإسلام مِن الأدب عامة ومِن الشِّعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام على موقف الإسلام مِن الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة فإن هنالك عادات ونظُمًا وتقاليد وأعرافًا وأخلاقًا درَج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقرَّ مِن هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وَفق كتاب الله وسنَّة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم. فمِن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج وعادات في المِهَن والصناعات ، إلى جانب التمرُّس بأخلاق إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة. فمِن الأخلاق الحميدة: عزَّة النفس ، كرْه الذلّ ، بغْض الظلم ، الترفُّع عن أخذ الديَة ، إكرام الضيف ، حبُّ السلام ، حفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفشَّت في المجتمع الجاهلي: لهْو الشباب ، قلخ الشيوخ ، ابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، مُعاقَرة الخمر ، لعب القمار ، الدعوة إلى الثأر ، تأريث العداوات. وقد خالَج هذه الأخلاقَ ألوانٌ

من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله – تعالى - وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، التأثر بالحِكم الصادقة وحب المشورة ، والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقرَّ مِن هذه القيم ما يلي: حب السلام ، الشجاعة ، الإيثار ، الكرم ، صلة الرحم ، حسن الجوار ، مساعدة الفقراء ، حسن المعاشرة ، الحلم ، الصدق ، الأمانة ، الوفاء ، الرأفة بالحيوان ، التكافل الاجتماعي ، مقْت الظلم ، حقوق المرأة ، الحقوق الزوجية ، برُّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدريه النثر والشعر قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدٍّ سواء. وعلى الرغم مِن أن نُقَّاد الأدب قد نادوا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظرته إلى الأدب قد وسَّع دائرة النظرة عند النقاد فسَمَا بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يَحجب الرؤية الأدبية مِن خلال الخيال الشاعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفاسف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فلكلٍّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المَعين الأول للأدب والقيَم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام مزية تَفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تَختلِف فيها الآراء. وتلك المزية هي: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضًا غير مقصودة ، وقد يلمَح فيها القارئ - أحيانًا - شيئًا مِن الزراية بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنه منزلة العقائد ، وباب مِن أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع مِن مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرَّر في كل معرض مِن معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يُلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقَبول الحَجرِ عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد مِن معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمَّد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا يَنحصِر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المُدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمُّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني مِن خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه العام - ملَكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع مِن المحظور والمنكور ، ومِن هنا كان اشتقاقه مِن مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارَد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين مِن البشر. وهذا يعني أن الأدب فنٌّ جميل قوامه العقل والعاطفة معًا ، فلا يَحسن أن يَطغى جانب أحدهما على الآخَر ، وها هو "العقاد" يُناقش مسألة الفن الجميل من خلال المنظور الإسلامي - الذي العقل والعاطفة مادته - فيقول: إن كثرة الأنصاب والتماثيل في المعابد والصوامع والبِيَع ليست بالقياس الصحيح لنصيب الفنون الجميلة مِن الدِّين الذي يُدان به في المعبد أو البَيعة ؛ لأن المعابد الوثنية كانت تتَّسع للأنصاب والتماثيل ، وليست بالنموذج الصالح للأديان في الهداية إلى معاني الجمال والحضِّ على الفنون الجميلة ، وهي في جملتها لا تَخلو مِن العبادات

البَشِعة والشعائر القبيحة ، والعقائد التي لا تَجتمِع والجَمال في شعور واحد. إنما يُقاس نصيب الفنِّ الجميل مِن الدِّين بالنظرة السوية المُعتدلة إلى الحياة ، فلا يُقال عن دينٍ إنه يُحيي الفنون الجميلة أو يتقبَّل إحياءها إذا كانت له نظرة زريَّة إلى الحياة ، وكان ينظر إليها كأنها وصمه زريَّة ، وإلى الجسد ومتاعه كأنه رجس مرذول وانحراف بالإنسان عن عالم الروح والكمال ، إن هذا ليس من الجمال في شيء. والإسلام - وهو يرعى حقوق الجمال والاستمتاع به - قد انفرد بقبول نعمة الحياة وتزكيتها والحضِّ عليها وحسبانها مِن نعمة الله التي يَحرُم على المسلم رفضها ويُؤمَر بشُكرِها ، والتفكير في آلائها: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) ، (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا) ، ثم إن الجمال بمفهومه الواسع يكون في الصورة والمشهد واللمس والذوق والتمييز بين الأشياء ، ويكون في المظهر والمخبَر ، والصوت الحسَن ، ناهيك عن ترتيل القرآن الكريم من ذي الصوت الحسن الجميل ، قد أبيح للمسلم الترتيل القرآني وطولب به ؛ (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أو انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ، ولا أعذب ولا أجمل من صوت القرآن يَسري في الوجود مع سكون الليل).هـ. غير أنني عندما كان ذلك الحادثُ الفظيع أخذتْني رعدة الشعر وعزمتُ أنْ أرثي المقلة البائسة بكل بحور الشعر العربي: أصيلِها ومُوَلَّدها ، وقد فعلتُ وبصعوبة حتى وصلتُ للنوع المعاصر هذا ، وهو ما يُسميه الناسُ في لغتهم الأدبية بالشعر الحُر فقلتُ في نفسي: أكتبُ أرثي عيني على نمطه مع عدم اقتناعي - سلفًا - بتسميته شعرًا ، فكانت هذه القصيدة «قراءة في أوراق الماضي» ، ذلك أنني تذكرتُ الماضيَ السحيقَ الراحل. ولمْ يَشأ اللهُ أنْ تكتمل هذه القصيدة إلا بعد سنة كاملة تقريبًا. وأكرر أسفي واعتذاري للشعر العربي ، وأبْرأ مِنْ كل ما يُسمى بـ : شعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر المنثور أو النثر المشعور أو الشعر الحر أو حتى الشعر الحديث أو الشعر الرومانسي أو الشعر المتحرر ، كما أعتذر لقرائي الأحبة مِنْ عُشاق القيم والمبادئ والشعر العربيِّ الأصيل ، وإنْ هي إلا مُحاولة لرِثاء المُقلةِ البائسةِ فقط ، فلما رثيتها وبكيتها على البحور العربية الأصيلة ، بدا لي أن أبكيها على البحور المولدة الدخيلة أو ما يعرف بمقلوبات البحور! وأعود للصبر والتصبر والاصطبار فأقول بأن صبري مع شعري كان وسيلتيّ في المواجهة! قال الأستاذ أسامة عبد الله خياط في معرض حديثه عن الصبر والتصبّر ما نصه: (ومن رحمته سبحانه لعباده أنه لا يتابع عليهم الشدائدَ ، ولا يكرههم بكثرة النوائب ، بل يعقب الشدة بالسعة والرخاء ، والابتلاء بالرحمة فقد تكرر (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) :- وسابغ النعماء ، كما قال - عز وجل اليسر بعد العسر مرتين ، ولن يغلب عسرٌ يسرين ، وحيثما وجد العسر على تنوع ألوانه واختلاف دروبه ، وجد إلى جانبه يسرٌ ينفث الكربة ويجبر القلب ، ويواسي الجراح وينسي الآلام ، ويذهب الأحزان خاصة حين يلجأ المؤمن في شدته وبلائه إلى ربه ، ويسأله أن يبدله ما :من بعد شدته رخاءً ، ومن مجالب أحزانه وبواعث همه فرجاً ويسراً ، كما جاء في الحديث أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ في قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآنَ ربيعَ قلبي ، ونور صدري ، أخرجه الإمام أحمد في "وجلاء حزني ، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه ، وأبدله مكانه فرحا مسنده بإسناد صحيح. فاتقوا الله -عباد الله- وحذارِ من اليأس من رَوْح الله ، واستيقنوا بالفرج

القريب العاجل من الله الرحيم الرحمن ، فما الشدائد والابتلاءات والمحن إلا خطوةٌ على الطريق إلى تحسين الأحوال ، وقفزةٌ إلى رخي العيش وبلوغ الآمال ، مع ما فيها من تمحيص وتكفير للسيئات ، ورفع للدرجات).هـ.

- 69 - في أوراق الماضي

(تزوجها لجمالها فقط ، وكان الرجل الأشيب الطاعن في السن ، وتزوجته لماله رغم شيخوخته تلك ، ولم يكن يعنيه إلا الذي تزوجها من أجله ، وهي كذلك لم تكن ترجو وتأمل سوى الذي تزوجته من أجله ، فلقد أعماها بريق ماله مثلما أعماه بريق جمالها. وبعد سنين شاء الله منهما الولد ، ورزقا طفلتين كالوردتين اليانعتين المفتحتين ، وفجأة لم يتمالك نفسه الكهل عندما لاح له في أفق شهوته الذي كان قد نسج خيوطه بكلتا يديه جمالُ صبية في عمر الزهور كما يقولون. ذلك أنه عاش للذي يشتهيه فقط ، وبالرغم من أنه تزوج قبل هذه الجميلة اثنتين من قبل ، لكنها النفس ساعة تستعبد صاحبها ، والأبواب يفتحها الله على مصاريعها على من ينسى حظاً مما ذكره الله به. جاء في صيد الفوائد وبقلم الأستاذ أحمد محمد عبد المنعم عبد الله ما نصه: (معظم الأزواج إلا من رحم الله ، يتخذ زوجته مجرد جسماً يقيم فيه شهوته ، ويتناسى أن هذه الزوجة لها حقوق عليه قبل الواجبات التي عليها. وكأنه متزوج فقط جسماً بلا روح. وحينما يمر الزمن ويذهب جمال هذا الجسم ، نجد الزوج يتناسى الروح ويعيش مع جسم وروح بقلب ميت لا حياة به. فلا حب ولا مشاعر ، بل مجرد حياة روتينية مملة. ونجد بعدها الزوج يفكر في الزواج للمرة الثانية. لأنه يتزوج فقط من أجل الشهوة. وليس من أجل إقامه حياة كاملة متكاملة. يبتغي بها وجه الله ، فيكون الجزاء من جنس العمل. فيجعل الله تعالى في حياته الرضا والسعادة ولكنه تزوج من أجل شهوته. فكانت النتيجة أن جمال الجسم الذي يشتهيه ذهب مع الزمن كما هو حال الدنيا. فذهبت العلاقة بأكملها . وأطلق العنان لقلبه الذي لا يشتهي إلا جمال الجسم. قال الله تعالى: (وجعل بينكم مودة ورحمة). أنت أيها الزوج من تقتل هذه المودة والرحمة. فالله جعلها في الزواج فاستثمرْها ولا تتركْها. وتذكر أن الزواج لا بد أن يكون باختيار صحيح من البداية في الزوج الصالح والزوجة الصالحة. والعفة تكون للعفيف. فإذا كنت قبل الزواج غير عفيف واستغفرت الله على ذنوبك. وطلبت من الله العون أن يجعل هذا الزواج معيناً لك على العفة. فسوف يكرمك الله. ولا تحزن ولا تغضب ولا تسخط إذا ابتلاك الله في زوجتك. فالزوجة الصالحة هبة من الله. والزوجة الأخرى سواء كانت "نكدية" أو أو أو.. فهذا ابتلاء من الله. المتزوج يتزوج من أجل عمارة الكون. بالذرية التي سوف ينجبها بفضل الله. وأيضاً ليعبد الله في الكون هو ومن هم في رعيته: "الزوجة والأولاد". وأيضاً ليخرج للمجتمع نماذج من الأجيال التي تعبد الله حق عبادته وتتماشى مع تطورات العصر من تكنولوجيا وعلم. وأيضاً لتحقق نصر الأمة الإسلامية. فالأمة لن تنتصر وفيها زوج غليظ وزوجة نكدية وأبناء يجهلون تعاليم دينهم ولا يطبقون دينهم ويتماشون وراء هؤلاء وهؤلاء الذين لا يريدون إلا فساد أخلاقهم وهزيمة الدين بهم. من يتزوج لمجرد أنه يعف نفسه عن الحرام بالزواج لا نلومه ، ولكن نلومه إذا كان تفكيره أن الزواج فقط مجرد متعة ، ويتناسى أن زوجته إنسانه ولها حقوق عليه. في الحب والحنان والرومانسية والإنفاق والكلمة الطيبة والمتعة. وفي المقابل سيجد زوجة ترضيه وتحتضنه وتحتويه وتكون بجواره في كل خطوات حياته. فاحرص على أن تكون هذا الزوج الجميل الذي من صفاته الحسنة ، اقتداءً بالحبيب

المصطفي صلى الله عليه وسلم في بعض أخلاقه.)هـ. وإذن فهى سُنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل ، (نعود لقصتنا وقصيدتنا!) ، تزوج الكهل أبو العشرين الرابعة ، فطلبت الثالثة الطلاق ، حيث عاش الزوج للتي تزوجها أخيراً ، مثلما عاش معها من قبل مهملاً الزوجة الثانية في ترتيب الزوجات. فطلق الثالثة بناء على طلبها ، ولكنها بلغت من قسوة القلب مبلغا لم يبلغه فرعون ولا قارون ولا هامان! حيث نسيت أو تناست طفلتيها ، وعاشت للذي تشتهي ، فرحتُ أناشدها أن تربي الطفلتين لله تعالى الذي لا يَضيع ما عنده ، إذ إنهما لا ذنب لهما في الذي حدث. ثم إن الكهل الأشيب لم يكن إرضاء الله بغيته من هذه الزيجات ، كما لم تكن العفة مطمحه من الزوجات اللائي تزوج منهن. نعم ، ما أريد بزيجةٍ من هذه الزيجات وجه الله ، لنقول أن لإحداهن الحق في الاعتراض على سلوكيات ذلك الزوج. إذ كل منهن وضعت نصب عينيها الدرهم والدينار ، ووضع الرجل نصب عينيه الجمال الأنثوي. فمن أين يأتي حق الاعتراض ، والمسائل شبه محسومة؟ وزواج الواحدة منهن أشبه بالصفقة التجارية؟ حتى ليمكن القول بأنه كان يشتري الحسناء منهن من أهلها نظير مبلغ من المال مقسوم بين طرفين الأول هو الأهل والثاني هو الزوجة نفسها ، ويضاف إلى ذلك أن الطرف الثاني كان يتدلل ويتغنج ويتبختر على الزوج الثري فيطلب المزيد من الذي يعطيه! ومن فوق ذلك المزيد مزيداً! ومن هنا أتى الربط بين شراء الجمال والحسن والاستمتاع بهما. واستطاع ذلك الثري بثرائه أن يشتري ما يريد بالمال الذي يشتهيه ، الجمال وأهله. حتى إذا كانت إحداهن قد أحست بالكارثة يوماً ، فطفقت تقلب أوراق ماضيها ، فأدركت أنها كانت مجرد سلعة أو لعبة روجت وبيعت لمشتهيها ليستمتع بها ، ثم ترمى ليبحث عن أخرى. ولكن علة إضافية صاحبت هذه الزوجة وكانت ثافية الأثافي كما يقولون ، وهي أن أباها كان كهلاً هو الآخر ، وكان قد اتفق مع العريس الغني الأشيب الكهل أن يزوجه هو الآخر ابنته ، فيكون النكاح شغاراً ، فلا يسمى لأي من الابنتين مهر! وإنما هو البدل (هذه بتلك)! ذلك النكاح الذي كان معروفاً في الجاهلية الأولى ، وحرّمه الإسلام. ثم عاد اليوم عند من يزعمون لأنفسهم أنهم مسلمون! وبعد دخول الكهل بابنةٍ رفيقه الكهل حنث في الوعد ، وتعلل بأن ابنته لم توافق! فأنشدتُ لها هذه القصيدة مقرعاً وعاتباً ومستهجناً ذلك المنهج الآسن المنحرف من جانب ثالث زوجات الكهل المتصابي ، ومادحاً تربية الزوجة الأولى للطفلتين البريئتين ابتغاء وجه الله تعالى. بالرغم من أنهما ابنتا ضرتها! ذلك المعروف الذي فر مدبراً من عالمنا ولم يعقب. إنما هذه الزوجة الأصيلة كانت قد نظرت للطفلتين نظرة بريئة براءة وجهيهما! إذ إنه لا ذنب لهما في الذي حدث. وهذا يعني أن الزوجة الأولى التي احتضنت ابنتا زوجها كانت قد آثرت ما عند الله لكافل اليتيم. ذلك أنهما في حكم اليتيم اللطيم (أي في حكم من مات أبواه). ولم تجعلها حرباً شعواء على من حولها بريئِين كانوا أو مذنبين. فبارك الله فيها وجعلهما لها ذخراً ، وادّخر لها الأجر عنده سبحانه.)

70 - أوفوا بالعقود

(في بحث (حدث في المحكمة) للأستاذ سلمان العمري ص 14. تأتي قصة الابن الذي يشارك أباه في تجارة وعمل ، واجتهد دون أن يدوّن أو يوثق عقد شراكة. وعندها ورث في المال كإخوته وآلت أمواله إلى أموال أبيه ليرث فيها الجميع. كان ابناً باراً بأبيه ، يُحسن إليه ، ويقوم برعايته ، وكان أبوه يزكّيه ويُثني عليه ، فما شعر الجميع إلا وقد غيّب الموت هذا الأب فجاء الابن الأكبر لإخوانه وأخواته أشقاء وغير أشقاء زاعماً أنه شريك بالنصف فلفظوه لفظ

النوى ، ثم تنازل ليكون أجيراً عند أبيهم يريد أجرته فعبسوا في وجهه واكفهروا وأنكروا ، فبحث في دليل أو وسيلة لأنه كان يتعامل بالثقة التامة مع أبيه ، ولم يوثق شيئاً من هذه الجهود التي بذلها ، فإنه لم يسمح لأحد قط أن يتدخل ليشهد بينه وبين أبيه ، وسرعان ما بحث عن شهود أو بينات أو وثائق فلم يجد دليلاً فضاعت آماله سدىً ، وبقيتِ العداوة بينه وبين إخوته ناراً تلتهب سنين عديدة ، كل ذلك بسبب عدم انضباطية ما يجرى بين الناس من معاملات وربطها بالشرع ، وبعدهم عن قول الله تعالى: "يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود"! وفي صحيفة اليوم ، وتحت عنوان: (أهمية العقود وتوثيقها) يبين الأستاذ عمر عامري الحدادي أهمية كتابة بل وتوثيق العقود حتى يتم إلزام الأطراف بالوفاء بها فيقول ما نصه: (تعد العقود من أهم مصادر الالتزام في التعاملات اليومية بين أفراد المجتمع فيما بينهم أو بين أفراد المجتمع ومؤسساته العامة أو الخاصة أو بين مؤسسات المجتمع العامة والخاصة فيما بينها ، وحيث إن الفرد منا في حياته اليومية يبرم العديد من العقود (دون وعي منه بأهميتها والآثار المترتبة عليها) لذا ينبغي عليه المعرفة والعلم بشروط العقود التي أبرمها والالتزامات المترتبة عليها. وللعقد تعريفات كثيرة سواء في الفقه الإسلامي أو عند القانونيين ومنها العقد وهو الربط ويعرف أيضاً بالعهد والميثاق وقد عرفه الفقه الإسلامي: بأنه تلاقي إرادتين أو أكثر على احداث التزام محدد والوفاء به ، كما عرفه القانونيون بأنه توافق إرادتين أو أكثر على إحداث أثر قانوني أو نقله. وقد جاءت الآيات القرآنية الدالة على أهمية العقود وتوثيقها قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) ، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) ، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلمون عند شروطهم...). وهناك نوعان من العقود وهما العقود التجارية والعقود المدنية ولا تختلف في جوهرها ، فأركان العقد فيها مشتركة وهي (الرضا والمحل والسبب). وأن تطور الحياة التجارية وطبيعتها التي من سماتها السرعة والإنجاز أوجدت قواعد خاصة بالعقود التجارية ، ومسميات لم تكن موجودة من قبل مثل عقود الوكالات التجارية ، وعقود التجارة الدولية ، وعقود التوزيع ، وعقود الامتياز التجاري ، وعقود (بناء - تشغيل - تحويل). وتبرز أهمية العقد في حفظ الحقوق والالتزامات وتوثيقها بين المتعاقدين ، والتوثيق لا ينافي الثقة وهو سبيل للتقليل من منع نشوب نزاع بين أطراف العقد ، وضبط العلاقة بينهما ويسهل على القاضي في حال نشوب نزاع بين أطرافه الرجوع إلى أحكامه وشروطه وتفسيرها فيما يتفق مع الشرع والنظام والحكم بموجبهما. كما أنه ينبغي التركيز على حسن صياغة العقد ، فالصياغة هي التعبير عما يريده أطراف العقد ، ويجب على من يقوم بعملية صياغة العقد أن يراعي عدة أمور من أهمها المقدمة في العقد ، بحيث يجب أن تشتمل المقدمة على تاريخ إنشاء العقد ، أسماء الأطراف وبياناتهم ، وعناوينهم ، وجميع معلوماتهم الضرورية ، والهدف من العقد ، وطريقة حل المنازعات وتحديد الجهة المختصة عند نشوب النزاع والقانون الواجب التطبيق والسرية وعدم الإفشاء تفاصيل وبنود العقد ، والإشارة إلى مرفقات العقد ومستنداته (إن وجدت) وأن يقوم أطراف العقد بالتأشير على جميع أوراق العقد والتوقيع في الصفحة الختامية للعقد. ومن خلال التجارب اليومية أجد أن أغلب المنازعات الموجودة بالمحاكم تكون إما بسبب عدم وجود عقود بين أطراف النزاع مكتوبة أصلاً ، أو افتقاده للشروط المتوافقة مع الشرع والنظام في تحديد التزامات الأطراف المتعاقدة).هـ.)

71 - الأحياء أولى بالعيد

(تعودوا أن يزوروا الأموات في مقابرهم بدلاً من زيارة الأحياء في دورهم يوم العيد. والأحياء أولى بالوصل والتزاور. فهالني ما علمتُ ، وراعني ما عاينتُ! واستهجنت هذه العادة السيئة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على سفه العقول وتدني الفهوم وانعدام الوعي. وكما أسلفت فإن الأحياء أولى بالعيد وفرحته! ولو كان عند أصحاب هذه الفرية السيئة المسيئة مسكة من عقل ، لرجعوا إلى دراسة هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – في العيد ، فإن فعلوا لعلموا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يزر الأموات يوم العيد ، بل كان يزور الأحياء!)

72 - أي شهادة تلك؟

(احترف الغناء ، وظل يُغني قرابة خمسين سنة. ولمّا مات أبّنه جمهورُه وشيعوه بعباراتٍ شتى وألقاب متعددة. منها شهيدُ الغناء وأسطورة الفن ومعجزة التراث. وكان الأليق بهم أن يعتبروا بالموت! ولكنه بالطبع ما بلغ عُشر مِعشار ألقابهم. لقد أذل الله الجبار القهار بالموت رقاب العتاة الجبابرة ، وكسر بصدمته ظهور الصناديد الأكاسرة ، وقصر ببغتته أمال الأباطرة القياصرة ، الذي أدار عليهم حلقته الحتمية الدائرة ، وأخذهم بيده القاضية القاهرة ، فقذفهم في غيابات وظلمات الحافرة ، وصيّرهم بها رهناً إلى وقفة الساهرة ، فأصبحوا وقد خسروا الحياة الدنيا ولم يحصلوا على شيء في الحياة الآخرة. مصيبتهم واللهِ لا يُجبَر أبداً مصابُها ، ولا يتجرع بتاتاً صابها ، ولا تنقضي آلامها ولا أناتها ولا أوصابها. لم يمنعهم ما حصّنوه من المعاقل والبروج والحصون ، ولا حرسهم ما بعثوه من الحرس والجند والعسس والعيون ، ولا فداهم من ريب المنون ما ادخروه من علق مصون وزبرجد لا تراه العيون ولؤلؤ مكنون وذهب مخزون. بل صدمهم بركنه الشديد العتيد ، وصبحهم بجيشه القوي المديد ، وأنفذ فيهم ما كتب عليهم من التهديد والوعيد. نقلهم من لين الفرش في المُهود إلى خشونة العيش وشظفه في اللحود ، وصيّرهم بين حجرها المنضود وجندلها المعقود أكلاً للهوام وطعماً للدود. نظر إليهم بعينه الشوساء ، وأرسل عليهم كتيبته الخرساء ، فأذل عِزتهمُ القعساء ، وأبدل من نعمتهم ضنكاً وبؤسا ، وأنطق بالعويل ألسنة كانت خرسا ، وصيّرهم حديثاً يُذكر على مرّ الزمان ولا ينسى ، نزلوا عن الأرائك والكلال ، والأسِرّة والحجال ، إلى الحجارة والآكام والتراب والرمال ، والأراقم والحيات والأفاعي والصلال ، وشظف العيش وضيق المجال ، وحَلوا بربع غير مِحلال ، بحيث لا زوال ولا انتقال ، ولا عثرة تقال ، ولا يسمع فيها لأحدٍ مقال ، ولا يلتفت عندها إلى من قال. أرسل عليهم ربك جنوده العاتية ، وأخذهم أخذته الرابية ، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، فهل تحس منهم من أحد أو هل ترى لهم من باقية! إنه في أول ليلة في القبر يبدأ التعفن على مستوى البطن والفرج! ومعلومٌ أن البطن والفرج أهم شيئين صارع ابن آدم وحافظ عليهما في الدنيا. فالشيآن اللذان خسر الشخص دنياه وآخرته بسببهما سيتعفنان في أول يوم في القبر. ثم ماذا بعد ذلك؟ ويبدأ الجسم يأخذ لوناً أخضر ، فبعد الماكياج وأدوات التجميل. و..و..سيأخذ الجسم لوناً واحداً فقط. وفي ثاني يوم في القبر تبدأ الأعضاء مثل الطحال والكبد والرئة والأمعاء تتعفن. وفي ثالث يوم في القبر تبدأ تلك الأعضاء تصدر روائح كريهة. وبعد أسبوع يبدأ ظهور انتفاخ على مستوى الوجه: أي العينان واللسان والخدود. وبعد عشرة أيام سيطرأ نفس الشيء أي انتفاخ ، لكن هذه المرة على مستوى

الأعضاء: البطن والمعدة والطحال. وبعد أسبوعين سيبدأ تساقط على مستوى الشعر. وبعد 15يوما يبدأ الذباب الأزرق يشم الرائحة على بعد 5 كيلو متر. ويبدأ الدود يغطي الجسم كله. وبعد ستة شهور لن تجد شيئاً سوى هيكل عظمي. وبعد سنة سوف يأكل الدود الهيكل العظمي ولا يبقي منه شيئاً. فلا يجد الدود ما يأكله فيقوم يأكل بعضه بعضاً. حتى تبقى آخر دودة لا تجد شيئاً تأكله في الميت فتموت! وبعد 25 سنة سيتحول هذا الميت إلى بذرة وداخل هذه البذرة ستجد عظمة صغيرة. تسمى: عجب الذنب هذا العظم هو الذي سنبعث من خلاله يوم القيامة! والله أنبتكم من الأرض نباتاً! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت ، قال: ثم يُنْزِل الله من السماء ماء فينبتون ، كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة). رواه مسلم. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) ، وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد قوله عليه الصلاة والسلام: (يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجبَ ذنبه ، قيل: ومثل ما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه تَنْبُتون). يقول الشوكاني في فتح القدير"{والله أنبتكم من الأرض نباتا} يعني آدم خلقه الله من أديم الأرض والمعنى: أنشأكم منها إنشاء فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين...". وقال الحافظ ابن رجب في فتح الباري: "وقد جعل الله نبات أجساد بني آدم كنبات الأرض ، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا) وحياتهم من الماء ، فنشأتهم الأولى في بطون أمهاتهم من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، ونشأتهم الثانية من قبورهم من الماء الذي ينزل من تحت العرش ، فينبتون فيه كنبات البقل حتى تتكامل أجسادهم ، ونبات من يدخل النار ثم يخرج منها من ماء نهر الحياة - أو الحيا".)

73 - أي وفاء بعد هذا؟

(مات أبوه مُخلّفاً حفنة من الأبناء والبنات هذا أكبرهم. وكان لزاماً عليه (إذ هو ذو مروءة) أن يضحيَ بنفسه من أجلهم. فجدّ واجتهد ، وكان لهم أباً بعد أبيهم ، فعلّم ونشّأ ، وربَّى وزوَّج وكفل وجاهد. وكان آخرهم زواجاً في سن الـ 40 ، مؤثراً إخوانه وأخواته على نفسه ، راضياً بأن يكون على هامش الحياة حيناً من الدهر! فكان وفاء يُعجز أهل الوفاء ، وكان إخلاصاً يُذهل أهل الإخلاص. فلم يقبل صاحبه يوماً أن يقولها صريحة: وما شأني بهم؟ حيث إن ذلك طبع الأنانيين الأوباش الأخسة الوضعاء الحثالة ، وسمت من يعيشون لأنفسهم. إن الذين يعيشون لغيرهم يبقى صيتهم الجميل وذكرهم الحسن تاجاً على رأس الواحد منهم ، حتى بعد أن يفارق الحياة. بينما الذين يعيشون لأنفسهم لا يكاد يذكرهم أحد ولا يحتفل بهم أحد ولا يباليهم أحدٌ باله! وعموماً الحنان والحب لا يُباعان في السوق! وكذلك الشهامة لا تُباع ولا تُشترى! ولو كانت تُباع وتُشترى لاشترى كل نذل وبش من الشهامة ما يُداري به نذالته وخِسته ووضاعته! إنما هذه الأشياء - أعني الحب والحنان والعطف والإنسانية والشهامة والنجدة والمروءة - يولد بها المرء وهبها الله تعالى إياه ، وعلى الأيام تنمى وتكبر ، وتُصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوين شخصيته! ولا يُمكنه أبداً أن يُفرّط فيها أو يتنازل عنها مطلقاً!)

74 - أيأسّ بعد أمل؟!

(أكتب عن داعيةٍ مخلص طموح. لكنه لما رأى تغلب الجاهلية يئس. فعتبتُ عليه وأخذتُ على يده أن يتفاءل ويستمر في المواجهة. وذكّرته ما عاناه أنبياء الله ورسله من قبل – عليهم جميعا أزكى صلوات الله وأكمل تسليماته -. وبينتُ له أن أصحاب الدعوة هم في الحقيقة أصحاب رسالة. وأصحاب الرسالة مبلغون عن الله ورسوله ، لا يتصور منهم أن يكلوا أو أن يملوا من الدعوة وبيان الحق! فلا يجب أن يتسلل اليأس إلى قلوبهم طرفة عين ولا أقل من ذلك.)

75 - إياك أعني ، وعلى الله القبول

(كان صالحاً تقياً ، ثم فتن ولعب به الشيطان حتى ضل طريق الهدى. فأراد صاحبه أن ينصح له بالعودة إلى ربقة الإيمان وحظيرة التوحيد وحياض العقيدة. فكلمه بصورة متأنية غير مباشرة. فقال الثاني: كأنك تعنيني؟ فقال نعم. ولقد صدق أستاذنا عبد الله الدوسري إذ يقول في كتابه: (الثبات على الحق): إن المتأمل في واقعنا هذه الأيام يجد أنها أيام عصيبة تموج بها الفتن والمنكرات ، وليست هذه الفتن والمنكرات وليدة عصرنا الذي نعيش ، بل من قديم ؛ حيث قَدِم الإسلام على أقوام قد غرقوا في مستنقعات الجهل والضلال ، ثم انتشلتهم الشريعة الإسلامية الربانية من هذه المستنقعات الفاسدة ، حتى أوردتهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا ينكرها إلا جاهل ، ولا يحيد عنها إلا هالك ، فلبث هذا البياض ناصعاً في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلما مات ، طفق أهل البدع يمجّون من فساد معتقداتهم المستمدة من تحريف الأديان السابقة ومن عبث الشيطان في أفكارهم ، حتى مازجت نفخات الشيطان نفحات الإيمان ، ثم بدأ يلثم صفاء العقيدة كدر البدع ، وبدأت الفتن منذ أشيع خبر انتقال رسول الله للرفيق الأعلى ، على رأسها ارتداد طائفة من المسلمين - ليس بالهين عددهم - ، ثم توالت الفتن كالزكاة والقرآن والردة والخلافة والخلافات... إلخ ، والمصارحة بين الأصدقاء يجب أن تكون مصحوبة بالشفافية والمكاشفة. وإلا فانفصالهما أولى من استمرار علاقتهما! ولذلك عندما سأل: هل تعنيني بهذا؟ فصارحه صديقه: نعم!)

76 - إياك أعني

(كنت أقرأ على مجموعة من طلابي في حصةٍ احتياطيةٍ إحدى قصائدي التي أمتدح فيها أحدهم لأحث الطلاب الآخرين على أن يحذوا حذوه ويسلكوا مسلكه. فقال الطالب لي مقاطعاً: كأنك تعنيني؟ فقلت: إياك أعني يا بني. وإنما فعلت ذلك لأحمل الآخرين على الاقتداء بك! وأنا في مقام الوالد للجميع. ففيم الحرج؟ فأعلمته: إياك أعني! وكانت هذه القصيدة على البحر الخفيف وقافية النون ترجمة حية لما أكنّ لهذا الطالب من احترام وتقدير. ولا أزكي على الله أحداً. إنني إذ أقول ذلك عنه فهذا إنما أفعله من باب إحسان الظن والقصد. وإنني لأحسبه هكذا ، والله عز وجل حسيبه ووكيله. والشعر أحلى ما يكون عندما يكون صادقاً حياً نابضاً! فهل وعى ذلك الشعراء المرتزقة الذين يكتبون القصائد الميتة التي لا تنبض بأي حياة لافتقادها شرط الصدق! إن الكلام الكاذب نثراً كان أم شعراً ، لا يصل مهما تأنق إلى القلوب الصادقة مطلقاً!)

77 - إياك أعني ، واسمعي يا جارة

(يروى أن سهلاً بن مالك الفزاري خرج يريد النعمان فمر ببعض أحياء طيئ. فسأل عن سيد الحي فقيل له: حارثة بن لأم. فأم رحله فلم يصبه شاهداً: فقالت له أخته: انزل على الرحب والسعة. فنزل فإذا هي تكرمه وتلاطفه. ثم خرجت من خبائها فرآها أجمل أهل دهرها وأكملهم . وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها. فوقع في نفسه منها شيء. فجعل لا يدري كيف يرسل إليها فجلس في فناء الخباء يوماً وهي تسمعه فقال:

يـــا أخـــت خيـــر البـــدو والحضـــارةْ كيـــف تـــرين فـــي فتـــى فـــزارةْ؟

أصـــبح يهـــوى حُـــرة معطـــارةْ إيـــاك أعنـــي واســـمعي يـــا جـــارةْ

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني فردت عليه تقول مبينة رفضها الكامل لأي علاقة:

إنـــي أقـــول يـــا فتـــى فـــزارةْ لا أبتغـــي الـــزوج ولا الـــدعارةْ

ولا فـــراق أهـــل هـــذي الحـــارةْ فارحـــل إلـــى أهلـــك باســـتخارةْ

فاستحيا الفتى وقال: ما أردت منكراً ، واسوأتاه فقالت: صدقت ، واستحيت منه ، فتزوجها وصار بها إلى قومه. وصار مثلاً تضربه العرب لمن يطلق كلاماً يورى به ويريد شيئاً غير الظاهر من كلامه. والعرب لا تعد مناقبهم في البلاغة والفصاحة والإبانة والأمثال العظيمة التي لا تزال حتى يومنا هذا شاهدا على مدى ما توصل إليه العرب الأوائل من الفصاحة والبيان! وإن الذي يطالع أشعارهم على مدار التاريخ يدرك من مصداقية كلامي الكثير! إنني إن طالعت مجمع الأمثال للميداني أشعر بهذا الرصيد الضخم من الفصاحة. وكثرة الأمثال وبلاغتها في أمة ما دليل على بلاغة أهلها ولا شك. ومن هنا أكتب هذي القصيدة عن سهل بن مالك الفزازي أو فتى فزازة كما سمى نفسه. وأكتب عن عشقه البريء الذي لم يصرح فيه بمحاسن من أحب ، أعني المحاسن الحسية. بل كان في غاية التحفظ. حتى عندما أسئ الظن به تصدى ببيان الحق وإزاحة الشبه عن نفسه وإظهار قصده من توريته أنه ما أراد إلا الزواج من فتاة هذه القبيلة فقط. الأمر الذي يعمد إليه الرجل الجاد الذي لا يسمح لنفسه أن يلعب ببنات الناس.)

78 - أيتامٌ على موائد اللئام

(مات أبو الأولاد الأربعة. وطمع إخوته فيهم ونهروهم. وكانت مأساة من أغرب ما رأيت وسمعت. أعمامٌ قد بنى أخوهم الراحل مجدهم ، وأغدق عليهم ثلثي ماله وهو حي. ثم يفعلون هذا؟! ولقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في فضل كفالة ورعاية اليتيم: أنا وَكافِلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هَكذا. وقالَ بإصبعيهِ السَّبَّابةِ والوُسطَى. والراوي: سهل بن سعد الساعدي. رواه البخاري. وقال: كافلُ اليتيمِ له أو لغيرِه ، أنا وهو كهاتينِ في الجنةِ. وأشار مالكٌ بالسبابةِ والوسطَى. رواه أبو هريرة. صحيح مسلم. وكتب نجدةُ بنُ عامرٍ الحروريُّ إلى ابنِ عباس – رضي الله عنه - يسأله عن العبدِ والمرأةِ يحضران المَغنمَ ، هل يُقسَم لهما؟ وعن قتلِ الوِلدانِ؟ وعن اليتيمِ متى ينقطعُ عنه اليُتمُ؟ وعن ذوي القربى ، من هم؟ فقال ليزيد: اكتب إليه. فلولا أن يقعَ في أُحموقةٍ ما كتبتُ إليه. اكتُب: إنك كتبتَ تسألني عن المرأةِ والعبدِ يحضرانِ المَغنمَ ، هل

يُقسم لهما شيءٌ؟ وإنه ليس لهما شيءٌ. إلا أن يُحذَيا. وكتبتَ تسألني عن قتلِ الوِلدانِ؟ وإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لم يقتلْهم. وأنت تقتلُهم. إلا أن تعلمَ منهم ما علم صاحبُ موسى من الغلامِ الذي قتله. وكتبتَ تسألني عن اليتيمِ متى ينقطع عنه اسمُ اليُتمِ؟ وإنه لا ينقطعُ عنه اسمُ اليُتمِ حتى يبلغ ويؤنس منه رُشدٌ. وكتبتَ تسألني عن ذوي القربى ، من هم؟ وإنا زعمنا أنا هم. فأبى ذلك علينا قومُنا. رواه يزيد بن هرمز. صحيح مسلم. وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية: {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن} ، و{إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} قال: اجتنب الناس مال اليتيم وطعامه ، فشق ذلك على المسلمين ، فشكوا ذلك إلى النبي فأنزل الله: {ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير} إلى قوله: {لأعنتكم}. رواه ابن عباس ، وهو حديث حسن. صحيح النسائي. هذا ، وذكِرَ أدبُ اليتيمِ عندَ عائشةَ رضي اللهُ عنها فقالتْ: إني لأضربُ اليتيمَ حتى ينبسطَ. روته شمسية بنت عزيز بن عامر المحدث. وهو مذكور في الصحيحة للألباني. وأيضاً قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ. قالوا: يا رسولَ اللهِ ، وما هن؟ قال: الشركُ باللهِ ، والسحرُ ، وقتلُ النفسِ التي حرّم اللهُ إلا بالحقِّ ، وأكلُ الربا ، وأكلُ مالِ اليتيمِ ، والتولي يومَ الزحفِ ، وقذفُ المحصناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ). رواه أبو هريرة. صحيح البخاري. وأيضاً روى أبو هريرة أنَّهُ سمعَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها تقولُ: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}. أُنْزِلَت في والِي اليتيمِ الذي يُقِيمُ عليهِ ويصلِحُ في مالِهِ ، إن كانَ فقيرًا أكلَ منهُ بالمعروفِ. صحيح البخاري. وما ردَّ ابنُ عمرَ على أحدٍ وصيتَه. وكان ابنُ سيرينَ أحبُّ الأشياء إليه في مال اليتيمِ أن يجتمع إليه نصحاؤه وأولياؤه فينظروا الذي هو خيرٌ له. وكان طاووس إذا سئل عن شيءٍ من أمر اليتامى قرأ: {وَاللهُ يَعْلَمُ المفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ}. وقال عطاء في يتامى الصغيرِ والكبيرِ: ينفق الوليُّ على كلِّ إنسان بقدره من حصتِه. رواه نافع مولى ابن عمر. صحيح البخاري. وعن عائشةَ رضي الله عنها: في قولِه تعالى: ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف. أنها نزلت في والي اليتيمِ إذا كان فقيرًا: أنه يأكلُ منه مكانَ قيامِه عليه بمعروفٍ). صحيح البخاري. وعن عائشةَ ، في قوله: (وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ، قالت: أُنزِلَتْ في والي مالِ اليتيمِ الذي يقوم عليه ويصلحُه. إذا كان محتاجًا أن يأكلَ منه. رواه عروة بن الزبير المحدث. صحيح مسلم. وعن يرفأ مولى عمر بن الخطاب قال: قال لي عمرُ بنُ الخطابِ: (أنزلتُ مالَ اللهِ تعالى مني بمنزلةِ مالَ اليتيمِ ، إن احتجتُ إليه أخذتُ منه فإذا أيسرتُ قضيتُ). صحيح. وروى أبو هريرة أنَّ رجلًا شكا إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قسوةَ قلبِه فقال: (امسَحْ رأسَ اليتيمِ وأطعِمِ المسكينَ). صحيح. وأيضاً قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (أربعةٌ حقٌّ على اللهِ أن لا يدخلَهم الجنةَ ولا يذيقَهم نعيمَها مدمنُ الخمرِ وآكلُ الربا وآكلُ مالِ اليتيمِ بغيرِ حقٍّ والعاقُ لوالديه إلا أن يتوبوا). صحيح. وروى أنس بن مالك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ، اتقوا الله في الضعيفين: المرأة الأرملة ، والصبي اليتيم). صحيح. وروى أبو هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ، أنا و كافل اليتيم في الجنة هكذا). صحيح. وعن ابنِ عباسٍ في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} قال: كان يكونُ في حَجرِ الرجلِ اليتيمُ ، فيعزلُ له طعامَه وشرابَه وآنيتَه ، فشقَّ ذلك على المسلمين ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ} في الدينِ فأحلَّ لهم

خلطتَهُم. حديث حسن. وروى أبو الدرداء أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، أطعمه من طعامك ؛ يلن قلبك ، وتدرك حاجتك). حسن. ومثله عن أبي الدرداء: (أدن اليتيم منك ، وألطفه ، وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ، وتدرك حاجتك). حسن. وسئلتْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}. قالت: (هي اليتيمةُ في حِجْرِ وليها ، فيرغبُ في جمالها ومالها ، ويريدُ أن يتزوَّجها بأدنى من سُنَّةِ نسائها فنُهُوْا عن نكاحهنَّ ، إلا أن يُقسطوا لهنَّ في إكمالِ الصداقِ ، وأُمِرُوْا بنكاحِ من سواهنَّ من النساءِ). قالت عائشةُ: ثم استفتى الناسُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعد ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ}. قالت: (فبيَّنَ اللهُ في هذهِ أنَّ اليتيمةَ إذا كانت ذاتَ جمالٍ ومالٍ ورغبوا في نكاحها ، ولم يُلحقوها بسُنَّتِهَا بإكمالِ الصداقِ ، فإذا كانت مرغوبةً عنها في قلةِ المالِ والجمالِ تركوها والتمسوا غيرها من النساءِ ، قال: فكما يَتركونها حين يَرغبونَ عنها ، فليس لهم أن يَنكحوها إذا رغبوا فيها ، إلا أن يُقسطوا لها الأوفي من الصداقِ ، ويُعطوها حقَّها). صحيح البخاري. قال القرطبي: "رُوِي أنها نزَلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد ، وَلِي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير ، فأكَله ، فأنزَل الله تعالى فيه هذه الآية ، قاله مقاتل بن حيَّان ، ولهذا قال الجمهور: إنَّ المراد الأوصياء الذين يأكلون ما لَم يُبح لهم من مال اليتيم ، وقال ابن زيد: نزَلت في الكفار الذين كانوا لا يُورِّثون النساء ولا الصِّغار ، وسُمِّي أَخْذُ المال على كلِّ وجوهه أَكْلاً لَمَّا كان المقصود هو الأكل ، وبه أكثر إتلاف الأشياء ، وخصَّ البطون بالذكر ؛ لتبيين نقصهم ، والتشنيع عليهم بضد مكارم الأخلاق ، وسُمِّي المأكول نارًا بما يؤول إليه ، كقوله تعالى: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) ؛ أي: عنبًا ، وقيل: نارًا ؛ أي: حرامًا ؛ لأن الحرام يوجب النار ، فسمَّاه الله تعالى باسمه. وروى أبو سعيد الخدري ، قال: حدَّثنا النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن ليلة أُسرِي به قال: (رأيت قومًا لهم مشافر كمشافر الإبل ، وقد وُكِّل بهم مَن يأخذ بمشافرهم ، ثم يَجعل في أفواههم صخرًا من نار يخرج من أسافلهم ، فقلت: يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلمًا).هـ. فدلَّ الكتاب والسُّنة على أنَّ أكْلَ مال اليتيم من الكبائر ، وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (اجتنبوا السبع الموبقات) ، وذكر فيها: (وأكل مال اليتيم). يقول الدكتور وجيه الشيمي: "وقد اقتضَت حكمة الله أن يولَد الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم – يتيمًا ؛ ليكون ذلك شرفًا لليُتم ، ومواساة للأيتام ؛ قال تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) ؛ لذا قال الحق - عزَّ وجلَّ - في نفس السورة: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ). وشكر الله للدكتور وجيه الشيمي هذا الاستدلال! ونعود للأيتام الأربعة ناصحين ودالين لهم على الحق والخير! أيها الأيتام (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين). واذكروا أن نبيكم كان يتيماَ! والشافعي وأحمد كانا يتيمين! ويا أيها القائمون على اليتامى أقول لكم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين). إن من الفساد ظلم الأيتام وأكل مالهم والتنكر لهم وقهرهم. اعلم أيها الوصي ويا أيها الكفيل لليتيم أنك يمكن أن تموت من ليلتك ، وتترك صغارك لوصي آخر! والأيام دول ، فأحسن للأيتام اليوم ، ليحسن لأيتامك (عيالك) غداً. والعاقل من أثرت فيه الموعظة وأخذت طريقها إلى قلبه. ويا أيها الأعمام عجيب أمركم ، إذا كان أخوكم أبو الأيتام لم يقصر يوماً في حقكم ، بل أقام لكم المجد ، وضحى بالكثير من أجلكم فردوا الجميل! وايم الله يجب أن تردوا الجميل مضاعفاً! ذلك أن هؤلاء الأيتام لو كانوا أغراباً لتعين عليكم رد جميل أبيهم! أما وأنتم

أعمام فأين هي العمومة والجميل؟ إنه ينبغي عليكم رد جميل أبيهم مرتين: الأولى بما بذل لكم من المعروف في حياته ، فلقد فضلكم عليهم وعلى مستقبلهم ، وبنى لكمُ المجد والسؤدد! والثانية أنهم أبناء أخيكم! فيجب أن تقوموا بواجبكم حيال أبناء أخيكم الذين أصبحوا أيتام! وأنا شخصياً كنت أتمنى أن يكون عنوان هذه القصيدة: (أيتام على موائد الكرام) بدلاً من هذا العنوان! ولكن كيف والأعمام الأوباش الأراذل الحثالة الجبناء خذلوا أخاهم في أولاده ولم يخلفوه فيهم؟!)

79 ـ عفوًا أيتها الطبيبة

(في مقدمة قصيدة سبقتْ ، سألْنا سؤالًا ، وقد فاتنا أن نجيب عليه ، لِمَا كان يكتنفُ الجواب من المقدمات والبديهيات والحواشي اللازمة التي كنا قد انشغلنا بعرضها على حساب الجواب. وكان هذا السؤال: «هل الطب اليوم محراب الإيمان؟» وأقطع بأن: «لا». إن الطب يكون محرابَ الإيمان إنْ انبثق من الإيمان بالله الشافي المعافي الخالق المعبود ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، الذي هو الرب الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم. وساعتئذٍ تناقشُ الطبيبَ ، فإذا أنت أمام قمة في كل من الطب والإيمان ، والتوحيد والعقيدة. وأما الوضع الحالي فللأسف أَلِفَ كثير من الأطباء الدماء والأشلاء والجماجم التي أصحابها أموات أو أحياء ، كما ألفوا الماء والهواء ، ففقدوا بذلك محرابية الإيمان. ولقد أشرفتْ الطبيبةَ الجرَّاحةُ الكبيرةُ ، والاستشاريَّةُ العِمْلاقة الدكتورة «ثُريا عبد الله نُور الدِّين» وهي أخِصَّائِيةُ جِرَاحَةِ وطبِّ العُيون بالمستشفى القاسمي بالشارقة على عِلاجي هناك ، فكان مِنْ قَدَري أنْ أجرتِ الدكتورةُ ثريا عمليتين جراحيتين في مُقْلتي اليُسرى ، وجزاها اللهُ خيرًا على ما بذلتْ ، وأصلحَ اللهُ لنَا ولهَا الدينَ والدنيا والآخرة ، آمين. ولا يشكرُ لله مَنْ ليْسَ يَشكرُ للناس. وفي أحد الفُحوص تَحدثَتْ إليَّ الدكتورةُ عنْ نِعمة البَصر ، ووصفتْها الطبيبةُ على حَدِّ قولها بأنَّها أفضلُ نعمةٍ أنعمَها اللهُ على بني آدم ، فقلتُ لهَا: بلْ أفضل نعمةٍ بإطلاق هي نعمةُ الإسلام ، فكمْ مِنْ مُبْصرين وهم عُميان! وكمْ مِنْ أصحَّاء وهم كُفَّار! ألَا وإنَّ الواحدَ مِنْ أصحاب محمد ﷺ ورضيَ اللهُ عن صحابته ، كان يُقَدِّرُ نعمَةَ الإسلام حق قدْرها ، فيقول: الحمدُ لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة. وكانت هذي القصيدة ترجمةً للموقف ، ولكن تَمَّ تأليفُها واكتمالُها ونضجُها بعد سبع وسبعينَ يومًا مِنَ الحادث ، ولله الحمْدُ أولًا وآخِرًا ، والحمدُ للهِ على نِعْمَةِ الإسلام ، وكفى بها نعمة! كما كان أصحاب النبي ـ عليه السلام ـ يرددون!)

80 ـ لقد أيقظتِ ضميري

(دفعتها الحاجة الماسّة للعمل عنده – على حدّ تعبيره كسكرتيرة ـ ولسنا الآن بصدد الحِل والحُرمة ـ ، فإن الحكم بالحِل والحُرمة له مظانه وعلماؤه وكتبه ومراجعه. ومن ذا الذي يريد أن يأخذ حُكماً شرعياً من مقدمة قصيدة في ديوان شعر ، يعكس في عمومه وجهة نظر صاحبه الشاعر لا العالِم؟ يقول صاحب العمل: ناولتني ذات يوم أوراقاً خاصة بالمكتب لأوَقعها. فأمسكتُ يدها عامداً ، فزجرتْني ، وقالت: إن كانت حاجتي الماسة دفعتني للعمل عندك يا أحمد (ونادته باسمه مجرداً لأول مرة) ، فأراها قد دفعتني للعمل كسكرتيرة وليس كعاهرة ، وإن زوجاتك ثلاث ، (إماراتية وسورية وإيرانية) ، وأنا في سن حفيدتك يا (جدو) ، فاتق الله. قال:

إنها بقولها هذا وفعلتها تلك نبّهتْ مني غافلاً ، وأيقظتْ ضميري ، وأحيتْ شعوري ، وزجرتْ أحاسيسي ، وجعلتني أغرق في دموعي. خاصة عندما قالت في ختام موعظتها: ألا ترى أنني في مثل سن حفيدتك!؟ إنني أستحيي منك وأجعلك في مقام جدي! ألا تستحيي من شيب غزا رأسك فجعله كالثغامة ، واحْدِوداب أحنى ظهرك فجعله كالعُرجون القديم؟ وتجاعيد ملأت وجهك فجعلته كأديم الأرض أو كثبان الرمال في الصحراء في يوم عاصف؟! قال: فخرجتُ من المكتب إنساناً جديداً ، حيَ الضمير ، مستيقظ الهمة ، تائب الفؤاد ، سليم القلب ، عازماً على ترك المنكرات جميعها ، ومقيماً بيني وبين قرناء السوء الساقطين سُدوداً منيعة من الطاعة لله والخوف منه. خرجتُ من المكتب أرتعش لا يكاد جزء أو عضو في جسمي يتئد ولو صغر ، وذلك من تأثير موعظتها الحية. وكم استمعت إلى أقوام كثيرين كانوا يهزون أعواد المنابر ، وآخرين تهزهم أعواد المنابر ، وآخرين لا يهزون أعواد المنابر ولا تهزهم تلك الأعواد! فما تأثرتُ مثل هذا التأثر البالغ أبداً. وإذن فكيف أخِذتُ بسحر كلمات هذه السكرتيرة التي تعمل عندي ، وتنتظر راتبها آخر كل شهر مني؟ إن صِدقها هزّ قلبي ، وأيقظني من سباتي العميق! وعندما حكى لي قصته ذلك الصاحبُ ، حكاها بدمع العين ، ورأيتُ أن أحكيها للناس وللتاريخ بمِداد القلم ، وللأدب بقصيدة عصماء من شعر العرب ، راجياً أن تتم بها الموعظة وتستلهم بها الدروس. ولقد كانت لي مع صاحبي هذا ذكريات ونصائح ومواعظ ، يضيق المقام عن وصفها. وأنا هنا لا أفضحُه ولا أذيعُ سِره ، فلم أذكرْ له اسماً ولا وصفتُ له رسماً ، ولا ذكرتُ له مكاناً ولا زماناً. وكأني به يذكّرنا بالصحابي أبي اليسر وقصته ، تلك التي أوردها ابن اسحق من رواة السيرة ، والنسائي والترمذي من أهل الحديث! يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي أحدًا منهم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري ابن هشام ابن الحارث فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرهًا. وبينما كان أبو اليسر في قلب المعمعة انتهى إلى العباس بن عبد المطلب وهو قائم على ربوة ، وكأنه معتزل القتال ، فقال له أبو اليسر: جزتْك الجواري أتقتل ابن أخيك؟ فقال: ما فعل محمد؟ وهو بذلك كان يقصد أن يسأل عن محمد النبي صلّى الله عليه وسلم وهل أصيب أم ماذا؟ فأخبره أبو اليُسر قائلاً: الله أعز وأنصر ، فقال العباس بن عبد المطلب: كل شيء ما خلا محمدًا خلل ، أي كل شيء ما عدا محمد يهون ، وأكمل العباس بن عبد المطلب قائلًا لأبي اليسر: ماذا تريد؟ فقال له أبو اليُسر: إن رسول الله نهى عن قتلك ، قال العباس: ليس بأول صلته وبره! وانطلق أبو اليُسر بالعباس أسيرًا إلى رسول الله. وكان العباس طويل القامة قويًا ، وكان الصحابي الجليل أبو اليُسر قصير القامة ، فقال له رسول الله: كيف أسرت العباس؟ فقال أبو اليسر: أعانني عليه رجل أخر ، ووصف صفات هذا الرجل للنبي ، فقال له رسول الله: لقد أعانك عليه ملك من السماء. وقال رسول الله للعباس بن عبد المطلب: افدي نفسك! ففدى نفسه بمائة أوقية من الذهب! وبينما كان أبو اليسر يبيع التمر بالمدينة وجاءته امرأة لتشتري التمر ، فأخبرها بأن هناك تمراً بالبيت أجود ، فدخلت بيته فهوى إليها ليُقبّلها ، ثم ندم مباشرة على ما فعل! وقابل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ـ وسأله ، فقال له عمر: اتق الله واستر على نفسك. ولكنه لم يصبر وذهب إلى رسول الله وأخبره بما فعل! فقال رسول الله: أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ فقال أبو اليُسر: حتى تمنيت أنني لم أكن أسلمت إلا تلك الساعة ، حتى ظننتُ أنني من أهل النار! فأطرق رسول الله صلّى الله عليه

وسلم طويلًا حتى أوحى الله إليه بالآية: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ). فقال له رسول الله بعد صلاة العصر: أصليت العصر معنا؟ قال: نعم ، فقال رسول الله: لقد عفا الله عنك! فقال الصحابة ألله خاصة؟ فقال رسول الله: إنها للناس عامة).هـ. فأقم الصلاة يا أحمدُ واستغفر وتب!)

81 - أين الثرى مِن الثريا؟

(والدان وابن في السابعة عشرة ، ووالدن وابنة في السابعة عشرة ، بينهم قواسم مشتركة وفارق واحد! الكل من مصر ، ومن محافظة واحدة ومن مركز واحد. وسأضرب الذكر صفحاً عن ذكر الأسماء والمحافظة والمراكز ، لأن الذي يهمّنا هو مغزى القصة المتكررة في الزمان والمكان. والكل من الطبقة الكادحة المتوسطة الحال. إذ كانت هذه هي القواسم المشتركة ، فما هو الفارق الوحيد إذن؟ إن هذا الفارق عجيبٌ لأنه ميّز كلاً من الابن والابنة! فأما الابن فقد حفظ القرآن الكريم كاملاً ، واشترك في مسابقة دولية وحصل على المركز الأول وفاز بجائزته! وأما الابنة فقد احترفت الغناء واشتركت في مسابقة دولية ، وحصلت على المركز الأول ونالت جائزته! وشاهدت الأسرتين على شاشة واحدةٍ وفي شهر واحد ، فأنا أتساءل أين الثرى من الثريا؟!)

أين المودة والرحمة؟

(في صـ 34 من (حدث في المحكمة) لسلمان العمري ، قصة المرأتين اللتين أفسدتا بين أخوين هما زوجاهما إفساداً تعذر الإصلاح معه. فكل أخ بات بعد الوقيعة في ناحية. أخوان عاشا في بيتٍ واحد ، وفي ظل ظليل وتربيةٍ أصيلة ثم اشتركا في التجارة والمال ، وباتا يسعيان في الأرض ويمشيان في مناكبها ويبتغيان من فضل الله ولم يُدركا أن الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي: (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه). ومضت الأيام وتدخلت نون النسوة في شين الشؤون ، وأحدثتْ زلزالاً في العلاقات وأفسدتْ ما بين الأخوين ، فصار الخصامُ والنزاعُ الذي لا ينتهي أبداً ، وتولدتِ المشاكلُ ، وتتابعا يجريان في أروقة المحكمة ، لا يُسَلم أحدهما على الآخر ، ولا يصل أحدهما صاحبه ولا يبغيان للحق طريقاً ولا للصلح نفوذاً ، واستمرا في خصومتها ، كل خصومة تولد خصومة أخرى ، وتتابعت مشاكلهما تتابعاً عظيماً نجمَ عنه فراق أولادهما وتباينهما ، كل ذلك لأنهما أصغيا للشياطين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون من شياطين الإنس والجن ، وشياطين الإنس أخطر وأشد من شياطين الجن ، قال جل وعلا: "شياطين الإنس والجن يُوحِي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً". واستمر النزاع والخصام والشقاق والحِدة بينهما ، وباءت محاولات المخلصين والمجتهدين بل والواعظين والناصحين للصلح بينهما بالفشل. ولم يدركا أن الله - جل وعلا يقول: (أنظرا هذين حتى يصطلحا) لمن كان بينه وبين أخيه خصومة. وقد قِيلَ: "مَن جعَلَ النَّمامَ عينًا هلَك ، مُبلِغُك الشرِّ كباغِيهِ لك". وقد أتَى رجُلٌ الوَلِيدَ بنَ عبد الملِك فقال: لك عِندِي نصِيحة ، فقال: "إن كانَت لنا فأَظهِرهَا ، وإن كانَت لغَيرِنا فلا حاجَةَ لنا فِيها" ، قال: جارٌ لِي عصَى وفَرَّ مِن بَعثِه قال: "أما أنتَ فتُخبِرُ أنَّك جَارُ سُوءٍ ، فإن شِئتَ أرسَلنَا معَك ؛ فإن كُنتَ صادِقًا أقصَينَاكَ ، وإن كُنتَ كاذِبًا عاقَبنَاك ، وإن شِئتَ تارَكنَاك" ، قال: بل تارِكنِي يرحَمُك الله. قال رسولُ الله –

صلى الله عليه وسلم -: «إن إبليسَ يضَعُ عرشَهُ على الماءِ ، ثم يبعَثُ سراياه فأدناهُم مِنه منزِلةً أعظَمُهم فتنةً ، يجِيءُ أحدُهم فيقُولُ: فعَلتُ كذا وكذا ، فيقُولُ: ما صنَعتَ شيئًا» ، قال: «ثم يجِيءُ أحدُهم فيقُولُ: ما ترَكتُه حتى فرَّقتُ بينَه وبينَ امرأتِه» ، قال: «فيُدنِيه مِنهُ ويقُولُ: نِعْمَ أنتَ» ؛ رواه مسلم. وقد جاء في الحديثِ: أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – «نهَى عن التَّحرِيشِ بين البهائِمِ»؛ رواه أبو داود والترمذي. ومن هنا تتجلى عظمة الأقوال الحسنة الموزونة! والله – جلَّ في عُلاه – يقولُ: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ). والتحريش والوقيعة عندما يكون هناك سمّاعون لهذا كله تندلع الحروب والخلافات والمشاكل! وصدَقَ الله: (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ). ولا تأتي سلامة الصدور والقلوب إلا بترك الغيبة والنميمة والتحريش والإيقاع! حيث قال – صلى الله عليه وسلم -: «لا يُبلِّغُنِي أحدٌ مِن أصحَابِي عن أحدٍ شيئًا ؛ فإنِّي أُحِبُّ أن أخرُجَ إليكم وأنا سَلِيمُ الصدر» رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم -: «ألا أُخبِرُكم بأفضَل مِن درجَةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقَةِ؟» قالُوا: بلى ، قال: «صَلاحُ ذاتِ البَين ؛ فإن فسادَ ذاتِ البَين هي الحَالِقَةُ»؛ رواه أبو داود والترمذي. قال عطاءُ بن السَائبِ: "قَدِمتُ إلى مكَّة فلَقِيَني الشَّعبيُّ فقال: يا أبا زَيدٍ! أطرِفنا مِمَّا سمِعتَ ، قُلتُ: سمِعتُ عبدَ الرحمن بن عبد الله بن سابِطٍ يقول: لا يسكُنُ مكَّة سافِكُ دمٍ ، ولا آكِلُ رِبا ، ولا مشَّاءٌ بنَميم ، فعجِبتُ مِنه حين عدَلَ النَّميمةَ بسَفكِ الدماءِ وأكلِ الرِّبا" ، فقال الشَّعبيُّ: لِمَ تَعجَب مِن هذا؟! وهل تُسفَكُ الدماء ، وتُركَبُ العظائِمُ إلا بالنَّميمة؟! وهذه حقيقة ملموسة مشهودة في مجتمعنا اليوم!)

82 - أيها الحادي

(ظل ذلك الحادي يتهم البحور والأوزان العربية الأصيلة بأن بعضها خال من التناغم واللحن. وزاد حبات الطين بلة عندما قال: إن بعض البحور العربية يصلح للإنشاد والحداء والبعض الآخر لا يصلح لشيء من ذلك. وزعم بان الكلمة هي التي تصنع اللحن ، فراح صاحبنا يثبت له بالدليل المنطقي من البحور والتفاعيل والاوزان أناه كلها متناغمة متناسقة بل وحدائية مادامت ملتزمة بالعروض العربي وشروط القافية...واستشهد شاعرنا بالبحور (الخفيف والمتقارب والمتدارك ، وزاد فذكر الوافر والكامل والرمل والطويل) وأنشدها أمامه مجردة بالأنغام واللحن ليثبت أن اللحن شيء والكلمة شيء آخر. نعم قد تزيد الكلمة جمال الأداء ولكن اللحن ثابت ليس بالكلمة بل بالوزن والقافية. والأمر على ما وصف الأستاذ محمد الخضر حسين: (يبرع بعض العلماء في الشعر ، ولكن فحول الشعراء من غير العلماء يكون جيد أشعارهم أكثر ، ونَفَسهم في الشعر أطول ، وقرائحهم إلى المعاني أسرع. ويجري على ألسنة المحاضرين ، وأقلام الكتب حديث التجديد في الشعر ، ولسنا ممن يتجافى عن رأي التجديد ؛ إذ التجديد سُنة من سنن الشعراء النابغين ، وإنما نريد بحث ما يعنى بكلمة التجديد ، حتى نصل إلى ما فيه إصلاح الشعر ، ونتحامى هدم ناحية من نواحي اللغة الفصحى. للشعر مقاييسُ ، وقوافٍ ، ومعانٍ ، وألفاظٌ ، وأساليبُ ، وفنونٌ. أما المقاييس فقد نظم العرب في ستة عشر مقياساً ، وما زال الشعراء يصوغون أشعارهم على هذه المقاييس إلى الدولة العباسية ، وفي ذلك العهد حدثت موازينُ خارجة عن الموازين السالفة).هـ.)

83 - أيها الرضيع ، رفقا بنفسك!

(تفقد ذلك الصالح حياً كان عامراً بأهله ، ثم قصفه كله أعداءُ الحق ، فوجده ركاماً. وكانت المفاجأة أن وجد تحت بعض الأنقاض رضيعاً حياً ، فانتشله وأطعمه وسقاه. ولكنه لاحظ سيطرة البكاء عليه. فقال له: رفقاً بنفسك. يقول الله – تعالى -: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ). وهم يلعبون في ناديهم ، ومجتمعاتهم: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ). ثم بيّن الله أمراً آخراً عظيماً ألا وهو قوله: (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ).)

84 – تحية أيها الكلب!

(في حفل للطاغية هولاكو ، قام أحد الصليبيين بسب النبي – صلى الله عليه وسلم - فهاج الكلب عليه وخمّشه فخلصوه منه. ثم عاد ذلك الصليبي فسب النبي - صلى الله عليه وسلم – فقطع الكلب رباطه ووثب على عنقه ، وقام بقطع زوره فمات. وأسلم بسبب ذلك المشهد أربعون ألفاً. أوردَ ذلك الأثر ابنُ حجر في (الدرر الكامنة) وابن كثير في (البداية والنهاية). ويَعجب كل متفطن واع إذا هو طالع كتاب: (تفضيل الكلاب على الكثير ممن لبث الثياب لخلف بن محمد المرزبان) ، وكتاب (حياة الحيوان للدميري). ولا تزال المطابع في الشرق والغرب تدفع إلينا بكتابات عن الكلاب ووفائها وشهامتها ونجدتها صباح مساء. وأعجب من العجب (كلبُ أهل الكهف) الذي رفض الشرك بالله في قومه ، وتبع أهل التوحيد. وقول في غاية الشناعة سمعته بأذني غير مرة من أحد الصوفية: (من ظن أنه أفضل من الكلب ، فالكلب أفضل منه). وتناسى القوم قول الله في سورة الإسراء: (ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً). والكلاب في زماننا بل وسائر الحيوانات الأخرى تجد من الغرب كل الاحترام والتقدير ، من إنشاء جمعيات للرفق بها ، وإنشاء مستشفيات خاصة بها ، واصطحابها في كل مكان. ويزداد عجبي من أثر ابن حجر وابن كثير الذي يُحرج موقف المسلمين المعاصرين الذين يُهان نبيهم فلا تجد منهم تلك الحماسة التي كانت عند كلب هولاكو. ويجتمع أكثرهم على مقاطعة الدول التي نالت من نبيهم ، فتجد البعض يسخر من المقاطعة والمقاطعين ، فلا يقاطع ولا يترك غيره يقاطع! ومن هنا رحت أحيي ذلك الكلب الذي قتل الصليبي انتصاراً للنبي – صلى الله عليه وسلم -. وأرى أن موقف ذلك الكلب أعظم وأثقل في الميزان من أولئك المثبطين المنهزمين من المستسلمين. ومن هنا حييت الكلب! وإنني لأعتذر عن هذا الزمان الذي نعيش! حيث أصبح بعض الكلب أكثر مروءة وحمية وغيرة من بعض بني آدم! ونجد كُتاباً وشعراء يسخرون من النبي – محمد صلى الله عليه وسلم – أو من سُنته أو من أخلاقه أو من دينه ، ويزعمون لأنفسهم أنهم مسلمون متبعون للنبي – محمد – صلى الله عليه وسلم – ويشهد الله تعالى – إنهم لكاذبون في هذا الادعاء المقيت الذي لا مصداقية له في الواقع!)

85 - رويداً أيها المرتزقة!

(الدعاة إلى الله قسمان: قسم أراد بدعوته وجه الله ، فهو يرجو من الله رحمته وثوابه. لذلك بيّن الحق ولم يخف في الله لومة لائم ، ويخاف نقمته وعذابه فبلّغ الهُدى كما هو ولم ينقص منه شيئا ، وأحب الله – عز وجل – فهانت عليه نفسه وما يملك في الله تعالى. فكما أنه يعبد الله بالحب والخوف والرجاء ، فهذا وإن أخذ على دعوته المال في الدنيا فلا يُحرَم المثوبة يوم القيامة. ولن يقال له (دعوتَ ليُقال داعية وقد قيل) ، وذلك لعموم قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (خيرُ ما أخذتم عليه أجر كتاب الله). وكلمة أجر هنا للعموم. وقسم من الدعاة هم المرتزقة الذين يريدون الدنيا وملذاتها بعوتهم. والذي يشاهدهم في الفضائيات يظنهم صحابة زهاد وهم يأكلون بـ (لا إله إلا الله)! إذ إنهم عندما يتعاملون مع الناس أعني (أصحاب دور النشر والتسجيلات والتوزيع ومن على شاكلتهم) فهم الضواري والأوابد ، حيث الجشع الذي يصل إلى الملايين. والمحاكم مترعة بقضاياهم. وكنتُ أتمزق منذ سنوات إلى أن أتت قشة فقصمتْ ظهر البعير ، كانت السبب المباشر في كتابة هذه القصيدة! أن يتقرب أحدهم إلى الله في أول عشر ذي الحجه بإغلاق تسجيلات هي رافد من روافد الإسلام. طالباً ثلاثة ملايين من الدراهم لشرائط له لم تبلغ الخمس في المواعظ والرقائق التي كفانا ابن تيمية وابن حزم والقرطبي والطبري والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود وابن القيم والنووي وابن عبد ربه وابن الجوزي والمودودي وصاحب الظلال الوارفة ، وغيرهم من علماء المسلمين في الغابر والحاضر ، أن نطالع أو نستمع لسواهم فيها. في جواب عن سؤال هو: (من هم العلماء؟) يقول الأستاذ عبد السلام البرجس ما نصه: (إنّ من يستحق أن يطلق عليه لفظ العالم في هذا الزمن - وأقولها بكل صراحة - قليل جداً ، ولا نبالغ إن قلنا نادر ، وذلك أنّ للعالم صفات قد لا ينطبق كثيرٌ منها على أكثر من ينتسب إلى العلم اليوم. فليس العالم من كان فصيحاً بليغاً ، بليغاً في خطبه ، بليغاً في محاضراته ، ونحو ذلك ، وليس العالم من ألف كتاباً ، أو نشر مؤلفاً ، أو حقق مخطوطة أو أخرجها ؛ لأن وزْن العالم بهذه الأمور فحسب هو المترسب وللأسف في كثير من أذهان العامة ، وبذلك انخدع العامة بالكثير من الفصحاء والكتاب غير العلماء فأصبحوا محل إعجابهم ، فتري العامّي إذا سمع المتعالم من هؤلاء يُجيش بتعالمه الكذّاب يضرب بيمينه على شماله تعجباً من علمه وطَرَبَه ، بينما العالمون يضربون بأيمانهم على شمائلهم حُزناً وأسفاً لانفتاح قبح الفتنة. فالعالم حقاً من تَوَلَّعَ بالعلم الشرعي ، وألَمَّ بمجمل أحكام الكتاب والسنة ، عارفاً بالناسخ والمنسوخ ، بالمطلق والمقيد ، بالمجمل والمفسر ، واطلع أيضاً على أقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه ، فقد عقد ابن عبد البر رحمه الله تعالى في "جامع بيان العلم وفضله" باباً فيمن يستحق أن يسمى فقيهاً أو عالماً! ولا ريب أن تحصيلهم لهذه الأحكام الشرعية قد استغرق وقتاً طويلاً ، واستفرغ جهداً كبيراً ، وأضافوا إلى ذلك أيضاً عدم الانقطاع عن التعلم ، وقد ورد في بعض الآثار أن موسى سأل ربه أي عبادك أعلم؟ قال: الذي لا يشبع من العلم. فمن كان هذا حاله فهو العالم الذي يستحق هذا اللفظ الجليل ، إذْ هو المبلغ لشرع الله تعالى ، المُوَقِّع عنه سبحانه وتعالى ، القائم لله تعالى بالحجة على خلقه ولو قَلَّ كلامه ونَدُر ، أو عُدِم تأليفه).هـ.)

86 - بارك الله فيك يا نورية!

(إنها (نورية سليمان). الفنانة المسرحية الإماراتية سابقاً. قد تابت إلى الله وعزمتْ على أن لا تعود إلى العفن الفني. وأدركت نفسها من أولى دركات الحضيض. وقصتها كاملة في جريدة (المسلمون - ص3 من العدد 430). والإنسانُ إذا اتبع هواه وسار أسيراً ذليلاً وراء شهواته تراه يقيم العذر لنفسه ويلتمس لها الدليل وَيُلَفِق لها بزعمِهِ التأويل ، ويريد أن يُحَمِلَّ الناس جميعاً السبب في خطئهِ ويقول: هم السبب في زَلتي وهم الذين دفعوني إلى شِقْوَتي فيُعَلِق ذنبه ومعاصيه على شماعاتٍ وهمية ، وأحياناً يلقي اللوم على القدر فيقول: هو السبب في ذلك كما حصل في عهد عمر ابن الخطاب حينما أتوْا بسارق فسأله عمر: ما حَمَلَك على ذلك؟ فقال له: قَدَرُ الله. فقال له: ونحن نقطع يدك بِقَدِرِ الله! وقد كتبتُ قصتي أحيي نورية!)

87 - باكية إلى الأبد

(قتل الصرب زوجها وكل أصدقائه المجاهدين ، فأبدت الصمود. وبكت طويلاً دون أن ترى دمعتها. والبكاء لن يرجع أحباباً قتلوا ، لكنه يروّح عن النفس ما تعانيه وما تكابده! و الزبانية المعتدون المجرمون ينظرون إلى مواضع أقدامهم فقط! هناك تاريخ يسجل جرائمكم واعتداءاتكم وتجاوزاتكم! وإن لم تظهر اليوم ، فعما قريب يعرف الناس الحقيقة! وهناك يوم قيامة تجتمعون فيه مع قتلاكم ويقولون للرب: يا ربنا سل هؤلاء: فيم قتلونا؟ فهل تستطيعون الجواب؟ وإذن فالحق مأخوذ منكم يوماً ما. وما نالكم سوى خزي الدنيا وعذاب الآخرة! فكتبتُ متأثراً بما حدث للزوجة ، وحاكياً عنها.)

88 - نحن بالعدل أولى

(في كتابيهما الرائع: (العدالة في عالم الحيوان – الحياة الأخلاقية للحيوانات) تناول المؤلفان - مارك بيكون الروسي وجيسيكا بيرس الأمريكية – كثيراً من طبائع الحيوانات المفترسة والأليفة! وأثبتا للقارئ بما لا يدع مجالاً للشك أن عالم الحيوانات تحكمه إلى حدٍ بعيد أخلاق وقيم لا يكاد يكون لها وجود اليوم في عالم الإنسان. وقامت بترجمة الكتاب إلى العربية الأستاذة الصحفية فاطمة غنيم بأسلوب رائع متميّز. وأهدى مارك أستاذ علم البيئة وعلم الأحياء التطوري بجامعة كولورادو كتابه لوالديه! بينما أهدتْ جيسيكا الأستاذة المشاركة بجامعة كولورادو أيضاً كتابها للحيوانات التي عرفتها وأحبتها! وكان لي شرف الاطلاع على الكتاب كاملاً ، فألفيته كتاباً لا غنى لمُربّ ولا لمعلّم ولا لقارئ مثقف عنه! وقلتُ: نحن بالعدل والإنصاف والرحمة بين بعضنا البعض أولى من الحيوانات! ورد "أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدَحٌ يُعدِّل به القوم ، فمرَّ بسواد بن غزيَّة حليف بني عدي ابن النجار قال: وهو مستنتل من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح في بطنه ، وقال: «استوِ يا سواد». فقال: يا رسول الله ، أوجعتني ، وقد بعثك الله بالعدل فأقدني. قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقد». قال: يا رسول الله ، إنَّك طعنتني ، وليس عليَّ قميص. قال: فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال: «استقد» ، قال: فاعتنقه ، وقبَّل بطنه ، وقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله حضرني ما ترى ، ولم آمن القتل ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير" (رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة) ، قال الألباني في

السلسلة الصحيحة" إسناده حسن. – قال – تعالى -:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). وقال: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى). وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من والٍ يلي رعية من المسلمين ، فيموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرّم الله عليه الجنة"(أخرجه البخاري). وقال رسول الله - صلى عليه وسلم -: "من وليَّ أمر عشرة من المسلمين ولم يعدل بينهم يأتي يوم القيامة مكبلاً ويداه مُقيدتان إلى عنقه إما أن يفكهما عدله وإما أن يبقى مُقيداً". وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل...". وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من ظلم قيد شبر طوّقه من سبع أرضين" ، وفي رواية "....خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين". وفي الحديث القدسي يقول الحق – تبارك وتعالى -: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرّماً فلا تظالموا.....يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- :"الناس سواسية كأسنان المشط ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.." وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته ؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته". وعن أم المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: "أنَّ قريشًا أهمَّهم شأن المرأة التي سَرقتْ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، فقالوا: من يكلِّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!». فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال «أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني - والذي نفسي بيده - لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (رواه البخاري ومسلم). ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقُطعت يدها. وعن عطاء: قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم ، فإذا اجتمعوا قال: "أيها الناس ، إني لم أبعث عُمالي عليكم ليُصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم ليحجِزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم. فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد إلا رجل واحد قام ، فقال: يا أمير المؤمنين ، إنَّ عاملك فلاناً ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك. فقال: أنا لا أُقِيد وقد رأيت رسول الله يقِيد من نفسه. قال: فدعنا فلنرضه. قال: دونكم فأرضوه. فافتدى منه بمائتي دينار. كل سوط بدينارين" (رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى من حديث عطاء). - ولما أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه ، قال: "إنَّ الذي أدَّى هذا لأمين! قال له

رجل: يا أمير المؤمنين ، أنت أمين الله يؤدون إليك ما أديت إلى الله تعالى ، فإذا رتعت رتعوا". (رواه البيهقي في السنن الكبرى). عدل علي رضي الله عنه: - افتقد علي رضي الله عنه درعًا له في يوم من الأيام ، ووجده عند يهودي ، فقال لليهودي: "الدرع درعي لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي ، فقال: نصير إلى القاضي ، فتقدَّم علي فجلس إلى جنب شريح وقال: لولا أنَّ خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وأصغروهم من حيث أصغرهم الله». فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين. فقال: نعم ، هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبع ولم أهب ، فقال شريح: إيش (أي شيء) تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي. فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قَنْبَر والحسن يشهدان أنَّ الدرع درعي. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب. فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة». فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه ، أشهد أنَّ هذا هو الحقُّ ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله ، وأنَّ الدرع درعك" (ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء). نحن أولى بهذا العدل العظيم!)

89 - بائعُ الكتب

(اضطرته ظروفُ الحياة وتضييقُ الطواغيت إلى أن يبيع المساويك والكتب وجلابيب النساء وأخمِرتهن عند أبواب المساجد. ورزقه الله من هذه الحِرفة رزقاً حسناً. غير أن الذي لفت انتباهي في حِكايته أنه أثنى على العِلم الذي ما لبث أن أصبح من أهله وطلبته في أقل من عشر سنوات ، بسبب قراءته الشرهة النهمة للأسفار التي يبيعها للناس. يقول: استثمرتُ مَلل الحِرفة في القراءة والاطلاع ، ثم شرعتُ في الكتابة بعد عشرة أعوام. فإذا بكُتبه لا تقِل كثيراً عن مستوى الكتب التي يبيعها إن لم تكن أفضل من بعضها. فمن كان يتوقع من بائع للكتب مُكرهاً مضطراً ، ثم هو يتحول إلى قارئ نهم ثم إلى عالم جهبذ نحرير. ألا إن المكسب بكونه أضحى عالماً أعظمُ بكثير من المال الذي ربحه. وهذا لا يعقله إلا العالِمون الذين يُقدرون العلم والعلماء.)

90 - ببركة الدعاء

(هدى الله الأسرة بكاملها على يد ابن من أبنائها هداه الله على يد (الشيخ إبراهيم). والتزم بما سمع ، ودعا إلى ما سمع ، فكانت النتيجة التزام الكل ببركة دعاء الله عز وجل. ففي الموسوعة للأستاذ محمد رشاد الخولي صـ 136 نص الحكاية. (يروي القصة الشاب الذي هو الشخصية الرئيسية فيها فيقول: أنا شاب عِشت حياة متفرّدة مع أبي في أحد الأحياء الراقية بالقاهرة ، وكان الخمر يقدم على المائدة بصورة طبيعية. وكنت أعرف تماماً أن دخل والدي كله من الحرام وخاصة الربا ، وكان بجوار بيتنا مسجد كبير فيه إمام وخطيب يسمى (إبراهيم). وفي يوم من الأيام كنت جالساً في شرفة المنزل والشيخ يتحدث ، فأعجبني كلامه ، فنزلتُ من الشرفة وذهبت إلى المسجد لأجد نفسي أنني قد انسلخت من كل شيء ، وأصبحت شيئا آخر. كان الشيخ يتحدث عن قول الرسول ﷺ: "أيما جسد نبت من حرام فالنار أولى به". فوجدت نفسي لا أريد أن أدخل البيت ، ولا أن آكل منه شيئاً ، وصرتُ أدخل وأخرج ، وأتعمد أنْ

لا آكل شيئاً أبدًا وأجلس بعيداً عن أسرتي ، وأضع أمامي قطعه من الجبن وبعض (الفلافل) ، وأسرتي أمامها كل ما تشتهيه النفس من طعام. وكادت أمي تموت همّاً من أجلي ، تريدني أن آكل معهم ، ولكني رفضت ، وأفهمتها أن مال أبي حرام ، وأنهم يأكلون حراماً ، ويشربون حراماً ، فانضمت أمي إليّ ، والتزمتْ بالصلاة ، وبعدها انضمتْ إلينا أختي ، أما أبي فقد أصرّ على ما فعله عِناداً واستكباراً. فكنتُ أتعامل مع أبي بأدب واحترام ، وقمتُ أنا وأمي وأختي كل منا يجتهد في الدعاء لأبي ، وكنتُ أقوم الليل فأسمع نحيب أمي وأختي وتضرعهما إلى الله أن يهدي والدي. وفي صباح يوم من الأيام استيقظتُ لأجد أبي قد تخلص من كل الخمور التي في البيت ، ثم أخذ يبكي بكاء شديداً ويضمّني إلى صدره ، ويقول: سوف أتخلص من كل شيء يُغضب الله. وفي صباح يوم من الأيام استيقظت لأجد أبي قد تخلص من كل الخمور التي في البيت. ولمّا حان وقت الصلاة ، أخذتُ والدتي ، وذهبنا إلى المسجد ، وسار يسمع خطب الشيخ إبراهيم ، والحمد لله تخلص من الربا ومن الخمور ، وأصبح بيتنا – ولله الحمد – مملوء بالطاعات.اهـ. إن الكسب الحلال طيبة ثمارُه وجميلة آثارُه وعظيمة نتائجه. وقد روى الحاكم من حديث سعيد بن عمير – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل أي الكسب أطيب؟ فقال: (عمل الرجل بيده ، وكل كسب مبرور). وروى ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أيما رجل كسب مالاً من حلال فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله فإن له به زكاة). وروى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل طيباً وعمل في سُنّة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة. قالوا: يا رسول الله إن هذا في أمتك اليوم كثير. قال: وسيكون في قرون بعدي). وخرّج الطبراني بإسناده من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: تليت هذه الآية عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) ، فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: يا سعد أطبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبدٍ نبت لحمه من سُحت فالنار أولى به). وخرّج البيهقي من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (الدنيا خضرة حلوة ، من اكتسي فيها مالاً من حِله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حِله وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان ، وربّ متخوّض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة. يقول الله: كلما خبثْ زدناهم سعيراً). ومِن مِنة الله على نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة العظيمة ، والمِنّـةِ الجسيمة فقال: (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى). وأيضاً: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين). وأيضاً: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). وللهداية أسبابها المؤدية إليها ، تلك التي على العبد الجاد في درب الهداية أن يسلكها! قال تبارك وتعالى: (كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). قال بعض العلماء في تفسير الآية: أي أنه لا يهديهم ؛ لأن القـوم عرفـوا الحق وشهدوا به وتيقّنوه وكفـروا عمـداً ، فمن أين تأتيهم الهداية؟ فإن الذي تُرتجى هدايته من كان ضالاً ولا يدرى أنه ضال ، بل يظن أنه على هدى فإذا عرف الهدى اهتدى ، وأما من عرف

الحق وتيقنه وشهد به قلبه ثم اختار الكفر والضلال عليه فكيف يهدي اللهُ مثل هذا؟ إن امتثال ما أَمَرَ الله بهِ ورسولُه ، واجتناب ما نَهى الله ورسوله عنه ، مفتاح كل خير! قال عز وجل: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا). قال ابن جرير – رحمه الله -: يعني بذلك جل ثناؤه ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم لإيتائنا إياهم على فعلهم ما وعظوا به من طاعتنا والانتهاء إلى أمرنا أجراً يعني جزاءً وثواباً عظيماً وأشد تثبيتاً لعزائمهم وآرائهم وأقوى لهم على أعمالهم لهدايتنا إياهم صراطاً مستقيماً ، يعني طريقاً لا اعوجاج فيه ، وهو دين الله القويم الذي اختاره لعباده وشرعه لهم ، وذلك الإسلام ، ومعنى قوله ولهديناهم: ولوفّقناهم للصراط المستقيم.اهـ. وقال الحافظ ابن كثير: (ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما يُنهون عنه لكان خيراً لهم أي من مخالفة الأمر وارتكاب النهي وأشد تثبيتاً ، قال السُدي: أي وأشد تصديقاً ، وإذا لآتيناهم من لدنا أي من عندنا أجراً عظيماً يعني الجنة ، ولهديناهم صراطاً مستقيماً أي في الدنيا والآخرة).هـ. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ اقتصاص الخلق بعضهم من بعض ، ثم قال: فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا. ويهديهم ربهم بسبب إيمانهم بالله عز وجل. قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ). فَمَن هُدي في هذه الحياة الدنيا هُديَ في الآخرة ، (وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً). وقد قال الله في أهل الجحيم: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ). والمقصود بكلمة أَزْوَاجهم: أي نظراءهم وأشباههم وأشياعهم وأضرابهم. ومن هنا رُحتُ أبارك لهذا الصبي الميمون المبارك الطيب أن هدى الله الأسرة كلها من أكبرها إلى أصغرها ببركة تصرّفه وحكمة رأيه وحِرصه على أهله ولين دعوته وخالص دعائه وجعلتُ هذا الإطراء وهذه المباركة في قالب قصصي!)

91 - بحرُ الظلمات

(حاورتُ أحد الهندوس الصرحاء. وكان يعمل فراشاً في مدرسة أم القرى معنا هنا في أم القيوين. وكان جامعياً ، ولمّا لم يجد عملاً مناسباً ، عمد إلى هذه المهنة الوضيعة! وكان كلما اختلف مع أحدنا أو نال منه أحدنا أخرج شهادته الجامعية الموثقة من جيبه وقال: أنا جامعي مثلك. وناقشته ذات يوم في الآلهة التي يعبدها فقلت: كم عدد الآلهة التي تعبدها وتدين لها؟ فقال: (هي سبعة) ، فقلت: ولماذا سبعة آلهة تحديداً؟ فقال: (بعدد أيام الأسبوع!). فقلت: تعني أن كل إله له يوم يُعبد فيه! فأجاب: نعم. فقلت: وماذا يفعل الإله في اليوم الذي لا يُعبد فيه؟ فقال: يرتاح! فقلت مِن ماذا؟ فقال: من عبادة الناس له! فقلت: إنما يتعب العابد في بذل نسك العبادة ، فما بال المعبود يتعب من عبادة غيره له! ثم هل جدير بالعبادة من يتعب؟! فقلت: فلماذا البقرة على ما نسمع من بين آلهتكم؟ فعلق: بل هي أعظمها! فقلت: إذا كانت المسألة في

القوة تكمن ، فالأسد أقوى من البقرة. وعلى هذا فالأسد أولى بأن يُعبد بزعمكم! وإن كانت المسألة تكمن في الحجم ، فالحوت الأزرق أكبر وأقوى. إذِ الحوت الأزرق يستطيع أن يقلب عبّارة تمخر عُباب الموج في عرض البحر ، فهل تستطيع ذلك قطعان البقر مجتمعة؟! وإذن فالحوت أولى بالعبادة بزعمكم! فبهت الذي كفر ، وفكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر! نعم استكبر عن الاعتراف بالهزيمة في ذلك السجال الفكري الاستقرائي الرياضي البحت! وقال سوف أفكر في الأمر. وبعد حين راجعته في الأمر ، زاعماً أن ذكاءه الحاد وتفكيره الرياضي القياسي وشهادته الجامعية يمكن أن تهديه هذه الأشياء إلى الحق! ولكن هيهات هيهات ، الهداية توفيق محض من الله تعالى. إذ فاجأني بقوله: هذا دين آبائي وأجدادي وعائلتي ، فكيف أتركه لقول أحد كائناً من كان؟ قلت: إنها السنن. قال الشيخ زين العابدين كامل الداعية السلفي كلاماً عن الجدال ، نورد بعضه هنا بتصرف يسير: (أحيانًا أخرى يؤدي الحوار إلى التفاهم ، مضيفاً" ثمة فرق بين الجدال والحوار عند البعض ، فالحوار وسيلة مهمة مِن وسائل الدعوة إلى الله والوصول إلى الحق ، والحوار فن من الفنون ، له أصول وأركان ، وضوابط وآداب ، وقد ورد لفظ الحوار في القران العظيم ، والحوار هو مناقشة هادفة بغرض الوصول لرأي يتفق عليه الطرفان باستخدام أسلوب راق في الحديث بهدوء وأدب دون خروج الانفعالات عن حدها الطبيعي الذي قد يصل لدرجة النزاع والخصومة! وأضاف " الحوار يغلب عليه الهدوء والبُعد عن الخصومة والتعصب ، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه أما الجدال فهو التباري مع الخصم وتبادل الحجج معه ؛ لإثبات المنهج والمعتقد ، وهنا مكمن الخطورة ، أو الشعرة الفاصلة بين النية الحسنة في الجدال والنية السيئة فيه ؛ لأن المجادِل يبحث عن النصر والتفوق في الجدال ، فإن كان الجدال انتصارًا للذات كانت النية سيئة ، وإن كان انتصارًا للحق كانت النية صالحة ، وقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم عشرات المرات كلها في سياق الذم ، إلا في ثلاثة مواضع وهي: قوله – تعالى -: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، أما بقية المواضع في القرآن الكريم: فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدال ، وإما عدم جدواه ، أو لأنه يفتقد شروطًا أساسية كطلب الحق أو الجدال بغير علم أو يطلقه الكفار على الرسل كما قال – تعالى -: (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) وتابع: والجدل قيد بالحسنى كما في قوله – تعالى -: (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (إن لفظة الجدل غالبًا مذمومة إلا إذا قيدت ببعض الضوابط ؛ ومما يؤكد ذلك ما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم-: (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلا أُوتُوا الْجَدَلَ) ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) والقرآن الكريم يدعونا إلى الجدال بالتي هي أحسن باعتبار الجدال وسيلة لهداية البشرية ، وإصلاح النفوس ، وعلاج الأمراض ، واستمالة القلوب. وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يجادل أهل الكتاب والمشركين بالتي هي أحسن ؛ فهو خير مَن نصح وأرشد وأفصح ، وخير مَن حاور وناقش ، فكان عفَّ اللسان ، قوي الحجة ، سديد القول ، مالكًا للحكمة ، شديد التأثير في سامعيه. والإنسان خُلق جهولاً ، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا). وليس جهل الإنسان بحكم مسألة عيبًا فيه ، بل العيب أن يجادل فيها بالباطل. فعلى الإنسان أن يحرص على التعلم ، وألا يتكلم فيما لا يحسن ، فقد كان أهل العلم يحرصون كثيرًا على رد العلم إلى الله في المسائل. فالأفضل للإنسان أن يغلق باب الجدل إلا أن يحتاج للرد على كافر أو صاحب بدعة ، ولكن لا تبقى هذه عادة الإنسان في كل وقت ، ولكن إن احتاج

إلى ذلك فعل ، ولا يرضى أن تكون كثرة الجدل طبيعة في نفسه أبدًا! فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا)هـ. وأشكر للأستاذ فلسفته التي اتبعتها مع غير المسلمين!)

92 - بخواتيمها الأعمال

(إن حكاية جَبَلة ابن الأيهم مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - لتدل دلالة واقعية على أن الأعمال بخواتيمها. قال أحمد بن عمر الكوفي بأن جبلة بن الأيهم (آخر ملوك الغساسنة الذي شارك الروم في معركة دومة الجندل واليرموك ، أسلم في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم ارتدّ وقصد القسطنطينية وفيها توفي) كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يطلب إذنه في القدوم عليه مُسلماً ، فسُرّ عمر بذلك وكتب إليه أن يُقدّم ويُسْلم وله ما لنا وعليه ما علينا. فخرج جبلة في جمع كثير من سائر العرب ، فلما قرب من المدينة ألبس القوم حُللاً من الذهب ومطارق مُوَشّاة ، وجَلل الخيل بجلاجل الأطلس ، ولبس جبلة تاجاً نفيساً وفرح المسلمون بإسلامه وقدومه ، وكان يوماً مشهوداً ، فدخل المدينة وأسلم ، وأقام بالمدينة المُنورة ، وتعلم شرائع الإسلام. فلمّا كان أوانُ الموسم خرج عمر - رضي الله عنه - إلى الحج ، وخرج جبلة معه يريد مكة والوقوف بعرفة ، فبينما جبلة بن الأيهم يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجلٌ من بني فزارة فحلهُ ، فالتفت جبلة إلى الرجل فلطمه لطمة هشم بها أنفه ، فاستعدى الفزاري عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأرسل عمر إلى جبله فأحضره ، فحضر إليه فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا الرجل الفزاري؟! قال: لأنه وطئ على إزاري فحلّه ، ولولا حُرمة هذا البيت لأطحتُ برأسه ، قال له عمر: أما أنت فقد أقررت بفعلتك فإما أن ترضيه وإما القصاص ، قال: أوَتقتصّ له مني وهو وسُوقة وأنا جبلة بن الأيهم ملك غسان؟ قال له عمر - رضي الله عنه -: إنه قد جمعك وإياه الإسلامُ فلا فضل لك عليه فى القصاص. قال جبلة: لقد رجوتُ أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية! قال له عمر: دع عنك ذلك. قال: إذن أتنصّر! فقال عمر: إن تنصرت ضربت عنقك. قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة ، فقال جبلة: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين! قال له عمر: لك ذلك. فلمّا كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة والمدينة ، فلم يزالوا حتى دخلوا القسطنطينية على "هرقل" فتنصرّوا جميعاً ، فأقطعه من الأراضي وأوقف عليه من الرباع ، قال: وبعث عمر - رضي الله عنه - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، فأجابه إلى المصالحة على غير الإسلام ، فلمّا أراد أن يكتب لعمر جوابه قال للرسول: اذهب إلى جبلة بن الأيهم الذي أتانا من عندهم وتنصّر ، قال: فذهب إليه الرسول ، فإذا على رأسه من القهارمة (جمع قهرمان وهو أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه) والحُجّاب والحَفدة (جمع حافد وهو الخادم) ما لا يوصف. فاستأذن عليه ودخل إليه ، فإذا هو على سرير من بلور قوائمه من ذهب ، فلمّا رآني عرفني وأدناني وأجلسني إلى جانبه وأخذ يسألني عن المسلمين واحداً بعد واحد ورجلاً رجلاً فأقول له بخير تركتهم ، قال: وكيف تركت عمر؟! قلت بخير ، ثم نزلت عن السرير ، فلما نزلت قال لي: لم تأبى الكرامة التي أكرمتك بها؟! فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن مثل ذلك الصنيع. قال: نعم ﷺ ، ولكن ثق بنبيك ، واجلس على ما شئت ، قال الرسول: فلمّا سمعته يصلي على النبي ﷺ طمعت في إسلامه وقلت له: يا جبلة هل لك في الإسلام والرجوع إليه؟! قال: أبعد ما كان مني؟! قلت:

نعم! وقد فعل رجل قبلك من بني فزارة أكثر مما فعلت! ارتدّ عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم عاد إلى الإسلام وقُبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً وهو فلان بن فلان ، قال جبلة: لا أعود إلا أن يزوجني عمر ابنته ويوليني العهد ، قال الرسول: فضمنت له التزويج ولم أضمن له الخلافة. ثم دعا بموائد الطعام فأحضرت أطباق من فضة وصحاف من ذهب فيها الطعام ، فقال لي كُل ، فقبضت يدي وقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في مثل ذلك ، فقال: نعم ﷺ ودعا بقصعة من خلنج (شجر وهو معرّب كما جاء في القاموس) فأكلت فيها وكان بحضرته جوار يُغنين من الشعر وبأيديهن الأعواد والأراغل (جمع أرغول) فقال لي: أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلتُ: لا ، قال إن هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري كيف حاله يا ترى؟ فقلت له: قد كف بصره ، قال: فأمر لي بكسوةٍ ومال ونوق موفورة ، ثم قال لي: خذ هذه فإن وجدت حساناً حياً فسلمها إليه ، وإن وجدته ميتاً فادفع المال لأهله ، وانحر النوق على قبره وقل:

تنصرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرت لها ضررُ!

تكنفني فيها لحاجٌ - ونخوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلدني! وليتني ... رجعتُ إلى القول الذي قال لي عمر!

ويا ليتني أرعى المَخاض بقفرةٍ ... وكنتُ أميراً في ربيعة أو مُضر

قال الرسول: فأخذتُ الهدية ورجعتُ إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبرته بصورة الأمر! وقال: هلا ضمنت له ذلك؟! فإذا فاء إلى الإسلام وتأنس به قضى الله بحكم فينا وفيه ، ثم ذكر له هدية حسان فأنفذ عمر إلى حسان قال: يا أمير المؤمنين إني لأجد ريح غسان ، قال: نعم ، هذا رجلٌ قدِم علينا من عندهم ، قال: هات يا ابن أخي ما معك ، فقال الرسول: ومن أعلمك أن معي هدية؟ قال: يا ابن أخي إن جبلة كريم من عُصبة كِرام مدحتهم في الجاهلية فأعطاني وحلف أن لا يلقى أحداً يعرفه بمكاني إلا سيّر معه هدية ، قال فدفعت له المال والإبل ، ثم أعادني عمر إلى القسطنطينية لأضمن لجبلة التزويج والأمر ، فلمّا قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فأعلمت أن الشقاء قد غلب عليه في أم الكتاب).هـ. (المختار من نوادر الأخبار 78 – 76.) وعموماً الهداية من الله نعمة كبيرة ، ونعمة أكبر منها الثبات على ذلك الحق حتى لقاء الله تعالى! وتحت عنوان: (الثبات على الحق) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (كثرت حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات حتى بين بعض العاملين للإسلام مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى برٍ آمن. ارتباط الموضوع بالقلب ؛ الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه: «لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً». رواه أحمد ، والحاكم ، وهو في السلسلة الصحيحة. ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول: «إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن». رواه أحمد ، وهو في صحيح الجامع. فتثبيت هذا المتقلب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها. ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في

كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته صلى الله عليه وسلم وسائل كثيرة للثبات. أولاً: الإقبال على القرآن. القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى ، وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ، من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب منجماً مفصلاً هي التثبيت ، فقال تعالى في معرض الرد على شُبه الكفار: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}. وعلى رأسها الصبر ، ففي حديث الصحيحين: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر». (رواه البخاري في كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة ، ومسلم في كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر). وأشد الصبر عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عدم الصبر. تأمل فيما قاله ابن الجوزي رحمه الله: "رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة فمات ولد لابنته ، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو ، فإنه ما يستجيب. ثم قال: إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولداً". (الثبات عند الممات لابن الجوزي ص34) - تعالى الله عن قوله علواً كبيراً -. ولما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}. ماذا حصل من عند أنفسهم؟ فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا. وقال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون: "صرنا إلى الرحبة منها في جوف الليل ، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا. فقال للجمال: على رسلك. ثم قال: يا هذا ، ما عليك أن تُقتل ها هنا ، وتدخل الجنة ، ثم قال: أستودعك الله ، ومضى. فسألت عنه ، فقيل لي هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف في البادية يقال له: جابر بن عامر يُذكر بخير". (سير أعلام النبلاء). وفي البداية والنهاية: أن أعرابي قال للإمام أحمد: "يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله ، فاصبر على ما أنت فيه ، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل" ، قال الإمام أحمد: وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه. (البداية والنهاية). وفي رواية أن الإمام أحمد قال: "ما سمعت كلمة وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق وهي بلدة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، قال: يا أحمد إن يقتلك الحق متّ شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً. فقوي قلبي". ويقول الإمام أحمد عن مرافقة الشاب محمد بن نوح الذي صمد معه في الفتنة: "ما رأيت أحداً - على حداثة سنه ، وقدر علمه - أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير. قال لي ذات يوم: "يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، قد مد الخلق أعناقهم إليك ، لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله. فمات وصليت عليه ودفنته". (سير أعلام النبلاء). وحتى أهل السجن الذين كان يصلي بهم الإمام أحمد وهو مقيد ، قد ساهموا في تثبيته. فقد قال الإمام أحمد مرة في الحبس: "لست أبالي بالحبس - ما هو ومنزلي إلا واحد - ولا قتلاً بالسيف ، وإنما أخاف فتنة السوط". فسمعه بعض أهل الحبس فقال: "لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ، ثم لا تدري أين يقع الباقي". فكأنه سُرِّي عنه (سير أعلام النبلاء). فاحرص أيها الأخ الكريم على طلب الوصية من الصالحين وأعقلها إذا تليت عليك. واطلبها قبل سفر إذا خشيت مما قد يقع فيه ، واطلبها أثناء

ابتلاء ، أو قبل محنة متوقعة ، واطلبها إذا عُينت في منصب أو ورثت مالاً وغنى ، وثبت نفسك وثبت غيرك والله ولي المؤمنين).هـ. وإذن فجبلة بن الأيهم لو سأل الله تعالى التثبيت لثبته الله ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه ، فحُرم التثبيت ، وذاق لذة المعصية!)

93 - بداية الهزيمة

(يقولون: لا أحد يحب أن يتفوق غيره عليه إلا الأب فإنه يحب ذلك لابنه. وأنا أقول: ولا أحد يحب أن يتفوق غيره عليه إلا المعلم ، فإنه يحب ذلك لتلميذه. ولكنْ أحياناً تأخذ المعلم الغيرة فينهزم أمام تفوق تلميذه. وتحت عنوان: (كيف يكون المعلم أساساً في حب الطالب لمادته ومدرسته؟) يقوم الأستاذ مجد جابر بهذا البحث الميداني والمسح التشخيصي لعدد من الطلبة والطالبات لبيان العلاقة بين حب الطالب للمعلم ومن ثم حب مادته العلمية ، ويخلص فيه إلى مجموعة من النقاط يلخصها ويختصرها لنا هذه المقتطفات من مقاله: (لطالما كان الطالب محمد سيف ، مبدعاً في مادة اللغة الإنجليزية ، لأنه أحب معلمته كثيراً ، وكان يريد دوماً أن يُثبت لها تفوقه ، وأنه متميز عن باقي أقرانه ، وأن تدريسها له لم يذهب سُدى. محمد الذي درّسته معلمته لثلاثة صفوف متتالية ، أصبح محباً للغة الإنجليزية ، يقرأ بها دوماً ، وامتد هذا الشيء معه لاحقاً ، واختار في الجامعة أن يدرس الأدب الإنجليزي ، لأن معلمته جعلته يحب هذه اللغة. يتذكر محمد (24 عاما) كيف كان أسلوب معلمته شيقاً ، وكانت تتبّع مع الطلبة أساليب غير مُمِلة ، وتعطيهم اختبارات تنمّي مداركهم بدون الاعتماد على مبدأ التلقين فقط ، بل كانت تحفز حواسهم ، وتشجعهم على القراءة ، وحل الواجبات بأسلوب مميز. وفي المقابل تتذكر الطالبة رندة ، كيف كانت تنفر من مادة الرياضيات ، لأن معلمتها كانت صعبة التعامل وشديدة ، لا تتحاور مع الطالبات اللواتي يخفن التحدث معها ، وحينما تخطئ أي طالبة تتعرض لعقاب قاس. أسلوب معلمتها جعلها تكره تلك المادة ليستمر معها ذلك لباقي الصفوف ، وكانت تنجح بصعوبة بالغة. تقول: لم أحب تلك المعلمة. كنت أحب باقي المواد ، لكن حصة الرياضيات كانت تسبب لي عقدة ، وأنتظر اللحظة التي تنتهي بها ، وكانت معلمتي تتعمد أن تسمعني كلاماً جارحاً يقلل مني أمام زميلاتي ، مما زاد كرهي لها. والاختصاصيون يؤكدون دوماً أهمية أن يحب الطالب معلمه ، ويتشوق لأسلوبه ، لأن ذلك سيسهم بأن يحب المادة التي يعطيها المعلم ، والعكس صحيح ، فضلاً عن دور المجتمع بإظهار صورة المعلم الإيجابية وقدرته على صناعة أجيال الغد. واختصاصي المناهج وأساليب التدريس الدكتور عيسى الحسنات ، يؤكد أن ذلك مفتاح التعلم ، يكمُن في عملية الإعداد الحقيقي للمعلم لكي يكون ممارساً لهذه المهنة تكون في البداية ، وحينما يتجه لهذه المهنة يكون راغبا فيها ، وليس لأنها وظيفة فقط. ويبين أن كثيراً من المعلمين يبتعدون عن التعامل الإنساني مع الطلبة ، لذلك يحتاج المعلم إلى تدريب خاص للتفاعل الاجتماعي مع طلبته. ويضيف الحسنات أن المعلم بحاجة الى نماذج جيدة يحتذي بها ليكون قادراً على التواصل والتقارب مع الطلبة ، علّه يكون قدوة لهم ، مبيناً أهمية دور الأسرة عبر تقريب مفهوم المعلم للأبناء ، وليس استخدام صورة المعلم بالطريقة السلبية لإخافة الطلبة منه ، بل رسم صورة إيجابية عنه في مجتمعه ، وبأهمية دوره في صناعة جيل المستقبل. وفي ذلك يذهب الاختصاصي النفسي والتربوي موسى مطارنة إلى أن علاقة المعلم بطالبه ، ترتبط بالمراحل النمائية والعمرية للطالب ، فالطالب يأتي للمدرسة وهو بحاجة للاحتواء ، وبالتالي لا بد على المعلم أن يتحلى بالصفات والصور التي تناسب هذه المرحلة العمرية. وعلى المعلم أن

يمتلك مهارات وقدرات تزرع الحب والمودة بينه وبين الطالب ، وأن يتعامل بأسلوب سلس يزيد من ثقة الطالب بنفسه ، هذا كله يزيد من دافعية الطالب وثقته وحبه للقدوم إلى المدرسة ، مبيناً أنه يجب على المعلم أن يعرف شخصيات الطلاب ويتعامل مع أنماطها المختلفة. ويبين مطارنة أن المعلم هو المسؤول عن صناعة طالب ناجح مبدع ، يحفز الصفات الإيجابية الجيدة لديه. فيما يذهب الاستشاري الأسري الأستاذ أحمد عبد الله إلى أن حب الطالب للمعلم يقسّم إلى نوعين ؛ الأول أن يحب الطالب المعلم لأنه يُشبه أحداً ذا قيمة لدى الطالب ، والنوع الثاني من الحب وهو ردّة فعل لكثير من التصرفات التي يقوم بها المعلم وتتعلق عادة بالفهم النفسي من قبل المعلم لشخصية الطالب والتعامل معه ليس بناء على ما يظهره من سلوكيات أكاديمية ، إنما يتصرف معه بناء على إيمانه بأن هذا الطالب لديه إبداع وإمكانات مخفية يجب أن تظهر. ويضيف أن سلوك الاحتواء والتفهم الذي يقوم به المعلم أيضا ، لا ينفصل عن تعامل المعلم مع الطالب على أنه كائن مستقل بطبعه شعورياً وانفعالياً).هـ. أشكر الباحث المحترم مجد جابر على هذا المسح الجيد! وإن هذه القصة تعتبر ترجمة لفرط تأثري به والذي من أجله كتبتُ القصة!)

94 - بداية الهزيمة التكلف

(تطوعَ ذلك الطيبُ الصالحُ أن يحكم بين اثنين قد أكل الخلاف ودهما في قضية ما. وقبل سماع الطرف الثاني ، تسرع فحكم للأول. فكان تكلفاً مذموماً ممقوتاً ، كاد أن يقود إلى الهزيمة لولا أن الطرف الثاني رفض التحكيم أصلاً. فكتبتُ للحكَم هذه القصيدة على البحر المتقارب كي يعتبر من قصة داوود - عليه السلام – مع الخصم اللذيْن تسورا عليه محرابه - ذات يوم - يقول الله تعالى في سورة ص: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ). والمعنى كما يورده (التفسير الميسر): (وهل جاءك - أيها الرسول- خبر المتخاصِمَين اللذَيْن تسوَّرا على داود في مكان عبادته ، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تَخَفْ ، فنحن خصمان ظلم أحدنا الآخر ، فاقض بيننا بالعدل ، ولا تَجُرْ علينا في الحكم ، وأرشِدنا إلى سواء السبيل. قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج ، وليس عندي إلا نعجة واحدة ، فطمع فيها ، وقال: أعطنيها ، وغلبني بحجته. قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيرًا من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض ، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه مِن نفسه إلا المؤمنين الصالحين ، فلا يبغي بعضهم على بعض ، وهم قليل. وأيقن داود أننا فتنَّاه بهذه الخصومة فاستغفر ربه ، وسجد تقربًا لله ورجع إليه وتاب).هـ. وهكذا تنصلح ذات البين بين المسلمين! بين دفتين الأولى: (وإذا قلتم فاعدلوا) ، والثانية: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)! إن إصلاح ذات البين يقوم على العلم والتقوى والرفق والتيسير والحكم بالعدل وقول الحق! وتحت عنوان: (إصلاح ذات البيْن) يقول الأستاذ خالد بابطين ما نصه: (قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: [ولا تخزني يوم يُبعثون* يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم]. والمراد بالقلب السليم هاهنا: ذلك القلب الذي سلم من الشرك كبيره وصغيره ، وسلم من النفاق والبدعة ، ومن الغل والحسد

على إخوانه المؤمنين. ولذا كان أصحاب الجنة متصفين بهذه الصفة: [ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرر متقابلين]. إنَّ الله بعث الله محمداً رضي الله عنه رحمةً وهدى ، فلقد وَسِعَ خلقه الناس سهولةً ورفقاً ، ونضحتْ يداه بالعطايا كرماً وجوداً ، أبرّهم قلباً ، وأصدقهم لهجةً ، وأقربهم رحماً. وإنَّ من أخصّ خصائصه وأكرم سجاياه ؛ أنْ لازمته تلك الفضائل الزاكية ، والأخلاق العالية في أشدّ الأوقات وأحلك الظروف ، شُجّ رأسه، وكُسرت رباعيته في غزوة أحد ، فقيل له في هذا الحال العصيب: ألا تدعو على المشركين؟ فما هو إلا أن تدفّق رفقه وطغت رحمته ، وفاضت طبيعته العالية وسجيته الكريمة بما يلتمس فيه العذر لهؤلاء ، فكان مما قال : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون». وقال في مقام آخر: «إنّما بُعثت رحمةً ولم أبعث لعّاناً». وصدق الله العظيم: {وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين}. ها هو - أبو الأنبياء - نوح عليه السلام يقول في مجادلته لقومه: {يا قوم ليس بي ضلالة ولكنِّي رسولٌ من ربِّ العالمين. أبلِّغكم رسالات ربِّي وأنصحُ لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون. أَوَعجبتم أنْ جاءكم ذِكرٌ من ربِّكم على رجلٍ منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون}. إنّه جواب ملؤه الرحمة والشفقة والصدق في النصح واللطف في الخطاب. وإذا نظرنا إلى موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام أدركنا أن الأمر كان كذلك: وليس بعد طغيان فرعون من طغيان وقد قال الله لموسى وهارون عليهما السلام: {اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً ليّناً لعلَّه يتذكّرُ أو يخشى}. إنها القلوب الكبيرة التي قلّما تستجيشها دوافع القسوة عن التعقّل والحِلم ، إنها إلى العفو والصفح أقرب منها إلى الانتقام والبطش. إنّ حقاً على المسلمين جميعاً أن يستصحبوا الرفق واللين في الأمر كله من غير مداهنة ولا مجاملة ، ومن غير غمط ولا ظلم. إنّ على الأب الشفيق والأم الرؤوم ، وإنّ على الأزواج وأصحاب المسئوليات أن يرفقوا بمن تحت أيديهم ، لا يأخذون إلا بحق ، ولا يدفعون إلا بالحسنى ، ولا يأمرون إلا بما يُستطاع: {لا يُكلِّفُ الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً}. ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه ، ولا نزع من شيءٍ إلا شانه ، وإنّ الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، بذلك صحّت الأخبار عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم).هـ. إن الحَكَم بين اثنين لا يجب عليه أبداً أن يتكلف لأي منهما ، ولا أن ينحاز لأحدهما على حساب الآخر للحظة واحدة! لأنه إن فعل شيئاً من ذلك ضاعت معالم الحق ، لأن حكمه سيكون مبنياً على انحيازه!)

95 - بدعٌ وجواب

(إن الابتلاء سُنة ماضية لا تتبدل ولا تتخلف أبداً. والتقي الزكي العبقري هو الذي يَثبتُ في الفتنه والبلاء. والسعيد من ثبته الله ، وتجاوز به الابتلاء ، وخرج به من الفتنة مؤمناً موحداً لم يذعن للباطل طرفة عين. وسبحان الله تتوالى المحن والفتن والابتلاءات في وقت حاجةٍ وعوذٍ ، وضيق لا يعلم إلا الله مداه. وعندما باشر المبتلى أسبابَ السقوط الرخيص في الفتنة والبلاء ، فإن الفتنه تكون أعتى وأشق. وإن رجلاً رزقه الله - برحمةٍ منه وفضل - لسانَ الأعاجم الذي يعلو اليوم في الأرض بغير الحق ، وذلك لعلو أهله وسلطانهم فيها أيضاً بغير حق ، لرجلٌ بلاؤه أشد وأعتى. ألا وإن كل لغة تسود وتعلو بعلو من يتحدث بها ، فعندما تقاعس أهل الايمان عن إيمانهم ، وتركوا الراية الحقة ، قام أهل الباطل وشمّروا عن سواعدهم وحملوا الراية. وإنني لأعرف رجلاً عاش ينافح عن القيم والفضائل ، ويذود عن المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة ، وكان قد جند يراعته وعزمه وبيانه وما يملك لخدمة الحنيفية السمحة عقيدة وشريعة وأتباعاً.

وشاء الله تعالى له الابتلاء والتمحيص. (أحسِبَ الناس أنْ يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ، (ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أوذي في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ، وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) ، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ، (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) ، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثلُ الذين خلوْا من قبلكم مستهم البأساءُ والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا أن نصر الله قريب) ، (أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون). يقول الأستاذ أبو فيصل البدراني في محاضرته: (فقه الابتلاء ، وأقدار الله المؤلمة) ما نصه: (والإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تسمى مراتب القدر ، وهي العلم والكتابة والمشيئة والخلق ، وأفعال العباد داخلة في عموم خلقه عز وجل ولا يُخرجها عن ذلك العموم شيء. ومفهوم هذه المراتب ما يلي: * أولاً العلم: فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم ، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم. * ثانياً الكتابة: فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة. * ثالثاً المشيئة: فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السموات والأرض فلا يكون شيء إلا بمشيئته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. * رابعاً الخلق: فنؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه ولما يكون من العباد فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده والله تعالى قد شاءها وخلقها ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى لأن العاصي يُقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قدَرها عليه ، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره ونؤمن بأن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً لأنه صادر عن رحمة وحكمة وإنما يكون الشر في مقتضياته ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شراً خالصاً محضاً بل هو شر في محله من وجه ، وخيرٌ من وجه ، أو شر في محله خيرٌ في محل آخر).هـ. وإذن: فإن الابتلاء سُنة ، والتمحيص ضرورة ، ليتميز الصف من النفاق. ولذا فلنستمع ماذا يقول الله تعالى: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) ، (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جنهم أولئك هم الخاسرون) ، وخلاصة القول أن ذلك الرجل كان من ابتلاءات الله له أن يأتيه في أوج محنته وابتلائه أحد من يعتقدون أنَّ المسيحَ ابن الله ، يعرض عليه أن يعمل عنده كمترجم للأفلام السينمائية مستغلاً فيه إجادته للإنجليزية ، وأغراه ، فثبتَ الله الرجلَ فأبى واستغفر واحتسب ، رغم حاجته الماسة إلى المال ، فكتبت له أحييه وأبارك له ثباته وصبره ، هذه القصة التي عنوانها: بدعٌ وجواب لتكون غرّة في جبين كرامته وإبائه ونوراً ليراعته. في صحيح الإمام مسلم بن الحجاج – رحمه الله - يذكر لنا حذيفة بن اليمان – رضي الله تعالى عنه – قوله: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ ، فقالَ: أيُّكُمْ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَذْكُرُ الفِتَنَ؟ فقالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْناهُ ، فقالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ في أهْلِهِ وجارِهِ؟ قالوا: أجَلْ ، قالَ: تِلكَ تُكَفِّرُها الصَّلاةُ والصِّيامُ والصَّدَقَةُ ، ولَكِنْ أيُّكُمْ

سَمِعَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَذْكُرُ الَّتي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ؟ قالَ حُذَيْفَةُ: فأسْكَتَ القَوْمُ ، فَقُلْتُ: أنا ، قالَ: أنْتَ لِلَّهِ أبُوكَ. قالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها ، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ. قالَ حُذَيْفَةُ: وحَدَّثْتُهُ ، أنَّ بيْنَكَ وبيْنَها بابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أنْ يُكْسَرَ ، قالَ عُمَرُ: أكَسْرًا لا أبا لَكَ؟ فلوْ أنَّه فُتِحَ لَعَلَّهُ كانَ يُعادُ ، قُلتُ: لا بَلْ يُكْسَرُ ، وحَدَّثْتُهُ أنَّ ذلكَ البابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ ، أوْ يَمُوتُ حَدِيثًا ليسَ بالأغالِيطِ. قالَ أبو خالِدٍ: فَقُلتُ لِسَعْدٍ: يا أبا مالِكٍ ، ما أسْوَدُ مُرْبادٌّ؟ قالَ: شِدَّةُ البَياضِ في سَوادٍ ، قالَ: قُلتُ: فَما الكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قالَ: مَنْكُوسًا. وفي رواية: لَمَّا قَدِمَ حُذَيْفَةُ مِن عِندِ عُمَرَ جَلَسَ ، فَحَدَّثَنا ، فقالَ: إنَّ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ أمْسِ لَمَّا جَلَسْتُ إلَيْهِ سَأَلَ أصْحابَهُ ، أيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في الفِتَنِ؟ وساقَ الحَدِيثَ بمِثْلِ حَدِيثِ أبِي خالِدٍ ، ولَمْ يَذْكُرْ تَفْسِيرَ أبِي مالِكٍ لِقَوْلِهِ: مُرْبادًّا مُجَخِّيًا. وفي رواية: أنَّ عُمَرَ قالَ: مَن يُحَدِّثُنا ، أوْ قالَ: أيُّكُمْ يُحَدِّثُنا - وَفيهم حُذَيْفَةُ - ما قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في الفِتْنَةِ؟ قالَ حُذَيْفَةُ: أنا ، وساقَ الحَدِيثَ كَنَحْوِ حَدِيثِ أبِي مالِكٍ ، عن رِبْعِيٍّ ، وقالَ في الحَدِيثِ: قالَ حُذَيْفَةُ: حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا ليسَ بالأغالِيطِ ، وقالَ: يَعْنِي أنَّه عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ.)

96 - بدوية تأبى السقوط

(توفي عنها زوجها وهي صبية. ولها منه أولاد وبنات فتأيمتْ من أجلهم. وراودها جارها عن نفسها ذات يوم بصور شتى. فقالت: ما خنتُ زوجي وهو حي ، فهل أخونه في عِرضه وهو ميت؟ إنها الأيومة حتى الموت. ولا لن أسقط ولو قتلت. وسوف أعتز بديني وخوفي من الله حتى ألقاه. والأصلُ أن يحافظ الجار على جارته ، ويدخر لها ما يدخر لابنته. أما أن يراود الجار جارته مستغلاً حاجتها وموت زوجها ، فتلك نذالة وخِسة ودناوة لا أجد من الكلمات والأساليب ما به أعبّر عن حاله وصفاته. فتخيلتها تصف هذا الموقف ، وتستعز بعفافها وشرفها وعفتها ، وتثبت لنفسها ولمن يراودها ، أنها الأقوى ، وأنها الأشرف ، وأنها الأجدر بالعزة والكرامة مهما كانت التكاليف والتحديات والتضحيات! ورحت أصوغ وصفها قصصياً!)

97 - بُردة أبي بكر الصديق

(منذ زمن بعيد كتب الشاعر العراقي الدكتور عباس الجنابي قصيدته: (الثاني اثنين) يُطري فيها أبا بكر الصديق – رضي الله عنه -. والتي يقول مطلعها:

الثـــاني اثنـــين تبجـــيلاً لـــه نقـــفُ تعظيمُـــه شـــرفٌ مـــا بعـــده شـــرفُ

هـــو الـــذي نصـــر المختـــار أيـــده مصـــدقاً حيـــث ظنـــوا فيـــه واختلفـــوا

إلى أن ختمها الدكتور الجنابي بقوله منتصراً للصديق من أعدائه وخصومه:

يـــا ســـيدي قلـــتُ: عهـــدُ الله يُلزمُنـــي مـــن كـــل أخـــرقَ ســـباب سأنتصـــفُ

إن الكتابة عن الصديق أبي بكر – رضي الله تعالى عنه - شرفٌ كبيرٌ لكاتبها! وإن الذود عنه وسله سلا من ألسنة الحاقدين المغرضين الكارهين أعدائه ، عبادة من العبادات وشعيرة من الشعائر يُثاب عليها فاعلها! ولقد احتارت الأقلام منذ فجر التاريخ في وصف الصديق وبيان كُنه وسبر أغوار خصائصه العظيمة! ولعل أصدق ما يوصف به الصديق قول الأديب الكبير محمد حسين هيكل – رحمه الله تعالى -: "هذا الرجل الوديع السمح الأسيف ، السريع إلى التأثر ، وإلى مشاركة البائس في بؤسه والضعيف في ضعفه ، تنطوي نفسه على قوة هائلة لا تعرف التردد ولا الإحجام ، وعلى قدرةٍ ممتازةٍ في بناء الرجال ، وفي إبراز مَلكاتهم ومواهبهم ، وفي دفعهم إلى ميادين الخير العام ، يُنفقون فيها كل ما أتاهم الله من قوة ومقدرة". فمن هو الصديق؟ إنه الصحابي الجليل ذو القدر النبيل عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وينتهي نسبه إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ويلتقي في نسبه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) عند مرة بن كعب ، ومن هذا المنطلق يمكننا بسهولةٍ ويُسر أن نعتبر نبينا – صلى الله عليه وسلم – والصديق أبا بكر – رضي الله تعالى عنه – أبناء عمومة! ويُنسب إلى "تيم قريش" ، فيقال: "التيمي". وكان أبو بكر يُسمَّى في الجاهلية "عبد الكعبة" ؛ فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) عبد الله ، ولقّبه عتيقاً ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: أنت عتيقٌ من النار. وقيل لجمال وجهه وقيل لأنه لم يكن في نسبه شيءٌ يُعاب به ، كما سُمِّي بالصدّيق لتصديقه خبر الإسراء والمعراج! وقِيل كان يُسمى بالصديق في الجاهلية لأنه لم يكذب قط. وأمه سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وهي بنت عم أبيه ، وتُكنَّى أم الخير. يصف الأستاذ الأديب سمير حلب نشأة الصديق العصامية فيقول ما نصه بتصرفٍ يسير: (نشأ أبو بكر في مكة المكرمة ، فلما جاوز الصبا إلى الشباب عمل في التجارة ، فكان بزازًا يبيع الثياب ، واستطاع أن يُحقق نجاحًا كبيرًا في تجارته ، فتزوج في بداية شبابه من قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله ، وأسماء (رضي الله عنهما) ، ثم تزوج بعد ذلك من أم رومان بنت عامر بن عويمر ، فأنجب منها عبد الرحمن ، وعائشة (رضي الله عنهما). وكانت تجارته تزداد اتساعاً وتزيد معها أرباحه وثروته ، وقد هيأت له شخصيته القوية وأخلاقه الكريمة بعض أسباب نجاح تجارته ، فقد كان رجلاً رضي الخلق ، رقيق الطبع ، رزينا لا يغلبه الهوى ، ولا تملكه الشهوة ، يتميز برجاحة العقل وسداد الرأي ، وكان لا يشارك قومه في عقائدهم وعاداتهم ، فلم يشرب خمرًا قط في الجاهلية ، وكان وجيهاً من وجهاء قريش ورؤسائها ، عارفاً بالأنساب بل أعلم قريش بها ، وقد كانت إليه الأشناق (الديات) في الجاهلية. وقد عاش أبو بكر في حي التجار والأثرياء في مكة ، وهو الحي الذي كانت تعيش فيه خديجة بنت خويلد ، ومن هنا نشأت الصداقة بينه وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان - لتقاربهما في السن وفي كثير من الصفات والطباع - أكبر الأثر في زيادة الألفة بينهما ، فقد كان أبو بكر يصغر النبي (صلى الله عليه وسلم) بنحو عامين. وحينما بُعث النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كان أبو بكر أول من آمن به ، وما إن عرض عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) الإسلام حتى أسلم ، ولم يتردد لحظة في الإيمان به ، وشارك منذ اللحظة الأولى في الدعوة إلى الله بنفسه وماله ، وكان لحب الناس له وإلفهم إياه أثرٌ كبيرٌ في استجابة الكثيرين منهم للإسلام ؛ فقد أسلم على يديه عدد من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ،

والزبير بن العوام ، وغيرهم كثيرون من أهل مكة. وكان إيمان أبي بكر قويًا عظيمًا ، يتعدى كل الحدود ، وتسليمه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) يفوق كل وصف ، ولعل أصدق ما يوصف به قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم حين ذكرت له ، وما تردد". ولعل مرد العجب هنا يكمن في شخصية أبي كبر ذاتها ؛ فهو مع حكمته ورجاحة عقله وجرأته تاجرٌ تقتضي منه تجارته أن يضع حساباً لصِلاته بالناس ، وعدم مواجهتهم بما يخالف مألوف آرائهم وعقائدهم ؛ خشية ما يجره ذلك على تجارته ، ومعاملاته ، ولكنه ارتفع بنفسه فوق ماديات الحياة ، وآثر العقيدة الصحيحة على زيف الحياة وبهرج متاعها. وكان لإسلام أبي بكر دورٌ كبيرٌ في تثبيت دعائم الدين الجديد ، والتمكين له ؛ فهو لم يقف من تأييد الإسلام ونصرته عند حدود الدعوة والإقناع لكسب مزيد من الأتباع ، وتعزية الأرقاء والمستضعفين من المسلمين الذين يُلاقون الكثير من العنت والاضطهاد والتعذيب من الكفار والمشركين ، وإنما كان يبذل من نفسه وماله ؛ فقد أعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يُعذّبون في الله ، منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة. حتى إنه أنفق ثروته التي اكتسبها من تجارته ، والتي كانت تقدر بنحو أربعين ألف درهم. أنفقها كلها في سبيل الله ، فلما هاجر إلى المدينة بعد نحو عشر سنوات لم يكن معه من ذلك كله غير خمسة آلاف درهم. وقد ذكر له النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك وأثنى عليه فقال: "ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر". وكانت حادثة الإسراء امتحاناً حقيقياً لإيمان المسلمين في صدر الدعوة ، فبعد وفاة أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ووفاة خديجة زوجة النبي (رضي الله عنها) ، وقد كانا نعم العون له في دعوته ، وبعد ما لقيه (صلى الله عليه وسلم) من إعراض أهل الطائف وتعرضهم له وتحريضهم سفهاءهم وصبيانهم عليه - أراد الله تعالى أن يُسرِّي عن نبيه ، فأسرى به إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء ، ولكن الكفار والمشركين اتخذوا هذه الحادثة مثاراً للتندر بالنبي (صلى الله عليه وسلم) والسخرية منه ، والتشكيك في دعوته ، وقد انساق وراءهم بعض ضعاف الإيمان ، ممن أسلموا ، وتردد آخرون ، فلما جاء أبو بكر إلى المسجد واستمع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يصف بيت المقدس ، وكان قد زاره من قبل صدّقه في وصفه الذي طابق ما رآه ، فأخرس ذلك ألسنة المشركين ، وثبّت قلوب المؤمنين وأعاد الثقة في نفوسهم ، وقضى على البلبلة التي أراد هؤلاء المشركون إثارتها).هـ. وكأني بأبي بكر – رضي الله تعالى عنه – يُعده الله إعداداً ليكون له هذا الدور البالغ من نصرة الإسلام ونبيه وكتابه والمؤمنين به فيما بعد! ودوره في الهجرة إلى المدينة درٌ كبيرٌ وعظيمٌ للغاية! فلقد ازداد تعرض المشركين للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، وهاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة ، ولكن أبا بكر – رضي الله تعالى عنه - بقي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة ظل أبو بكر – رضي الله تعالى عنه - إلى جوار النبي (صلى الله عليه وسلم) ينصره ويسانده في دعوته. وظل أبو بكر في مكة ينتظر اليوم الذي يهاجرُ فيه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، بعد أن سبقهما المسلمون إليها ، حتى أذن الله لنبيه بالهجرة. وكان أبو بكر قد أعد العُدة لهذا اليوم ، وجهَّز راحلتين للهجرة إلى المدينة ، وفي الثلث الأخير من الليل خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من داره بعد أن أعمى الله عيون فتيان قريش المتربصين حول الدار يريدون الفتك به ، وكان أبو بكر في انتظاره وهو يغالب قلقه وهواجسه ، فخرجا إلى غار ثور ليختبئا فيه حتى تهدأ مطاردة قريش لهما. ووصل المشركون إلى الغار ، وصعد بعضهم أعلى

الغار للبحث عنهما ، ولم يدر بخلد أحد منهم أنه لا يفصلهم عن مطارديهما سوى ذلك النسيج الواهن الذي نسجته العنكبوت على فتحة الغار. ونظر أبو بكر الصديق إلى أقدام المشركين على باب الغار ، فهمس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ، فرد النبي (صلى الله عليه وسلم) بإيمان وسكينة: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟". حتى إذا ما يئس المشركون من العثور عليهما انصرفوا راجعين ، فخرجا من مخبئهما يكملان الطريق إلى المدينة. وعاش أبو بكر – رضي الله تعالى عنه - في المدينة حياة هادئة وادعة ، وتزوج من حبيبة بنت زيد بن خارجة فولدت له أم كلثوم! ثم تزوج من أسماء بنت عميس فولدت له محمدًا. وظل أبو بكر إلى جوار النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، بل كان أقرب الناس إليه حتى تُوفي (صلى الله عليه وسلم) في (12 من ربيع الأول 11هـ = 3 من يونيو 632م). وكان لوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقعٌ شديدُ القسوة على المسلمين ؛ فقد أصابهم الذهول ودارت الدنيا من تحت أقدامهم غير مصدقين ، أو أنهم لا يريدون أن يصدقوا ذلك الخبر ، حتى إن عمر بن الخطاب ذهب به الغضب مذهباً كبيراً ، وراح يتوعد الذين يرددون ذلك الخبر ، ويأخذ به الجزع فيقول: ما مات رسول الله ، وإنما واعده الله كما واعد موسى ، وليرجعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليقطعن أيدي أناس وأرجلهم. ولكن أبا بكر برغم ما عُرف به من الرقة والوداعة ، يقف قوياً متماسكاً يستشعر خطورة الموقف ، ويستشرف الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين ، فيزداد تماسكاً وقوة ، يدفعه إيمانه الشديد بالله ، وحبه وإخلاصه لنبيه إلى اتخاذ موقف إيجابي لإنقاذ المسلمين من هوة الخلف والاختلاف ، والعمل على الحفاظ على وحدتهم وتماسكهم ، وتتجلى قوته النفسية وبُعد نظره إلى المستقبل في تلك الساعة العصيبة التي أخذت بألباب المسلمين وعقولهم ، حينما يقترب من جسد النبي (صلى الله عليه وسلم) المُسجّى ، فيكشف عن وجهه ، ويكب عليه يقبله ، وهو يقول: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا". ثم أتى المسجد فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: "أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". ثم قرأ: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين". فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم. وما إن علم الأنصار بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ماذا يفعلون ، وبلغ ذلك المهاجرين فقالوا: نرسل إليهم يأتوننا ، فقال أبو بكر بل نمشي إليهم ، فسار إليهم ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ؛ فتراجع الفريقان الكلام وكثر الجدل واللغط بين الفريقين حتى كاد الشر يقع بينهما أكثر من مرة ، فقال بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء ؛ فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "الأئمة من قريش" ، وقال: "أوصيكم بالأنصار خيرًا: أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم". واستمر الجدل والخلاف بين الفريقين حتى قال عمر: "أنشدتكم الله هل تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم ، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه ، ونستغفر الله. وسارعوا جميعاً بالبيعة لأبي بكر ، فكان لتلك البيعة الفضل في تجميع كلمة المسلمين وتجنيبهم فتنة ضارية وانقسامًا وخِيمًا وحربًا ضروسًا بين أبناء الدين الواحد لا يعلم مداها إلا الله وحده. بعث جيش أسامة كان أول أمر أصدره الخليفة أبو بكر

الصديق بعد أن تمت له البيعة هو إنفاذ جيش أسامة الذي جهزه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبيل وفاته لغزو الروم ، والذي كان يضم كبار الصحابة والمهاجرين والأنصار. وقد أبدى بعض المسلمين عدم رضاهم لتولية أسامة قيادة الجيش لصغر سنه ، وأفضوا إلى أبي بكر بمخاوفهم من أن تنقضّ عليهم بعض قبائل العرب المتربصة بالمسلمين وجماعات المرتدين الذين نفضوا أيديهم من الإسلام ، منتهزين فرصة خروج الجيش من المدينة ، وأظهروا له تخوفهم من أن تفترق عنه جماعة المسلمين ، فقال أبو بكر بثقةٍ ويقين: "والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته". فلم يجد الصحابة بُدًّا من الإذعان لأمر الخليفة ، والامتثال له ، وخرج أبو بكر الصديق يشيّع الجيش وهو ماش وأسامة راكب ليشعرهم بإمارة أسامة فيسلموا له ولا يخالفوه ، وأحس أسامة بالحرج فأراد النزول عن دابته ، وقال: "يا خليفة رسول الله ، والله لتركبنّ أو لأنزلنّ". فقال أبو بكر: والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبّر قدمي في سبيل الله ساعة. وحينما حان الوداع خطب أبو بكر في رجاله قائلاً: "أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ، ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان من الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله ، أقناكم الله بالطعن والطاعون". تلك الوصية الخالدة التي صارت تمثل دستور المسلمين في القتال ، وتعبر عن مدى ما بلغه المسلمون من تحضر وإنسانية في الحروب ، في عصور ساد فيها الجهل وفشت الفوضى والغوغاء ، وسيطرت الهمجية على الأمم والشعوب. ولم يخيب أسامة رجاء الخليفة فيه ، فقد استطاع أن يحرز النصر على الروم ، واقتحم تخومهم ، وتوغل في ديارهم ثم عاد بجيشه إلى المدينة ، وقد حقق الغاية التي خرج من أجلها وهي تأمين حدود الدولة الإسلامية ، وإلقاء الرهبة والهيبة في قلوب الروم ، فلا يحاولون التحرش بالمسلمين ، كما أدت إلى كف عرب الشمال عن محاولات التعرض للمدينة والهجوم عليها. حرب المرتدين انتهزت بعض القبائل التي لم يتأصل الإسلام في نفوسها انشغال المسلمين بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) واختيار خليفة له ، فارتدت عن الإسلام ، وحاولت الرجوع إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، وسعت إلى الانشقاق عن دولة الإسلام والمسلمين سياسياً ودينياً ، واتخذ هؤلاء من الزكاة ذريعة للاستقلال عن سلطة المدينة، فامتنعوا عن إرسال الزكاة وأخذتهم العصبية القبلية ، وسيطرت عليهم النعرة الجاهلية. واستفحل أمر عدد من أدعياء النبوة الذين وجدوا من يناصرونهم ويلتفون حولهم ، فظهر "الأسود العنسي" في اليمن ، واستشرى أمر "مسيلمة" في اليمامة ، و"سجاح بنت الحارث" في بني تميم ، و"طلحة بن خويلد" في بني أسد ، و"لقيط بن مالك" في عُمان. وكان هؤلاء المدعون قد ظهروا على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن لم يستفحل أمرهم ويعظم خطرهم إلا بعد وفاته. وقد تصدى أبو بكر الصديق لهؤلاء المرتدين بشجاعةٍ وجُرأةٍ وإيمان ، وحاربهم بالرغم من معارضة بعض الصحابة له ، وكان بعضهم يدعوه إلى الرفق بهم والصبر عليهم ، فيجيب في عزم قاطع: "والله لو منعوني عقالاً كانوا

يؤدونه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرَّق بين الزكاة والصلاة". وأرسل أبو بكر الصديق الجيوش لقتالهم حتى قضى على فتنتهم ، وأعاد تلك القبائل على حظيرة الإسلام ، وقد اتسم أبو بكر الصديق ببعد النظر والحكمة وذلك بإصراره على التصدي لهؤلاء المرتدين ، ورفض المساومة على فرض من فروض الدين ، فقد قطع بذلك عليهم الطريق إلى المزيد من المساومات ، كما كان ذلك إعلاناً واضحاً أنه لا تهاون ولا تنازل في أمر يخص الدين أو يتعلق بالعقيدة ، أمام كل من تسول له نفسه من القبائل أن يحذو حذو هؤلاء. جمع القرآن الكريم استشهد عدد كبير من كبار الصحابة ممن يحفظون القرآن الكريم في حروب الردة التي استغرقت أكثر عهد الصديق ، وقد زاد من جزع المسلمين لاستشهاد هؤلاء الأعلام من الصحابة ما يمثله فقد هؤلاء من خطر حقيقي على القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وكان عمر بن الخطاب من أوائل الذين تنبّهوا إلى ذلك الخطر ، وبعد تفكير عميق هداه الله إلى فكرة جمع القرآن الكريم ، فلما عرض ذلك على أبي بكر تردد في أول الأمر وقال: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ ولكن عمر ظل يراجعه ويجادله حتى شرح الله صدره لهذا الأمر ، واقتنع برأي عمر فدعا زيد بن ثابت وكلفه بتنفيذ تلك المهمة الجليلة ، فانطلق زيد يجمع القرآن الكريم من الرقاع والعظام وجريد النخل والحجارة الرقيقة ، ثم أخذ يرتبه في آيات وسور ، واتبع في ذلك طريقة عملية دقيقة مُحكّمة ، فكان لا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى ثبوتها بشهادة العدول من الصحابة الحفاظ ، ولا يمنعه من ذلك أنه يحفظ القرآن حتى أتم تسجيله وتدوينه ، كما نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم). فكان ذلك العمل هو أعظم أعمال الصديق على الإطلاق على كثرة أعماله وعظمة إنجازاته ، فقد ساهم في حفظ كتاب الله من الضياع ، وصانه من الوهم والخطأ واللحن. وفاته وتُوفي أبو بكر الصديق يوم الجمعة (21 من جمادى الآخرة 13 هـ = 22 من أغسطس 634م) ، ودفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيت عائشة (رضي الله عنها) ، وقد اختُلف في سبب وفاته ، فذكروا أنه اغتسل في يوم حار فحمّ ومرض خمسة عشر يومًا حتى مات وقيل بأنه أصيب بالسل ، وقيل أنه سُمّ ، وقد رثاه عمر فقال: "رحم الله أبا بكر فقد كلف من بعده تعباً". كما رثاه الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله تعالى عنه -! ويقول الأستاذ الأديب عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عن الصديق أبي بكر – رضي الله تعالى عنه -: ما نصه بتصرف زهيد: (ما حاز الفضائل رجل كما حازها أبو بكر رضي الله عنه. فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم).هـ. قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فنخيّر أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم. رواه البخاري. وروى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر. وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر - ثلاثاً - ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا ، فأتى إلى النبي فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم - مرتين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صَدَق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي – مرتين - فما أوذي بعدها. وهو ثاني اثنين في الغار مع نبي الله صلى الله عليه وسلم. قال سبحانه وتعالى: (ثَانِيَ

اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا). قال السهيلي: ألا ترى كيف قال: لا تحزن ولم يقل لا تخف؟ لأن حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدّثه قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار دخل قبله لينظر في الغار لئلا يُصيب النبي صلى الله عليه وسلم شيء. ولما سارا في طريق الهجرة كان يمشي حينا أمام النبي صلى الله عليه وسلم وحينا خلفه وحينا عن يمينه وحينا عن شماله. ولذا لما ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضّلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟ فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلمّة إلا أن تكون بي دونك ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة ، فدخل واستبرأ ، قم قال: انزل يا رسول الله ، فنزل. فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. رواه الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة. وقد أُمِرنا أن نقتدي بهم ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ. رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه. واستقر خليفة للمسلمين دون مُنازع ، ولقبه المسلمون بـ "خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم". وفي الصحيحين عن عائشةَ رضي اللّهُ عنها قالت: لما مَرِضَ النبيّ صلى الله عليه وسلم مرَضَهُ الذي ماتَ فيه أَتاهُ بلالٌ يُؤْذِنهُ بالصلاةِ فقال: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصَلّ. قلتُ: إنّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ [وفي رواية: رجل رقيق] إن يَقُمْ مَقامَكَ يبكي فلا يقدِرُ عَلَى القِراءَةِ. قال: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ. فقلتُ مثلَهُ: فقال في الثالثةِ - أَوِ الرابعةِ -: إنّكنّ صَواحبُ يوسفَ! مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ فصلّى. ولذا قال عمر رضي الله عنه: أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا؟! وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. وجاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فأمرها بأمر ، فقالت: أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر. رواه البخاري ومسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، وهو حديث صحيح. وكان أبو بكر ممن يُفتي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ولذا بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على الحج في الحجّة التي قبل حجة الوداع. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان. وأبو بكر رضي الله عنه حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم تبوك. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله! قال عمر قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً. رواه الترمذي. قال عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قال: قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. رواه مسلم. وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المُخير ، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مِن أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر. ومن فضائله رضي الله عنه أن الله زكّاه! قال سبحانه وبحمده: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى).وهو من السابقين الأولين بل هو أول السابقين! قال سبحانه: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). وقد زكّاه النبي صلى الله عليه وسلم! فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة". قال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست تصنع ذلك خيلاء. رواه البخاري في فضائل أبي بكر رضي الله عنه. ومن فضائله رضي الله عنه أنه يُدعى من أبواب الجنة كلها! قال عليه الصلاة والسلام: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير ؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة! ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان . فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر. رواه البخاري ومسلم. ومن فضائله أنه جمع خصال الخير في يوم واحد! روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة. ومن فضائله رضي الله عنه أن وصفه رجل المشركين بمثل ما وصفت خديجة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما ابتلي المسلمون في مكة واشتد البلاء خرج أبو بكر مهاجراً قِبل الحبشة حتى إذا بلغ بَرْك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارَة ، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك ، فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج ،

أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟! فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا! قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه! وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره ، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلاّ أن يعلن ذلك فَسَلْهُ أن يرد إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مُقرين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله. رواه البخاري. وكان عليّ رضي الله عنه يعرف لأبي بكر فضله! قال محمد بن الحنفية: قلت لأبي – علي بن أبي طالب رضي الله عنه -: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري. وقال عليّ رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدثني غيره استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله تعالى إلا غفر الله له ثم تلا: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية. رواه أحمد وأبو داود. ولم يكن هذا الأمر خاص بعلي رضي الله عنه بل كان هذا هو شأن بنِيه! قال الإمام جعفر لصادق: أولدني أبو بكر مرتين. وسبب قوله: أولدني أبو بكر مرتين ، أن أمَّه هي فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وجدته هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. فهو يفتخر في جّدِّه ثم يأتي من يدّعي اتِّباعه ويلعن جدَّ إمامه؟ قال جعفر الصادق لسالم بن أبي حفصة وقد سأله عن أبي بكر وعمر ، فقال: يا سالم تولَّهُما ، وابرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر: يا سالم أيسُبُّ الرجل جده؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما. وروى جعفر بن محمد – وهو جعفر الصادق - عن أبيه – وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي – رضي الله عنهم أجمعين ، قال: جاء رجل إلى أبي – يعني علي بن الحسين ، المعروف والمشهور بزين العابدين - فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأل؟ قال: وتسميه الصديق؟! قال: ثكلتك أمك ، قد سماه صديقاً من هو خير مني ؛ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ، فمن لم يُسمه صدِّيقاً ، فلا صدّق الله قوله ، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما ، فما كان من أمر ففي عنقي! ولما قدم قوم من العراق فجلسوا إلى زين العابدين ، فذكروا أبا بكر وعمر فسبوهما ، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكا ، فشتمهم. وابتركوا: يعني وقعوا فيه وقوعاً شديداً. وما ذلك إلا لعلمهم بمكانة وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمكانة صاحبه في الغار ، ولذا لما جاء رجل فسأل زين العابدين: كيف كانت منزلة أبي بكر

وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر ثم قال: لمنزلتهما منه الساعة. قال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: "ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بشيء وَقَرَ في قلبه". وجمع بيت أبي بكر وآل أبي بكر من الفضائل الجمة الشيء الكثير الذي لم يجمعه بيت في الإسلام! فقد كان بيت أبي بكر رضي الله عنه في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الاستعداد للهجرة ، وما فعله عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء في نقل الطعام والأخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار. وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هي بنت أبي بكر رضي الله عنه وعنها. قال ابن الجوزي رحمه الله: "أربعة تناسلوا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد". ومن أعماله قبل الهجرة أنه أعتق سبعة كلهم يُعذّب في الله ، وهم: بلال بن أبي رباح ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة الأمة ، والنهدية وابنتها ، وجارية بني المؤمل ، وأم عُبيس. ومن أعظم أعماله التي قام بها بعد تولّيه الخلافة حرب المرتدين! فقد كان رجلا رحيما رقيقاً ولكنه في ذلك الموقف ، في موقف حرب المرتدين كان أصلب وأشدّ من عمر رضي الله عنه الذي عُرِف بالصلابة في الرأي والشدّة في ذات الله! روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب ، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. لقد سُجِّل هذا الموقف الصلب القوي لأبي بكر رضي الله عنه حتى قيل: نصر الله الإسلام بأبي بكر يوم الردّة ، وبأحمد يوم الفتنة. فحارب رضي الله عنه المرتدين ومانعي الزكاة ، وقتل الله مسيلمة الكذاب في زمانه. ومع ذلك الموقف إلا أنه أنفذ جيش أسامة الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم أراد إنفاذه نحو الشام. وفي عهده فُتِحت فتوحات الشام ، وفتوحات العراق. وفي عهده جُمع القرآن ، حيث أمر رضي الله عنه زيد بن ثابت أن يجمع القرآن. وكان عارفاً بالرجال ، ولذا لم يرضَ بعزل خالد بن الوليد ، وقال: والله لا أشيم سيفاً سله الله على عدوه حتى يكون الله هو يشيمه. رواه الإمام أحمد وغيره. وفي عهده وقعت وقعة ذي القَصّة ، وعزم على المسير بنفسه حتى أخذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بزمام راحلته وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد: شِمْ سيفك ولا تفجعنا بنفسك. وارجع إلى المدينة ، فو الله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً ، فرجع أبو بكر رضي الله عنه وأمضى الجيش. وكان أبو بكر رضي الله عنه أنسب العرب ، أي أعرف العرب بالأنساب. ومع هذا كله كان الصديق من أزهد الناس! فلقد مات أبو بكر رضي الله عنه وما ترك درهماً ولا ديناراً! عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها والقطيفة التي كنا نلبسها ، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين ، فإذا مت فارديه إلى عمر ، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك. وكان أبو بكر رضي الله عنه ورعاً زاهداً في الدنيا حتى لما تولى الخلافة خرج في طلب الرزق

فردّه عمر واتفقوا على أن يُجروا له رزقا من بيت المال نظير ما يقوم به من أعباء الخلافة. قالت عائشة رضي الله عنها: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهّنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. رواه البخاري. بارك الله في الدكتور السحيم وغفر له! فلقد أبدع في إيراد هذه الزبَد من حياة الصديق رضي الله تعالى عنه! أفلا يقرأ هذا الكلام أولئك الأفاكون الكذابون الوضاعون البلهاء السفهاء اذين لا تكف ألسنتهم – أخرسها الله – عن النيل من أبي بكر صباحاً ومساءً؟! إنهم لما خونوا الصحابة حرمهمُ الله تعالى الخير الكثير! وانطلقوا للتاريخ يجمعون الأخبار! والأحاديث الملفقة التي ما صحت أسانيدها فضلاً عن متونها! وراحوا يتلقفون العلل والأكاذيب والتلفيقات المزورة المفبركة وكالوا الدجل والأغاليط والأباطيل عن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى رأسهم الصديق أبو بكر وعمر بن الخطاب! وزاد الأمر سوءاً وانحطاطاً بأن يسبون الصحابة ويلعنونهم! فكانت هذه البردة في الانتصار للصيق – رضي الله تعالى عنه – وهي خطوة على الطريق! ولا أزعم لها الكمال! بل هو شرف المحاولة ليس إلا!)

98 - بردة الحسن بن علي رضي الله عنه

(إنه لشرف كبير للشاعر أن يعطر ديوانه بقصيدة عن مناقب الحسن بن علي – رضي الله عنه -! وكنا قد فرغنا من مرثية الحسين بن علي – رضي الله عنه -! وها نحن أولاء نعْدل في شعرنا ونوفي الحسن بن علي حقه! ولم لا نفعل وهو من هو في إسلامه وإيمانه ونسبه وحسبه ومناقبه وسجاياه وقربه من النبي – صلى الله عليه وسلم -! روى البخاريُّ عن أبي بكرة ، قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يُقبِل على الناس مرةً ، وعليه أخرى ، ويقول: (إن ابني هذا سيِّدٌ ، ولعل اللهَ أن يُصلِح به بينَ فئتينِ عظيمتين من المسلمين) ؛ (البخاري حديث 2704). روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحسن والحسين سيِّدَا شباب أهل الجنة) ؛ (حديث صحيح) (صحيح الترمذي للألباني حديث: 2965). وروى الترمذي عن حذيفة ، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن هذا مَلَكٌ لم ينزِلِ الأرضَ قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربَّه أن يُسلِّم عليَّ ويُبشِّرَني بأن فاطمةَ سيِّدةُ نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيِّدَا شباب أهل الجنة) ؛ (حديث صحيح) (صحيح الترمذي للألباني ، حديث: 2975). وروى مسلم عن عائشةَ قالت: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداةً - (في الصباح) - وعليه مِرْطٌ مُرحَّل مِن شَعر أسود - (نوع من الثياب) - فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءَتْ فاطمةُ فأدخلها ، ثم جاء عليٌّ فأدخله ، ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ؛ (مسلم حديث: 2424). وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: أخذ الحسنُ بنُ عليٍّ تمرةً مِن تَمْر الصدقة ، فجعلها في فِيهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كخ كخ ، ارمِ بها ؛ أمَا علمتَ أنَّا لا نأكُلُ الصدقة؟!) ؛ (البخاري حديث: 1491/ مسلم حديث: 1069). قال القاضي عياض رحمه الله: (كخ كخ) ، كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات ، فيقال له: كخ ؛ أي: اترُكْه وارمِ به ؛ (مسلم بشرح النووي جـ4، صـ189). قال الإمام النووي رحمه الله: "قولُه صلى الله عليه وسلم: (أمَا علمت أنَّا لا نأكلُ

الصدقة؟!) ، هذه اللفظة تقال في الشيءِ الواضح التحريم ونحوه ، وإن لم يكن المخاطب عالِمًا به ، وتقديره: عجبٌ ، كيف خفِي عليك هذا مع ظهور تحريم الزكاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب؟" ؛ (مسلم بشرح النووي جـ4 ، صـ189). وروى الترمذي عن بُرَيدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا ؛ إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصانِ أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يدَيْه ، ثم قال: (صدق الله: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ، فنظرتُ إلى هذينِ الصبيَّيْنِ يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعتُ حديثي ورفعتُهما) ؛ (حديث صحيح) ، (صحيح الترمذي للألباني حديث 2968). وروى الشيخان عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لحسنٍ: (اللهم إني أُحِبُّه ، فأَحِبَّه وأحبِبْ مَن يُحبُّه) ؛ (البخاري حديث: 2122 / مسلم حديث: 2421). قال الإمام النووي رحمه الله: "قولُه صلى الله عليه وسلم: (إني أُحِبُّه ، فأَحبَّه وأحبِبْ مَن يُحبُّه) ، فيه حثٌّ على حب الحسن بن علي ، وبيانٌ لفضيلته ، رضي الله عنه" ؛ (مسلم بشرح النووي جـ8 ، صـ208). وروى الترمذي عن عبدالرحمن بن أبي نُعْم أن رجلًا مِن أهل العراق سأل ابن عمرَ عن دمِ البعوض يصيب الثوبَ ، فقال ابن عمر: انظُروا إلى هذا ، يسألُ عن دمِ البعوض ، وقد قتَلوا ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم! وسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الحسن والحسين هما ريحانتايَ مِن الدنيا) ؛ (حديث صحيح) ؛ (صحيح الترمذي للألباني ، حديث: 2967). وتحت عنوان: (الحسن بن علي بن أبي طالب) يقول الأستاذ الشيخ صلاح نجيب الدق ما نصه بتصرف: (إنَّ الحسنَ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هو سيِّد شباب أهل الجنة ، وهو من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام ؛ حيث حقَن اللهُ تعالى به دماء المسلمين ، وذلك حينما تنازَل عن حقِّه في الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. إنه الحسنُ بنُ عليِّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، سيِّدُ شباب أهل الجنة ؛ (سير أعلام النبلاء ؛ للذهبي ، جـ3 صـ 245). وُلد الحسن بن علي في النصف من رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ؛ (الاستيعاب ؛ لابن عبد البر ، جـ1 صـ384). روى أحمدُ عن عليٍّ رضي الله عنه ، قال: "لَمَّا وُلِد الحسن سمَّيتُه حَرْبًا ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: (أروني ابني ، ما سمَّيتموه؟) ، قال: قلتُ: حَرْبًا ، قال: (بل هو حسن) ؛ (حديث حسن) ؛ (مسند أحمد ، جـ2 ، صـ159 ، حديث 769). روى أبو داود عن ابن عباسٍ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقَّ عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا ؛ (حديث صحيح) ، (صحيح أبي داود للألباني ، حديث: 2466). وكان يكنى بأبي محمد أم الحسن بن علي: فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيِّدةُ نساءِ أهل الجنة ؛ (سير أعلام النبلاء ؛ للذهبي جـ3 ، صـ246). والحسن يشبه النبي صلى الله عليه وسلم: روى البخاري عن أنس بن مالك قال: "لم يكُنْ أحدٌ أشبهَ بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي" ؛ (البخاري حديث: 3752). وروى البخاري عن عقبة بن الحارث ، قال: صلَّى أبو بكر رضي الله عنه العصر ، ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن يلعَبُ مع الصبيان ، فحمَله على عاتقه ، وقال: بأبي - (أي: أفديه بأبي) - شَبِيهٌ بالنبي ، لا شبيه بعَلِي ، وعليٌّ يضحَكُ ؛ (البخاري حديث: 3542). قال الإمام الذهبي رحمه الله: كان الإمام الحسنُ بن علي سيدًا ، وسيمًا ، جميلًا ، عاقلًا ، رَزينًا ، جَوادًا ، مُمدَّحًا ، خيِّرًا ، دَيِّنًا ، وَرِعًا ، محتشمًا ، كبير الشأن ؛ (سير أعلام النبلاء ؛ للذهبي جـ3 ، صـ253). وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: كان الحسن بن علي كثيرَ التزوُّج ، وكان لا يُفارِقه أربعُ زوجاتٍ. وكان علي بن أبي طالب يقول لأهل الكوفة: لا

تُزوِّجوا الحسنَ بن علي ؛ فإنه مِطلاقٌ ، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين ، لو خطب إلينا كلَّ يومٍ لزوَّجناه منا مَن شاء ؛ ابتغاءً في صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ39). وكان للحسن بن علي خمسةَ عشرَ ذكرًا ، وثماني بناتٍ ؛ (صفة الصفوة ؛ لابن الجوزي جـ1 ، صـ759). حفِظ الحسنُ بن عليٍّ عن جَدِّه صلى الله عليه وسلم أحاديثَ ، وعن أبيه وأمِّه ، حدث عنه: ابنه الحسن بن الحسن ، وسُوَيد بن غفلة ، وأبو الحَوْراء السعدي ، والشعبي ، وهُبَيرة بن يريم ، وأَصْبَغ بن نباتة ، والمُسيِّب بن نجبة ؛ (سير أعلام النبلاء ؛ للذهبي جـ3 ، صـ246). وروى أبو داود عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علَّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلماتٍ أقولُهنَّ في الوتر: (اللهم اهدِني فيمَن هديتَ وعافِني فيمَن عافيتَ ، وتولَّني فيمن تولَّيتَ ، وبارِكْ لي فيما أعطيتَ ، وقِنِي شرَّ ما قضيتَ ؛ إنك تقضي ولا يُقضَى عليك ، وإنه لا يَذِلُّ مَن وَالَيْتَ ، ولا يَعِزُّ مَن عاديتَ ، تباركْتَ ربَّنا وتعالَيْتَ) ؛ (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني ، حديث 1263). وقال علي بن جُدْعان: حجَّ الحسن بن علي خمسَ عشرةَ حجةً ماشيًا ، وإنَّ النجائبَ - (الإبل العظيمة) - لَتُقادُ معه ؛ (سير أعلام النبلاء ؛ للذهبي جـ3 ، صـ267). وكان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلِسُ في مُصلَّاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ38). وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن بن علي رجلًا إلى جنبه يسأل الله تعالى أن يرزقه عشرةَ آلاف درهم ، فانصرف ، فبعث بها إليه ؛ (سير أعلام النبلاء ؛ للذهبي جـ3، صـ260). وخطب علي بن أبي طالب ، فقال: إن الحسن بن علي قد جمع مالًا ، وهو يريد أن يقسمه بينكم ، فحضر الناس ، فقام الحسن ، فقال: إنما جمعتُه للفقراء ، فقام نصف الناس ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ245). وقال أبو هارون: انطلَقْنا حُجَّاجًا فدخلنا المدينة ، فدخلنا على الحسن ، فحدَّثْناه بمسيرنا وحالِنا ، فلما خرجنا ، بعَث إلى كل رجل منا بأربعمائة درهم ، فرجعنا ، فأخبرناه بيسارِنا ، فقال: لا تردُّوا عليَّ معروفي ، فلو كنتُ على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيرًا ، أمَا إني مُزوِّدكم: إن الله يباهي ملائكته بعبادِه يوم عرفة ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ248). ورأى الحسن بن علي غلامًا أسودَ يأكلُ مِن رغيف لقمةً ويُطعِم كلبًا هناك لقمة ، فقال له: ما حَمَلك على هذا؟ فقال: إني أستحي منه أن آكلَ ولا أطعمه ، فقال له الحسن: لا تبرَحْ مِن مكانك حتى آتيَك ، فذهب إلى سيِّده ، فاشتراه واشترى الحائط - (البستان) - الذي هو فيه ، فأعتقه وملَّكه الحائط ، فقال الغلام: يا مولاي ، قد وهبتُ الحائط (البستان) للذي وهبتَني له ؛ (أي: تركتُه صدقةً للهِ تعالى) ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8، صـ39). وقال أبو جعفر الباقر: جاء رجلٌ إلى الحسين بن علي فاستعان به في حاجةٍ فوجده معتكفًا ، فاعتذر إليه ، فذهب إلى الحسن فاستعان به ، فقضى حاجته ، وقال: لَقضاءُ حاجةِ أخٍ لي في الله أحبُّ إليَّ مِن اعتكاف شهر ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ39). وقال محمد بن إبراهيم التيمي: لَمَّا دوَّن عمر بن الخطاب الديوان ، وفرض العطاء ، أَلْحَق الحسن والحسين بفريضةِ أبيهما مع أهل بدر ؛ لقرابتِهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرَضَ لكلٍّ منهما خمسة آلاف درهم ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ: 238). وكان عثمان بن عفان يُكرِم الحسن والحسين ويُحبُّهما ، وقد كان الحسن بن عليٍّ يومَ الدار - وعثمان بن عفان محصورٌ - عندَه ومعه السيف مُتقلدًا به يدافع عن عثمان ، فخشي عثمان عليه ، فأقسم عليه ليرجعنَّ إلى منزلهم تطييبًا لقلب عليٍّ ، وخوفًا عليه رضي الله عنهم ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8، صـ38). وكان علي بن أبي طالب يُكرِم الحسن إكرامًا زائدًا ،

ويُعظِّمُه ويُبجِّله ، وقد قال له يومًا: يا بُنَيَّ ، ألا تخطبُ حتى أسمعَك؟ فقال: إني أستحيي أن أخطب وأنا أراك ، فذهب عليٌّ فجلس حيث لا يراه الحسن ، ثم قام الحسن في الناس خطيبًا ، وعليٌّ يسمع ، فأدَّى خطبة بليغة فصيحة ، فلما انصرف جعل عليٌّ يقول: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ38). وكان عبد الله بنُ عباسٍ يأخذ الرِّكاب - (ما يوضع على ظهر الخيل) - للحسن والحسين إذا ركِبا ، ويرى هذا مِن النِّعَم عليه ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ38). قال عبد الله بن عباس: خرجنا إلى الجَمَل (اسم المعركة) ستمائة ، فأتَيْنا الرَّبَذَةَ ، فقام الحسن بن علي ، فبكى ، فقال علي بن أبي طالب: تكلَّم ، ودَعْ عنك أن تحنَّ حنينَ الجارية ، قال: إني كنت أشرتُ عليك بالمقام ؛ (أي: بعدم الخروج لقتال طلحة والزبير) ، وأنا أشيره الآن ؛ (الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد - متمم الصحابة جـ1 ، صـ273 ، 274). والحسن بن علي حقنُ دماء المسلمين: قال الحسن بن علي: واللهِ ، ما أحببتُ منذ علمتُ ما ينفعُني وما يضرُّني - أن أتولَّى أمرَ أمَّةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، على أن يُهرَاقَ (يُسَال) في ذلك محجمة دمٍ! ولَمَّا قُتِل أبوه عليٌّ رضي الله عنه ، بايَعَه أكثرُ مِن أربعين ألفًا ، كلهم قد كانوا بايعوا أباه عليًّا قبل موته على الموت ، وكانوا أطوعَ للحسن وأحبَّ فيه منهم في أبيه ؛ (الاستيعاب ؛ لابن عبد البر ، جـ1 ، صـ385). وقال عبد الله بن جعفر: قال الحسن: إني رأيتُ رأيًا أحب أن تتابعَني عليه ، قلت: ما هو؟ قال: رأيت أن أَعمِدَ إلى المدينة فأنزلها ، وأخلي الأمر لمعاويةَ ، فقد طالتِ الفتنةُ ، وسُفِكَتِ الدماء ، وقُطعت السبل ، قال: فقلت له: جزاك الله خيرًا عن أمة محمد ، فبعث إلى أخيه حسينٍ فذكر له ذلك ، فقال: أُعِيذُك بالله ، فلم يزل به حتى رضِي ؛ (الإصابة ؛ لابن حجر العسقلاني جـ2 ، صـ331). وروى البخاري عن الحسن البصري ، قال: استقبل - واللهِ - الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائبَ (الجيش) أمثالِ الجبال ، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائبَ لا تولِّي حتى تقتُلَ أقرانَها (وهو الكفء والنظير في الشجاعة والحرب) ، فقال له معاوية - وكان واللهِ خيرَ الرجلين -: أَيْ عمرُو ، إن قتَلَ هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، مَن لي بأمور الناس؟ مَن لي بنسائهم؟ مَن لي بضيعتهم؟ (أي: من يقوم بأطفالهم وضعفائهم؟) ، فبعث إليه رجلينِ مِن قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سَمُرة ، وعبد الله بن عامر بن كريز ، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل ، فاعرِضا عليه ، وقولا له ، واطلُبا إليه ، فأَتَياه ، فدخَلا عليه فتكلَّما ، وقالا له ، فطلَبَا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب ، قد أصبنا مِن هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها (قتَلَ بعضها بعضًا) ، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك ، قال: فمَن لي بهذا (يتكفل لي بالذي تذكرانه) ، قالا: نحن لك به ، فما سألهما شيئًا إلا قالا: نحن لك به ، فصالحه ؛ (البخاري حديث: 2704). وكانت هناك خطبة بليغة للحسن بعد الصلح مع معاوية: قال الشعبي: شهِدتُ الحسن بن علي حين صالحه معاوية بالنخيلة (اسم مكان) ، فقال معاوية: قُمْ فأخبِرِ الناس أنك تركتَ هذا الأمر وسلَّمتَه إليَّ ، فقام الحسن ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال: "أما بعد ، فإن أكيسَ الكيس التُّقى ، وأحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية ، إما أن يكون حق امرئ فهو أحقُّ به مني ، وإما أن يكون حقًّا هو لي ، فقد تركته إرادةَ إصلاح الأمة وحقن دمائها ، ثم التفت إلى معاوية ، فقال: (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) ؛ (حلية الأولياء ؛ لأبي نعيم جـ2 ، صـ38) ، (الاستيعاب ؛ لابن عبد البر جـ1 ، صـ388). قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: سلَّم الحسنُ الأمرَ إلى معاويةَ في النصف من جُمادى الأولى من سنة إحدى وأربعين ، فبايع الناسُ معاويةَ حينئذٍ ، ومعاويةُ يومئذٍ ابنُ ستٍّ وستين إلا شهرين ،

ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلَّم الخلافة لمعاوية حياتَه لا غير ، ثم تكون له مِن بعده وعلى ذلك انعقَد بينهما ما انعقد في ذلك ، ورأى الحسن ذلك خيرًا مِن إراقة الدماء في طلبها ، وإن كان عند نفسه أحقَّ بها ؛ (الاستيعاب ؛ لابن عبد البر جـ1 ، صـ387). وهنا شبهة ونورد الرد عليها: قال جُبَير بن نُفَير: قلتُ للحسن بن علي: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة ، فقال: "قد كانت جماجمُ العرب في يدي ، يحاربون مَن حاربت ، ويُسالِمُون مَن سالمت ، فتركتُها ابتغاءَ وجه الله وحقن دماء أمةِ محمد صلى الله عليه وسلم" ؛ (حلية الأولياء ؛ لأبي نُعَيم جـ2 ، صـ38). ولَمَّا قُتِل علي بن أبي طالب بايَع الناسُ الحسنَ بن علي ، وبقي الحسنُ في الخلافة بعد أبيه سبعةَ أشهرٍ وأحدَ عشرَ يومًا ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ: 259). وكان للحسن قبسٌ من الكلام: فمن ذاك: مَنِ اتَّكل على حُسنِ اختيار الله له ، لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له ، وهذا حدُّ الوقوف على الرضا بما تصرَّف به القضاء ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ: 253). وقال الحسن بن علي لبَنِيه ولبَنِي أخيه: "تعلَّموا العلم ؛ فإنكم صغار قومٍ وتكونون كبارَهم غدًا ، فمَن لم يحفَظْ منكم فليكتُبْ" ؛ (جامع بيان العلم ؛ لابن عبد البر جـ1 ، صـ358). وخطَب الحسنُ بن علي بالكوفة ، فقال: إن الحلم زينة ، والوقار مروءة ، والعَجَلة سفه ، والسَّفه ضعف ، ومجالسة أهل الدناءة شَيْن ، ومخالطة الفسَّاق رِيبة ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ: 259). وقال الحسن بن علي ذات يوم لأصحابه: إني أُخبِرُكم عن أخٍ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيمَ ما عظَّمه في عيني صِغَرُ الدنيا في عينِه ، كان خارجًا مِن سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يُكثِر إذا وجد ، وكان خارجًا من سلطان فرجه ، فلا يستخفُّ له عقله ولا رأيه ، وكان خارجًا من سلطان الجَهَلة ، فلا يمدُّ يدًا إلا على ثقة المنفعة ، كان لا يسخط ولا يتبرَّم ، كان إذا جامع العلماءَ يكونُ على أن يَسمع أحرَصَ منه على أن يتكلَّم ، وكان إذا غُلِب على الكلام لم يُغلَب على الصمت ، كان أكثر دهرِه صامتًا ، فإذا قال فاق القائلين ، وكان لا يشارك في دعوى (أي: فتنة) ولا يدخل في مِراء ، ولا يُدلِي بحجة حتى يرى قاضيًا ، يقول ما يفعل ، ويفعل ما لا يقول تفضلًا وتكرمًا ، كان لا يغفل عن إخوانه ، ولا يخص نفسه بشيء دونهم ، كان لا يلوم أحدًا فيما يقع العُذْر بمثله ، كان إذا ابتدأه أمرانِ لا يرى أيهما أقرب إلى الحق ، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه ؛ (تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر جـ13 ، صـ254: 253). قال أبو نُعَيم: لَمَّا اشتدَّ بالحسن بن علي الوجعُ جزع ، فدخل عليه رجلٌ ، فقال له: يا أبا محمد ، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق رُوحُك جسدَك ، فتَقدَم على أبوَيْك عليٍّ وفاطمةَ ، وعلى جَدَّيك النبي صلى الله عليه وسلم وخديجةَ ، وعلى أعمامِك حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك القاسم والطيِّب وإبراهيم ، وعلى خالاتِك رقية وأم كلثوم وزينب ، قال: فسُرِّي عنه (أي: ذهب عنه الحزن) ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ45). قال عُمَير بن إسحاق: دخلتُ أنا ورجل آخر مِن قريش على الحسن بن علي ، فقام فدخل إلى الخلاء ، ثم خرج ، فقال: لقد لفظتُ طائفةً (قطعة) مِن كَبِدي أقلبها بهذا العود ، ولقد سُقِيتُ السَّمَّ مرارًا ، وما سُقيتُ مرةً هي أشد مِن هذه ، قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سَلْني قبل ألا تَسْأَلَني ، فقال: ما أسألك شيئًا ، يعافيك الله ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ44). وقال عمير بن إسحاق: دخلتُ على الحسن بن علي وهو يجودُ بنفسه (أي: قبل خروج روحه) ، والحسين عند رأسه ، وقال: يا أخي ، مَن تتَّهِم؟ قال الحسن: "لِمَ؟ لتقتله؟" ، قال الحسين: نعم ، قال الحسن: "إنْ يكُنِ الذي أظنُّ ، فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلًا ، وإلا يكُنْ ، فما أحبُّ أن يُقتَل بي بريءٌ" ، ثم مات رضوان الله تعالى عليه ؛ (حلية الأولياء ؛ لأبي نعيم جـ2

، صـ38). وجاء الحسين بن علي حتى قعَد عند رأس الحسن ، فقال: أَيْ أُخَيَّ ، مَن الذي قتلك؟ قال الحسن: تريد قتلَه؟! قال الحسين: نعم ، قال: لئن كان قاتلي الذي أظنُّ ، فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلًا ، وإن لم يكُنْهُ ما أُحِبُّ أن تَقتُلَ بي بريئًا ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ44). ولمَّا حضرَتِ الوفاةُ الحسنَ بن علي ، أرسل إلى عائشةَ يطلُبُ منها أن يُدفَن مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجابَتْه إلى ذلك ، فقال لأخيه: إذا أنا متُّ فاطلُبْ إلى عائشة أن أُدفَن مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقد كنتُ طلبتُ منها فأجابَتْ إلى ذلك ، فلعلَّها تستحيي مني ، فإن أذِنَت فادفنِّي في بيتِها ، وما أظن القوم - يعني بني أمية - إلا سيمنعُونَك ، فإن فعَلوا ، فلا تراجعهم في ذلك ، وادفنِّي في بقيع الغَرْقَد. فلما تُوفِّي جاء الحسين إلى عائشة في ذلك ، فقالت: نعم وكرامة ، فبلغ ذلك إلى مَرْوان بن الحكم وبني أمية ، فقالوا: والله لا يُدفن هناك أبدًا ، فبلَغ ذلك الحسينَ ، فلبِس هو ومَن معه السلاح ، ولبِسه مروان ، فسمع ذلك أبو هريرة ، فأتى الحسينَ فكلَّمه وناشده الله ، فقال: أليس قد قال أخوك: إن خفت فرُدَّني إلى مقبرة المسلمين ، ففعل ، فحمَله الحسين إلى البقيع ؛ (أسد الغابة ؛ لابن الأثير جـ2 ، صـ13). مرِض الحسن بن علي أربعين يومًا ، وتُوفِّي في الخامسِ مِن ربيع الأول سنةَ تسعٍ وأربعين من الهجرة ، ودُفِن بجوار أمِّه فاطمةَ بنتِ النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، رضي الله عنها ، وكان عمرُه ستةً وأربعين عامًا ؛ (صفة الصفوة ؛ لابن الجوزي جـ1 ، صـ762) (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ34). وروى الحاكم عن سالم بن أبي حفصة ، قال: سمِعتُ أبا حازم يقول: إني لشاهدٌ يومَ مات الحسن بن علي ، فرأيتُ الحسين بن علي يقول لسعيد بن العاص (وهو أمير على المدينة يومئذٍ) ، ويطعنُ في عنقه ، ويقول: تقدَّم فلولا أنها سُنَّة ما قدَّمتُك ، وكان بينهم شيء (أي: خلاف) ؛ (حديث صحيح) (أحكام الجنائز ؛ للألباني ، صـ128). قال محمد بن إسحاق: حدَّثني مساور مولى بني سعدِ بن بكر قال: رأيتُ أبا هريرة قائمًا على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ مات الحسن بن علي وهو يُنادِي بأعلى صوته: يا أيها الناس ، مات اليوم حِبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فابكُوا ، وقد اجتمع الناس لجنازتِه حتى ما كان البقيع يَسَعُ أحدًا مِن الزحام ؛ (البداية والنهاية ؛ لابن كثير جـ8 ، صـ46).هـ. وحول وفاة الحسن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "يقال إنه مات مسموماً ، قال ابن سعد: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: دخلت أنا وصاحب لي على الحسن بن علي فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي وإني قد سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذا ، فأتاه الحسين بن علي فسأله من سقاك؟ فأبى أن يخبره رحمه الله تعالى". انتهى من "الإصابة" (2 /73). وإسماعيل بن إبراهيم وابن عون ثقتان حافظان ، وعمير بن إسحاق: قال ابن معين في رواية: لا يساوي شيئاً ولكن يكتب حديثه ، وقال عثمان الدارمي: قلت لابن معين: كيف حديثه؟ قال: ثقة. وقال النسائي ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات. "تهذيب التهذيب" (8 /127). وقال قتادة: "قال الحسن للحسين: "قد سُقيت السم غير مرة ، ولم أسق مثل هذه ، إني لأضع كبدي" فقال: من فعله؟ فأبى أن يخبره". انتهى من "سير أعلام النبلاء" (3 /274). ثم اختلف فيمن دس إليه السم؟ فقيل: زوجته جعدة بنت الأشعث ، بإيعاز من يزيد بن معاوية ، وقيل: بإيعاز من معاوية نفسه ، وقيل: بإيعاز من نفسها ، وقيل من أبيها ، ولا يصح من هذا شيء ، بل كله منكر ، وأنكرُه قول من قال: بإيعاز من معاوية. قال ابن الأثير في "أسد الغابة" (2/ 13): "وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم ، فمات منه ، ولما اشتد مرضه قال لأخيه الحسين رضي الله عنهما : يا أخي سقيت السم ثلاث مرات ، لم أسق

مثل هذه ، إني لأضع كبدي ، قال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ أكلهم إلى الله عز وجل". وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (11/ 208): "وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى جَعْدَةَ بِنْتِ الْأَشْعَثِ أَنْ سُمِّي الْحَسَنَ وَأَنَا أَتَزَوَّجُكِ بَعْدَهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَمْ نَرْضَكِ لِلْحَسَنِ ، أَفَنَرْضَاكِ لِأَنْفُسِنَا؟ وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَعَدَمُ صِحَّتِهِ عَنْ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى". وقال الذهبي رحمه الله: "قال ابن عبد البر: قال قتادة وأبو بكر بن حفص: سم الحسنَ زوجته بنت الأشعث بن قيس ، وقالت طائفة: كان ذلك بتدسيس معاوية إليها ، وبذل لها على ذلك ، وكان لها ضرائر، قلت: هذا شيء لا يصح ؛ فمن الذي اطلع عليه؟". انتهى من "تاريخ الإسلام" (4 /40). وقال ابن خلدون رحمه الله: "وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث ، فهو من أحاديث الشيعة ، حاشا لمعاوية من ذلك". انتهى من "العبر وديوان المبتدأ والخبر" (187/2). وقال الشيخ عثمان الخميس: "المشهور أن الحسن مات مسموماً ، لكن لا يُعلم إلى اليوم من الذي وضع له السم ، الله أعلم". ولعل الراجح أنه مات كما يموت الناس موتاً عادياً لم يسمّه أحد. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ رَقَبَةَ بْنِ مِصْقَلَةَ قَالَ: "لَمَّا حُضِرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: أَخْرِجُونِي إِلَى الصَّحْنِ حَتَّى أَنْظُرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ، فَأَخْرَجُوا فِرَاشَهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَنَظَرَ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُ نَفْسِي عِنْدَكَ ، فَإِنَّهَا أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ. قَالَ: فَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُ أَنَّهُ احْتَسَبَ نَفْسَهُ عِنْدَهُ. ... وقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ، ثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُتِلَ عَلِيٌّ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ الحَسَنُ ، وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: "البداية والنهاية" (11/ 209-212). وهذا إسناد صحيح ، ومحمد هو ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو أعلم بهذا الشأن وقوله مات الحسن ، مع قوله قتل علي وقتل الحسين ، مشعر بأنه مات كما يموت الناس. ولعل هذا القول أرجح وأسلم من اتهام بريء بهذا الذنب العظيم ، وأبعد عن تسريب التهمة إلى من قد يكون أبعد الناس عنها. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما قوله: "إن معاوية سم الحسن "فهذا مما ذكره بعض الناس ، ولم يثبت ذلك ببينةٍ شرعيةٍ ، أو إقرار مُعتبر، ولا نقل يُجزم به ، وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم. وقد رأينا في زماننا من يقال عنه: إنه سم ، ومات مسموماً ، من الملوك وغيرهم ، ويختلف الناس في ذلك ، حتى في نفس الموضع الذي مات فيه ذلك الملك ، والقلعة التي مات فيها ، فتجد كلا منهم يحدث بالشيء بخلاف ما يحدث به الآخر ، ويقول: هذا سمه فلان ، وهذا يقول: بل سمه غيره لأنه جرى كذا ، وهي واقعة في زمانك ، والذين كانوا في قلعته هم الذين يحدثونك". انتهى من "منهاج السنة" (4/ 469). وقال أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله: "فإن قيل: قد دس - يعني معاوية - على الحسن من سمه؟ قلنا: هذا محال من وجهين: أحدهما: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسًا ، وقد سلم الأمر. الثاني : أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله ، فكيف تحملونه - بغير بينة - على أحد من خلقه ، في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدي قوم ذوي أهواء ، وفي حال فتنة وعصبية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي ، فلا يقبل منها إلا الصافي ، ولا يسمع فيها إلا من العدل المصمم". انتهى من " العواصم من القواصم" (ص 213-214). وتحت عنوان: (فضائل الحسن بن علي) تقول الكاتبة الأستاذة علا بني طعان ما نصه: (عاش الحسن مع النبيّ - صلى الله عليه وسلم - سبع سنواتٍ ، وقيل ثماني سنواتٍ في روايةٍ أخرى ، وكان النبيّ - صلى الله عليه وسلم - يحبّه حبًا شديدًا هو وأخوه الحسين ، وكان يلاعبه ويحمله على كتفيه ،

وأوردت الروايات أنّ الحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة وتوفّي في سنة خمسين للهجرة ، ودُفن في البقيع ، وفيما يلي حديثٌ عن فضائل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وأبرز صفاته. ومنها: بايع المسلمون الحسن بن علي بالأكثريّة بعد وفاة والده علي بن أبي طالب رضي الله عنه. حجّ الحسن بن علي خمسًا وعشرين حجَّةً مشيًا على الأقدام. كان الحسن - رضي الله عنه - معروفًا ببذله وعطائه ، فكان يقتسم ماله مع غيره ويتبرّع به ، ورُوي عنه أنّه في أحد الأيام أنّه مرّ بصبيانٍ لا يمتلكون إلّا كسراتٍ من الخبز ؛ فناداه فنزل عن فرسٍ وشاركهم طعامهم من الخبز ، ثمّ أخذهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم. قام الحسن بن علي -رضي الله عنه - بالتنازل عن الخلافة لصالح معاوية بن أبي سفيان ، وسمي العام الذي تنازل فيه الحسن بن علي عن الخلافة بعام الجماعة ؛ لأنّ الحسن قد وحّد كلمة المسلمين ، وأصلح بينهم ، وقد قال فيه النبيّ عليه الصلاة والسلام: "ابْنِي هذا سَيِّدٌ ، ولَعَلَّ اللَّهَ أنْ يُصْلِحَ به بيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ". دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - له بأن يحبّه الله ؛ فقد رُوي عن البراء بن العازب قوله: "رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَاضِعًا الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ علَى عَاتِقِهِ، وَهو يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُ فأحِبَّهُ". وصفه النبيّ- صلى الله عليه وسلم - هو وأخاه الحسين بأنّهما سيدا شباب أهل الجنة ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحسَنُ والحُسَيْنُ سيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجنَّةِ". ولقد عُرف الصحابي الجليل الحسن بن علي بن أبي طالب بنبل شخصيّته وعِظم أخلاقه ، وفيما يلي ذكرٌ لأهمّ وأبرز ما اشتهر به من أخلاقٍ. فمنها الكرم والعطاء فلقد اشتهر الحسن بن علي - رضي الله عنه - بأنّه كثير العطاء والكرم ، ومن الشواهد على ذلك: أنّه سمع رجلًا يدعو الله - سبحانه وتعالى - أن يرزقه عشرة آلاف درهمٍ ، فرجع إلى بيته وأرسل للداعي عشرة آلاف ، وتواردت أخبارٌ كثيرةٌ في بذله وعطائه. الحِلم عُرف الحسن بن عليّ - رضي الله عنهما - بحِلمه وصفحه وعفوه ؛ حفظًا للود ووحدة كلمة المسلمين ؛ وشاهد ذلك تنازله عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه).هـ. وتحت عنوان: (الحسن بن علي بن أبي طالب خامس الخلفاء الراشدين) يقول الباحث المؤرخ الدكتور علي الصلابي ما نصه بتصرف زهيد: (إن القارئ ليستغرب من ضعف الحديث عن سيرة وأعمال الخليفة الخامس الحسن بن علي في ذاكرة الأمة ، كما أنه يتعجب من اختزال فقهه ، ومشروعه الإصلاحي العظيم في ثقافتنا. فنهضة الشعوب من عوامل نجاحها الالتفات إلى ماضيها لخدمة حاضرها واستشراف مستقبلها ، فالتاريخ - كما هو معروف - ذاكرة الأمة ، ومستودع تجاربها ومعارفها ، وهو عقلها الظاهر والباطن وخزانة قيمها ومآثرها ، وأساس شخصيتها الغائرة في القدم والممتدة مع الزمن ، وله (صلى الله عليه وسلم) سيرة لما تستكشف أعماقها ، ولخلفائه الراشدين تاريخ حافل عظيم ، ولأمته تاريخ يزهو على تاريخ الأمم والشعوب والدول. والحسن بن علي بن أبي طالب هو حفيد رسول الله وسبطه ، وهو الرجل الذي عُرف في تاريخ الأمة بأنه رجل الإصلاح الذي صان عُرى دولة الإسلام وحفظ دماء المسلمين من أن تسفك بتنازله عن الخلافة الراشدة لمعاوية بن أبي سفيان رحمه الله. فلِمَ سُمي بالخليفة الراشدي الخامس؟ وما أدلة تلك التسمية؟ وما مشروعه الإصلاحي الذي أنجزه خلال أشهر حكمه؟ والحسن بن علي خامس الخلفاء الراشدين! إن أهل السنة يعتقدون أن خلافة الحسن كانت خلافة حقة ، وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) والتي مدتها ثلاثون سنة. فلقد بويع الحسن بن علي أميرًا للمؤمنين من عامة المسلمين بعد مقتل الإمام علي رضي الله عنه ، وتعد خلافة الحسن بن علي خلافة راشدة حقة ، لأن مدته في الحكم كانت تتمة لمدة

الخلافة الراشدة التي أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً ، فقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك». وقد علق ابنُ كثير على هذا الحديث ، فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول في سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وهذا من دلائل النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا ، وبذلك يكون الحسن خامس الخلفاء الراشدين. وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضًا بلفظ: «الخلافة ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك الملك» ، وعند أبي داود بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء ـ أو ملكه من يشاء» ، ولم يكن في الثلاثين بعده (صلى الله عليه وسلم) إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن ، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله (صلى الله عليه وسلم): «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة» ، أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها ، وهذه بعض أقوال أهل العلم: وكما قال القاضي عياض رحمه الله: لم يكن في الثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة ، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي ، والمراد في حديث: الخلافة ثلاثون سنة: خلافة النبوة ، فقد جاء مفسراً في بعض الروايات: خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا. وقال ابنُ أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً ، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة ، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحسن ستة أشهر. في حين قال ابن كثير: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» ، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي. وذكر ابن حجر الهيثمي: هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده (صلى الله عليه وسلم) ، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياماً ، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» ، فإن تلك الستة أشهر هي المكملة لتلك الثلاثين ، فهذه بعض أقوال أهل العلم في كون الحسن أحد الخلفاء الراشدين. وبالتالي فإن أهل السنة يعتقدون أن خلافة الحسن كانت خلافة حقة ، وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) والتي مدتها ثلاثون سنة. وكان للحسن مشروعه الإصلاحي! فلقد بويع الحسن رضي الله عنه بيعة عامة ، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده ، وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وباشر سلطته كخليفة ، فرتب العمال وأمّر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا ، وزاد المقاتلة في العطاء مئة مئة فاكتسب بذلك رضاءهم ، وكان في وسعه أن يخوض حربًا لا هوادة فيها ضد معاوية ، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسة والعسكرية والأخلاقية ، والدينية تساعد على ذلك ، مع وجود عوامل أخرى ، كوجود قيس بن سعد بن عبادة ، وحاتم بن عدي الطائي وغيرهم من قادة المسلمين الذين لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير. وتُعملنا سيرة الحسن بن علي ومنهجه السليم في إدارة شؤون وأحوال الأمة أدب الاختلاف والتضحية بالمنصب والمال والنفس والتواضع والحوار للحفاظ على دماء وبلاد المسلمين! وتُعملنا سيرة الحسن بن علي ومنهجه السليم في إدارة شؤون وأحوال الأمة أدب الاختلاف والتضحية بالمنصب والمال والنفس والتواضع والحوار للحفاظ

على دماء وبلاد المسلمين! وكان الحسن رضي الله عنه يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم ، خضعت لمراحل ، وبواعث ، وتغلب على العوائق ، وكتبت فيها شروط ، وترتبت عليها نتائج ، وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن بن علي رضي الله عنهما على مر العصور وتوالي الأزمان ، حتى قال الدكتور خالد الغيث حفظه الله: كان الحسن رضوان الله عليه في صلحه مع معاوية رضي الله عنه ، وحقنه لدماء المسلمين ، كعثمان في جمعه للقرآن ، وكأبي بكر في الردة. ولا أدل على ذلك في كون هذا الفعل من الحسن يعد علمًا من أعلام النبوة ، والحجة في ذلك ما أخرجه البخاري من طريق أبي بكرة رضي الله عنه قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنبر ، والحسن بن علي على جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». إن صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنه من الأحداث العظام في تاريخ الأمة الإسلامية. فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين ، لذلك نتعلم من سيرته فقه الخلاف ، والمصالح والمفاسد ، ومقاصد الشريعة ، والاستعلاء على حظوظ النفوس ، وكيف نعيش مع القرآن الكريم ، ونهتدي بهديه ، ونقتدي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويعمق في قلوبنا فقه القدوم على الله من خلال أقواله وأفعاله ، وأثر هذه العلوم في حياة الأمة ، ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود. وفي الحقيقة إن ما تُعملنا سيرة الحسن بن علي ومنهجه السليم في إدارة شؤون وأحوال الأمة هو أدب الاختلاف والتضحية بالمنصب والمال والنفس والتواضع والحوار للحفاظ على دماء وبلاد المسلمين ، وسيرته من أهم الدروس والعِبر التي تعتبر رسالة واضحة لأبناء الأمة المتنازعين على مناصب وأموال والمتخاصمين خصومات لا تغني ولا تسمن في الدنيا والآخرة. وكما تُعلِمنا سيرة الحسن الحالة الطبيعية للانتقال السلمي للسلطة والممارسة السياسية والأمنية والدبلوماسية في تولي أمور المسلمين وأحوالهم).هـ. لقد انقسم الناس حيال تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة إلى فريقين: الأول رآها في هذا حكيماً ورعاً حقن بتنازله دماء المسلمين وأنقذهم من حرب ضروس تحرق الأخضر واليابس وتزهق فيها أرواح بريئة طاهرة! والثاني تمثل في دعاة الفتنة ممن يعيره بالجبن لتنازله عنها وهي حق له ، فقد جاء في كتاب "الاستيعاب" لابن عبد البر أن بعض الناس قالوا له لما تنازل عن الخلافة: يا عار المؤمنين ، فقال لهم: "العار خير من النار" (الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1/ 386) ، بل إن بغاة الفتنة من سعوا لقتله حتى تظل الحرب بين المسلمين مشتعلة ، وما إن سمعوه يتكلم في أمر الصلح حتى قال بعضهم: "كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله" وشد عليه نفر منهم ، فانتزعوا مصلاه من تحته ، وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه عن عاتقه ، لولا أنه نادى: "أين ربيعة وهمدان؟" فتبادروا إليه ، ودفعوهم عنه ، ثم ارتحل يريد المدائن ، فكمن له رجل منهم يسمى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط ، فلما حاذاه قام إليه بحديدة في يده فطعنه في فخذه... (الأخبار الطوال ص: 217)! وبعد أن استتب الأمر لمعاوية حاول بعضهم أن يدفعه إلى الخروج عليه دفعاً ، لكنه ما استجاب لهم ، وما نجح أحد منهم في إغوائه ، فقد جاء في المعجم الكبير للطبراني عن يزيد بن الأصم قال: خرجت مع الحسن وجارية تحِتُّ شيئا من الحناء عن أظفاره فجاءته إضبارة من كتب فقال: يا جارية هاتي المخضب فصب فيه ماء ، وألقى الكتب في الماء ، فلم يفتح منها شيئاً ، ولم ينظر إليه ، فقلت: يا أبا محمد ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق ، من قوم لا يرجعون إلى حق ، ولا يقصرون عن باطل ، أما إني لست أخشاهم على نفسي ، ولكني أخشاهم على ذلك

وأشار إلى الحسين. (المعجم الكبير للطبراني 3/ 70) ولم يكن حال الحسن ـ رضي الله عنه ـ بعد تنازله عن الخلافة بعيداً عن الناس ومشاكلهم وقضاياهم ، وإنما صار مهتما بأمور المسلمين يسعى لقضاء مصالحهم وحل مشاكلهم ، وكان إذا قدم عليه وفد بالمدينة سأله عن حال أميره وعن بلده ، وحتى عن مواشيه. وسعى ـ رضي الله عنه ـ في بقاء وحدة المسلمين ، وتصدى للمغالين الذين كانوا يحاولون استغلال عاطفة حب الناس لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر الأفكار المضللة ، يقول عمرو بن الأصم: دَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ بن عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى ـ عَنْهُمَا وَهُوَ فِي دَارِ عَمْرِو بن حُرَيْثٍ ، فَقُلْتُ: "إِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ يَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" فَضَحِكَ ، وَقَالَ: "سُبْحَانَ اللهِ ، لَوْ عَلِمْنَا ذَلِكَ مَا زَوَّجْنَا نِسَاءَهُ ، وَلا سَاهَمْنَا مِيرَاثَهُ". (الكامل في التاريخ لابن الأثير2/ 742)! وقال لبعض الذين زعموا أن علياً كان أولى بالخلافة ممن سبقه: "لو كان الأمر كما تقولون: أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار علياً لهذا الأمر والقيام على الناس بعده – كان عليّ أعظم الناس جرماً وخطيئة ، إذ ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم به ، ويُعذر إلى الناس". (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك المعصمي2/ 341)! ورد على من زعموا أن علياً رضي بقتل عثمان ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: "رحت إلى الدار ، وغدوت إليها شهراً ، وعثمان ـ رضي الله عنه ـ محصور(أي للدفاع عن عنه) كل ذلك بعين علي ـ رضي الله عنه ـ ما نهاني يوما قط". تاريخ المدينة لابن شبة (4/ 1213). ورد على من حاول أن ينتقص من مكانة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: "نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وعمر فقال: إني أحبكما ، ومن أحببته أحبه الله أشد حباً مني ، وإن الملائكة لتحبكما بحب الله إياكما ، أحب الله من أحبكما ، وأبغض من أبغضكما ، ووصل من وصلكما ، وقطع من قطعكما". (الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول لمحمد بن عمر الحضرمي: ص: 70). وأبقى رضي الله عنه صلته بالعامة موصولة ، يفتح لهم داره ، ويسعى في قضاء مصالحهم ، حتى قيل: إن رجلاً رفع إليه ذات يوم رقعة ، فقال له: "حاجتك مقضية" ، فقيل له: يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك ، فقال: "يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته". وجاء في كتاب الزهد لابن المبارك أن رجلا جاء إلى حسين بن علي ، فاستعان به على حاجة ، فوجده معتكفاً ، فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك ، فقضيت حاجتك ، فخرج الرجل من عنده ، فأتى الحسن بن علي ، فذكر له حاجته ، فخرج معه لحاجته ، فقال: أما إني قد كرهت أن أعينك في حاجتي ، ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك ، فقال الحسن: "لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر". (الزهد والرقائق لابن المبارك 1/ 258)!

بُردة عائشة – رضي الله عنها ـ!

فداكِ أبي وأمي ونفسي يا ابنة الصِدّيق!

(لقد قرأتُ الكثير عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما ـ! سواءً في ذلك لكُتاب من الأقدمين الغابرين أو من الحاضرين المعاصرين: نثراً وشعراً! حتى كانت بُردة الدكتور الشاعر عائض القرني عن عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما ـ ، فتواصلتُ معه وأرسل لي بعض أبياتها والتمستها كاملة ، وطالعتُها في نهم وشوق وتوأدة ، فألفيتُها مُعلقة مُذهبة حَولية مِيمية من عيون شعر العرب في الانتصار لأم المؤمنين عائشة! ولفرط إعجابي بها رأيتُ أن أعارضها ، ووعدتُ الدكتور بذلك! والحقيقة أننا أمام امرأةٍ عظيمةٍ ذاتِ مناقبَ وسجايا ، يعجز عن الإتيان بها الرجال! ونحن ننتصر لأمهاتنا في النسب ممن ينال منهن

بحق أو بغير حق! فما بالنا لا ننتصر بالحق المحض لأمهاتنا في العقيدة والتوحيد؟ وخاصة إن كنا أمام واحدةٍ من النساء قد عقمتْ أرحامُ النساء في القديم والحديث عن أن تلد مثلها! امرأة بقامة عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – جيرة بالدفاع عنها اليوم وأمس وغداً ضد الحملة المسعورة الملعونة التي تنال منها بالباطل! ألا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كل من نال منها بالباطل! إننا أمام امرأةٍ ذاتِ مناقبَ وفضائلَ لا نكاد نجدها مجتمعة في امرأة مثلها! فمن فضائل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومناقب حبيبة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: 1 - أنها أمُّ المؤمنينَ أمُّ عبدِ الله: عائشةُ بنتُ الإمام الصِّدِّيق الأكْبر ، خليفةِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أبِي بَكْرٍ عبدِ الله بنِ أبي قُحَافةَ عثمانَ بنِ عامرِ بن عمرو بن كعْب بن سعْد بن تَيْم بن مُرَّة ، بن كعْب بن لُؤيٍّ ؛ القرشيَّة التيميَّة ، المكيَّة ، النبويَّة ، أم المؤمنين ، زَوْجة النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أفْقَه نِساءِ الأُمَّة على الإطلاق. وأمُّها هي: أُمُّ رُومانَ بنتُ عامرِ بن عُوَيمر ، بن عبدِ شمْس ، بن عتاب ابن أُذينة الكِنانية. وعلى هذا تكون عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – في الذؤابة من حيث النسب العريق العظيم! هاجَر بعائشةَ أبواها ، وتزوَّجها نبيُّ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قبل مُهاجرِه بعدَ وفاة الصِّدِّيقة خديجة بنت خُوَيلد – رضي الله عنها - ، وذلك قبلَ الهِجرة ببضعة عشَرَ شهرًا ، وقيل: بعامين ، ودخَل بها في شوَّال سَنَةَ اثنتين مُنصرفَه - عليه الصلاة والسلام - مِن غزوةِ بدر ، وهي ابنةُ تِسْع ، فرَوَتْ عنه عِلمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعْد ، وحمْزَة بن عمرو الأسْلمي ، وجُدَامَةَ بنتِ وهْب. 2- حُبُّ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: فلقد اختارَها الله لنبيِّه ، حيثُ رآها في المنام ، كما جاء في الصحيحَيْن - واللَّفْظ لمسلِم - عن عائشةَ قالتْ: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (أُريتكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ ، جاءَني بكِ المَلَك في سَرَقةٍ (قطعة) مِن حريرٍ ، فيقول: هذه امرأتُك ، فأَكْشِف عن وجْهِكِ ، فإذا أنتِ هي ، فأقول: إنْ يَكُ هذا مِن عندَ الله يُمضِه). وعن عمرِو بن العاص - رضي الله عنه - قال: بعَثَني رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - على جيشِ ذاتِ السلاسل ، قال: فأتيتُه قال: قلتُ: يا رسولَ الله ، أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قال: قلت: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها إذًا) ، قال: قلت: ثُمَّ مَن؟ قال: (عمر) ، قال: فعدَّ رِجالاً ؛ أخرجه الشيخان. 3- دعاءُ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: عن عائشةَ قالت: لمَّا رأيتُ مِن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - طِيبَ النَّفْس قلت: يا رسولَ الله ، ادعُ اللهَ لي ، فقال: (اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر ، وما أسَرَّتْ وما أعْلَنتْ) ، فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأسها في حِجْرِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من الضحِك ، فقال: (أيَسرُّكِ دُعائي؟) ، فقالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟! فقال: (واللهِ إنَّها لدَعْوَتي)! أخرجه البزَّار في مسنده ، وحَسَّنه الألباني. 4- ثناءُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصحابته عليها: عن أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قالَ رسولُ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (كَمَلَ منَ الرِّجال كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ منَ النِّساءِ إلاَّ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ ، وفضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْل الثَّرِيدِ على سائرِ الطعام). صحيح البخاري. وعَنْ عَائِشَةَ - رضِي الله عنها - قَالَتْ: قال - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَوْمًا: (يا عائِشَ ، هَذا جبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ) ، فَقُلْتُ: وَعليه السلام ورحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه ، تَرَى ما لا أَرى - تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلَّى الله عليه وسلَّم! رواه الشيخان - البخاريُّ ومسلم. وعن الحَكَمِ: سمعتُ أبا وائلٍ قال: "لَمَّا بعَثَ عليٌّ عَمَّارًا والحسنَ إلى الكوفَة ؛ ليستَنفِرَهم ، خَطبَ عمَّارٌ فقال: إنِّي لأعلمُ أنَّها زوجتُهُ في الدُّنيا والآخِرة ، ولكنَّ اللَّهَ ابتَلاكم ؛ لتتبعوهُ أو إيَّاها". رواه البخاري. وعَنْ أَنَسِ بن مالكٍ -

رضي الله عنه ـ قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يَقولُ: (فَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على الطَّعام)! رواه الشيخان ـ البخاري ومسلم. 5- وأما عن عبادتها وزُهدها: فلقد كانتْ أُمُّ المؤمنين كثيرةَ الصيام ، حتى ضعُفت بنيتُها جداً ، كما جاء في السِّيَر للذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ عن عبد الرحمن بن القاسِم ، عن أبيه: أنَّ عائشةَ كانتْ تصوم الدَّهْر. كما كانتْ زاهدةً في الدنيا ، فعَنْها قالت: "ما شَبِع آلُ محمَّد يومَيْن من خُبزِ بُرٍّ إلا وأحدهما تَمْر". متفق عليه. وعن عطاء: أنَّ معاويةَ بعَث إلى عائشةَ بقِلادةٍ بمائةِ ألْف ، فقسمتْها بيْن أمَّهات المؤمنين. وعن عُروةَ ، عن عائشة: أنَّها تصدَّقتْ بسَبْعِين ألفًا ؛ وإنَّها لتُرقِّع جانبَ دِرْعها ـ رضي الله عنها. وعن أُمِّ ذَرَّة ، قالت: بعَث ابنُ الزبير إلى عائشةَ بمالٍ في غِرَارتَيْن ، يكون مائة ألْف ، فدَعَتْ بطَبق ، فجعَلتْ تُقسم في الناس ، فلمَّا أمسَت ، قالت: هاتِي يا جاريةُ فُطوري ، فقالت أمُّ ذَرَّة: يا أمَّ المؤمنين ، أمَا استطعتِ أن تشتري لنا لحمًا بدِرْهم؟! قالت: لا تُعنِّفيني ، لو أذْكرتني لفعلتُ. 6- فِقهُ وعِلم أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قال الزُّهريُّ: لو جُمِع عِلمُ عائشة إلى عِلمِ جميعِ النساء ، لكان علمُ عائشةَ أفْضلَ. كما أنَّ الله قد وهَبَها الذكاءَ والفِطنة ، وسُرعةَ الحافظة ، قال ابن كثير: "لم يَكُن في الأُممِ مثلُ عائشةَ في حِفْظها وعِلْمها ، وفصاحتِها وعَقْلِها". ويقول الذهبيُّ: "أفْقَهُ نِساء الأمَّة على الإطلاق ، ولا أعْلمُ في أمَّة محمَّد ، بل ولا في النِّساء مُطلقًا امرأةً أعلمَ منها". وقدْ تجاوز عددُ الأحاديث التي روتْها ألْفَيْن ومائة حديث عن النبيِّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهي مُشتَهِرة في كُتُب السُّنَّة: البخاري ومسلم ، والسُّنن والمسانيد ، وغيرها ؛ قال الحافظُ الذهبيُّ: مُسْنَد عائشة يبلُغ ألْفَين ومائتين وعشرة أحاديث ؛ اتَّفق البخاريُّ ومسلمٌ لها على مائةٍ وأربعةٍ وسبعين حديثًا ، وانفرَد البخاريُّ بأربعةٍ وخمسين ، وانفرد مسلِمٌ بتِسعة وستِّين. ويقول عُروةُ بنُ الزُّبَيْر: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بفِقه ، ولا بِطبٍّ ولا بِشِعر من عائشةَ ـ رضي الله عنها". وقال فيها أبو عُمرَ بنُ عبد البرِّ: "إنَّ عائشةَ كانتْ وحيدةً بعصرها في ثلاثةِ علوم: علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشِّعر". كما كانتِ المرجعَ الكبيرَ لكِبار الصحابة ، خاصَّة عندَ المواقف والملمَّات ، كما كانتْ تُفتي بما لدَيْها من عِلمٍ وفِقه في عهد الخليفةِ عمرَ وعثمانَ ـ رضي الله عنهما ـ إلى أن تُوفِّيت ـ رحمها الله ورضي عنها. 7- نزول براءتِها مِن حادثة الإفْك من عندَ الله تعالى: وقدْ تعرَّضَتْ ـ رضِي الله عنها ـ إلى ابتلاءٍ شديد ، وفِتْنةٍ كبيرة ، حيث طَعَن في شرَفِها وعِرْضها المنافقون في المدينة ، فأنْزَل الله براءتَها من فوقِ سبعِ سموات ، وقد قالتْ ـ رضي الله عنها ـ كما في الصحيحين: "... ثُمَّ تحولتُ واضطجعتُ على فِراشي ، والله يعلم أنِّي حينئذٍ بريئةٌ ، وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي ، ولكن واللهِ ما كنتُ أظنُّ أنَّ الله منزلٌ في شأني وحيًا يُتْلَى ، لشأني في نفْسي كان أحْقرَ مِن أن يتكلَّم الله فيَّ بأمْر ، ولكن كنتُ أرْجو أن يرَى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في النومِ رُؤيَا يُبرِّئني الله بها ، فواللهِ ما رام رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم – مجلسَه ، ولا خرَج أحدٌ مِنْ أهل البيت حتَّى أُنزِل عليه ، فأخَذَه ما كان يأخُذُه من البُرَحَاء ، حتى إنَّه ليتحدَّر منْه مِن العَرَق مثل الجُمَان ، وهو في يومٍ شاتٍ مِن ثِقَلِ القوْل الذي أُنزِل عليه. قالت: فَسُرِّي عن رسولِ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو يَضْحَك ، فكانتْ أوَّل كَلمةٍ تَكلَّم بها أنْ قال: (يا عائشةُ ، أمَّا اللهُ فقدْ بَرَّأكِ) ، قالت: فقالتْ لي أُمِّي: قُومِي إليه ، فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ، فإنِّي لا أحْمَدُ إلاَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ. قالت: وأنزَل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ). قال ابنُ كثير: "فغار اللهُ لها وأنْزَلَ براءتَها في عشْر آياتٍ تُتلى على الزمان ، فسَمَا ذِكْرُها ، وعلا شأنُها ؛ لتسمعَ عفافَها وهي في صِباها ، فشَهِدَ الله لها بأنَّها مِنَ الطَّيِّبات ، ووعدَها بمغفرةٍ

ورِزق كريم". ومَع هذه المنزِلَةِ العالية ، والتبرِئة العالية الزكيَّة مِنَ الله تعالى ، تَتَواضَعُ وتقول: "ولَشَأنِي في نفْسي أهونُ مِن أن يُنزِل الله فيَّ قرآنًا يُتْلَى"! 8- وأما عن خصائص أمِّ المؤمنين - رضي الله عنها -: فيقول ابنُ القيِّم - رحمه الله تعالى -: ومِن خصائصها الفريدة: أنَّها كانتْ أحبَّ أزواج رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – إليه ، كما ثبَت عنْه ذلك في البخاريِّ وغيره ، وقد سُئِل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قيل: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها). ومِن خصائصها كذلك: أنَّه لَمْ يتزوَّج امرأةً بِكرًا قط غيرها ، ومن خصائصها أيضاً: أنَّه كان يَنْزِل عليه الوحيُ وهو في لحافِها دونَ غيرِها ، ومِن خصائصها: أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لَمَّا أنزل عليه آيةَ التخيير بدأ بها فخيَّرها ، فقال: (ولا عليكِ ألاَّ تَعْجَلي حتى تستأمري أَبَوَيك) ، فقالت: أفِي هذا أسْتَأمِر أبوي؟! فإنِّي أُريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرة ، فاستنَّ بها - أي: اقتَدَى - بقيةُ أزواجه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقُلْنَ كما قالتْ. ومِن خصائصها: أنَّ الله سبحانه برَّأها ممَّا رماها به أهلُ الإفك ، وأنْزَل في عُذرِها وبراءتِها وحيًا يُتْلَى في محاريبِ المسلمين وصلواتهم إلى يومِ القيامة ، وشَهِد لها بأنَّها مِنَ الطيِّبات ، ووعَدَها المغفرةَ والرِّزقَ الكريم ، وأخْبَر سبحانه أنَّ ما قيل فيها مِنَ الإفك كان خيرًا لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شَرًّا لها ، ولا عائبًا لها ، ولا خافضًا مِن شأنها ، بل رَفَعها الله بذلك وأعْلى قدْرَها ، وأعْظَمَ شأنها ، وصار لها ذِكرًا بالطيب والبراءة بيْن أهلِ الأرض والسماء ، فيا لها مِن مَنْقَبة ما أجلَّها! ومِن خصائِصها - رضي الله عنها -: أنَّ الأكابرَ مِنَ الصحابة - رضي الله عنهم - كان إذا أَشْكَل عليهم أمرٌ مِن الدِّين استفتوها فيَجِدون عِلمَه عندَها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تُوفِّي في بيتها ، وفي يومِها ، وبيْن سَحْرِها ونَحْرها ، ودُفِن في بيتها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ الناسَ كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يومَها مِن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تقربًا إلى الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فيُتْحفونَه بما يحبُّ في منزلِ أحبِّ نسائِه إليه - صلَّى الله عليه وسلَّم ورضي الله عنهنَّ أجمعين. وقال الإمام بدرُ الدِّين الزَّرْكشيُّ في "الإجابة لإيراد ما استدركتْه عائشةُ على الصحابة" - وهو يَتكلَّم في خصائصها ، رضي الله عنها – الأربعين ، قال: "والخامِسة - أي: مِن الخصائص -: نزول براءتِها منَ السماء بما نَسَبه إليها أهلُ الإفك في ستَّ عشرةَ آية متوالية ، وشَهِد لها بأنَّها من الطيِّبات ، ووعَدها بالمغفرةِ والرِّزق الكريم ، قال: والسادس: جَعله قُرآنًا يُتْلَى إلى يومِ القيامة ؛ أي: الآيات التي نزلَتْ في براءتِها. وقال - في العاشرة -: وجوب محبَّتِها على كلِّ أحد ، ففي الصحيح: لمَّا جاءتْ فاطمة - رضي الله عنها - إلى النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لها: (ألسْتِ تُحبِّين ما أُحبُّ؟) قالت: بلى ، قال: (فأَحبِّي هذه - يعني: عائشة) ، وهذا الأمْرُ ظاهِرُه الوجوب. وقال - في الحادية عشرة -: إنَّ مَن قذَفها فقَدْ كفَر ؛ لتصريحِ القرآن الكريم ببراءتِها ، وقال - في الثانية عشرة -: مَن أنْكَر كونَ أبيها أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - صحابيًّا كان كافرًا ، نصَّ عليه الشافعيُّ ، فإنَّ الله تعالى يقول: (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ، ومُنكِر صُحْبةِ غير الصَّدِّيق يَكْفُر لتكذيبه التواتُر ؛ انتهى مختصرًا. 9- وفاتها - رضي الله عنها -: تُوفِّيت - رضي الله عنها وأرْضاها - سَنَةَ سَبْعٍ وخمسين على الصحيحِ ، وقيل: سَنَة ثمان وخمسين ، في ليلةِ الثلاثاء لسَبْعَ عشرةَ خَلَتْ مِن رمضان بعدَ الوتر ، ودُفنت من ليلتها ، وصلَّى عليها أبو هريرة ، بعدَ أن عمرتْ ثلاثًا وستين سَنَة وأشهرًا - كما ذَكَر الذهبيُّ في "السِّير". 10- حُكم الإسلام فيمَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: قال تعالى في تزكيةِ أمِّ المؤمنين ومكانتِها وغيرِها من زوجاتِ النبيِّ - صلَّى الله عليه

وسلَّم -: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ). وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام قاطبةً مِن أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ، ورُوي عن مالكِ بن أنس أنَّه قال: مَن سَبَّ أبا بكرٍ وعُمرَ جُلِد ، ومَن سَبَّ عائشةَ قُتِل ، قيل له: لِمَ يقتلُ في عائشة؟ قال مالك: فمَن رماها فقدْ خالَفَ القرآن ، ومَن خالف القرآنَ قُتِل. قال أبو مُحمَّد ابنُ حزْم الظاهريُّ - رحمه الله-: قول مالك هذا صحيحٌ ، وهي رِدَّة تامَّة ، وتكذيبٌ لله تعالى في قَطْعِه ببراءتها. وقال أبو الخطَّابِ ابنُ دِحية في أجوبة المسائل: وشَهِد لقول مالك كتابُ الله ، فإنَّ الله إذا ذَكَر في القرآن ما نَسَبه إليه المشرِكون سبَّح نفسَه لنفسِه ، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) ، والله تعالى ذَكَر عائشةَ ، فقال: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ، فسبَّح نفْسَه في تنزيهِ عائشةَ ، كمَا سبَّح نفسَه لنفسِه في تنزيهه ؛ حكاه القاضي أبو بكر ابن الطيِّب. وقال أبو بكر ابنُ زياد النيسابوريُّ: سَمعتُ القاسمَ بنَ محمَّد يقول لإسماعيلَ بن إسحاقَ: أُتِي المأمون في (الرَّقة) برَجلين شَتَم أحدُهما فاطمةَ ، والآخَرُ عائشةَ ، فأمَر بقَتْل الذي شتَم فاطمةَ وترَك الآخَر ، فقال إسماعيلُ: ما حُكْمُهما إلاَّ أن يُقتلاَ ؛ لأنَّ الذي شتَم عائشةَ ردَّ القرآن. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية - رحمه الله - تعقيبًا عليه: وعلى هذا مضَتْ سِيرةُ أهل الفِقه والعِلم من أهل البيت وغيرِهم. وقالَ ابنُ العربيِّ - رحمه الله -: كلُّ مَن سبَّها بما برَّأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومَن كذَّب الله فهو كافِر. وقال ابن قُدامة: فمَن قذَفها بما بَرَّأها الله منه فقدْ كفَر بالله العظيم. وقال الإمامُ النوويُّ - رحمه الله -: براءةُ عائشة - رضي الله تعالى عنها - مِنَ الإفْك ، وهي براءةٌ قطعية بنصِّ القرآن العزيز، فلو تَشكَّك فيها إنسانٌ - والعياذ بالله - صار كافرًا مرتدًّا بإجماعِ المسلمين. وقال ابنُ القيِّم - رحمه الله -: واتَّفقتِ الأُمَّة على كُفْر قاذفِها. وقد رُوِي عَنْ عَمْرِو بنِ غالِبٍ: أنَّ رَجُلاً نالَ مِنْ عائِشَةَ عندَ عَمَّارٍ ، فقالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا ، أَتُؤذِي حَبِيبةَ رَسُول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم؟! قال الذهبيُّ في السِّيَر: صحَّحَه الترمذيُّ في بعضِ النُّسخ ، وفي بعضِ النُّسخ قال: هذا حديثٌ حسَن. عن عروة "أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تسرد الصوم" – تتابع أيام الصيام - وعن القاسم: "أنها كانت تصوم الدهر ، لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر". وعن القاسم قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة - رضي الله عنها - فأسلم عليها ، وغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ: (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ؛ فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي!". وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - قالت: "كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي ، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي ، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ" (رواه أحمد ، وصححه الألباني). وقد ابتلي بمثل بلاء أمنا عائشة يوسف -عليه السلام- ، وكانت براءته على لسان قريب من امرأة العزيز: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ). وابتليت أيضًا مريم - عليها السلام -: (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ، فجاءت براءتها على لسان صغيرها النبي عيسى -عليه السلام-: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا). وبراءة عائشة - رضي الله عنها - لم تأت على لسان قريب أو نبي ، ولكن برأها الله من فوق سبع سماوات في عشر آيات من سورة النور ، قرآنًا يتلى إلى

قيام الساعة يشهد لعائشة ـ رضي الله عنها ـ من قوله – تعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). ونزل فيها وفي أمثالها من المؤمنات العفيفات الطاهرات: (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). وكَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: "حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ ، الْمُبَرَّأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ" (البداية و النهاية لابن كثير).وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ..." (صحيح البخاري). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تكنَّى بـ "أم عبدالله"، ويلتقي نسبها مع النبي ﷺ في مُرة بن كعب. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت لِلنَّبيِّ ﷺ: "يا رَسولَ اللهِ، كُلُّ نِسائِكَ لها كُنيةٌ، غَيري. فقال لها رَسولُ اللهِ ﷺ: اكتَني أنتِ أُمَّ عَبدِ اللهِ. فكان يُقالُ لها: أُمُّ عَبدِ اللهِ، حتى ماتَتْ، ولم تَلِدْ قَطُّ" (تخريج المسند بإسناد صحيح). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بيضاء جميلة، وهذا هو سبب تسمية السيدة عائشة بالـ "حُميْراء"، فالحُميرْاء هي البيضاء. وقال ابن حجر في الفتح: "والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يُشبه البرص ولهذا كان ﷺ يقول لعائشة يا حميراء" اهـ. وكان جسمها رضي الله عنها قليلاً وبعد الزواج بفترة زاد جسمها. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كانَت أمِّي تعالِجُني للسُّمنةِ ، تريدُ أن تُدْخِلَني على رسولِ اللَّهِ ﷺ: فما استقامَ لَها ذلِكَ ، حتَّى أَكَلتُ القثَّاءَ ، بالرُّطَبِ ، فسَمِنْتُ ، كأحسَنِ سِمنةٍ" (صحيح ابن ماجه). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مُسمَّاةً لجبير بن مطعم بن عُدي، فخطبها رسول الله ﷺ بعد أن سلَّها أبوها من أهله لإصراره على الكفر. "فأتى أبو بَكرٍ المطعمَ فقالَ: ما تقولُ في أمرِ هذِهِ الجاريةِ؟ قالَ فأقبلَ على امرأتِهِ فقالَ لَها: ما تقولينَ؟ فأقبلت على أبي بَكرٍ ، فقالت: لعلَّنا إن أنْكحنا هذا الفتى إليْكَ تُصبنْهُ وتدخلْهُ في دينِكَ فأقبلَ عليْهِ أبو بَكرٍ فقالَ: ما تقولُ أنتَ؟ فقالَ: إنَّها لتقولُ ما تسمعُ! فقامَ أبو بَكرٍ وليسَ في نفسِهِ منَ الموعدِ". (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي بإسناد حسن). وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: "تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النبيِّ ﷺ إلى المَدِينَةِ بثَلاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، ونَكَحَ عائِشَةَ وهي بنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بها وهي بنْتُ تِسْعِ سِنِينَ" (صحيح البخاري). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري ، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء ، وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة ، وقال: تزوجها ، فإنها امرأتك ، فكنت أغتسل أنا وهو من إناءٍ واحد ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان يصلي وأنا

معترضة بين يديه ، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري ، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري ، ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها ، ودفن في بيتي". (الطبقات الكبرى لابن سعد). * بين سَحْري ونَحْري: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري): "وَالسَّحْر: هُوَ الصَّدْر ، وَهُوَ فِي الْأَصْل الرِّئَة. وَالنَّحْر: الْمُرَاد بِهِ مَوْضِع النَّحْر (أسفل الرقبة)" اهـ. وقال الإمام أبو الوفا ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: "انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموضعه من الصلاة الأب". وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها. إن علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحرٌ لا يُثبر قعرُه ولا تُرى شطآنه ، وعُبابٌ لا تُكدِّره الدِّلاءُ ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، ومرجعًا صافياً رقراقاً يُرجَع إليه في مسائل العلم الشائكة فينهمر منه العلم الذي يُرشد الضال ويسكن به الحيارى. ولم لا!! وهي رضي الله عنها من أكثر رواة الأحاديث النبوية ، وقد عدّ الذهبي أحاديث عائشة 2210 حديث. وقال الحاكم في المستدرك: "إنَّ رُبْعَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ نُقِلَت عَن السَّيِّدَة عَائِشَة". وقال الزُّهري رحمه الله: "لو جُمِع علم نساء هذه الأمة ، فيهن أزواج النبي ﷺ ، كان علم عائشة أكثر من علمهنّ". (رواه الطبراني). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "ما أشكَل علينا ـ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ـ حديثٌ قطُّ فسأَلْنا عائشةَ إلَّا وجَدْنا عندَها منه عِلْمًا" (سنن الترمذي). وعن عُروةَ بن الزبير رضي الله عنه قال: "ما رأيْتُ امرأةً أعلمَ بطبٍّ ولا بفقهٍ ولا بشِعرٍ مِن عائشةَ". (مجمع الزوائد بإسناد حسن). وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بسُنن رسول الله ﷺ ولا أفقهَ في رأي إن احتُيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلتْ ، ولا فريضة ـ مِن عائشة". ومن أسباب المكانة العلمية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (شدة ذكائها، وقوة ذاكرتها. ـ زواجها من النبي ﷺ في سن مبكرة وملازمتها له ﷺ إلى أن توفاه الله تعالى. ـ كثرة ما نزل من الوحي في حُجرتها. ـ رغبتها في التعلم ، فكانت رضي الله عنها لا تسمع أمراً تستشكله ، إلا وتستفسر عنه. وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ. وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف ـ عليه السلام ـ لما رُمِي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد ، وإن مريم لَمَّا رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى ـ صلوات الله عليه ـ وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله ـ تعالى – بالقرآن ؛ فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان" (الجامع لأحكام القرآن). وقال ابن العربي رحمه الله: "إن أهل الإفك رموا عائشة المُطهرة بالفاحشة ، فبرَّأها الله ، فكل من رماها بما برأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومن كذب الله فهو كافر" اهـ. وقال الزمخشري: "ولو فليت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به من العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة" اهـ. إنه لشرف كير لكل شاعر مسلم أن يحتوي ديوانه على قصيدة يُنصف فيها أمه وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق – رضي الل عنهما ـ! وإن بُردتي هذه أجعلها سهماً من سهام الحق في الرد على كل من ينتقص هذه الأم العبقرية العظيمة التي لا أجد من الكلمات ما أصف به نعم الله عليها من العلم والرشد والفقه واللغة والشعر والفصاحة والبلاغة والإبانة والخطابة والفتوى والطب والمناظرة! يقول الأديب الأستاذ مسلم بن محمد اليوسف في محاضرةٍ له عن أم المؤمنين عائشة وتحت عنوان: (حياة

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) ما نصه بترف زهيد: (أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - تُعتبر من أولي اللواتي حملن لنا هذا الدين القويم ، فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. فقد دأب بعض أهل الهوى والفكر المنحرف ، الدخيل على ديننا الحنيف دأبوا على النيل من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن طريق أزواجه الأطهار رضوان الله عليهن عمومًا ، وعائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص لمكانتها العلمية في ديننا الحنيف. فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. تِلكم أم المؤمنين الصديقة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي الشريف وأشدهم حفظاً له. فأما عن حياة أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف الخاصة والعامة. أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف ، ظفرت بألقاب لم تظفر بها غيرها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين منها: 1- عائش: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله: «يا عائش» تحببًا ، وتحسنًا لمكانتها المميزة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي الصحيحين عن عائشة ، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائش! هذا جبريل يُقرئكِ السلام». رواه الشيخان: البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه. 2- حميراء: وكذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى حبيبته عائشة رضي الله عنها بالحميراء ، تحببًا إليها وملاطفة لها ومن ذلك ما رواه عدد من العلماء من رواية أم المؤمنين عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون ، فقال لي: «يا حميراء! أتحبين أن تنظري إليهم» ، فقلت: نعم ، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده" قالت: "ومن قولهم يومئذ أبا القاسم طيبًا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسبك» فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «حسبك» فقلت: "لا تعجل يا رسول الله" قالت: "وما لي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه". * قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حميراء! أتحبين أن تنظُري إليهم؟!» يعني: إلى لعب الحبشة ورقصهم في المسجد. ولفظ: «حميراء»: معناه البيضاء ؛ لأن أم المؤمنين كانت بيضاء رضي الله عنها. والعرب تطلق على الأبيض أحمر لغلبة السمرة على لون العرب ، والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وسئل ثعلب: "لم خص الأحمر دون الأبيض؟ فقال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر" (لسان العرب المحيط؛ لابن منظور، إعداد: يوسف خياط، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب المحيط ، مجلد: [714/1]). 3- ابنة الصديق: كثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديها بابنة الصديق تحببًا وإكرامًا لابنة الصديق لما لها وأبيها من مكانة عظيمة في قلبه وقلب كل مؤمن بالله ورسوله. من ذلك ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "قلت يا رسول الله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}- ؛ هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق: ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ، ويخاف أن لا يُقبل منه». (شرح العقيدة الطحاوية ؛ تخريج الشيخ الألباني ص: [365]). 4- ابنة أبي بكر: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بابنة أبي بكر لبيان عظيم مكانتها ومكانة أبيها أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "أرسل

أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي ، فأذن لها ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، وأنا ساكتة". قالت: "فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟». فقالت: بلى ، قال: «فأحبي هذه»" ، قالت: "فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرتهن بالذي قالت ، وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلن لها: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا من شيء فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا". قالت عائشة: "فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدّق به ، وتقرّب به إلى الله تعالى ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، تسرع منها الفيئة". قالت: "فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، - ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها ، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة". قالت: "ثم وقعت بي ، فاستطالت علي ، وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها" ، قالت: "فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر" ، قالت: "فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها" ، قالت: "فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسَّم: «إنها ابنة أبي بكر»". (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). 5- المُوَفقة: وأيضًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بالموفقة لتوفيق الله تعالى لها بكل ما تقول أو تفعل رضي الله تعالى عنها. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة» ، فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفقة». (رواه الترمذي في جامعه ، ج: [376/3] ، وقال عنه: "حسن غريب" ، وقد ضعّفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ، برقم: [5801]). 6- أم عبد الله: كنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأم عبد الله. روت عائشة رضي الله عنها قولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أم كل صواحبها لهن كنى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاكتني بابنكِ عبد الله» ، يعني ابن أختها فكانت تُكنَّى بأم عبد الله" (سنن أبي داود، دار الفكر بيروت لبنان، ج: [293/4]). وفي رواية ثانية عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لمّا وُلِدَ عبد الله بن الزبير أتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوه ، وقال: «هو عبد الله وأنتِ أم عبد الله» ، فما زلت أكنى بها وما ولدت قط". (صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، عام 1193م ، ج: [55/16]). 7- أم المؤمنين: بهذا اللقب لقبت عائشة رضي الله عنها كغيرها من أمهات المؤمنين وبيان ذلك قوله سبحانه وتعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}. وهذه الألقاب التي لُقِّبَت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبالتالي فهي تستحق بجدارةٍ أن

تعطى لقبًا جديدًا ألا وهو: لقب ملكة العفاف كبرهان محبة مني ، كما هو اعتذار عمَّا لحقها ومن يحبها من أذى لقاء تقوُّلات من أهل الزيغ والضلال. ولادة أم لمؤمنين عائشة ، ونشأتها: وُلِدَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة المكرمة قبل الهجرة بسبع سنين تقريبًا. وقد تربت رضي الله عنها شطرًا في بيت الصديق (تسع سنين) ، وشطرًا آخر في بيت النبوة (تسع سنين أيضًا). زواجها من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: بعد وفاة خديجة رضي الله عنها لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سنتين أو قريبًا من ذلك دون زوجة ، ثم جاءته خولة بنت حكيم رضي الله عنها فعرضت عليه خطبة عائشة بنت أبي بكر الصديق فعقد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة المنورة ، وهي بنت تسع سنين. وقد وصفت أم المؤمنين رضي الله عنها زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "تزوجني الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكتُ فتمرّق شعري ، فوفى جميمة ، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج ، حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين". (صحيح البخاري ، ج: [4/ 251-252]). وقد كانت رضي الله عنها وأرضاها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان عليه والصلاة والسلام يُصرِّح بذلك كما ورد في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث سأله: "أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [113/5]. ومسلم في صحيحه ، ج: [1856/4]). قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: "وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبًا ، وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [1338/3]). فأحب أفضل رجل من أمته ، وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا ألا تراهم يعني الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته (سير أعلام النبلاء للذهبي ؛ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج: [142/2]). - بعض صور معاملة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لزوجه عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد كانت الصديقة عائشة بنت الصديقة رضي الله عنها ما تزال صغيرة تحتاج ما تحتاج إليه أمثالها من اللعب والصواحب ، فكانت رضوان الله عليها تلعب بألعابها مع صاحباتها في بيت النبوة ، فلم يكن الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم ينفر من هذا أو يتضايق من بل كان عليه والصلاة السلام يُسَرُّ بصاحبات الصديقة لأنهن يلعبن معها. قالت رضي الله عنها وهو يتصف ذلك: "وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَرُّ بهن إليّ" (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). وكان عليه والصلاة والسلام يلاطف زوجته الصغيرة ويلاعبها بما يلائم صغرها وسنها ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب. فقال: «ما هذا يا

عائشة؟» قالت: بناتي ، ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان!» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه". (رواه أبو داود في سننه ، ج: [4/ 283-284]. والنسائي في سننه ، ج: [75/1]). ومن حسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسترها بردائه حتى تنظر إلى لعب الأحباش لتسليتها ، بل كان عليه الصلاة السلام يقف دون كلل أو ملل ، حتى تمل رضي الله عنها وتنصرف. ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنه: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [159/6] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [609/2]). وقد كانت أم المؤمنين رضي الله عنها من شدة حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورعها لله تعالى إذا كان هناك أي خصومة من الخصومات التي تحصل بين الأزواج لا تهجر إلا اسمه فقط. ويُبيِّن ذلك ما روته الصديقة رضي الله عنها عندما قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "«إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية ، وإذا كنتِ علي غضبى»". قالت: "ومن أين تعرف ذلك؟" قال: «أما إذا كنتِ عني راضية فإنكِ تقولين لا وربّ محمد. وإذا كنتِ غضبى ، قلت: لا وربّ إبراهيم»". قالت عائشة: "قلت: أجل والله! يا رسول ما أهجر إلا اسمك". وكانت رضي الله عنها فرحة مرحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وباقي زوجاته الكرام ، ويدل على ذلك ما (رواه الهيثمي وغيره في مجمع الزوائد): "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة ـ حساء من دقيق ودسم ـ وقد طبختها له ، فقلت لسودة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها: كُلي – فأبت ، فقلت: لتأكلين أو لألطخنَّ وجهكِ ، فأبت ، فوضعتُ يدي في الحريرة فطليت وجهها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع بيده لها ، قال لها: الطخي وجهها ، ففعلتْ ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم". (مجمع الزوائد للهيثمي ، ج: [315-316]. مسند أبي يعلى ، ج: [449/7]). وقد اشتهرت رضي الله عنها بالحياء والورع الشديدين ، حتى أنها كانت تستحي من عمر رضي الله عنه وهو في قبره ، ولعل خير مثال يبين ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها بقولها: "كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي فأضع ثوبي فأقول: إنما هو زوجي وأبي! فلما دُفِنَ عمر معهما ، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر". (مسند الإمام أحمد ، ج: [202/6]. المستدرك على الصحيحين ، ج: [63/3]). وصور صبر وورع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تنقضي! ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ، قالت: "دخلت امرأة ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته ، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار». (صحيح البخاري ، ج: [2234/5]). روى البخاري أيضًا عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه ، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها ، وعليها درع قطر ، ثمن خمسة دراهم ، فقالت: "ارفعْ بصرك إلى جاريتي انظر إليها ، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت ، وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تُقَيَّنُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ". (صحيح البخاري ، ج: [926/2]). ففي هذا الحديث دليل على تواضع أم المؤمنين رضي الله عنها فهي تلبس ثيابًا تأبى الخدم أن يلبسوه ، وأمرها رضي الله عنها في

التواضع والورع مشهور ، وفيه حلم عائشة عن خدمها ورفقتها في المعاتبة ، وإيثارها بما عندها مع الحاجة إليه. وعن عروة بن الزبير قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها ، فغدوت يومًا ، فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمتُ حتى مللتُ القيام ، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي". (صفة الصفوة ، ج: [31/2]). ولا شك أن لأم المؤمنين مكانة عظيمة في حياة الأمة ، لذلك كان لا بد من بيان مكانتها ، أثرها رضوان الله عليها في الحياة الإسلامية. رُب سائل يسأل كيف كان لأم المؤمنين حياة عامة وقد أمرهن الله تعالى مع باقي أمهات المؤمنين أن يقرن في بيوتهن ، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وإذا أرادهن أحد المسلمين بفتوى أو حاجةٍ فيجب أن يسألوهن من وراء حجاب ، وذلك من قوله سبحانه وتعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}. وقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}. وللجواب على هذا التساؤل: أقول بأن الحياة العامة التي كانت أم المؤمنين تتفاعل معها يقصد منها المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي والتفاعل مع أعضائه ضمن الحدود الشرعية. فالصديقة بنت الصديق ولدت في بيت إيماني متميز في حمل هموم الدعوة ، وشاهدت منذ نعومة أظفارها تفاصيل نشوء الدين الإسلامي وتفاعلت معه بكل ما فيه من آلام وآمال. قالت رضي الله عنها: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طرفي النهار: بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاء ، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين". (صحيح البخاري ، ج: [181/1]). وقد كانت أم المؤمنين تشارك في كثير من أحداث الأمة ، وقد بدأتها بالهجرة إلى المدينة المنورة للحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها الصديق رضي الله عنه. فالصديقة بنت الصديق كانت منذ أن فتحت عينيها مساهمة ومشاركة في خدمة هذا الدين ورسوله وأهله ، لذلك كانت مشاركاتها في كل مناحي الحياة الإسلامية وِفق الضوابط الشرعية حتى الغزوات منها ففي غزوة أحد كانت رضي الله عنها تنقل الماء بالقرب ثم تفرغه في أفواه الصحابة المنهكين من القتال والعطش. روى البخاري رحمه الله ؛ عن أنس رضي الله عنه قال: "لمَّا كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب - تنقزان: تسرعان المشي كالهرولة - ، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم". (صحيح البخاري ، ج: [1055/3]). وما كان لهذه الشخصية العظيمة التي تربت في بيت الصديق والنبوية أن تغيب عن مشهد الأحداث ، وخصوصًا إذا كانت تلك الأحداث ، مفصلة في تاريخ وحياة الأمة. كيف لا

وهي أم للمؤمنين التي يدفعها إلى ذلك الشعور بالواجب الملقى على عاتقها ، ثم الإحساس بالقدرة على التأثير والتغيير والإصلاح بين أبنائها المؤمنين إذا دعت الحاجة لذلك. ففي فتنة عثمان رضي الله عنه رأت رضي الله عنها بوجوب القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه والإصلاح بين المسلمين. ونتيجة هول ما حصل من أمر معركة الجمل التزمت أم المؤمنين بيتها ولم تعد تشارك في أحداث الأمة بشكل مباشر ، بل عن طريق النصيحة والإرشاد كما فعلت مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ذلك أن معاوية رضي الله عنه طلب منها النصيحة فكتبت إليه: "إلى معاوية سلام عليك ، أما بعد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليكم". (صحيح ابن حبان ، ج: [510/1]). وهكذا رأينا أن أم المؤمنين رضي الله عنها لم تدخر وسعًا في مناصرة الحق وبيانه ، والاهتمام بقضايا الأمة ، فكانت تأتيها الوفود من كل بقاع الدولة الإسلامية فتجيبهم عن فتاويهم وأسئلتهم بما علمت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانت تنصح الأمراء والولاة والخلفاء وتذكرهم بأيام الله تعالى ، فهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها. وكانت قد اكتسبت رضي الله عنها علمًا غزيرًا صافيًا من نبع النبوة الذي لا ينضب ، فكانت أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين وأصوله وفروعه والأدب ، ولا يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرًا ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفقه والفرائض ، فتجيبهم. قال عطاء رضي الله عنه: "كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيًا". (المستدرك على الصحيحين ، ج: [15/4]). ولعل أهم الأسباب التي ساعدت أم المؤمنين على اكتساب هذا العلم ما يلي: 1- الذكاء وقوة الحفظ: امتازت أم المؤمنين رضي الله عنها بالذكاء الوقاد وقوة الحفظ والاستذكار مما ساعدتها بفضل الله على حفظ كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقههما. 2- علمها بالعربية وفنونها وأشعارها: وقد كانت رضي الله عنها عالِمة بالعربية وفروعها وأشعار العرب ونوادرهم ، فصيحة اللسان مما ساعدها على فهم القرآن وتفسيره ، وقد تعلمت من والدها الصديق البلاغة والفصاحة ، فقد كان الصديق علامة العرب في ذلك. 3- نشأتها في بيت النبوة: نشأت السيدة عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة فشاهدت أحوال النبي صلى الله عليه وسلم واطلعت على أخباره فتعلمت حكمته وكل شؤونه وخاصة ما يتعلق بأحكام النساء. 4- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليمها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على تعليمها لما لمسه من ذكاء وفطنة ، فكان عليه الصلاة والسلام يحدثها ويفقهها بالدين. نزول الوحي في فراشها: فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها رضي الله تعالى عنها" (تفسير ابن كثير، ج: [487/3]). وقد أخذ عنها كثير من الصحابة ، والتابعين وخلق كثير ، ورُوِي عنها [2210] حديثاً ، ولها آراء فقهية كثيرة ، واجتهادات عديدة ، وتخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عدد كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندنا منه عِلمًا". (رواه الترمذي في سننه ، ج: [705/5]). وكان لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تلاميذ كثر من التابعين الذي أخذوا العلم عنها ونشروه في الأمصار الإسلامية ، فصاروا أئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل ومن أشهر هؤلاء رضي الله عنهم عروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، ومسروق بن الأجدع ،

وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ـ عليهم رحمة الله تعالى أجمعين ـ. وكان هؤلاء التلاميذ النجباء يتلقون العلم في غرفة قصية البناء ، مبنية من جريد عليه طين من حجارة مرضونة وسقفها من جريد ، وكانت رضي الله عنها تضع حجابًا بينها وبين طلاب علمها النبوي الشريف. وكانت الصديقة رضي الله عنها ذات منهج علمي مميز ، ولعل أبرزه ما فيه ما يلي: 1- توثيق المسائل: كانت رضي الله عنها إذ تحرص على تتبع توثيق المسائل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. عن يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، أنها أخبرته أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: من أهدى هديًا حرم عليه ما يحرم على الحاج ، حتى ينحر الهدي وقد بعثت بهديي فاكتبي إليّ بأمرك ، قالت عمرة: فقالت عائشة رضي الله عنها: ليس كما قال ابن عباس: "أنا فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، ثم قلدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أحله الله له حتى نحر الهدي". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [564/2] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [895/2]). 2- الورع عن الكلام بغير علم: كانت رضي الله عنها تتورع عن الكلام بغير علم ، ومن مثل هذا ما قال شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين ، فقالت: "عليك بابن أبي طالب فسله ، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". فسألناه فقال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم". (أخرجه مسلم، ج: [232/1]). 3- الجمع بين الأدلة وفهم مقاصد الشريعة: كانت رضي الله عنها تعتمد على الجمع بين الأدلة وفهم الشريعة وعلوم العربية. ومن ذلك ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها قال: "قلت أرأيت قول الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}. قال: "قلت فوالله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي! إنها لو كانت على ما أوَّلتَها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لِمَنَاةَ الطاغية التي كانوا يعبدون عند المُشَلَل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} ، قالت عائشة: "ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما ، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما". (أخرجه مسلم في صحيحه: [929/2]). 4- معرفتها بأدب الحوار: كانت رضوان الله عليها على معرفة عميقة وتامة بآداب الحوار وكل ما يلزم ذلك. كيف لا وهي التي تربّت وتعلّمت في بيت النبوة. عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: "كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن ، قال فقلت: يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال: نعم. فقلت: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟! قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب. فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب ، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لَمَعَهُ. قال وابن عمر يسمع فما قال: لا ولا نعم ، سكت". (أخرجه مسلم في صحيحه ، ج: [916/2]). 5- الدقة في نقل الموروث النبوي: وكانت أم المؤمنين رضي الله عنها دقيقة جدًا في نقل الموروث النبوي أمانة في النقل ، وورعًا وخوفًا من الله سبحانه

وتعالى ، عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته أنها سمعت عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذَّب ببكاء الحي. فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ! إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها ، فقال: «إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذَّب في قبرها». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [433/1]، ومسلم في صحيحه ، ج: [643/2]). 6- اختبار المحدِّث: وكانت عائشة رضي الله عنها إذا لم تكن تعرف الحديث اختبرت قائله ، فإن ضبطه قبلته ، وهذا الأسلوب اتبعه نقاد الحديث فيما بعد في نقد نقل الرجال. عن عروة بن الزبير قال: "قالت لي عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحج فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا! قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا ولكن يقبض العلماء ، فيرفع العلم معهم ، ويبقى في الناس رؤوسًا جهالًا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون»". قال عروة: "فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟! قال عروة حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم قال فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك ، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص". 7- عدم الإسراع في الكلام والتأني في سرد الأحاديث: اتبعت أم المؤمنين رضي الله عنها أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التحدث والتعليم ، فكانت رضي الله عنها تتكلم بتأنٍ دون كلل ولا تكثر في الكلام والتحدُّث. عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له: "ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي يُحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعني ذلك وكنت أُسبِّح ، فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم". (أخرجه مسلم في صحيحه. وقال الإمام النووي: قولها: "لم يكن يسرد الحديث كسردكم" ؛ أي يكثره ويستعجل فيه. شرح النووي ، ج: [54/16]). لقد كانت الصديقة بنت الصديق ملكة العفاف بحرًا زاخرًا في الدين ، وخزانة حكمة وتشريع ، ومدرسة قائمة بذاتها ، ونابغة في الذكاء والفصاحة والبلاغة فكانت رضوان الله عليها عاملًا كبيرًا ذا تأثير عميق في نشر العلم النبوي الشريف. وأخيراً وليس آخِرا توفيت رضي الله عنها في خلافة معاوية رضي الله عنه ليلة الثلاثاء ، السابع عشر من رمضان ، سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، وهي ابنة ثلاثٍ وستين سنة ، بعد مرض ألم بها حتى أنها شعرت بأنه مرض الموت ، ولهذا أوصت: "أن لا تتبعوا سريري بنار ، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء وأن لا يُصلِّي علي إلا أبو هريرة". (الطبقات ؛ لابن سعد ، ج: [76/8]). ودُفِنت عليها رحمة الله بالبقيع من ليلتها بعد صلاة الوتر. (البداية والنهاية ، ج: [94/8]) ، بحسب وصيتها لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، حيث قالت له: "ادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكي به أبدًا". (رواه البخاري ، في صحيحه ، ج: [255/3]).هـ. قال الدكتور الشاعر عائض القرني في مستهل قصيدته عن عائشة – رضي الله عنها -:

يـــا أمنـــا أنـــتِ أنـــتِ ذروة الكـــرمِ وأنـــتِ أوفـــى نســـاء العُـــرب والعجـــمِ

يـا زوجـة المصـطفى ، يـا خيـر مـن حملـتْ نـــورَ النبـــوة والتوحيـــد مـــن قِـــدم

إلى أن قال في ختام قصيدته مُودعاً أم المؤمنين ومسَلماً عليها:-

عليـــــكِ منـــــا ســـــلامُ الله نرفعـــــهُ بنفحـــة المســـك بـــين الســـدر والســـلم

لا بـــــارك الله فـــــي الـــــدنيا إذا وهنـــــتْ منـــا العـــزائمُ ، أو لـــم نـــوفِ للقِمـــم

فـــالموتُ أشـــرف مـــن عـــيش بـــلا شـــرف والقبـــر أكـــرم مـــن قصـــر بـــلا كـــرم

ولستُ أدّعي لنفسي أنني بلغتُ بقصيدتي مقامَ الشاعر الدكتور القرني! ففرقٌ كبير بين متمكن في الشعر متمرس فيه مثل الدكتور عائض ، وبين متطفل على الشعر متلعثم فيه مثلي! ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً! فالمعروف والمشاهد والملموس أن الدكتور القرني قامة في الشعر والأدب والعلم منذ كنتُ أنا في الصف الأول الثانوي! فأين من أين؟! وعلى هذا فيُصبح هو من أساتذتي الأعلام! ولا أزكيه على الله تعالى! وأعتذر ابتداءً عن أي تقصير أو خلل في قصيدتي هذي! وليكن معلوماً أن زللاً وقع أو خطأ سقط فهما من الغفلة التي تنتاب كل كاتب وشاعر! هذا وأعذر إلى الله تعالى إن كنتُ قد قصرتُ في حق أمي وأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر ، الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما وأرضاهما -! كما وأعتذر اعتذاراً كبيراً جداً عن طول المقدمة التي وددتُ لو طالت أكثر لأقدم عائشة لمن يجهلها! وأعتقد أنني ربما كررتُ بعض المعلومات عنها: ففي مقام أختصر ، وفي مقام آخر أسهب! وفي مقام أذكر المصدر ، وفي مقام آخر لا أذكره! وكم كانت حيرة كبيرة ، وأنا أحاول أن أكتب عن أمي وأم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -! حيث وجدتني أمام كم كبير هائل من المعلومات والأخبار والتراجم ، وأغلبها صادقٌ محققٌ مدققٌ صحيحٌ أو حسن! وأحسبني دخلتُ مغارة علي بابا فوقعتُ على العقيق والزمرد والزبرجد والماس والفضة والياقوت! فاحترتُ ما هل عساي أن أحمل من هذه المجوهرات! وبالطبع نتحفظ على هذا الكلام والتشبيه بمغارة علي بابا! فأخبار عائشة تختلف عن مجوهرات الناس المسروقة الموضوعة في مغارة علي بابا! بينما أخبار عائشة كما أسلفت محض صدق وليست مزورة أو مسروقة! بل أوردها علماء أجلاء نذروا حياتهم لبيان الحق ونشر العلم الصحيح ، وكانوا قد تناولوا فيما تناولوا أخبارها بشيء كبير من التحقق والتثبت! والآن لنطاله ماذا فتح الله علينا به في الحديث عن وإلى أمنا وأم المنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -. وكنتُ قد أسميتها: (بُردة عائشة) ليكون لها من الشأن في حياتي أو بعد موتي ما كان - للبردة الزهيرية (لكعب بن زهير) والبوصيرية (للبوصيري) والشوقية (لأمير الشعراء أحمد شوقي بك) والبارودية (لمحمود سامي البارودي) والباكثيرية (لعلي أحمد باكثير) والمطرية (لعلي محمود مطر) والقرنية (للدكتور الشاعر والشاعر الدكتور عائض بن عبد الله القرني! – من شأن! وكنتُ قد جعلتها مائة وأحد عشر بيتاً ، وودتُ الإطالة! ولكن والله العظيم هذا ما فتح الله تعالى عليّ به ليس إلا! ومهما كتبنا نثراً أو شعراً عن أمنا وأم المؤمنين عائشة – الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما ، فما وفيناها عشر حقها علينا!)

100 - بُردة عُثمان بن عَفان – رضي الله عنه -!

(وهذه هي البردة السادسة من برداتي الشعرية التي قصرتها وحصرتها على ديوان: (خانك الغيث والذي يعتبر الجزء الرابع والعشرون من الديوان الأم: (ديوان السليمانيات)! والبردة ولا شك عمل أدبي عظيم وإنجاز شعري رائع! وتكون أعظم وأروع عندما تكون عن إنسان عظيم ورائع! ومن هنا كانت (بردة عثمان) عن أبي عبد الله ذي النورين وصاحب الهجرتين وحبيب قريش والقرشيين الصحابي الجليل المبشر بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان! لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحبون عثمان ، ويقدرونه ، ويعلمون له فضله وسبقه ، وينفون عنه قول كل حاقد وفاسق. فقد كان عثمان من المجتهدين في العبادة ، وقد رُوي من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه. وكان - رضي الله عنه - يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس ، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله. وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي ، "أن رسول الله دخل على ابنته رقية ، وهي تغسل رأس عثمان فقال: يَا بُنَيَّةُ ، أَحْسِنِي إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ أَشْبَهُ أَصْحَابِي بِي خُلُقًا". والسيدة عائشة رضي الله عنها تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله مضطجعًا في بيته كاشفًا عن ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له ، فدخل وهو على تلك الحالة فتحدث ، ثم استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوَّى ثيابه. قالت عائشة: يا رسول الله ، دخل أبو بكر ، فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟! فقال رسول الله: أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ؟". وحدثنا يونس حدثنا عمر بن إبراهيم اليشكري قال: سمعت أمي تحدث أن أمها انطلقت إلى البيت حاجة والبيت يومئذ له بابان قالت فلما قضيت طوافي دخلت على عائشة قالت: قلت يا أم المؤمنين إن بعض بنيك بعث يقرئك السلام وإن الناس قد أكثروا في عثمان فما تقولين فيه؟ قالت: لعن الله من لعنه! لا أحسبها إلا قالت ثلاث مرار لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسند فخذه إلى عثمان وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحي ينزل عليه ، ولقد زوجه ابنتيه إحداهما على إثر الأخرى ، وإنه ليقول: اكتب عثمان! قالت: ما كان الله لينزل عبداً من نبيه بتلك المنزلة إلا عبداً عليه كريماً. وعلي بن أبي طالب "عن النزال بن سبرة الهلالي قال: قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين ، فحدثنا عن عثمان بن عفان. فقال: ذاك امرؤ يُدعى في الملأ الأعلى ذا النورين ، كان خَتَن رسول الله على ابنتيه (أي: زوج ابنتيه) ، ضمن له بيتًا في الجنة". وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: "بلغ عليًّا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد ، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان ، لعنهم الله في السهل والجبل. قال مرتين أو ثلاثًا". وعبد الله بن عباس قال في مدح عثمان وذم من ينتقصه: "رحم الله أبا عمرو ، كان والله أكرم الحفدة ، وأفضل البررة ، هجادًا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضًا عند كل مكرمة ، سباقًا إلى كل منحة ، حبيبًا أبيًّا وفيًّا ، صاحب جيش العسرة ، ختن رسول الله ، فأعقب الله على من يلعنه لعنة الملاعين إلى يوم الدين". أنس بن مالك يقول أنس بن مالك: "صعد النبي جبل أحد وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم ، فقال: اثْبُت أُحُد ، فَإِنّمَا عليْك نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشهيدان". وقيل لأنس بن مالك: إن حب علي وعثمان لا يجتمعان في قلب. فقال أنس: كذبوا ، لقد اجتمع حبهما في قلوبنا. أبو

هريرة عن أبي مريم قال: "رأيت أبا هريرة يوم قتل عثمان وله ضفيرتان وهو ممسك بهما ، وهو يقول: قتل والله عثمان على غير وجه الحق". وعبد الله بن عمرو بن العاص أخرج أبو نعيم في معرفة الصحابة بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: عثمان بن عفان ذو النورين قُتل مظلومًا ، أوتي كِفْلَيْن من الأجر. فمن عثمان؟ وما هي قصة إسلامه؟ وما هي قصته مع الإسلام؟ وما هي قصة الإسلام معه؟ وبم امتازت خلافته عن سئر الخلفاء الراشدين؟ هذا ما ينبغي أن نعرض له ولو باختصار قبل مطالعة البردة العثمانية الشعرية! جاء في إسلام أون لاين ما نصه بتصرف: (عثمان بن عفان رضي الله عنه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، من السابقين إلى الإسلام ، وثالث الخلفاء الراشدين ، في عهده تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد. لُقب بـ "ذو النورين" لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وذلك على الترتيب: (رقية وأم كلثوم). كان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام ، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة. وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحبه ، فبشره بالجنة وأخبره بأنه سيموت شهيداً. كان رسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم - يثق في عثمان بن عفان ويحبه ويكرمه لحيائه ودماثة أخلاقه وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين ، وبشّره بالجنة كأبي بكر وعمر وعلي وبقية العشرة ، وأخبره بأنه سيموت شهيدًا. استخلفه رسول اللَّه (صلى الله عليه وسلم) على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان ، وكان محبوبًا من قريش ، وكان حليمًا ، رقيق العواطف ، كثير الإحسان. وكانت العلاقة بينه وبين أبي بكر وعمر وعليّ على أحسن ما يُرام ، ولم يكن من الخطباء ، وكان أعلم الصحابة بالمناسك ، حافظاً للقرآن ، ولم يكن متقشفاً مثل عمر بن الخطاب بل كان يأكل اللين من الطعام. نسب عثمان بن عفان ولقبه وكنيته هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر العدوي القرشي. ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح. أما أبوه فهو: عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. من بطن بني أمية ومن ساداتها وكان كريماً جواداً وكان من كبار الأثرياء ، وهو ابن عم الصحابي الجليل أبي سفيان بن حرب. يلتقي نسبه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجد الرابع من جهة أبيه. وأما أمه فهي الصحابية الجليلة: أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأروى هي ابنة عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول - صلى الله عليه وسلم -. لُقب رضي الله عنه بذي النورين ، والمراد بالنورين ابنتا النبي صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما ، حيث زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته رقية ، وحين توفيت زوجه ابنته الثانية أم كلثوم. وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني ، أتدري لما سمي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري. قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خُلِق آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان بن عفان ، فلذلك سُمي ذا النورين. كان عثمان بن عفان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام سماه عبد الله ، واكتنى به ، فكناه المسلمون أبا عبد الله. وعندما ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، ولم

يعرف عنه تلكؤًا أو تلعثمًا ، بل كان سبَّاقًا أجاب على الفور دعوة الصديق ، فكان بذلك من السابقين الأولين ، فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال ، ولعل هذا السبق إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام ، وقد قصه رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله ، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن ، وأنبأهما بحقوق الإسلام ، ووعدهما الكرامة من الله ، فآمنا وصدقا ، فقال عثمان: :يا رسول الله ، قدمت حديثًا من الشام ، فلما كان بين معان والزرقاء ، فنحن كالنيام فإذا منادٍ يناديناً: أيها النيام هبُّوا ، فإن أحمد قد خرج بمكة. فقدمنا فسمعنا بك". لا شك أن هذه الحادثة تترك في نفس صاحبها أثرًا عجيبًا لا يستطيع أن يتخلى عنه عندما يرى الحقيقة ماثلة بين عينيه ، فمن ذا الذي يسمح بخروج النبي قبل أن يصلي إلى البلد الذي يعيش فيه ، حتى إذا نزله ووجد الأحداث والحقائق تنطق كلها بصدق ما سمع به ، ثم يتردد في إجابة الدعوة؟ فقد تأمل في هذه الدعوة الجديدة بهدوء كعادته في معالجة الأمور ، فوجد أنها دعوة إلى الفضيلة ونبذ الرذيلة ، دعوة إلى التوحيد وتحذير من الشرك ، دعوة إلى العبادة وترهيب من الغفلة ، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة وترهيب من الأخلاق السيئة ، ثم نظر إلى قومه فإذا هم يعبدون الأوثان ويأكلون الميتة ، ويسيئون الجوار ، ويستحلون المحارم ، وإذا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم صادق أمين يعرف عنه كل خير ولا يعرف عنه شر قط ، فلم تُعهد عليه كذبة ، ولم تحسب عليه خيانة. أسلم رضي الله عنه على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومضى في إيمانه قدمًا ، قويًّا هاديًا ، وديعًا صابرًا عظيمًا راضيًا ، عفوًّا كريمًا محسنًا رحيمًا سخيًّا باذلاً ، يواسي المؤمنين ويعين المستضعفين ، حتى اشتدت قناة الإسلام. صفات عثمان بن عفان كان رضي الله عنه رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل ، رقيق البشرة ، كث اللحية عظيمها ، عظيم الكراديس (كل عظمتين التقتا في مفصل) ، عظيم ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، يصفر لحيته ، أضلع (رجل الشديد) ، أروح الرجلين (يتدانى عقباه ويتباعد صدرا قدميه) ، أقنى (أي طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب في وسطه) ، خدل الساقين (أي ضخم الساقين) ، طويل الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، جعد الشعر أحسن الناس ثغرًا ، جمته أسفل من أذنيه (الجمة: مجتمع شعر الرأس) ، حسن الوجه ، والراجح أنه أبيض اللون ، وقد قيل أسمر اللون. كان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه ، فهو عريض الجاه ثري ، شديد الحياء ، عذب الكلمات ، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه ، لم يسجد في الجاهلية لصنم قط ، ولم يقترف فاحشة قط ، فلم يشرب خمرا قبل الإسلام ، وكان يقول: إنها تذهب العقل والعقل أسمى ما منحه الله للإنسان ، وعلى الإنسان أن يسمو به ، لا أن يصارعه. يقول عن نفسه رضي الله عنه: "مَا تَغَنَّيْتُ وَلاَ تَمَنَّيْتُ ، وَلاَ مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلاَ شَرِبْتُ خَمْرًا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ ، وَلاَ زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ فِي إِسْلاَمٍ". أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وعثمان تزوج عثمان رضي الله عنه ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام ، لكن زواجه من رقية بنت رسول الله له قصة معروفة ، فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية من عتبة بن أبي لهب ، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب ، فلما نزلت سورة المسد: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}. قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية: فارقا ابنتي محمد. ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما ، كرامةً من الله تعالى لهما ، وهوانًا لابنَيْ أبي لهب. وما كاد عثمان بن عفان رضي الله عنه يسمع بخبر طلاق رقية

حتى استطار فرحًا وبادر ، فخطبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منه ، وزفتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة ، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة ، فكان يقال لها حين زفت إليه: أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وزوجها عثمان. أما عن زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله الثانية ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف عند باب المسجد فقال: "يَا عُثْمَانَ ، هَذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَكَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِمِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ ، وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا". وكان ذلك سنة ثلاث من الهجرة النبوية في ربيع الأول ، وبنى بها في جمادى الآخرة. ولما توفيت أم كلثوم - رضي الله عنها - في شعبان سنة تسع هجرية تأثر عثمان رضي الله عنه ، وحزن حزنًا عظيمًا على فراقه لأم كلثوم". ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وهو يسير منكسرًا ، وفي وجهه حزن لما أصابه ، فدنا منه وقال: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْنَاكَهَا يَا عُثْمَانُ". وهذا دليل حب الرسول صلى الله عليه وسلم لعثمان ، ودليل وفاء عثمان لنبيه وتوقيره ، وفيه دليل على نفي ما اعتاده الناس من التشاؤم في مثل هذا الموطن ، فإن قدر الله ماضٍ وأمره نافذ ، ولا راد لأمره. أبناء عثمان بن عفان كانوا تسعة أبناء من الذكور من خمس زوجات ، وهم: عبد الله: ولد قبل الهجرة بعامين ، وأمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي أوائل أيام الحياة في المدينة نقره الديك في وجهه قرب عينه ، وأخذ مكان نقر الديك يتسع حتى مات في السنة الرابعة للهجرة ، وكان عمره ست سنوات. عبد الله الأصغر: أمه فاختة بنت غزوان. عمرو: وأمه أم عمرو بنت جندب ، وقد روى عن أبيه وعن أسامة بن زيد ، وروى عنه علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وأبو الزناد ، وهو قليل الحديث ، وتزوج رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، توفي سنة ثمانين للهجرة. خالد: وأمه أم عمرو بنت جندب. أبان: وأمه أم عمرو بنت جندب كان إمامًا في الفقه يكنى أبا سعيد ، تولى إمرة المدينة سبع سنين في عهد الملك بن مروان، سمع أباه وزيد بن ثابت ، له أحاديث قليلة. عمر: وأمه أم عمرو بنت جندب. الوليد: وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية. سعيد: وأمه فاطمة بنت الوليد المخزومية ، تولى أمر خراسان عام ستة وخمسين أيام معاوية بن أبي سفيان. عبد الملك: وأمه أم البنين بنت عينية بن حصن ، ومات صغيرًا. وأمَّا بناته الفضليات فهن سبع من خمس نساء ، منهن: مريم: وأمها أم عمرو بنت جندب ، وأم سعيد: وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية ، وعائشة: وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة ، ومريم: وأمها نائلة بنت الفرافصة ، وأم البنين: وأمها أم ولد. قصة الشورى وخلافة عثمان بن عفان ولي عثمان بن عفان الخلافة وعمره 68 عامًا ، وقد تولى الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب ، وفي اختياره للخلافة قصة تعرف بقصة الشورى وهي أنه لما طعن عمر بن الخطاب دعا ستة أشخاص من الصحابة وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ليختاروا من بينهم خليفة. وذهب المدعوون إلى لقاء عمر إلا طلحة بن عبيد الله فقد كان في سفر وأوصاهم باختيار خليفة من بينهم في مدة أقصاها ثلاثة أيام من وفاته حرصاً على وحدة المسلمين ، فتشاور الصحابة فيما بينهم ثم أجمعوا على اختيار عثمان وبايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة سنة 23 هـ فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين. من خلال هذه القصة ومن طريقة مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه يمكننا استيعاب أهمية الشورى في أمور المسلمين بينهم ، ومعرفة مدى ذكاء وفطنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي استحدث هذه الطريقة في

اختيار الخليفةً. والمقصد طبعا كان ابتغاء مرضاة الله عز وجل ليس طمعاً في منصب أو جاه ، فلم يتأخر علي بن أبي طالب – رضي لله عنه - في المبايعة وكان أول من فعل ذلك بعد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. فلم تأخذه الأنانية ، وإنما وحدة المسلمين ومرضاة الله تعالى كانت هي المقصد من ذلك كله. "مصحف عثمان" والفتوحات في عهده في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه انتشر الإسلام في بلاد كبيرة وتفرق الصحابة مما أدى إلى ظهور قراءات متعددة وانتشرت لهجات مختلفة فكان الخوف من اختلاف كتابة القرآن ، وتغير لهجته ، فجمع عثمان المسلمين على لغة قريش أي لهجة قريش وهي لهجة العرب. وتكتب الكتابة للقرآن بلسان العرب ويسمى (مصحف عثمان) أو المصحف الإمام. فكان من أهم إنجازاته جمع كتابة القرآن الكريم الذي كان قد بدء بجمعه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق. وجمع القرآن الكريم في مصحف مكتوب برسمه إلى الوقت الحالي. ومن أهم أعمال عثمان فتح مرو وتركيا وتوسيع الدولة الإسلامية وفتحت في أيام خلافة عثمان الإسكندرية ثم أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. وتمت في عهده توسعة المسجد النبوي عام 29–30 هـ وقد أنشأ أول أسطول بحري إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين. ونسأل: كيف أدار عثمان للدولة الإسلامية؟ لقد بدأ عثمان بن عفان رضي الله عنه إدارة شؤون الدولة بعد مبايعته بالخلافة. واتخذ من الصحابة رضوان الله عليهم أعواناً يساعدونه على ذلك. كما سطر رضي الله عنه العديد من الإنجازات خلال فترة خلافته وإدارته للدولة الإسلامية ، والتي بقيت آثارها حتى يومنا هذا! نستعرض منها ما يلي: في مجال القضاء كان ينظر في الخصومات بنفسه ، ويستشير الصحابة رضوان الله عليهم فيما يحكم به ، ومن مآثره اتخاذه داراً للقضاء. أقر الولاة الذين قد تم تعيينهم من قِبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ولاياتهم عاماً كاملاً ، بعد ذلك أبقى البعض وعزل آخرين: وعمل على التعيين في هذه الأمصار حسب الحاجة وذلك بعد الأخذ بمشورة الصحابة رضوان الله عليهم. قام بضم بعض الولايات إلى بعضها لما يراه في مصلحة المسلمين ، فقد ضم البحرين إلى البصرة ، وضم بعض ولايات الشام إلى بعضها. و كان دائم النصح لولاته بالعدل والرحمة وإعطاء حقوقاً للمسلمين ومطالبتهم بما عليهم من واجبات. في الشؤون المالية لم يغير من سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المالية ، وكان عهده عهد رخاء على المسلمين ، من خلال الأسس العامة التالية لسياسته المالية: تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية. عدم إخلال الجباية بالرعاية. أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين. إعطاء المسلمين ما لهم من بيت مال المسلمين. أخذ ما على أهل الذمة لبيت مال المسلمين بالحق وإعطاؤهم ما لهم وعدم ظلمهم. تخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء. تفادي أية انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة. وكل هذه السياسات تُدرس اليوم في أرقى جامعات العالم ، مما يدل على حنكة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ودرايته بالأمور السياسية والاقتصادية بالفطرة رضي الله عنه وأرضاه. وفي أواخر عهده ومع اتساع الفتوحات الاسلامية ووجود عناصر حديثة العهد بالإسلام لم تتشرب روح النظام والطاعة ، أراد بعض الحاقدين على الاسلام وفي مقدمتهم اليهود اثارة الفتنة للنيل من وحدة المسلمين ودولتهم ، فأخذوا يثيرون الشبهات حول سياسة عثمان - رضي الله عنه - وحرضوا الناس في مصر والكوفة والبصرة على الثورة ، فانخدع بقولهم بعض من غرر به ، وساروا معهم نحو المدينة لتنفيذ مخططهم ، وقابلوا الخليفة وطالبوه بالتنازل ، فدعاهم الى الاجتماع بالمسجد مع كبار الصحابة وغيرهم من أهل المدينة ، وفند مفترياتهم وأجاب على

أسئلتهم وعفى عنهم ، فرجعوا الى بلادهم لكنهم أضمروا شرا وتواعدوا على الحضور ثانية الى المدينة لتنفيذ مؤامراتهم التي زينها لهم عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل والذي تظاهر بالإسلام. وفي شوال سنة 35 من الهجرة النبوية ، رجعت الفرقة التي أتت من مصر وادعوا أن كتابا بقتل زعماء أهل مصر وجدوه مع البريد ، وأنكر عثمان ـ رضي الله عنه ـ الكتاب لكنهم حاصروه في داره (عشرين أو أربعين يوماً) ومنعوه من الصلاة بالمسجد بل ومن الماء ، ولما رأى بعض الصحابة ذلك استعدوا لقتالهم وردهم ، لكن الخليفة منعهم إذ لم يرد أن تسيل من أجله قطرة دم لمسلم ، ولكن المتآمرين اقتحموا داره من الخلف (من دار أبي حَزْم الأنصاري) وهجموا عليه وهو يقرأ القرآن ، وأكبت عليه زوجه نائلة لتحميه بنفسها لكنهم ضربوها بالسيف فقطعت أصابعها ، وتمكنوا منه ـ رضي الله عنه ـ فسال دمه على المصحف ومات شهيدا في صبيحة عيد الأضحى سنة (35 هـ) ، ودفن بالبقيع وكان مقتله بداية الفتنة بين المسلمين الى يومنا هذا. قتل عثمان بن عفان في السنة 35 للهجرة وبشكل شنيع. وكان سنه عند قتله اثنان وثمانون عاماً. ودفن بالبقيع. وكان مقتله على يد مجموعة من الساخطين على حكمه ، والذين تم اعتبارهم لاحقًا مارقين وخارجين على إجماع أهل الحل والعقد ، وكان مقتله مقدمة لأحداث جسام في تاريخ المسلمين مثل موقعة الجمل (36 هـ) وموقعة صفين).هـ. إذن فنحن أمام شخصية عظيمة جليلة القدر! تستحق أن يؤرخ لها المؤرخون ويتوقف عندها الباحثون ويتناولها مترجمون ويطريها الشعراء والكتاب على حدٍ سواء! روي في صحيح البخاري: "عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة ، ففتحت له فإذا هو أبو بكر ، فبشرته بما قال رسول الله ، فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة ، ففتحت له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال رسول الله ، فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فإذا عثمان. فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان. وروي في صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف ، فقال: اسكن أحد ـ أظنه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان". وروي في صحيح مسلم: "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ، وأبو بكر ، وعمر وعثمان ، وعلي وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد". وروي في فضائل الصحابة: "عن أنس ابن مالك قال: أرحم أمتي أبو بكر وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرأها لكتاب الله أُبَيْ وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح". وكان له دور كبير جداً في اختيار عمر بن الخطاب خليفة لأبى بكر الصديق عندما استشاره ابا بكر الصديق في أمر تولية عمر فقال عثمان: ذلك رجل سره أفضل من علانيته ، كتب وصية أبى بكر في ذلك بنفسه. ولقد قتل عثمان بن عفان من طرف أهل الفتنة في السنة 35 للهجرة فسقطت أول قطرة من دمه على قول الله تعالى (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ). وكان سنه عند قتله اثنتان وثمانون عاماً. ودفن بالبقيع. كان مقتله مقدمة لأحداث عظام في تاريخ المسلمين مثل حرب الجمل وموقعة صفين. وعن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة ، فمر رجل ، فقال: يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً ، قال: فنظرت ، فإذا هو

عثمان بن عفان. وعن كعب بن عجرة ، قال: ذكر فتنة ، فقربها فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا يومئذ على الهدى ، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ، ثم استقبلت رسول الله فقلت: هذا؟ قال: هذا. وعن مرة البهزي قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال - بهز من رواة الحديث - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'تهيج فتنة كالصياصي ، فهذا ومن معه على الحق'. قال: فذهبت فأخذت بمجامع ثوبه ، فإذا هو عثمان بن عفان. وعن أبي الأشعث قال: قامت خطبة بإيلياء في إمارة معاوية فتكلموا ، وكان آخر من تكلم مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها ، فمر رجل مقنع فقال: هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى ، فقلت هذا يا رسول الله؟ وأقبلت بوجهه إليه فقال: هذا ، فإذا هو عثمان. وجاء في الدرر السنية ما نصه بتصرفٍ زهيد: (دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام فأسلم، ولما عرض أبو بكر عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان واللَّه إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل ، هذه الأوثان التي يعبدها قومك ، أليست حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟ فقال: بلى واللَّه إنها كذلك. قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد الله قد بعثه اللَّه برسالته إلى جميع خلقه ، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال: نعم. وفي الحال مرَّ رسول اللَّه فقال: يا عثمان أجب اللَّه إلى جنته فإني رسول اللَّه إليك وإلى جميع خلقه. قال: فواللَّه ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبد الله ورسوله).هـ. وإذا أردنا أن نطالع كلاماً دقيقاً وموثوقاً عن عثمان فلا يمكن أبداً أن نتجاوز الذهبي في سيره! لقد جاء في سير أعلام النبلاء للإمام الجليل شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في التعريف بعثمان – رضي الله عنه ما نصه: (عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين ، أبو عمرو ، وأبو عبد الله ، القرشي الأموي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الشيخين. قال الداني: عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو عبد الرحمن السلمي ، والمغيرة بن أبي شهاب ، وأبو الأسود ، وزر بن حبيش. روى عنه: بنوه : أبان وسعيد وعمرو ، ومولاه حمران ، وأنس ، وأبو أمامة بن سهل ، والأحنف بن قيس ، وسعيد بن المسيب ، وأبو وائل ، وطارق بن شهاب ، وعلقمة ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، ومالك بن أوس بن الحدثان ، وخلق سواهم. أحد السابقين الأولين ، وذو النورين ، وصاحب الهجرتين ، وزوج الابنتين . قدم الجابية مع عمر ، وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث ، فولدت له عبد الله ، وبه كان يكنى ، وبابنه عمرو. هاجر برقية إلى الحبشة ، وخلفه النبي صلى الله عليه وسلم عليها في غزوة بدر ليداويها في مرضها ، فتوفيت بعد بدر بليال ، وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهمه من بدر وأجره ، ثم زوجه بالبنت الأخرى أم كلثوم. وعن عبد الرحمن بن سمرة ، قال: جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه ، حين جهز جيش العسرة ، فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها بيده ويقول : " ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم". رواه أحمد في مسنده ، وغيره. وعن أبي هريرة قال: اشترى عثمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين: يوم رومة ، ويوم جيش العسرة. وعن طلحة بن عبيد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي رفيق ، ورفيقي عثمان". أخرجه الترمذي. وصح من وجه ، أن عثمان قرأ القرآن كله في ركعة. وقال عبد الله بن المبارك ، عن الزبير بن عبد الله ، عن جدته ، أن عثمان كان يصوم الدهر. وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص خطب عثمان الناس ، فقال: أيها الناس

عهدكم بنبيكم بضع عشرة ، وأنتم تمترون في القرآن ، وتقولون قراءة أبي ، وقراءة عبد الله ، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك ، فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن ، حتى جمع من ذلك كثيراً ، ثم دخل عثمان ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فناشدهم: أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أمله عليك؟ فيقول: نعم ، فلما فرغ من ذلك ، قال: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص ، قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد ، فكتب مصاحف ففرقها في الناس. وروى رجل ، عن سويد بن غفلة ، قال : قال علي في المصاحف: لو لم يصنعه عثمان لصنعته. وقال أبو هلال: سمعت الحسن يقول: عمل عثمان اثنتي عشرة سنة ، ما ينكرون من إمارته شيئاً. وقال سعيد بن جمهان ، عن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم يكون ملكا". وقد روى شعبة ، عن حبيب بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن الشرود ، أن عليا قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى: "ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين". وعن عبد الله بن حوالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نجا من ثلاث فقد نجا ـ ثلاث مرات ـ: موتي ، والدجال ، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه". ومعلوم أن الخليفة الذي قتل مصطبراً بالحق هو عثمان ، فالقرائن تدل على أن الخليفة المقصود بهذا الحديث هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفي الحديث ـ والله أعلم ـ لفتة عظيمة إلى أهمية السلامة من الخوض في هذه الفتنة حسيًّا ومعنويًا ، أما حسيًّا فذلك يكون في الفتنة من تحريض وتأليب وقتل وغير ذلك ، وأما معنويًّا فبعد الفتنة من خوض فيها بالباطل ، وكلام فيها بغير حق ، وبهذا يكون الحديث عاما للأمة ، وليس خاصاً بمن أدرك الفتنة").هـ. ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس فأعظموه جداً ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا تقدمهم ممن قصَّ الله علينا خبرهم في كتابة العزيز من الذين عبدوا العجل. في قوله تعالى: {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. ولما بلغ الزبير مقتل عثمان ـ وكان قد خرج من المدينة ـ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا. فقال: تباً لهم، ثم تلا قوله تعالى: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ}. وبلغ علياً قتله فترحم عليه. وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}. ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} ثم قال سعد: اللهم أندمهم ثم خذهم. وقد أقسم بعض السلف بالله: أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولاً. رواه ابن جرير. وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه منها: دعوة سعد المستجابة ، كما ثبت في الحديث الصحيح ، وقال بعضهم: ما مات أحد منهم حتى جن. وقال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث قال: الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التُجيبي. وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلاً يغني تحت الليل: (ج/ص: 7/ 212) ألا إن خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر ، ولما رجع الحج، وجدوا عثمان رضي الله عنه قد قتل ، وبايع الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولما بلغ

أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أن عثمان قد قتل رجعن إلى مكة ، فأقمن بها نحواً من أربعة أشهر. إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم؟ فجوابه من وجوه: (أحدها): أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عيناً ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة ، إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة. وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ، ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حده ، حتى وقع ما وقع الله والله أعلم. (الثاني): أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ، ولكن لما وقع التضييق الشديد عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية. (الثالث): أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لما اقترب مجيئهم ، انتهزوا فرصتهم قبحهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم. (الرابع): أن هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة ، لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضي الله عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يدافعون عن عثمان رضي الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها وتسوروا عليه حتى قتلوه. وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق ، وغيرهم. ويقول الأستاذ أحمد أبو القاسم الهواري وتحت عنوان: (المطاعن التي أخذها المتمردون على عثمان رضي الله عنه والرد عليها) ما نصه بتصرف: (ما هي المطاعن التي أخذها هؤلاء المارقون على الإسلام على عثمان رضي الله عنه، والتي لا زالت تتردد على ألسنة بعض المسلمين وبعض المذاهب إلى هذا الوقت: التهمة الأولى: ضرْبه لابن مسعود حتى كسر أضلاعه - كما يقولون - ومنعه عطاءه. التهمة الثانية: ضرْبه عمار بن ياسر حتى فتق أمعاءَه. التهمة الثالثة: ابتدع في جمْعه للقرآن وحرْقه للمصاحف. التهمة الرابعة: حَمَى الحِمَى - وهي مناطق ترعى فيها الإبل - وقالوا إنه جعل إبله فقط هي التي ترعى فيها، وفي الحقيقة لم تكن هذه إلا إبل الصدقة. التهمة الخامسة: أنه أجلى أو نفى أبا ذرٍّ الغفاري إلى الربذة ، وهي منطقة في شمال المدينة. التهمة السادسة: أنه أخرج أبا الدرداء من الشام. التهمة السابعة: أنه ردّ الحكم بن أبي العاص بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. التهمة الثامنة: أنه أبطل سنة القصر في السفر، وذلك لأنه أتم الصلاة في (منى) لما ذهب للحج. التهمة التاسعة: أنه ولّى معاوية بن أبي سفيان وكان قريبًا له. التهمة العاشرة: ولّى عبد الله بن عامر على البصرة وهو قريب له. التهمة الحادية عشر: أنه ولّى مروان بن الحكم وكان قريبًا له. التهمة الثانية عشر: أنه ولّى الوليد بن عقبة على الكوفة وهو فاسق. التهمة الثالثة عشر: أنه أعطى مروان بن الحكم خمس غنائم إفريقية. التهمة الرابعة عشر:

كان عمر يضرب بالدرة- عصا صغيرة- أما هو فيضرب بعصا كبيرة. التهمة الخامسة عشر: علا على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل عنها أبو بكر وعمر. التهمة السادسة عشر: لم يحضر بدرًا. التهمة السابعة عشر: انهزم وفرّ يوم أحد. التهمة الثامنة عشر: غاب عن بيعة الرضوان. التهمة التاسعة عشر: لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان، وكان عبيد الله بن عمر قد تيقن من أن الهرمزان قد شارك في الإعداد لقتل أبيه عمر بن الخطاب فقتله. التهمة العشرون: أنه كان يعطي أقرباءه، ولا يعطي عامة المسلمين. وهذه التهم كلها جاءت في رواية واحدة ، بينما تضيف روايات أُخرى تهمًا أخرى ، وهي موجودة إلى الآن ليس في كتب الطاعنين فحسب ، بل في كتابات الجهّال من المسلمين الذين ينقلون عن روايات الطاعنين الموضوعة دون أن يعلموا أنها موضوعة ، أو ممن لا يريد لدولة الإسلام أن تقوم ، مدّعيًا أن دولة الإسلام إذا قامت سوف يحدث مثل هذا الأمر ، فقد حدث ذلك بين الصحابة أنفسِهم ، فكيف تقوم دولة الإسلام في عهدنا نحن. تهمة الضرب لابن مسعود وعمار: أما بالنسبة للتهمة الأولى، وهو الزعم بأن عثمان ضرب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه ، فهذه الرواية مختلقة ، ليس لها أصل ، وعندما بُويع عثمانُ رضي الله عنه بالخلافة قال عبد الله بن مسعود: بايعنا خيرنا ولم نأل. فعبد ألله بن مسعود رضي الله عنه يرى أن خير الأمة في هذا الوقت هو عثمان رضي الله عنه ، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واليًا لعثمان رضي الله عنه على بيت مال الكوفة ، وكان والي الكوفة في ذلك الوقت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وقد حدث خلاف بينهما بسبب أن سعدًا رضي الله عنه استقرض مالًا من بيت المال ، ولم يردّه في الموعد المحدد ، فحدثت المشادة بينهما بسبب هذا الأمر ، وبعدها ثار أهل الكوفة كعادتهم مع كل الولاة على سعد بن أبي وقاص ، مع ما له من المكانة في الإسلام ، فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعزل عثمان رضي الله عنه سعدًا من ولاية الكوفة ، وأقرّ على بيت المال عبد الله بن مسعود ، فلما أراد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد اختار رضي الله عنه لهذا الأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قد اختاراه من قبل لجمع القرآن في المرة الأولى ، وذلك لأن زيدًا رضي الله عنه هو الذي استمع العرضة الأخيرة للقرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الصحف الأخرى تكتب تباعًا كلما نزل من القرآن شيءٌ كُتب فيها. والقضية أنه كان لعبد الله بن مسعود مصحف يختلف في ترتيبه عن مصحف زيد بن ثابت رضي الله عنهما ، ومن يرجع للروايات التي تروى عن مصحف عن عبد الله بن مسعود يجد أن ترتيب السور يختلف كثيرًا ، وترتيب الآيات أيضًا داخل السور يختلف أحيانًا ، وبعض الكلمات مختلفة أيضًا ، بل إن بعض السور ليست موجودة أصلًا في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كسورة الفاتحة والمعوذتين ، ولهجة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من هزيل ، وليست من قريش ، وقد كان الأمر أن تكون كتابة المصحف على الاتفاق ، وعند الاختلاف يُرجع إلى لهجة قريش ؛ لأن القرآن نزل بلسانها ، فلما علم عبد الله بن مسعود أن القرآن سيجمع على قراءة ثابت ، وأن مصحفه سوف يحرق غضب غضبًا شديدًا ووقف على المنبر في الكوفة وقال: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ}. وإني غال مصحفي فهو رضي الله عنه يتأول الآية ، وإنما الغلول هو: الكتمان من الغنيمة ، وهو محرم إجماعاً ، بل هو من الكبائر ، كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص ، ولكن عبد الله بن مسعود يريد أن يقول أنه سيحتفظ بمصحفه هذا ولن يوافق على حرقه ليأتي به يوم القيامة ، وقد كان يريد

رضي الله عنه أن يكون من الفريق المكلف بكتابة المصحف ، لأنه كان ممن أثنى على قراءتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا باتفاق ولكن كانت لهجته ـ كما ذكرنا ـ تختلف عن لهجة قريش ، ورخص له النبي صلى الله عليه وسلم في القراءة بلهجته ، ولكن الأمر الآن يتجه إلى جمع الناس على مصحف واحد ، ويجب أن يكون باللسان الذي نزل به القرآن ، وهو لسان قريش ، فلما فعل ذلك عبد الله بن مسعود أجبره عثمان رضي الله عنه على حرق مصحفه ، فعاد إلى المدينة يناقش عثمان رضي الله عنه والصحابة جميعا في هذا الأمر ، واجتمع كبار الصحابة على عبد الله بن مسعود ، وأقنعوه بالأمر ، وأن هذا الأمر فيه الخير للمسلمين ، فلما علم ذلك رجع عن رأيه ، وتاب عنه بين يدي عثمان رضي الله عنه ، وعادت العلاقة بينه وبين عثمان رضي الله عنه كما كانت قبل هذه الحادثة. وهذه الروايات باتفاق. ونحن كما نرى هذا الموقف ، فقد كان من الصعب بداية على عبد الله بن مسعود أن يقوم بحرق مصحفه الذي ظل ما يربو على عشرين سنة يكتب فيه آي الذكر الحكيم التي يسمعها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويمثل هذه المصحف شيئاً عظيماً في حياته ، ويربطه بكل ذكرياته مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع الصحب الكرام رضوان الله عليهم جميعا فقد كان جزءاً لا يتجزأ من حياته ، فكان هذا رد فعله ابتداء ، ولكنه لما علم الحق واقتنع به رجع عن رأيه وتاب عنه ، ولم يخطأ عثمان رضي الله عنه إطلاقا في حقه ولم يضربه ولم يمنعه عطاءه. أما التهمة الثانية المفتراة على عثمان رضي الله عنه فهي أنه ضرب عمار بن ياسر رضي الله عنه حتى فتق أمعاءه ، ولو حدث هذا ما عاش عمار بعد تلك الوقعة المكذوبة ، ولكن عمارا رضي الله عنه عاش حتى موقعة صفين بعد ذلك ، فضرب عمار رضي الله عنه حتى فتق أمعائه لم يحدث ، أما ضربه فقط فقد حدث ، والسبب في هذا الأمر أنه قد حدث خلاف بين عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب رضي الله عنه ، فقذف بعضهما بعضا فعزرهما عثمان رضي الله عنه بالضرب ، بعد أن رأى أن كلا منهما قد أخطأ في حق أخيه ، ومر هذا الأمر دون أن يترك أثراً في نفوس الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ، ومما يؤكد ذلك أن عثمان رضي الله عنه عندما اختار مجموعة من كبار الصحابة ؛ ليدفعوا الشبهات عن المسلمين في الأمصار كان ممن اختارهم لأداء هذه المهمة عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وأمره أن يذهب إلى مصر ، وقد ذكرنا أن رؤوس الفتنة في مصر قد استمالوا عماراً رضي الله عنه بشبهاتهم على الأمراء فتأخر عمار رضي الله عنه في مصر ، وظن عثمان رضي الله عنه والمسلمون في المدينة أن عماراً قد قتل ، وجاءت رسالة من مصر من عبد الله بن أبي سرح والي عثمان رضي الله عنه فيها أن القوم قد استمالوا عماراً ، فأرسل إليه عثمان رضي الله عنه برسالة. ولما رجع عمار رضي الله عنه، وقص له ما حدث ، قال له عثمان رضي الله عنه: قذفت ابن أبي لهب أن قذفك ، وغضبت علي أن أخذت لك بحقك وله بحقه ، اللهم قد وهبت ما بيني وبين أمتي من مظلمة ، اللهم إني متقرب إليك بإقامة حدودك في كل أحد ، ولا أبالي ، اخرج عني يا عمار. فكان هذا عتابا من عثمان لعمار رضي الله عنهما ، وقد اعتذر عمار رضي الله عنه عن ميله لرؤوس الفتنة في مصر الذين حاولوا أن يقنعوه بما هم عليه ، وأظهر توبته ورجوعه عن هذا الأمر بين يدي عثمان رضي الله عنه وبوجود كبار الصحابة. فقصة ضرب عمار رضي الله عنه حتى فتق أمعائه أمر مكذوب تماماً ، ولكن الأحداث كانت كما رأينا ، وكون عثمان رضي الله عنه ضرب الاثنين ، لو كان ضربهما ، لا يقدح هذا الأمر في الثلاثة ، وذلك لأنهم من أهل الجنة جميعاً ، وقد يصدر من أولياء الله ما يستحقوا عليه العقوبة الشرعية (الحد) فضلاً عن التعزير

وفعل مثل هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما ضرب أبي بن كعب وهو من كبار الصحابة ويقرأ القرآن على قراءته ، وذلك لأنه كان يسير في المدينة ، ويتبعه الناس فضربه عمر رضي الله عنه بالدرة وقال له: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع. وأمره ألا يجعل أحداً يسير خلفه ، بل فعل هذا الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحد الصحابة الذي كان قد شرب الخمر في غزوة خيبر فضربه أربعين ضربة ، وقيل إنها كانت بالنعال ، ولما لعنه أحد الصحابة بعد هذا الضرب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أولو كان يحب الله ورسوله. إذن فالضرب لا يقلل من قيمة هؤلاء وهم في الجنة باتفاق ، ثم إن التعزير يراد به التأديب على أمر ليس فيه حد ولا كفارة ، والذنوب من حيث العقوبة المترتبة عليها ثلاثة أنواع: الأول: يترتب عليه حد مثل السرقة أو الزنا. والثاني: ما يترتب عليه الكفارة دون الحد ، مثل الجماع في نهار رمضان أو الجماع في الإحرام. والثالث: ما لا يترتب عليه حد ولا كفارة ، وهو ما يكون فيه التعزير ، كالسب فيما عدا القذف بالزنا فإن فيه الحد ، وكذا سرقة ما حد فيه ، وكذلك الكذب قد يكون فيه التعزير ، ويرى أبو حنيفة ومالك والإمام أحمد أن التعزير واجب ، وقال الشافعي: مندوب. والحد والتعزير كلاهما عقاب والمستهدف منهما تطهير النفس ، وردع الناس عن ارتكاب المعاصي ، وأن يأتي الناس يوم القيامة ، وقد كفرت ذنوبهم بالحدود والتعزير ، والكفارات ، والفرق بين الحد والتعزير أن الناس جميعا يتساوون في إقامة الحد عليهم ، ولكن التعزيرات تختلف باختلاف الناس ، فإذا أخطأ الكريم من أهل التقوى والصلاح يكون التعامل معه غير أهل الفسق الذين يداومون على ارتكاب المعاصي والآثام ، والحدود لا تجوز فيها الشفاعة بينما تجوز في التعزيرات ، ومن مات أثناء تعزيره فله ضمان وهو مثل الدية ، أما من مات أثناء إقامة الحد عليه فليس له ضمان ، وقال بعض الفقهاء ليس لمن مات في التعزير ضمان. والتعزير قد يكون بالكلام كالتوبيخ ، أو الوعظ ، أو الحبس ، أو الضرب ، أو النفي ، أو العزل من العمل ، والحاكم له حق التعزير مطلقاً ، وقال الفقهاء: إنه لا ينبغي التعزير بأكثر من عشرة أسواط ، وقيل أقل من ثمانين ، وقيل يرجع لتقدير الحاكم. فهذا ما فعله عثمان رضي الله عنه مع عمار بن ياسر وعباس بن عتبة عندما قذف كل منهما صاحبه. وممن له حق التعزير أيضا الوالد فله أن يعزر ولده ، وليس للوالد أن يضرب ولده بعد البلوغ. وممن له حق التعزير السيد لرقيقه سواء بالضرب أو الحبس أو غير ذلك ، ولكن هذا كله دون تعسف أو ظلم ، فالله تعالى مطلع على كل الأمور. فعثمان رضي الله عنه له حق التعزير ، حتى ولو عارضه الصحابة ، والواقع أن أحداً من الصحابة لم ينكر عليه هذا الأمر. قضية جمع القرآن: التهمة الثالثة على عثمان رضي الله عنه أنهم يقولون أنه ابتدع في جمع القرآن ، وفي حرق المصاحف ، وهكذا نرى أن الحسنات يجعلها أهل الفتنة سيئات ، وقد قال كثير من العلماء أن هذه هي أعظم حسنات عثمان بن عفان رضي الله عنه وقالوا إن هذا الأمر أفضل من حفره بئر رومة ، وأفضل من تجهيزه جيش العسرة ؛ لأن أثره مستمر إلى يوم القيامة. والصحابة جميعاً وافقوا على هذا الأمر ، وحتى ما كان من أمر عبد الله بن مسعود في البداية رجع عنه ، واقتنع برأي عثمان ، وسائر الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ، واجتماع الصحابة لا يأتي على ضلالة ، بل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال في خلافته: لو لم يفعله عثمان لفعلته أنا ، وجاء في كتب الطاعنين أنفسهم ما يؤكد إجماع الصحابة على هذا الأمر ، والحق ما جرت به ألسنة الأعداء. وفي كتاب سعد السعود ، وهو من المراجع الشهيرة للطاعنين ، قال ابن طاوس نقلاً عن الشهرستاني عن سويد بن علقمة قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: أيها

الناس ، الله الله ، إياكم والغلو في أمر عثمان ، وقولكم حرق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملإٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها يلق الرجل الرجل فيقول: قراءتي خير من قراءته ، وهذا يجر إلى الكفر. فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد فإنكم إن اختلفتم الآن كان مَن بعدكم أشد اختلافاً. فقلنا جميعا: نِعْمَ ما رأيت. فهذا كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مراجع الطاعنين أنفسهم ؛ في هذا الكتاب ، وفي بعض الكتب الأخرى للشهرستاني ، وفي كتب أخرى يزعمون أن عثمان رضي الله عنه ابتدع في جمعه للقرآن ، وحرقه للمصاحف ، وهذا التناقض عندهم يظهر الحق. ومع هذا الإجماع الكبير من الصحابة على هذا الأمر إلا أن الطاعنين يزعمون أن عثمان رضي الله عنه إنما جمع المصحف برغبته الشخصية ، وجمع بعض الصحابة وذكروهم بالاسم ، وألفوا قرآنا غير الذي أنزل ، كما يزعم الطاعنون أن لديهم القرآن الحقيقي ، وهو ثلاثة أضعاف ، وهو مخبأ عندهم في سرداب ، وسيأتي مع الإمام الثاني عشر ، وليس فيه حرف واحد من القرآن الذي معنا ، وأقر بعض الطاعنين ببعض الآيات في القرآن الكريم ، وحذف آيات أخرى. وكان إنكار الطاعنين لجمع القرآن في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، وادعائهم أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم قد ألف في عهد عثمان كان هذا يمثل مادة دسمة للنصارى كي يطعنوا في القرآن ، وهذا الطعن من قديم ، ففي عهد ابن حزم الأندلسي كثر الطعن من قبل النصارى في حق المسلمين في هذه النقطة ، وأن المصحف ألف في عهد عثمان رضي الله عنه ، ومن معه من الصحابة ، ومراجع النصارى في ذلك هي كتب الطاعنين التي تقول: إن المصحف الحقيقي هو الذي أنزل على السيدة فاطمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بستة أشهر ، واحتفظ به بعد ذلك علي بن أبي طالب والأئمة من بعده. يقول ابن حزم في كتابه (الفصل): إن الروافض ليسوا من المسلمين ، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكفر. وحديث: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ منه". هذا حديث صحيح رواه أكثر من عشرين من الصحابة رضي الله عنهم ، وتأويل هذا الحديث من الكثرة بمكان ، فذكر السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن) أربعين تأويلا لهذا الحديث ، وذكر ابن حجر ، وابن حبان خمسة وثلاثين قولاً في تأويل هذا الحديث ، والسبعة أحرف قيل: إنها سبع قراءات ، وقيل سبع لهجات. وقيل: هذه السبع لهجات في مضر. وقيل: في قريش. وقيل: معناها أن المشكل في القرآن الكريم يحتمل سبعة تفسيرات على الأكثر. وقيل: التغاير في اللفظ أو الشكل. وقيل: الزيادة والنقصان، أو الإبدال، أو الإعراب، أو التقديم، أو التأخير. وذهب الطحاوي أن هذا الأمر كان رخصة للمسلمين في قراءة القرآن ؛ لتعذر قراءته على مختلف القبائل بلهجة واحدة ، فلما رأى الصحابة انتشار القراءة بين هذه القبائل ، وشدة الحفظ وإتقانه ، أقروا قراءة واحدة ، وهي التي كتبها عثمان رضي الله عنه في مصحفه ، وقال بهذا ابن جرير الطبري وقال: لم يكن ذلك ترك واجب ، ولا فعل محرم ، فاتفق الصحابة على كتابته كما جاء في العرضة الأخيرة. فما بين أيدينا اليوم هو المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه ، كما نزل في العرضة الأخيرة ، باللسان الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. التهمة الرابعة الموجهة إلى عثمان رضي الله عنه أنه حمى الحمى: ومعنى ذلك أنه خصص جزءاً معيناً من الأرض لبعض الإبل لترعى فيها دون غيرها من الإبل ، قالوا: إنه ابتدع في هذا الأمر ، وقالوا: إنه كان يجعلها لإبله وخيله ، والقولين مردود عليهما. أما قولهم أنه رضي الله عنه ابتدع الحمى ، فهذا غير صحيح ، حيث إن الحمى كان موجوداً في الجاهلية

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان السيد يدخل الأرض التي يريد أن يجعلها حمى لإبله ، ومعه كلب يعوي ، ويكون حدود حماه على امتداد عواء كلبه ، وتكون تلك المنطقة من الأرض خاصة به لا تستطيع أي إبل غير إبله أن ترعى فيها ، وهذا هو الحمى ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ألغى هذا الأمر كله ، إلا لإبل الصدقة فقط ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمى في منطقة الربذة ـ كانت الربذة فلاة بأطراف الحجاز مما يلي نجد ـ وكان مساحتها ميل في سبعة أميال ، وكانت ترعى فيها إبل الصدقة ، والإبل التي تعد للجهاد ، وللمصالح العامة. عن الصعب بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ". وقد فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مثل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحمى ، ولما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد في هذه المساحة ، وضم إليها أماكن كثيرة ، وذلك لكثرة الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكثرة إبل الجهاد ، فكان لا بد من منطقة كبيرة ترعى فيها إبل ، وخيول الجهاد ، ولما كان عهد عثمان رضي الله عنه اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وكثرت الخيرات عند المسلمين ، وكثرت الإبل ، فاتسعت منطقة الحمى إلى أكبر مما كانت عليه. إذن فأصل الحمى سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزيادة فيه سنة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو أمر اقتضته الحاجة وليس فيه أي تعارض مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ". أما إبل عثمان رضي الله عنه فكانت لا ترعى في هذا الحمى ، وإنما كان هذا الحمى لإبل الصدقة فقط ، وأما إبل عثمان رضي الله عنه فكانت ترعى في أماكن أخرى بعيدة ، وكان عثمان رضي الله عنه شديد الدقة في هذا الأمر ، حتى أنه كان يمنع أي إبل للأغنياء أن تدخل في حمى إبل الصدقة ، وكان يترخص لإبل الفقراء لأنها ربما تهلك نظرا لفقر أصحابها ، وعدم قدرتهم على إطعامها. وكان عثمان رضي الله عنه أكثر العرب إبلاً قبل أن يتولى الخلافة ، وعندما استشهد رضي الله عنه لم يكن يملك سوي بعيرين كان قد استبقاهما للحج ، وباقي إبله كان قد تبرع بها للمسلمين خلال مدة خلافته ، وخيره رضي الله عنه سابق على المسلمين منذ أسلم حتى استشهد رضي الله عنه وأرضاه. قضية أبي ذر: أما التهمة الخامسة فقد قالوا: إن عثمان رضي الله عنه قد أجلى أبا ذر رضي الله عنه من الشام إلى الربذة. ذكرنا قبل ذلك أن عبد الله بن سبأ لما لم يجد صدى لكلامه في أرض الشام ذهب إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه ، وكان زاهدا شديد الزهد عاكفاً عن الدنيا بالكُلية ، وأراد ابن سبأ إشعال الفتنة في الشام ، فقال لأبي ذر رضي الله عنه: إن معاوية يقول: إن المال مال الله يريد بذلك أن يحجزه عن المسلمين. ومعاوية رضي الله عنه قال هذه الكلمة ، ولكن ابن سبأ اليهودي أوله لأبي ذر على غير ما يراد بها ، فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه وقال له: تقول: المال مال الله؟ قال: نعم. فقال له أبو ذر: المال مال المسلمين ، فقال له معاوية رضي الله عنه وكان معروفًا بحلمه الواسع: يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه والأمر أمره؟ فقال أبو ذر: فلا تقله. فقال له معاوية رضي الله عنه في منتهى الرفق: لن أقول: إن المال ليس مال الله. ولكني أقول: المال مال المسلمين. وكان أبو ذر رضي الله عنه يمر على أغنياء الشام ، وعلى ولاة معاوية في أنحاء الشام ، ويقرعهم بقول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}. ويقول لهم: من امتلك أكثر من قوت يوم واحد ، فقد كنز المال ، ودخل تحت حكم هذه الآية. فهو رضي الله عنه يرى أن على كل من يمتلك أكثر من قوت يوم واحد أن ينفقه في سبيل الله على سبيل الفرض ، ولا بد من ذلك ، ومن

لم يفعل دخل في حكم الآية ، وقال أبو ذر رضي الله عنه هذا الكلام لمعاوية بن أبي سفيان أيضاً فقال له معاوية رضي الله عنه: سبحان الله إن الناس لا تُطيق ذلك ، وهذا الأمر ليس بواجب. وبلغ معاوية رضي الله عنه هذا الأمر إلى عثمان رضي الله عنه. ولنا وقفة مع هذا الموقف من أبي ذر رضي الله عنه: أولا: أبو ذر رضي الله عنه من الزهاد شديدي الورع ، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ولكننا نرى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: ما أديت زكاته فليس بكنز. والقاعدة الشرعية تقول: إنه لا حد للمسلم في الثروة ، وللمسلم أن يمتلك ما استطاع أن يمتلكه ، لكن بشروط أن يكون هذا المال من حلال ، وأن ينفقه في الحلال ، ولا ينفق بسفه ، وأن يؤدي زكاة ماله. وحال أبي ذر رضي الله عنه أشد ورعاً ، وأقرب إلى الجنة ، ومن الخير أن يزهد الإنسان في الدنيا قدر ما يستطيع ، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحض على هذه الدرجة من الزهد ، فكان صلى الله عليه وسلم ينام على حصير حتى يظهر أثر ذلك على جسده الشريف صلى الله عليه وسلم ، وكان يربط على بطنه الحجر والحجرين من الجوع وكان لا يوقد في بيته نار ثلاثة أهلة ؛ أي شهرين كاملين ، وكان أبو بكر رضي الله عنه كذلك ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذلك ، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم كانوا على هذا القدر من الزهد ، والورع ، ولو أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله له جبل أحُدٍ ذهباً لجعله كذلك ، كما ورد في الصحيح ، وكما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا لِي وَالدُّنْيَا". ويحاول أبو ذر رضي الله عنه أن يقتدي به في هذا الأمر ، وأن يحمل الناس على ذلك لكن الناس لا يطيقون ذلك ولا يستطيعون الوصول إلى هذه الدرجة ، كما أن هذا الأمر ليس بفرض ، والفرض كما أسلفنا أنه إذا أراد الإنسان أن يمتلك فليكن من حلال ، ولينفق في الحلال وليؤدي زكاة ماله ، ولا يمكن أن ننكر أن المسلم إذا اجتهد في جمع المال من الحلال ، وأنفقه في سبيل الله ، فإن ذلك يعود على المسلمين بالنفع والخير العميم ما لا يستطيعه الفقير ، ولا أحد ينكر فضل الثراء الذي كان عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه على الإسلام ، وفضل أبي بكر رضي الله عنه ، وفضل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقد كانت أموالهم نصرة للدعوة الإسلامية ، فكون المسلم إذن يكتسب المال من الحلال ، وينفقه في سبيل الله ، فهذه فضيلة كبيرة يحث عليها الإسلام ، شرط ألا يكون جمع المال رغبة في الدنيا ، أو رغبة في الجمع ، والكنز ، وزيادة الأموال من دون فائدة ، وعلى المسلم إذا أراد أن يكون مثالياً أن يقسم وقته بين العبادة لله تعالى من صلاة ، وتعليم للغير ، وجهاد في سبيل الله ، وبين التكسب للعيش ، فوقت المسلم ينبغي أن يقسم هكذا بين حاجاته ، وحاجات المسلمين ، وعبادته لله رب العالمين ، وليجعل نيته في العمل أن يعف نفسه ، وأهله ، ويكفيهم من الحلال ، وأن ينفق على الإسلام والمسلمين ، وليس الإنفاق هذا على المسلمين وعلى الدعوة الإسلامية ، فضلا منه وتفضلاً ، بل إنه مما ينبغي عليه أن يفعله دون مَنّ ولا أذى ، وأن هذا المال إنما هو مال الله استخلفك عليه ليرى ماذا تفعل فيه. ويزعم الاشتراكيون أن أبا ذر هو زعيمهم في الإسلام لأنه قال بتوزيع الثروة ، وحاشا لله أن يكون أبا ذر فرداً من الاشتراكيين ، فضلاً عن أن يكون زعيماً لهم ، فنية أبي ذر رضي الله عنه ، إنما كانت الزهد في الدنيا ، وعدم الرغبة فيها ، وأن يكون الناس جميعاً ممن ينفقون أموالهم في سبيل الله ، ولم يكن يقصد رضي الله عنه أن يتم توزيع الثروات بين الناس مساواة ، ومن يعمل كمن لا يعمل. ولما علم عثمان من معاوية بأمر أبي ذر رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم ، أرسل إليه ، فجاءه ، وتناقش معه عثمان رضي الله عنه وأرضاه في هذا الأمر ، وقال أبو ذر ابتداءً: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن

أخرج منها إذا بلغ البناء سلعاً. وهو مكان في أطراف المدينة لم يكن البناء قد بلغه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم الخبير بالرجال يعلم جيداً أنه إذا انتشرت الحضارة في المدينة ووصل الناس إلى هذه الدرجة من المعيشة ، فلن يستطيع أبو ذر أن يعيش بين الناس نظراً لطبيعة الورع ، والزهد التي يعيش عليها ويلزم نفسه بها ، ولو عاش بين الناس بهذا الأسلوب لأرهق نفسه وأرهقهم ، ومن ثَم ينصحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النصيحة. فقال عثمان لأبي ذر رضي الله عنه: فما الرأي؟ قال أبو ذر رضي الله عنه: أريد الربذة. وإذن فأبو ذر رضي الله عنه هو الذي يريد الخروج إلى الربذة. قال عثمان رضي الله عنه: فافعل، أي أنه وافقه على ما يريد. فخرج رضي الله عنه بإرادته ، واختياره ، وباقتراحه إلى الربذة ، ولم يكن هذا نفياً أو طرداً كما ادعى أصحاب الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه ، وكما ادعى الطاعنون بعد ذلك في كتبهم حتى هذا الوقت ، ووقع في ذلك الكثير من جهال المسلمين الذين ينقلون دون علم أو وعي ، ويؤكد على ذلك ما رواه عبد الله بن الصامت قال: قالت أم ذر: والله ما سير عثمان أبا ذر ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا بَلَغَ الْبُنْيَانَ سَلْعَا فَاخْرُجْ مِنْهَا". ثم إن عثمان رضي الله عنه لما أراد أبو ذر برغبته وإرادته الخروج إلى الربذة أعطاه إبلاً ، وصرف له مملوكين ، وأجرى له رزقاً ، والأكثر من هذا أن أبا ذر رضي الله عنه كان يتعاهد المدينة ، أي يأتي كل مدة لزيارة المدينة ، ولو كان منفياً ما كان له أن يدخل المدينة ، إضافة إلى هذا فالربذة هذه لم تكن مكاناً معزولاً في الصحراء ، فيقول الحموي عنها أنها كانت أحسن منزل في الطريق بين المدينة ، ومكة ، وكان تبعد عن المدينة ثلاثة أميال فقط ، وكان فيها عمران ، وبنى فيها مسجداً ، وبناء المسجد يدل على أنه رضي الله عنه لم يكن يعيش بمفرده في هذا المكان. فالأمر إذن لم يكن عزلاً ، أو نفياً ، أو طرداً كما يزعمون ، ولكنه كان باختيار أبي ذر رضي الله عنه ورغبته في الخروج. التهمة السادسة: يزعمون أن عثمان رضي الله عنه أخرج أبا الدرداء من الشام نفياً ، وعزلاً ، وقهراً وكان قاضياً بها ، قالوا ذلك في زمن الفتنة ، ولم ينتشر هذا الأمر في كتب الطاعنين بعد ذلك ، لأن أبا الدرداء ممن لم يرض عنه الطاعنون ، والحق أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان قاضياً على الشام ، وكان شديداً في الحق ، إلى درجة أن البعض يشبه شدته في الحق بشدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان رضي الله عنه لا يتسامح مع أحدٍ أبداً في حق الله تعالى ، وكان يخاطب أهل الشام بشيء من الشدة ، فكره الناس ذلك ، وكان معاوية رضي الله عنه هو الوالي بينما كان أبو الدرداء قاضياً ، وكان معاوية رضي الله عنه شديد اللين ، والحلم فلم ينه أبا الدرداء عن هذا الأمر ، وكما نعرف أن أبا الدرداء رضي الله عنه من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثرت الشكاوى إلى عثمان رضي الله عنه ، واجتهد عثمان رضي الله عنه في عزل أبي الدرداء عن قضاء الشام ، بعد أن تحدث معه في هذا الأمر ، وترك أبو الدرداء رضي الله عنه الشام بإرادته ، واختار المدينة المنورة ؛ ليعيش فيها بجوار عثمان رضي الله عنه. فهذه القضية مردود عليها بسهولة في كتب التاريخ ، وكان ما يرمون إليه من إثارة هذا الأمر أنهم يريدون أن يثيروا الناس جميعاً على عثمان رضي الله عنه ، ومنهج رؤوس الفتنة في ذلك أنهم يطعنون في ولاة عثمان رضي الله عنه ، وينتقصونهم ، ويلصقون بهم العيوب ، وإذا كان بعضٌ من هؤلاء الولاة من رموز الصحابة ، اجتهدوا أن يظهروا الخلاف ، والشحناء بينهم ، وبين عثمان رضي الله عنه كعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفاري ، وهكذا. وولاة الأمر الآخرون إما أنهم أقرباؤه ، وإما أنهم فساق أو ظلمة على

زعمهم الكاذب ، فالغرض هو الطعن في عثمان رضي الله عنه من كل الوجوه ، حتى إذا أخذوا مجموعة من الناس ، وذهبوا يريدون عزله ؛ كانت الأمة متقبلة إلى حدٍ ما هذا الأمر العظيم الجلل الذي لم يحدث من قبل. عثمان والحكم بن العاص التهمة السابعة: أنه - أي عثمان رضي الله عنه - رد الحكم بن أبي العاص بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. تقول الرواية الموجودة في كتب الطاعنين أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرد الحكم بن العاص ، وابنه مروان من المدينة ، فلم يزل طريداً في زمن أبي بكر ، وعمر ، فلما ولي عثمان آواه ، ورده إلى المدينة. أولا: هذه الرواية لم ترد في أي كتاب من كتب الصحاح ، والرواية التي جاءت في كتب السنة ، إنما جاءت في حديث مرسل ، والحديث المرسل هو الذي رفعه التابعي إلى الرسول مباشرة من غير ذكر للصحابي ، وفي بعض الأقوال أن الحديث المرسل ضعيف لا يحتج به ، وقد حكى في (التقريب) هذا القول عن جماهير من المحدثين ، وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول. ثانيا: الرواة في هذه الرواية الكثير منهم مشكوك فيه ، ومنهم من يطعن فيه بالكذب. وتعالوا بنا نتدبر أمر هذه القضية المثارة بشيء من الحكمة: أولا: الحكم بن العاص من مسلمي الفتح ، فقد أسلم رضي الله عنه سنة 8 هـ ، ومسلمي الفتح يسمون في التاريخ الطلقاء وكانوا ألفين ، فقد كان رضي الله عنه إذن يعيش في مكة لا في المدينة ، فكيف يطرده النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة ، بينما هو يعيش في مكة؟ ربما قال البعض: إنه قد يكون هاجر من مكة إلى المدينة بعد الفتح. ونقول لهم: روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفِرُوا. فهذا نهي على الإطلاق عن الهجرة إلى المدينة بعد الفتح ، ولما هاجر صفوان بن أمية ، وهو من مسلمي الفتح إلى المدينة واستقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أخبره أنه جاء مهاجراً رده إلى مكة وقال له: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ". وجاء العباس رضي الله عنه برجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقسم على النبي صلى الله عليه وسلم أن يبايعه على الهجرة وذلك بعد الفتح، فأمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بيد هذا الرجل الذي أتى به العباس رضي الله عنه وقال: "إِنِّي أَبْرَرْتُ قَسَمَ عَمِّي ، وَلَكِنْ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ". والحديث في مسند الإمام أحمد ، إذن فالحكم بن العاص كان من سكان مكة أصلاً ، ولم يكن من سكان المدينة حتى يطرده النبي صلى الله عليه وسلم منها. وقال بعض العلماء: إن الحكم ذهب إلى في الطائف باختياره ، وليس نفياً ، وهذا الأقرب إلى الصواب ؛ لأنه عاش فترة في الطائف في أواخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي الرواية نفسها يقولون: إنه نفى الحكم بن أبي العاص ، وابنه مروان من المدينة إلى الطائف ، وإذا قدرنا عمر مروان بن الحكم في سنة 8 هـ عام الفتح ، وجدنا أن عمره سبع سنوات ، فلو أن النبي صلى الله عليه وسلم نفاه في آخر يوم من حياته فلن يتجاوز عمره عشر سنوات على الأكثر ، ومن المستحيل أن ينفي الرسول صلى الله عليه وسلم غير مكلف ، ولو سلمنا جدلاً أن هذه الرواية التي جاءت في كتب الشيعة صحيحة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن العاص إلى الطائف ؛ فليس هناك ذنب في الشريعة الإسلامية يستوجب النفي الدائم ، فالنفي يكون إما فترة يتمها المنفي ويعود ، وإما يترك حتى يتوب من ذنبه ، فإذا تاب ورأى الحاكم صدق توبته عاد ، فلو كان الحكم منفياً ، وأعاده عثمان رضي الله عنه ، فليس في ذلك ضرر ، فإن قيل: لِمَ لَمْ يرده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما مع أن عثمان رضي الله عنه كما في رواية خاطبهما في هذا الأمر؟ ولو سلمنا جدلاً أنه كان منفياً في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولم يرداه فربما لأن توبته

لم تظهر بعد ، أو قد تكون مدة النفي غير كافية في عهدهما ، لكنها كفت في عهد عثمان رضي الله عنه ، أو أن الحكم بن العاص لم يطلب أن يعود إلى المدينة من أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما ، لكنه طلب ذلك من عثمان رضي الله عنه. فإن قيل: إن نفي الحكم بن أبي العاص كان نفياً دائماً استحال على الظن أن يعيده عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذلك لأن عثمان رضي الله عنه أشد ورعاً من أن يقطع أمراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأكثر من هذا أن يسكت جميع الصحابة على هذا الأمر ، أو لا أحد منهم يتحدث ، ويعارض عثمان رضي الله عنه ويقول له: إنك قد قطعت أمراً قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدوامه واستمراره ، ومن بين الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي كان موجوداً، ووافق على عودة الحكم بن أبي العاص ، إذا فرضنا أنه كان منفياً ، وأعاده عثمان رضي الله عنه. فإذا قيل: لِمَ يشفع عثمان رضي الله عنه في رجل قد ارتكب ذنباً؟ نقول: لأن هذا نوع من صلته لرحمه ، وهذا عمه ، وقد ورد في البخاري عن عروة عن أسماء قال: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ، ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنها فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت ، وهي راغبة ، أفأصلها؟ قال: نَعَمْ ، صِلِي أُمَّكِ. وقد أوصت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأرضاها قبل موتها لبعض قرابتها من اليهود ، واحتج بعض الفقهاء بهذا الأمر أنه يجوز للمسلم أن يوصي لأقربائه من أهل الذمة ، فإذا كان يجوز للمسلم أن يصل رحمه الكافر ، أفلا يجوز له أن يصل رحمه المسلم؟ وإذا سلمنا جدلاً أن عثمان رضي الله عنه قد أخطأ في هذا الأمر ، وأنه اجتهد في إعادة الحكم بن العاص إلى المدينة ، وكان الأفضل ألا يعيده ، فمن يستطيع أن يطعن في عثمان بن عفان رضي الله عنه لأجل هذا الأمر؟ لننظر إلى أمر حاطب بن أبي بلتعة ، ماذا فعل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لقد أفشى سر استعداد دخول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة لفتحها ، وكان يخشى على أهله ، وماله بمكة ، فأراد أن تكون له يد عند أهل مكة ، فأعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالوحي بهذا الأمر ، في البخاري عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا مرثد الغنوي ، والزبير بن العوام ، وكلنا فارس ، قال: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ" فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معنا كتاب ، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً ، فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتخرجن الكتاب ، أو لنجردنك ، فلما رأت الجد ، أهوت إلى حجزتها ، وهي محتجزة بكساء ، فأخرجته ، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: يا رسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟" ، قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ، ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله ، وماله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا" ، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟" ، فقال: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ". أو: "فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" ، فدمعت عينا عمر ، وقال: الله ورسوله أعلم. فما فعله حاطب بن أبي بلتعة أعظم بكثير مما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه في شأن الحكم بن أبي العاص لو كان قد أخطأ في إعادته لو افترضنا في الأصل أنه كان

منفياً. ودرجة عثمان بن عفان رضي الله عنه أعلى بكثير من درجة حاطب بن أبي بلتعة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إيمان عثمان رضي الله عنه يعدل إيمان الأمة كلها إذا أخرجنا من إيمان الأمة إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم وإيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنا لا نعدل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي بكر ، وعمر ، وعثمان أحداً ، وبعدهم لا نفاضل بين الصحابة. فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبى أن تقطع رقبة حاطب بن أبي بلتعة في هذا الأمر الخطير الذي يسمى في عصرنا بالخيانة العظمى ، بل لم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوصف حاطب بالخيانة ، أو النفاق ، أفلا نقبل اجتهاد عثمان رضي الله عنه لو كان قد أخطأ وهو من هو رضي الله عنه وأرضاه في هذه القضية التي هي أبسط بكثير من قضية حاطب رضي الله عنه! فهذا الأمر لمستوثقي الإيمان وسليمي العقيدة واضح جلي ، وكما ذكرنا أنه ينبغي أن يكون أمر الصحابة عندنا منزه تماماً، وأنه ما كان لأحدٍ من عموم الصحابة أن يكون في نيته أي سوء للمسلمين فضلاً عن أن يكون عثمان بن عفان رضي الله عنه. بل إن الطاعنين يصفون عثمان رضي الله عنه ليس بالخيانة ، أو النفاق ، بل بالكفر صراحة دون أي نوع من المواربة ، ومثله أبو بكر وعمر أيضاً ، فأني يؤفكون. قضية قصر الصلاة! التهمة الثامنة: يقولون إن عثمان رضي الله عنه أبطل سنة القصر في السفر. وأصل هذا الأمر أن عثمان رضي الله عنه في موسم الحج سنة 29 هـ أتمّ الصلاة في منى ، وكان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقصر الصلاة في منى ، وفي كل سفر ، ولم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتمّ الصلاة في أي سفر من أسفاره ، فكان هذا الأمر مخالفاً للمعتاد ، فناظره في ذلك عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، واعترض عليه بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعًا ، فقال عثمان رضي الله عنه مفسّرًا سبب إتمامه للصلاة: تأهّلت بمكة. أي تزوجت بها ، فأصبح إذن من أهل مكة ، فقال عبد الرحمن بن عوف: ولك أهل بالمدينة ، وأنت تقوم حيث أهلك بالمدينة. فقال عثمان بن عفان: وإن لي مالًا في الطائف ، فقال: إن بينك وبين الطائف ثلاث ، أي ثلاثة أيام سفر فلا تُعتبر بلدك ، فقال عثمان: وإن طائفة من أهل اليمن قالوا: إن الصلاة بالحضر ركعتان. أي أن بعض الأعراب من أهل البادية البعيدين عن العلم والفقه ظنوا أن القصر هذا في السفر ، وفي الحضر ، فبدأوا يقصرون في الحضر أيضًا. يقول عثمان رضي الله عنه: فربما رأوني أقصر في الصلاة فيحتجون بي ، فقال عبد الرحمن بن عوف: قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي والإسلام في الناس يومئذ قليل ، وكان يصلّي ها هنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلي ها هنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليت أنت ركعتين صدرًا من إمارتك ، فسكت عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم قال: إنما هو رأي رأيته. ثم خرج عبد الرحمن بن عوف من عند عثمان بن عفان ، فالتقى مع عبد الله بن مسعود فخاطبه في ذلك ، وأخبره بما دار بينه ، وبين عثمان رضي الله عنه ، فقال عبد الله بن مسعود: لقد صليت بأصحابي اثنتين ، ثم علمت أنه صلّى بأصحابه أربعًا ، فصليت أربعًا فالخلاف شرٌّ. فقال عبد الرحمن بن عوف: قد بلغني أنه صلى أربعًا ، فصليت بأصحابي ركعتين ، أما الآن فسوف يكون الذي تقول. أي أن عبد الرحمن سيصلّي أربعًا حتى لا يكون هناك خلاف بينهم ، وفي الحقيقة هذا الأمر فيه فقه عظيم من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فمع اقتناع عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما برأيهما في قصر الصلاة ، إلا أنهم قالوا: الخلاف شر. وهذا على عكس ما يردده بعض الناس: اختلاف أمتي رحمة. ويزعمون أنه

حديث ، وهو قول لا أصل له ، بل هو قول فاسد ، فإن الخلاف شر ، وليس برحمة ، ويقول الفقهاء في مسألة القصر هذه ، قال الشافعية والحنابلة: إن القصر والإتمام جائز ، وإن كان القصر أفضل. وقال المالكية: إن القصر سنة مؤكدة. وقالوا أيضًا: إن القصر في السفر آكد من سنة صلاة الجماعة. ويترتب على هذا أنه لو كنت مسافرًا ، ووجدت جماعة يصلون فالأفضل أن تصلي منفردًا قصرًا ، ولا تصلّي جماعة مع المقيم ، إلا إذا وجدت مسافرًا معك يصلي فاقتدِ به ، ويصلي كل منكما ركعتين. أما الحنفية فقالوا بوجوب القصر في السفر ، وإذا أتممت أربعًا قُبلت الصلاة ، ولكنك مخالف للسنة عمدًا ، فتُحرم من الشفاعة ، بل إنهم قالوا: إذا لم تجلس للتشهد الأوسط بطلت الصلاة. القضية إذن قضية اجتهاد ، فقد اجتهد عثمان رضي الله عنه في هذه الأمر ، وإن كان الأولى هو القصر في السفر ، كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يتم صلاة قط في سفر ، إلا أن الأمر كان موضع اجتهاد ، ووافقه الصحابة لتجنب الخلاف ولو كان حرامًا لما وافقه الصحابة رضي الله عنهم جميعًا. فإن كان عثمان رضي الله عنه قد أخطأ في اجتهاده هذا فله أجر واحد ، وإن كان أصاب فله أجران ، وقد كان لعثمان رضي الله عنه تأويلات يستند إليها في رأيه كزواجه ، وماله بالطائف ، وافتتان الناس بالقصر ، وهذا الأمر لا يُحل دمه رضي الله عنه بأي حال من الأحوال. تولية عثمان بن عفان لأقاربه التهمة التاسعة: أنه ولّى معاوية بن أبي سفيان وكان قريبًا له. الحديث عن معاوية رضي الله عنه وأرضاه سنفصل فيه عندما نتحدث عن القتال الذي دار في معركة صفين ، وعند الحديث عن خلافة معاوية رضي الله عنه سوف نتحدث عنه بصورة أكبر ، ولكننا الآن نلقي الضوء سريعًا على حياة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فنقول: كان رضي الله عنه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب له الوحي ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأتمنه على وحي السماء ، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، جعله أبو بكر رضي الله عنه خليفة لأخيه يزيد بن أبي سفيان على الجيش الخارج لحرب الروم في الشام ، وفي عهد عمر رضي الله عنه ولّاه عمر رضي الله عنه على حمص ، بعد عزل عمر بن سعد ، وكان من زهّاد الأنصار وقدامى الصحابة رضي الله عنهم جميعًا وتحدث الناس قائلين: يعزل سعدًا ويولّي معاوية. وقد أسلم معاوية رضي الله عنه سنة 8هـ أو سنة 6 هـ كما سيأتي في موضعه ، فقال عمير بن سعد رضي الله عنه: لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللَّهُمَّ اهْدِ بِهِ". ثم بعد هذا ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام بالكامل ، وذلك بعد حدوث الطاعون ، ووفاة الأمراء الواحد تلو الآخر ، وكما نعرف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان شديد الدقة في اختيار الأمراء ، وكان لا يتردد في عزل أحد ، حتى وإن كانوا من قدامى الصحابة ، كما عزل سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه وأرضاه ، وقد أقرّ عمر رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه على ولايته حتى استشهد سنة 23 هـ ، وبعد وفاة عثمان رضي الله عنه قال سعد بن أبي وقاص: ما رأيت أحدًا بعد عثمان أقضى بحقٍ من صاحب هذا الباب ، وأشار إلى باب معاوية، في خلافة معاوية. وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس: ما رأيت رجلًا أخلق بالملك من معاوية. كان معاوية رضي الله عنه وأرضاه عادلًا حكيمًا حليمًا ، يحسن الدفاع عن ملكه ، وينشر الإسلام في خارج ممالك المسلمين ، ويستعين بالله على ذلك ، وكان من المجاهدين الأبرار ، ودخل على يده الكثير ، والكثير ، ليس من الأفراد ، بل من الأمم في الإسلام. وكان سيرة معاوية مع رعيته خير سيرة ، وكانت الرعية تحبه حبًا شديدًا ، وروى مسلم وغيره عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

"خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ، وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ ، وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ ، وَيَلْعَنُونَكُمْ". فإذا كان الشعب يحب القائد ، وهو يحبهم ، فهذا من خيار الأئمة ، وإذا كان يبغض الشعب ، والشعب يبغضه ، فهو من شرار الأئمة ، وهذا مقياس ثابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يتسع المقام هنا للحديث عن معاوية رضي الله عنه وسنفصّل ذلك في موضعه ، وما يهمنا هنا هو أن نقول أن عثمان رضي الله عنه لم يستحدث تولية معاوية بن أبي سفيان ، بل فعلها من قبله من هو خير منه. التهمة العاشرة: أنه ولّى عبد الله بن عامر بن قريظ على البصرة ، وهو من أقاربه! عبد الله بن عامر هذا من بني أمية من جهة الأب ، ومن بني هاشم من جهة الأم ، فأم جدته الكبرى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما ولد عبد الله بن عامر بن قريظ أُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لأهله: "هَذَا أَشْبَهُ بِنَا مِنْهُ بِكُمْ" ، ثم تفل في فيه فازدرده ، فقال صلى الله عليه وسلم: "أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَسْقِيًّا". فكان رضي الله عنه لا يعالج أرضًا إلا ظهر منها الماء ، ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني في الإصابة. ويُعدّ عبد الله بن عامر من أشهر الفاتحين في الإسلام ، فقد فتح خراسان كلها ، وأطراف فارس ، وساجستان ، وأعاد فتح كرمان بعد نقضها للعهد ، وكان هذا الجهاد سببًا في تقويض آمال المجوس في استعادة ملكهم ، ومن ثَمّ يكنّون له هذا الحقد العظيم في نفوسهم ، وعندما انطلق الطاعنون من تلك الأراضي أخذوا يطعنون في من قوضوا ملك فارس من أمثال المجاهد عبد الله بن عامر بن قريظ الذي فعل هذا ، ولم يكن يبلغ من العمر سوى خمسة وعشرين سنة. قال ابن كثير في البداية والنهاية: هو أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام ، وأجرى إليها الماء المعين. وقال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: إن له من الحسنات ، والمحبة في قلوب الناس ما لا يُنكر. التهمة الحادية عشرة: أنه ولّى مروان بن الحكم وكان قريبًا له والواقع أن مروان بن الحكم لم يُولّ ، وإنما كان عثمان رضي الله عنه يستشيره في كثير من الأمور ، وكان يقربه إليه ، ولم يولّه إمارةً من الإمارات ، يقول القاضي ابن العربي في العواصم من القواصم: مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة ، والتابعين ، وفقهاء المسلمين. ومن الصحابة من روى عن مروان بن الحكم رضي الله عنه الحديث كسهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه وهذا في البخاري ، وروى عنه أيضًا زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا ، وإذا كان زين العابدين قد وثق في حديث مروان بن الحكم ، فإن هذا من أقوى الأدلة على الطاعنين ، لأن زين العابدين في زعمهم الإمام الرابع من الأئمة ، وهو معصوم عندهم ، وروى عن مروان بن الحكم أيضًا سعيد بن المسيب إمام التابعين ، كما روى عنه عروة بن الزبير ، وعراك بن مالك، وهؤلاء من كبار أئمة التابعين ، وكثير غيرهم روى عنه ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب (الشيعة والتشيع) لإحسان إلهي ظهير ، ولما وقع مروان بن الحكم رضي الله عنه أسيرًا في موقعة الجمل لم يؤذه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا أحد من أتباعه ، وذلك لمكانته بين المسلمين ، وشفع له الحسن والحسين عند أبيهما رضي الله عنهم جميعًا ليطلق سراحه ، وهذا ما حدث ، وفي رأي الطاعنين أن الحسن والحسين معصومان من الخطأ ، فضلًا عن أبيهما ، والحق ما شهدت به الأعداء. يبقى في هذا الأمر ثلاثة أسئلة هامة وهي: 1- هل في تولية بني أمية أي خطأ من ناحية الشرع؟ 2- هل كان معظم ولاة عثمان بن عفان رضي الله عنه من أقاربه بالفعل؟ 3- هل تولية الأقارب بصفة عامة محرّمة شرعًا أم لا؟ أولًا: كان بنو أمية من أكبر القبائل العربية الموجودة في ذلك الوقت ، وكان فيهم الكثير والكثير من أهل

الحكم والولاية ، وكان فيهم شرف وسؤدد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوليهم بنفسه في كثير من الأمور ، فنجد أنه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن فُتحت مكة ولّى عليها عتاب بن أسيد من بني أمية ، بينما كان عمره لا يتجاوز العشرين سنة ، فولّاه الرسول صلى الله عليه وسلم على أفضل بقاع الأرض على مكة ، وولّى صلى الله عليه وسلم على نجران أبا سفيان بن حرب ، وولّى على صنعاء ، واليمن ، وصدقات بني مذحج خالد بن سعيد بن العاص الأموي ، وولّى على تيماء ، وخيبر ، وقُرى عرينة عثمان بن سعيد بن العاص الأموى ، وولّى على البحرين إبان بن سعيد بن العاص ، بعد العلاء بن الحضرمي ، وقد كان العلاء أيضًا حليفًا لبني أمية ، واستعملهم بعد ذلك أيضًا الصديق أبو بكر ، والفاروق عمر رضي الله عنهما ، وزاد عمر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي سفيان ، ونعرف أن الصديق رضي الله عنه ائتمن يزيد بن أبي سفيان على ربع الجيش الخارج للشام. بنو أمية إذن لا يستطيع أحد أن ينكر فضلهم في التاريخ ، فهم الذين ثبتوا دعائم الدولة الإسلامية ، ونشروا الإسلام في بقاع كثيرة ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه. أما السؤال الثاني: هل كان معظم ولاة عثمان بن عفان رضي الله عنه من أقاربه بالفعل؟ المناصب العليا في عهد عثمان رضي الله عنه ، وتحديدًا في الوقت الذي جاء فيه رؤوس الفتنة يطلبون عزله رضي الله عنه كانت هذه المناصب على هذا النحو ، كان على القضاء زيد بن ثابت الأنصاري ، وكان على بيت المال عقبة بن عامر الجهني ، وكان على إمارة الحج عبد الله بن عباس الهاشمي ، وعلى الخراج جابر بن فلان المُزني ، وسماك الأنصاري ، وعلى إمارة الحرب القعقاع بن عمرو التميمي ، وعلى الشرطة عبد الله بن قنفذ من بني تيّم. فهذه المناصب الستة العليا في الإمارة لم يكن فيها أحد من بني أمية. أما ولاة عثمان بن عفان رضي الله عنه على البلاد المختلفة ، فكانوا على هذا النحو: كان على اليمن: يعلى بن أمية التميمي. وكان على مكة: عبد الله بن عمرو الحضرمي. وعلى همذان: جرير بن عبد الله البجلي. وعلى الطائف: القاسم بن ربيعة الثقفي. وعلى الكوفة: أبو موسى الأشعري. وعلى البصرة: عبد الله بن عامر بن قريظ. وعلى مصر: عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وعلى الشام: معاوية بن أبي سفيان. وعلى حمص: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي. وعلى قنسرين: حبيب بن مسلمة القرشي الهاشمي. وعلى الأردن: أبو الأعور السلمي. وعلى فلسطين: علقمة بن حكم الكنعاني. وعلى البحر الأبيض المتوسط: عبد الله بن قيس الفزاري. وعلى أذربيجان: الأشعث بن قيس الكندي. وعلى حلوان- في أرض فارس-: عتيبة بن النهاس العجلي. وعلى أصفهان في عمق فارس: السائب بن الأقرع الثقفي. ولا نلمح في كل هذه الولايات إلا اثنين فقط من أقارب عثمان رضي الله عنه هما: عبد الله بن السائب بن قريظ ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وكما ذكرنا أن (مروان بن الحكم) لم يُولّى ، والوليد بن عقبة ، وهو من أقارب عثمان رضي الله عنه ، ولكن من جهة الأم ، وليس من بني أمية ، وكان معزولًا في زمن هذه الفتنة ، وسنفصّل في أمره في موضعه. فمع عظمة بني أمية ، وسُؤْددهم ، وشرفهم ، وكونهم أهلًا للولاية ، والإمارة ، إلا أننا لا نرى منهم في الإمارة إلا اثنين فقط ، مما يدحض هذا الافتراء الذي يزعمه الطاعنون. أما السؤال الثالث: هل تولية الأقارب بصفة عامة محرّمة شرعًا أم لا؟ والجواب أنه ليس هناك أي دليل شرعي على منع ، أو تحريم تولية الأقارب ما داموا يستحقون الإمارة ، والطاعنون الذين يهاجمون عثمان رضي الله عنه في هذا الأمر نقول لهم: إذا نظرنا إلى حال الولاة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه نرى أنه كان على اليمن ثم البصرة عبد الله بن عباس وهو

ابن اخيه ، وكان على مكة قثم بن العباس بن عبد المطلب ، وهو ابن أخيه ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ربيبه - ابن زوجته التي كانت زوجة لأبي بكر رضي الله عنه فلما توفي عنها تزوجها علي رضي الله عنه - وعلى خراسان جعد بن الهبيرة ، وهو صهر وابن أخت علي بن أبي طالب ، وعلى المدينة المنورة ثمامة بن العباس في وقت ، وسهل بن حنيف في وقت آخر ، وكان على العسكر ابنه محمد بن الحنفية ، وسمي بذلك لأنه أمه كانت من سبي بني حنيفة في موقعة اليمامة ، وكان على غمارة الحج سنة36 هـ عبد الله بن العباس ، و37 هـ قثم بن العباس ، و38 هـ عبيد الله بن العباس. وهذا كله ليس طعنًا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ لأن هؤلاء جميعًا مستحقون للإمارة ، ولهم من المكانة ، والفضل ، والأهلية ما يؤهلهم للإمارة ، ولكن الطاعنين يحاولون الطعن في أمر فعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته لما رأى أن مصلحة المسلمين تقتضي ذلك ، بل إن الطاعنين يزعمون أن عليًا رضي الله عنه أوصى بالخلافة للحسن ، ثم الحسين ، ثم ابن الحسين ، وهكذا ، وهذه الوصاية المزعومة المكذوبة أشد من تولية الأقارب. فالولاية إذن أمر يجتهد فيه أمير المؤمنين حسب ما يرى ، وحسب من يصلح أن يكون أهلًا للإمارة ، سواء أكان قريبًا له ، أو غير قريب ، بل إن له أن يعزل الفاضل ، ويولّي المفضول إن رأى في ذلك مصلحة للمسلمين ، أو دفع فتنة عنهم ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما عزل سعد بن أبي وقّاص ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وخال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والوحيد الذي افتداه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه ، وولّى بعده من هو أقل منه درجة عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، ثم زياد بن حنظلة ، ثم عمار بن ياسر ، ولم ينكر عليه أحد ذلك. ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولّى زياد بن أبي سفيان ، والأشتر النخعي ، ومحمد بن أبي بكر ، وبلا شك أن معاوية بن سفيان أفضل من هؤلاء ، ومع ذلك ولّاهم وله في ذلك اجتهاده وتأويله. التهمة الثانية عشرة: أنه ولّى الوليد بن عقبة على الكوفة، وهو فاسق! وبداية يَرُدّ القاضي ابن العربي في العواصم من القواصم قائلًا أن من فسّق الوليد بن عقبة فهو فاسق ، ففي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه استأمنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر على الرسائل التي كانت بينه ، وبين خالد بن الوليد في موقعة المزار ، فكان هذا سرًا خطيرًا في الحرب بين الفرس ، وبين المسلمين ، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه أيضًا أرسله مددًا على رأس قوة إلى عياض بن غنم في دومة الجندل ، وفي سنة 13 هـ تولّى لأبي بكر الصديق صدقات قضاعة ، فكان هو الذي يجمع الصدقات لأبي بكر رضي الله عنه وأرضاه ، وكان أبو بكر رضي الله عنه شديد الدقة في اختيار الأمراء. وعينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه على إمارة قبائل بني تغلب ، وتنوخ ، وربيعة ، وعرب الجزيرة ، ليحمي ظهور المسلمين ، وقام بهذه المهمة خير قيام ، وقد بدأ رضي الله عنه ينشر الدعوة في القبائل النصرانية الموجودة بتلك المنطقة حتى اشتكت هذه القبائل إلى عمر رضي الله عنه أن هذا الرجل يخرج شباب ، وأطفال قبائلهم من النصرانية إلى الإسلام ، فكانت هذه هي تهمته ، فكان رضي الله عنه نعم المجاهد الشاب ، ونعم الداعية في سبيل الله تعالى. وفي عهد عثمان رضي الله عنه تولّى أمر الكوفة ، وظل في إمارته خمس سنوات كاملة ، يحبه أهل الكوفة ويحبهم ، وكان الزائرون لا ينقطعون عن بيته يطعمهم ويسقيهم ، وكان الناس في رخاء شديد في عهد الوليد بن عقبة ، فقد كان صاحب فتوحات عظيمة في أراضي الفرس ، وكان رضي الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم. إذن فلِمَ الطعن فيه ووصفه بأنه فاسق من قِبل الشيعة؟! احتجوا أولًا بالآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ

فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}. وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات ، وإنهم لما أتاهم الخبر فرحوا ، وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع الوليد ظنا منه أنهم يريدون قتله ، فقال يا رسول الله: إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضباً شديداً ، فبينا هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذا أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله ، إنا بلغنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن ما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله. فأنزل الله تعالى الآية. وليس هناك حديث صحيح ، أو متصل يقول إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة ، وهو رضي الله عنه عندما أسلم عام الفتح كان في جملة الصبيان 8 هـ ، فكيف يرسله الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الشأن العظيم ، فمن الواضح أنه كان صغيراً ، وهذا يدلنا أيضاً أنه كان في ولايته في عهد أبي بكر وعمر دون العشرين ، وكانا شديدا الثقة به ، ومن المحال أن يرضيا عنه إذا وصفه القرآن بالفسق. وادعوا عليه أيضا أنه كان يشرب الخمر وقد اتهم بهذا ؛ لأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم ، ولأنه أقام الحدود على من ارتكب ما يوجب حدا من أهل الكوفة ، كما أنه أقام حد القتل على ثلاثة قتلوا رجلاً ، وشهد عليهم أحد الصحابة وابنه ، فأحرق ذلك قلوب آباء هؤلاء الثلاثة ، وكانوا جميعاً من الأشرار المشهورين وكان أحدهم قد غضب عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وطرده من المدينة ، فذهب إلى الكوفة ، وكان سبب طرده أنه تزوج من امرأة قبل انتهاء عدتها من زوجها الأول ، فهؤلاء الموتورون المصابون في أبنائهم ذهبوا إلى عثمان رضي الله عنه ، وادعوا على الوليد بن عقبة ظلماً ، وزورا أنهم شاهدوه يشرب الخمر ، وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى الوليد بن عقبة فلما أتى قال له عثمان: إنهم يشهدون عليك أنك قد شربت الخمر ، ورأوك سكران تتقيأ. فحلف الوليد أنه لم يفعل ، فقال عثمان رضي الله عنه: نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار. مع أنه قريباً له من ناحية الأم وقيل: أخوه لأمه ، وأقام عليه الحد ، وقيل: الذي جلده هو علي بن أبي طالب ، وبعدها عزله عثمان بن عفان رضي الله عنه. وعلى فرض أن هذا الذنب قد حدث منه ، فالذنوب لا تسقط العدالة ما دام الإنسان قد تاب منها ، وقد أقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد على قدامة بن مظعون رضي الله عنه ، وهو من قدامى الصحابة ، وممن هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً ، فلما شرب الخمر أقام عليه الفاروق الحد ، ولم ينقص ذلك من قدره؛ لأنه تاب من ذنبه. فهذه هي قضية الوليد بن عقبة رضي الله عنه المجاهد الذي كان له الفضل الكبير في الكثير من الفتوحات الإسلامية. التهمة الثالثة عشرة: أنه أعطى مروان بن الحكم خمس غنائم إفريقية. وهذا الأمر بداية لم يصح له أي سند ، ولا توجد رواية واحدة صحيحة تؤكد هذا الخبر ، وإذا طالعنا الروايات التي تذكر هذا الأمر نجدها ترجع إلى أحد هؤلاء: إما الواقدي وإما محمد بن هشام الكلبي وإما أبو مخنف لوط بن يحيى ، وجميعهم كما نعرف من الطاعنين الوضاعين الذين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الصحابة ، ويفترون عليهم. والصحيح أن عثمان رضي الله عنه أعطى خمس الخمس لعبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه ، وكان قد قال له أنه إن أبلى بلاء حسناً في فتح إفريقية فسوف يعطيه خمس الخمس تشجيعاً له على هذا الأمر ، وقام عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالفعل بفتحها بالفعل ، وأعطاه عثمان رضي الله عنه خمس الخمس كما وعده ، فجاء مجموعة من إمرة الجند الذين هم تحت عبد الله بن سعد أبي سرح إلى عثمان ، وقالوا له: إن عبد الله بن

سعد قد أخذ خمس الخمس. فقال عثمان: إني أنا الذي أمرت له بذلك ، قالوا: فإنا نسخط ذلك ، قال: فإني أسأله فإن رضي رددته. فاستأذن عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح في رد المال فرده ، مع أن هذا الأمر جائز شرعاً ، وفعله من هو خير من عثمان رضي الله عنه ، فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقطعوا القطائع والأعطيات لبعض الناس ، إما ترغيباً لهم ، وتأليفا لقلوبهم ، وإما جزاء لهم على حسن البلاء ، وقد ذكر الكثير من هذه الأمثلة أبو يوسف في كتابه (الخراج). التهمة الرابعة عشرة: كان عمر يضرب بالدرة ـ عصا صغيرة ـ أما عثمان ، فيضرب بعصا كبيرة. هذا الأمر ليس له أصل ، ولا سند ، ولا يصح فيه حديث واحد. التهمة الخامسة عشرة: علا على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل عنها أبو بكر وعمر. يقول القاضي ابن العربي في العواصم من القواصم: لا يصح لهذه الرواية إسناد ، ولو صح إسنادها فلم ينكر عليه أحد من الصحابة هذا الأمر ، ولو كانوا أنكروه ، فلا يحل ذلك دمه بحال من الأحوال. وقال محب الدين الخطيب في تعليقه على العواصم من القواصم: لو صح هذا الأمر ، فله التأويل الواضح ، وذلك لأن المسجد النبوي في عهد عثمان رضي الله عنه اتسع اتساعاً كبيراً ، ومن حر مال عثمان رضي الله عنه ، وأصبحت مساحته مائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً ، فلو وقف على الدرجة الأخيرة من المنبر لما رآه الناس ، فاعتلى حتى يراه الناس ، هذا إن صحت الرواية القائلة بأنه علا على الدرجة التي كان يقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. التهمة السادسة عشرة: لم يحضر بدرا. التهمة السابعة عشرة: انهزم وفر يوم أحد. التهمة الثامنة عشرة: غاب عن بيعة الرضوان. وقد ذكرنا الرد على هذا النقاط قبل ذلك عندما ذكرنا سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، ويكفينا ما قاله عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، والرواية في البخاري عن عثمان هو ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش ، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر ، قال: يا ابن عمر ، إني سائلك عن شيء فحدثني ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم ، قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ ، قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ ، قال: نعم ، قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أُبَيّن لك ، أما فراره يوم أحد ، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر ، فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ". وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: "هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ". فضرب بها على يده فقال: "هَذِهِ لِعُثْمَانَ". فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك. التهمة التاسعة عشرة: لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان وكان عبيد الله بن عمر ، قد تيقن من أن الهرمزان قد شارك في الإعداد لقتل أبيه عمر بن الخطاب ، فقتله. هذه قضية شائكة للغاية ، فقد قُتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 23 هـ على يد أبي لؤلؤة المجوسي ، وقَتَل أيضا سبعة من الصحابة ، وأصاب كثيراً غيرهم ، وقتل نفسه بعدها مباشرة ، ولم يمت عمر رضي الله عنه في اليوم الذي طعن فيه 27 من ذي الحجة بل مات بعدها في آخر ليلة من شهر ذي الحجة 23 هـ ، في هذا الوقت يأتي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ، ويقول أنه رأى الهرمزان ، وهو قائد فارسي قديم ،

خالف عهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خالف عهده مع عمر بن الخطاب ثلاث مرات ، ثم أعلن إسلامه ، وبقي في المدينة ، رآه يتناجى في السر مع أبي لؤلؤة المجوسي ، فارتاب في أمرهما ، فاقترب منهما ، ثم هجم عليهما فجأة ، فسقط منهما خنجر له رأسان ، فاذهبوا فالتمسوا الخنجر الذي قتل به عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهبوا وبحثوا عنه فوجدوه بمواصفات الخنجر الذي ذكره عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه فتيقن القوم أن الهرمزان مشارك لأبي لؤلؤة المجوسي في التخطيط ، والحض على قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، فأمسك ـ أي لم يتصرف ـ حتى مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، فحمل سيفه ، وخرج ، فقتل الهرمزان ، فكانت تلك قضية شائكة ، ولننظر إلى مدى العدالة في الدولة الإسلامية اجتمع عثمان رضي الله عنه بكبار المهاجرين ، والأنصار رضي الله عنهم جميعاً ، هل يقام عليه الحد على ابن الخليفة الذي قتل رجلاً من المتيقن به لدى الجميع أن أعد وخطط لمقتل أبيه الذي كان الخليفة ، وأخذ الصحابة يتداولون الأمر. فقال عثمان رضي الله عنه: أشيروا عليّ في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق ، وكان هذا بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاثة أيام ، وكان عبيد الله بن عمر في تلك الفترة محبوساً في بيت سعد بن أبي وقاص. فقال علي بن أبي طالب: أرى أن تقتله. فقال المهاجرون والأنصار: يُقْتل عمر بن الخطاب بالأمس ، ويُقْتل ابنه اليوم. فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إن الله أعفاك ، أن يكون هذا الحدث كان ، ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان الحدث ، ولا سلطان لك. فقال عثمان بعد أن سكت برهة: أنا ولي الذي قتل ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها من مالي. ويعلق ابن تيمية في منهاج السنة النبوية على هذا الأمر فيقول: لو كان القاتل متأولاً ، ويعتقد حل القتل لشبهة ظاهرة صار ذلك شبهة قد تدرأ عنه القتل. وفي هذه الحالة التأويل قوي جداً ، وشهادة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق من الواضح أن الهرمزان كان يخطط مع أبي لؤلؤة المجوسي لقتل عمر رضي الله عنه ، ووجد الخنجر الذي رآه عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقتل به عمر رضي الله عنهم جميعاً على يد أبي لؤلؤة ، وبعد موت عمر رضي الله عنه ، وقبل اختيار عثمان لم يكن للمسلمين ولي فكان عبيد الله ولي أبيه ، فأخذ له بحقه في رأيه ، ولم يقر الصحابة رضي الله عنهم هذا الاجتهاد ، والتأويل بالكلية من عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ومن ثَمّ دفع عثمان رضي الله عنه الدية من حر ماله. ودار حوار بين عبد الله بن عباس حبر الأمة ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فبعد طعن عمر رضي الله عنه نادى على ابن عباس رضي الله عنه وقال له: كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر الفرس في المدينة. أي أنهما كانا من مؤيدي أن يكثر الفرس في المدينة ويسلموا ، ويعيشوا فيها ، ويقتربوا من الإسلام ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكره ذلك ويرى فيهم الغدر. فكان رد عبد الله بن عباس: إن شئت أن نقتلهم فعلنا ، ليس الهرمزان فحسب ، بل كلهم ، وذلك لما ظهر الفساد منهم ، ولا بأس بأن يقام عليهم حد الحرابة وللوالي أن يقتلهم. فقال له عمر رضي الله عنه: كذبت ، أفبعد أن تكلموا بلسانكم ، وصَلّوا إلى قبلتكم. الشاهد في الأمر أنه في هذه الفتنة ـ فتنة مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ كان من المسلمين من يرى جواز قتل الفرس جميعاً الذين هم بالمدينة ؛ لأنهم أفسدوا في الأرض ، وخططوا لقتل الخليفة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وكان من يرى ذلك هو عبد الله بن عباس حبر الأمة ، وهو بلا شك أكثر فقها وأعلم من عبيد الله بن عمر ، لهذا احتمل عثمان بن عفان الدية من ماله الخاص ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان. التهمة

العشرون: أنه كان يعطي أقرباءه ، ولا يعطي عامة المسلمين! يقول عثمان رضي الله عنه: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم ، فأما حبي لهم ، فإنه لم يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطائهم فإنما أعطيهم من مالي ، ولا أستحل مال المسلمين لنفسي ، ولا لأحد من المسلمين ، وقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي في أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر ، وأنا يومئذ شحيح حريص ، أفحين أتت عليّ أسنان أهل بيتي ، وفني عمري ، ووضعت الذي لي في أهلي ، قال الملحدون ما قالوا. ومن المعروف أن عثمان رضي الله عنه كان يعتق في كل جمعة رقبة في سبيل الله ، وأقطع لعبد الله بن مسعود ، ولعمار بن ياسر ، ولخباب بن الأرت ، وللزبير بن العوام ، وغيرهم ممن ليسوا بأقاربه على الإطلاق ، وتنازل رضي الله عنه لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن خمسين ألف درهم كانت له عليه. ويتجاوز ابن تيمية في (منهاج السنة النبوية) إلى أكثر من ذلك فيقول: على فرض إعطاء عثمان رضي الله عنه لمروان بن الحكم خمس غنائم إفريقية ، فإن عثمان عامل على صدقات المسلمين ، ويستحق من هذه الأموال حتى وإن كان غنياً ، ويقول أيضاً أن سهم ذوي القربى المذكور في الآية: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}. قال بعض العلماء كالحسن البصري ، وأبو ثور أن المقصود بذي القربى: قرابة الإمام ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعطي ذوي قرابته لأنه إمام المسلمين ، ذلك حق لكل وال من بعده ، أن يعطي من هذا السهم لأقاربه ، هذا على فرض أن هذا الادعاء منهم صحيح وإن كان باطلاً من البداية. جمع المتمردون هذه النقاط العشرين ، جمعوا أنفسهم من البصرة ، ومن الكوفة ، ومن مصر ، وتوجهوا نحو عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة ، ووصلوا المدينة مع ظهور هلال ذي القعدة سنة 35 هـ ، وبدأوا يتحاورون في هذه النقاط مع عثمان رضي الله عنه).هـ. وإنني لأعتذر عن إيراد هذه المآخذ والمطاعن والشبهات التي أخذها لطاعنون المجرمون على عثمان! حيث سبب ذلك إطالة في مقدمة البردة العثمانية من جهة ، وأصاب الشاعر كما أصاب القراء بالملالة والسآمة من جهةٍ أخرى! ولكنني تعمدت ذلك كله لنبرئ عثمان مما التصق به زوراً وبهتاناً على مدار التاريخ!)

الخاتمة

على أمل اللقاء بكم أعزائي القراء في الجزء التالي حتى نكمل معاً ثلاثة آلاف قصة وقصة! لنقرأ ونستمتع ونتأمل ونعتبر! فإن العاقل من وعظ بغيره! والقصة خير معلم!

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

فهرست القصص – (شرائح قصصية سليمانية 7)

مسلسل	عنوان القصة	النغم	النوع	الصفحة
1	انحدار	حزينة	قصة قصيرة	7
2	انحدار عواقبه وخيمة	حزينة	خاطرة أدبية	7
3	أنذرتهم ولكن!	التحذير	قصة قصيرة	7
4	عِبرة لمن يعتبر!	العبرة والعظة	قصة قصيرة	8
5	ستة مواقف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه	العبرة والعظة	مواقف قصيرة	9
6	حكمة العلماء وفراستهم	الحكمة	موقف خاطف	9
7	مصر أول دولة على الأرض منذ 10 آلاف سنة!	مجد مصر	حقائق ثابتة	10
8	ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله!	المكر والخديعة	قصة قصيرة	11
9	قصة مكذوبة وغير صحيحة (قصة علقمة وأمه)	كذب الرواية	قصة مكذوبة	11
10	اتبع قلبك دومًا!	الأمل الصادق	قصة قصيرة	12
11	قصة الفيل والحبل	الوهم الكاذب	قصة قصيرة	13
12	غرق فرعون	العبرة والعظة	قصة قصيرة	13
13	الحكمة في معاملة الآخرين	أخذ الدرس	قصة قصيرة	13
14	طرف من قصة قوم عاد!	استلهام العبرة	قصة قصيرة	14
15	الأب المؤمن الحكيم	التربية الحقة	قصة قصيرة	15
16	إنا لله وإنا إليه راجعون	خطأ في التربية	قصة قصيرة	15
17	أم إبراهيم	الصبر والثبات	قصة قصيرة	16
18	امرأةٌ مثالية من نساء (قرية ظفر)!	الصبر والجد	قصة قصيرة	17
19	رسالة شعرية إلى «أم يوسف»	النصيحة	خواطر هامة	23

20	أمانة التكليف	الأمانة	رأي صائب	26
21	أمانة صاحب الحانوت	الأمانة	قصة قصيرة	29
22	أمانة	الأمانة	رأي ونصيحة	30
23	أماه	الغربة	موقف وخاطرة	30
24	أمة اقرأ أولى بهذا	القراءة	قصة قصيرة	32
25	مسؤولية أمة الإسلام	المسؤولية	رأي	33
26	أمة تذبح وعالم يتفرج	الإجرام	رأي	33
27	امتَهنوا فما امتُهنوا!	العصامية	رأي	34
28	امرأتان من صعيد مصر!	المجد والعزة	شهادة التاريخ	42
29	أمسك عليك زوجك!	النصيحة	قصة قصيرة	52
30	أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه؟	الدعاء	قصة قصيرة	53
31	أمنا تنتظرنا يا مروة!	فضل الأم	قصة قصيرة	55
32	أمومة بلا رصيد	فضل الأم	قصة قصيرة	56
33	أمومة لها رصيد!	الأم الحقيقية	قصة قصيرة	65
34	أميرة القلب	خاطرة	موقف	66
35	إن غاب سيده فأنا سيدته	الشجاعة	قصة قصيرة	68
36	إن في ذلك لآية	الدعاء	قصة قصيرة	68
37	إن في ذلك لعبرة	الموعظة	قصة قصيرة	70
38	إن قلبي جريح	هم الدعوة	موقف	71
39	إن قلبي لا يفيق	اتباع الهوى	موقف خاطف	71
40	إن كيدكن عظيم	الحيلة	قصة قصيرة	72

41	إن له لحلاوة	المدح	قصة قصيرة	73
42	إنا كفيناك المستهزئين	حماية النبي	قصة قصيرة	74
43	إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون	حماية النبي	قصة قصيرة	76
44	سنسافر أنا والكتب!	جناب القرآن	قصة قصيرة	79
45	أنا يا أخا الأوطان!	حقيقة الوطن	موقف عقدي	81
46	أنت أدرى بما جرى	الأمانة	قصة قصيرة	83
47	يا غادتي أنت المُنى	شعر الغزل	قصة قصيرة	84
48	أنتَ المُنى يا بُني!	الأبوة الحانية	قصة قصيرة	84
49	أنت جنتي	حب الزوجة	قصة قصيرة	86
50	أنت يا حياة	حلاوة الإسلام	خاطرة أدبية	86
51	انتكاسة غير مسبوقة	انتكاس الفطرة	قصة قصيرة	87
52	أنتهادى لنتعادى؟	الهدية	قصة قصيرة	91
53	انسي الذي بيننا!	تعدد الزوجات	قصة قصيرة	93
54	مفاجأة انعكاس الحقائق	حقيقة الأخوة	قصة قصيرة	93
55	كيف وقد أنقذني الله به؟	الشهامة	قصة قصيرة	95
56	السبب أنك لا تصلي	ترك الصلاة	قصة قصيرة	95
57	إنك ميت وإنهم ميتون	موت النبي	قصة قصيرة	96
58	ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب	الاستهزاء	قصة قصيرة	98
59	إنها تذكرة	عظة الموت	خاطرة شرعية	103
60	أنى لمثلك الشجاعة؟	الجبن	قصة قصيرة	104
61	أنين القلم	الصدق منجاة	خاطرة أدبية	108

62	أنين النخيل	الأطلال	خاطرة أدبية	108
63	أنينُ الوشاح	القيم والأخلاق	خاطرة أدبية	109
64	آهة في صدري	الحزن	خاطرة أدبية	110
65	أهداب النصيحة	النصيحة	موقف إنساني	111
66	حللت أهلاً ، ونزلت سهلاً يا يوسف الخير	الثقة في الله	قصة قصيرة	112
67	أو ردّوها	رد الهدية	موقف إنساني	113
68	قراءة في أوراق الماضي	ذكرى الماضي	خاطرة أدبية	113
69	في أوراق الماضي	الزواج للجمال	قصة قصيرة	113
70	أوفوا بالعقود	توثيق العقود	قصة قصيرة	133
71	الأحياء أولى بالعيد	العيد للأحياء	خاطرة شرعية	135
72	أي شهادة تلك؟	حقيقة الشهادة	تصحيح مفهوم	135
73	أي وفاء بعد هذا؟	المسؤولية	قصة قصيرة	136
74	أيأسٌ بعد أمل؟!	الدعوة	موقف صادق	137
75	إياك أعني ، وعلى الله القبول	سلب النعمة	خاطرة أدبية	137
76	إياك أعني	المدح	موقف عابر	137
77	إياك أعني ، واسمعي يا جارة	قصة المثل	تحليل الأمثال	138
78	أيتامٌ على موائد اللئام	قهر اليتيم	قصة قصيرة	138
79	عفوًا أيتها الطبيبة	الاعتذار	موقف عابر	141
80	لقد أيقظتِ ضميري	الموعظة	قصة قصيرة	141
81	أين الثرى مِن الثريا؟	الفرق الكبير	قصة قصيرة	143
82	أيها الحادي	أنغام البحور	خاطرة أدبية	144

83	أيها الرضيع ، رفقا بنفسك!	صنع المعروف	قصة قصيرة	145
84	تحية أيها الكلب!	غيرة الكلب	قصة تاريخية	145
85	رويداً أيها المرتزقة!	كشف المرتزقة	موقف دعوي	146
86	بارك الله فيك يا نورية!	التوبة	قصة قصيرة	147
87	باكية إلى الأبد	الصمود	قصة قصيرة	147
88	نحن بالعدل أولى	العدل	قصة قصيرة	147
89	بائعُ الكتب	العلم	قصة قصيرة	149
90	ببركة الدعاء	الدعاء	قصة قصيرة	149
91	بحرُ الظلمات	الجدال المحض	قصة قصيرة	151
92	بخواتيمها الأعمال	جبلة بن الأيهم	قصة قصيرة	153
93	بداية الهزيمة	حب الطلاب	موقف شخصي	156
94	بداية الهزيمة التكلف	بغض التكلف	موقف شخصي	157
95	بدعٌ وجواب	الابتلاء	خاطرة دعوية	158
96	بدوية تأبى السقوط	الابتلاء	قصة قصيرة	160
97	بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه -!	السيرة العطرة	سيرة ذاتية	160
98	بردة الحسن بن علي رضي الله عنه	السيرة العطِرة	سيرة ذاتية	170
99	بُردة عائشة – رضي الله عنها -!	السيرة العطرة	سيرة ذاتية	180
100	بُردة عُثمان بن عَفان – رضي الله عنه -!	السيرة العطرة	سيرة ذاتية	196

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (شرائح قصصية سليمانية 7)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

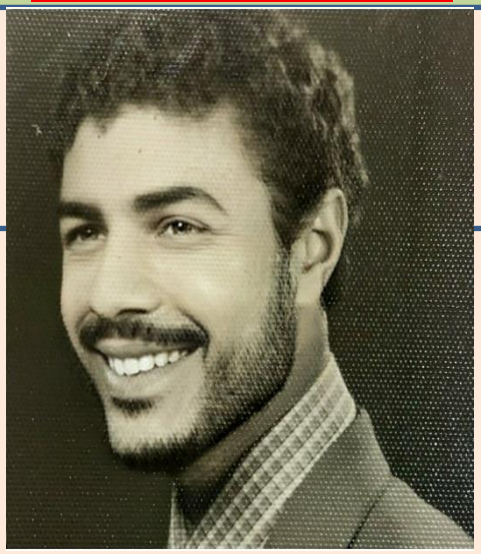

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2
122 – شمس العرب تسطع على الغرب!
123 – تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
124 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
125 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
126 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
127 - إنها تذكرة!
128 - زواجٌ بالإكراه!
129 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
130 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
131 - محاكاة لامية ابن الوردي!

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet - Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic. 13. Styles of translation.

	14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.
Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire!
Other Literary Books	23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye , My Poetry! 1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life